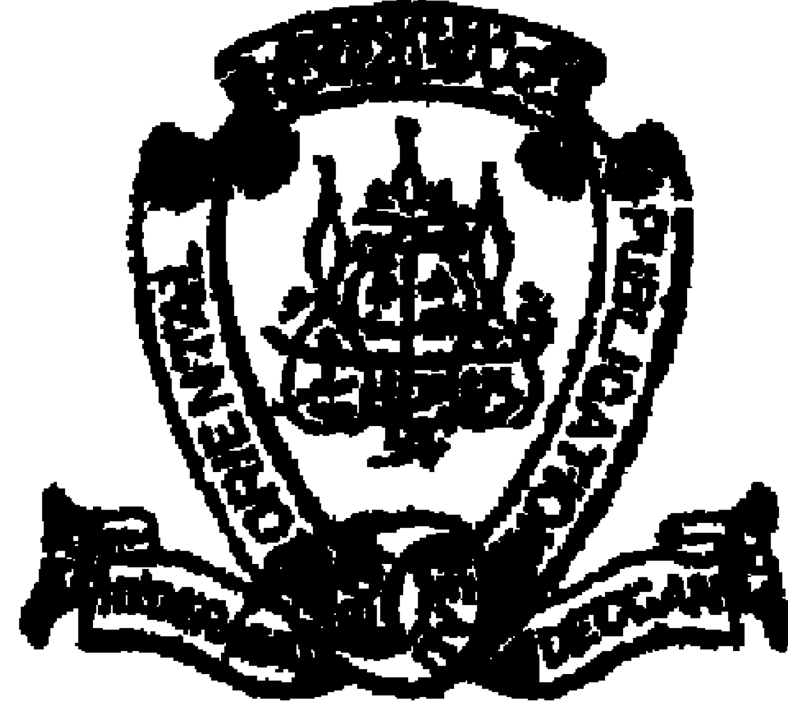
السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ١/٤/٢



نظم الدرر

فى تناسب الآيات و السور

للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى

(المتوفى سنة ٨٨٥ هـ/ ١٤٨٠ م)

الجزء الثانى

طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

محامد على العباسى مدير دائرة المعارف العثمانية

الطبعة الاولى

بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند

١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم شرع سبحانه يقيم الدليل على أنهم ممن أحاطت به خطيئته فقال: «و اذ» أى ا اذكروا ما تعلمون فى كتابكم من حال من كسب سيئة محيطة و اذكروا اذ «اخذنا» بما لنا من تلك العظمة التى أشهدناكم كثيرا منها ميثاقكم و لكنه أظهر لطول الفصل بذكر وصف يعمهم و غيرهم[2] فقال «ميثاق بنى اسراءيل»[3] و يجوز أن يكون معطوفا على «نعمتى» فى قوله تعالى: «يبنى اسراءيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم»، لأن الكل فى مخاطبتهم و بيان أمورهم[4].

(١) زيد فى م: و (٢) زيد فى ظ: من اليهود. و قد ضرب عليه فى الأصل.
(٣) و الميثاق هو الذى أخذه تعالى عليهم و هم فى صلب آبائهم كالذر ــ قاله مكى، أو ميثاق أخذ عليهم وهم عقلاء فى حياتهم على لسان موسى عليه السلام و غيره من أنبيائهم ــ قاله ابن عطية؛ من البحر المحيط ١ / ٢٨٢ (٤) قال أبو حيان الأندلسى: هذه الآية مناسبة للآيات الواردة قبلها فى ذكر توبيخ بنى إسرائيل و تقريعهم و تبيين ما أخذ عليهم من ميثاق العبادة لله و إفراده تعالى بالعبادة و ما أمرهم به من مكارم الأخلاق من صلة الأرحام والإحسان إلى المساكين و المواظبة على ركنى الإسلام: البدنى و المالى، ثم ذكر توليهم عن ذلك و نقضهم لذلك الميثاق على عادتهم السابقة و طريقتهم المألوفة لهم ــ انتهى كلامه.

و لما كان الدين إنما هو الأدب مع الخالق و الخلق ذكر المعاهد عليه من ذلك مرتبا له على الأحق فالأحق فقال ا ذاكرا له في صيغة الخبر مريدا به النهي و الأمر و هو أبلغ من حيث أنه كأنه وقع امتثاله و مضى و دل على إرادة ذلك بعطف «و قولوا» عليه ا : «لا تعبدون الا الله» المنعم الأول ا الذي له الأمر كله ا لتكونوا[2] محسنين بذلك إحسانا هو الإحسان كله «و» أحسنوا ا أو تحسنون ا «بالوالدين[3]» ا و لو كانا كافرين ا . قال الحرالي : تثنية والد من الولادة لاستبقاء[4] ما يتوقع ذهابه بظهور صورة منه تخلف صورة نوعه - انتهى . «احسانا» عظيما ا لا يبلغ كنهه ا ، لكونهما في الرتبة الثانية لجعلهما سبحانه السبب في نعمة الإيجاد الأول و المباشرين للتربية ، و غيّر السياق فلم يقل : و لا تحسنون[5] إلا إلى الوالدين ، إفهاما لأن الإحسان إليهما يشركهما فيه من بعدهما ، ا و جبر فوات هذا الحصر بتقديمهما إيذانا بالاهتمام ا «و ذى القربى»[6] و هم المتوسلون بالوالدين لما لهم من أكيد الوصلة

(١-١) ليست في ظ (٢) زيد في م : بذلك (٣) الوالدان : الأب و الأم ، و كل منهما يطلق عليه والد ، و ظاهر الإطلاق الحقيقة ، قال :

و ذى والد لم يلده أبوان

و يقال للأم والد و والدة ، و قيل : الوالد للأب وحده ، و ثنيا تغليبا للذكر . . . و قد تضمنت آى من القرآن و أحاديث كثيرة ذلك حتى عد العقوق من الكبائر . و ناهيك احتفالا بهما كون الله قرن ذلك بعبادته تعالى - البحر المحيط ١/٢٨٣ . (٤) في ظ : لاستيفاء (٥) في ظ و م : لا تحسنوا ، و ما بعده «إلا إلى الوالدين» ليس في م فقط (٦) «و ذى» و أصلها عند سيبويه ذوى و وزنها عنده فعل =

« و اليتٰمى » لضعفهم ، و اليُتْم١ قال الحرالى فقد الأب حين٢ الحاجة ، و لذلك أثبته٣ مثبت فى الذكر إلى البلوغ ، و فى البنت إلى الثيوبة لبقاء حاجتها بعد البلوغ ؛ و القربى فعلى من القرابة ؛ هو قرب فى النسب الظاهر أو الباطن - انتهى . « و المسٰكين٤ » لكسرهم .

و لما٥ لم يكن وسع الناس عامة بالإحسان بالفعل ممكنا أمر بجعل

= و عند الخليل زوة من باب خوة و قوة و ورنها عنده فعل و هو لازم الإضافة « القربى » مصدر كالرجعى ، و الألف فيه للتأنيث و هى قرابة الرحم و الصلب - البحر المحيط ١ / ٢٨٠ .

(١) و قال الأصمعى : اليتيم فى بنى آدم من قبل الأب ، و فى غيرهم من قبل الأم ، . . . و أصله الانفراد ، بمعنى صبى يتيم أى منفرد عن أبيه . و سميت الدرة التى لا مثيل لها « يتيمة » لانفرادها - قاله ثعلب . و قيل أصل اليتم الغفلة ، و سمى الصبى يتيما لأنه يتغافل عن بره ، و قيل أصل اليتم الإبطاء و منه أخذ اليتيم لأن البر يبطئ عنه - قاله أبو عمرو . قال أبو حيان الأندلسى فى تفسير الآية « و ذى القربى » معطوف على قوله « و بالوالدين » و كان تقديم الوالدين لأنهما آكد فى البر و الإحسان ، و تقديم المجرور على العامل اعتناء بمتعلق الحرف و هما الوالدان و اهتماما بأمرهما (٢) فى م : عند (٣) فى م : اثبت (٤) جمع مسكين و هو مشتق من السكون فالميم زائدة كمحضر من الحضر ، و قد روى تمسكن فلان و الأصح فى اللغة تسكن أى صار مسكينا ، و هو مرادف الفقير و هو الذى لا شىء له ، و قيل هو الذى له أدنى شىء ، و تأخرت درجة المساكين لأنه يمكنه أن يتعهد نفسه بالاستخدام و يصلح معيشته بخلاف اليتامى فانهم لصغرهم لا ينتفع بهم و هم محتاجون إلى من ينفعهم - البحر المحيط (٥) قال أبو حيان الأندلسى : لما ذكر بعد عبادة الله الإحسان لمن ذكر و كان أكثر المطلوب فيه الفعل من الصلة و الإطعام و الافتقاد أعقب بالقول الحسن ليجمع المأخوذ عليه الميثاق امتثال أمر الله تعالى =

ذلك بالقول فقال [١] عطفا على الخبر الذى معناه الإنشاء [١] : « و قولوا للناس » عامة « حسنا » [٢] أى حَسَنا بالتحريك و هو لغة فيه [٣] كالبُخْل و البَخَل [٣] ، و ذلك بأن يأمروهم بما أمر الله به [٤] و ينهوهم عما نهى عنه . و لما أمرهم بما إن امتثلوه اجتمعت كلمتهم ذكر أعظم جامع على الله من الأعمال فقال : « و اقيموا الصلوٰة » [٥] ثم ذكر ما به تمام الجمع و دوامه فقال : « و اٰتوا الزكوٰة » ، و لما كان الإعراض عن هذه المحاسن فى غاية البعد فكيف إذا كانت بعهد فكيف إذا كان من الله أشار إلى ذلك بأداة التراخى فقال : « ثم توليتم » أى عن ذلك أو عن كثير منه ، [٦] و أشار بصيغة التفعل إلى أن الأمور الدينية لحسنها لا يعرض عنها إلا بعلاج بين [٧] الفطرة الأولى و الأمارة « الا قليلا منكم و انتم » أى و الحال أنكم

= فى الأفعال و الأقوال فقال تعالى « و قولوا للناس حسنا » ، و لما كان القول سهل المرام إذ هو بذل لفظ لا مال كان متعلقه بالناس عموما إذ لا ضرر على الإنسان فى الإحسان إلى الناس بالقول الطيب ـ انتهى كلامه .

(١-١) ليست فى ظ (٢) العبارة من هنا إلى « نهى عنه » ليست فى ظ (٣-٣) فى م : كالنّجل والنَجل (٤) ليس فى م (٥) و قال المخدوم على المهائمى : اكتفى فى الأجانب بالإحسان القولى لأنه لا يتيسر الفعلى فى حق العامة ، قدم حق الآدمى على حقه سوى التوحيد لأنه أشد فالنقض فيه أصعب ، ثم قال : « و اقيموا الصلوٰة » ، العبادة الشاملة للقلب واللسان و الجوارح « و اٰتوا الزكوٰة » المحسنة للأخلاق « ثم توليتم » عن هذه المواثيق كلها « الا قليلا منكم » فكيف يكون العذاب على نقض جميعها أياما معدودة (٦) العبارة من هنا إلى « و الأمارة » ليست فى ظ (٧) و فى م : من .

« معرضون » اعادتكم ذلك[1] ، [2]لم يكن ذلك[2] منكم عن[3] غير علم ، و الإعراض[4] صرف الشيء إلى العُرض التي هي الناحية[5] . قال السمين : و روى عن أبي عمرو و غيره : إلا قليل - بالرفع[6] ، و فيه[7] أقوال ، أصحها رفعه على الصفة بتأويل إلا و ما بعدها بمعنى غير - انتهى . و يأتي إن شاء الله تعالى بسط هذا الإعراب عند قوله : « فشربوا منه الا قليلا منهم » ذكر ما يشهد لذلك من التوراة ، قال في السفر الثاني منها لما ذكر أمر المناجاة و حضورهم عند الجبل و قال الله جميع هذه الآيات كلها : أنا الرب إلٰهك الذي[8] أصعدتك من أرض مصر من العبودية و الرق ، لا تكون لك آلهة غيري ، لا تعملن شيئا من الأصنام و التماثيل التي مما في السماء فوق و في الأرض من تحت و مما في[9] الماء أسفل الأرض ، لا تسجدن لها و لا تعبدنها ، لأني أنا الرب ، إلٰهك إلٰه غيور ، أجازي الأبناء بذنوب

(١ - ١) ليس في ظ (٢ - ٢) ليس في م (٣) في ظ : من (٤) قال البيضاوي : قوم عادتكم الإعراض عن الوفاء و الطاعة ، وأصل الإعراض الذهاب عن المواجهة إلى جهة العرض (٥) العبارة من هنا إلى « الا قليلا منهم » ليست في ظ .
(٦) و في البحر المحيط : ونصب قليلا على الاستثناء وهو الأفصح ، لأن قبله موجب ، .... ثم بعد البحث ذكر (و قال بعض أهل الإشارات) الأسباب المتقرب بها إلى الله تعالى اعتقاد و قول وعمل و نية ، فنبه بقوله « لا تعبدون الا الله » على مقام التوحيد واعتقاد ما يجب له على عباده من الطاعات و الخضوع منفردا بذاته و مالية محضة و هي الزكاة ، و بدنية محضة و هي الصلاة ، و بدنية و مالية وهو بر الوالدين و الإحسان إلى اليتيم و المسكين - انتهى (٧) زيد في م : ستة .
(٨) في ظ « التي » خطأ (٩) زيد في م : الأرض .

الآباء إلى ثلاثة[١] أحقاب[٢] و أربعة من[٣] أعدائى ، و أثبت النعمة إلى ألف حقب لأحبائى[٤] و حافظى وصاياى ، لا تقسم بالرب إلٰهك كذبا ، لأن الرب لا يزكى من حلف باسمه كذبا . أكرم أباك و أمك ليطول عمرك فى الأرض التى يعطيكها الرب إلٰهك ، لا تقتل ، لا تزن . لا تسرق ، لا تشهد على صاحبك شهادة زور ، لا تتمن[٥] بنت صاحبك ، و لا تشتهين[٦] امرأة صاحبك و لا كل شيء لصاحبك - وكان جميع الشعب يسمعون الأصوات و يرون المصابيح . و قال فى موضع آخر من السفر الثالث : لا تسرقوا ، و لا تغدروا . و لا تحلفوا باسمى كذبا ، و لا تنجسوا اسم الرب إلٰهكم ، أنا الرب و ليس غيرى ، لا تظلمن[٧] صاحبك ، و لا تشتمن الأخرس ، و لا تضع عثرة[٨] بين يدى الضرير ، اتق الله ربك ، لا تحيفوا[٩] فى القضاء ، و لا تأثموا ، و لا تحابين[١٠] المسكين و لا تحاب[١١] الكبير أيضا بل اقص بالبر و العدل ، لا تبغض[١٢] أخاك فى قلبك بل بكّت صاحبك

(١) من ظ و م ، و فى الأصل ومد : ثلاث (٢) الحقب ثمانون أو أكثر و الدهر و السنة أو السنون ج أحقاب و أحقب و حقاب - قطر المحيط ١/٤٢٩ (٣) زيد فى ظ : غير (٤) فى م : لأحبابى (٥) و فى ظ : لا تمنن - كذا (٦) و فى ظ : لا تشتان (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لا يظلمن - بصيغة الغائب . (٨) و فى م ومد : عشرة - كذا ، و الظاهر : عاثورا . و العاثور المهلكة من الأرضين و للشر و البئر و ما أعد من حفرة و نحوها ليقع فيه أحد - قطر المحيط ؛ و لعل المراد من العثرة شيء يزل به و يكبو من الحجر وغيره (٩) حاف عليه يحيف حيفا جار و ظلم (١٠) حابى القاضى فلانا فى الحكم : مال إليه منحرفا عن الحق - قطر المحيط (١١) فى النسخ كلها : لا تحابى - كذا (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تبغض - كذا .

و وبخه بالحق لكيلا يلزمك خطيئة فى سببه، و لا تحقدن على أحد بل أحبب صاحبك كما تحب نفسك، و لا تتطيروا بسنح[1] الطير، و لا يكونن فيكم عراف، و لا تُطوّلن[2] شعر رؤسكم، و لا تحلقوا عنافق[3] لحاكم، و لا تخدشوا وجوهكم على الميت، و لا تكتبوا على لحومكم بالإبر، أنا الله ربكم، لا تتبعوا العرّافين[4] و القافة[5] و لا تنطلقوا إليهم و لا تسألوهم عن شيء لئلا تتنجسوا بهم، أكرم الشيخ و قم إليه إذا رأيته، و أكرم[6] من هو أكبر منك، و اتق الله ربك، أنا الله ربكم، و إذا سكن بينكم الذى يقبل إلىّ فلا تظلموه بل أنزلوه منزلة أحدكم و صيروه منكم، الذين يقبلون إلى و يسكنون معكم أحبوهم كما تحبون أنفسكم لأنكم كنتم سكانا بأرض مصر، أنا الله ربكم، لا تأثموا فى القضاء و لا تأثموا فى الأوزان و المكاييل بل اتخذوا ميزان الحق و اتخذوا مكاييل الحق، أنا الله ربكم الذى أخرجكم من أرض مصر. احفظوا جميع[7] وصاياى و أحكامى بها، أنا الرب و ليس /غيرى. و قال فى الثانى: و من تبع العرافين و القافة و ضل[8] بهم أنزل /٩٦

(١) من سنح الظبى و الطير و غيرهما سنوحا ضد برح أى مر من المياسر إلى الميامن، و فى النسخ كلها: بسبع - كذا (٢) فى م و مد: لا يطولن (٣) العنفقة شعيرات بين الشفة السفلى و الذقن، و ربما أطلقت على موضع تلك الشعيرات ج: عنافق - قطر المحيط (٤) العراف المنجم و الكاهن، و قيل العراف يخبر عن الماضى و الكاهن يخبر عن الماضى و المستقبل، و قال الجاحظ: العراف دون الكاهن (٥) القافة جمع قائف و هو من يعرف الآثار، و فى التعريفات: القائف هو الذى يعرف النسب بفراسته و نظره إلى أعضاء المولود - قطر المحيط (٦) فى ظ: أكبر (٧) ليس فى م (٨) فى م: و صلى - كذا بالصاد المهملة.

به غضبى الشديد و أهلكه من شعبى[1] ، و أى رجل شتم والديه[2] يقتل قتلا و دمه فى عنقه ؛ ثم قال بعده : و أى رجل أو امرأة صار عرافا أو منجما يقتلان قتلا ، و يكون قتلهما[3] الرجم بالحجارة ، و دمهما فى أعناقهما ؛ و قال قبل ذلك : وكل من ضرب رجلا فمات فليقتل قتلا ، و من ضرب أباه و أمه فليقتل قتلا ، [4]و من سرق إنسانا فوجد معه يريد بيعه فليقتل قتلا ، و من شتم أباه و أمه فليقتل قتلا[4] . ثم قال : و لا يؤذن[5] الساكن بينكم و لا تعقوهم[6] تحوجوهم[7] ، لأنكم كنتم سكانا بأرض مصر ، و لا تؤذوا[8] الأرامل و الأيتام ، فان آذيتموهم فصلوا بين يدى أسمع صلاتهم و أستجيب لهم فيشتد غضبى و أقتلكم فى الحرب و تكون نساؤكم[9] أرامل و بنوكم يصيرون يتامى ، و إن أسلفت رزقك للمسكين الذى معك من شعبى فلا تكونن له كالغريم ، و لا تأخذن منه ربا[10] ؛ ثم قال : و لا تقبلن الرشوة ، فان الرشوة تعمى أبصار الحكماء فى القضاء و ترد فلج الصالحين .

و لما كان أكبر الكبائر بعد الشرك القتل تلاه بالتذكير بما أخذ عليهم فيه من العهد ، و قرن به الإخراج من الديار لأن المال عديل الروح و المنزل أعظم المال و هو للجسد كالجسد للروح فقال : « و اذ اخذنا ميثاقكم »

---

(١) فى م ومد : شعبه (٢) من م و مد وظ ، و فى الأصل : والدته (٣) من م ، وفى الأصل : قبلهما (٤-٤) ليست فى م (٥) فى م ومد : لا تؤذن (٦) كذا ، و لعله : لا تعوقوهم (٧) فى مد و ظ م : تخرجوهم (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لا توذون (٩) سقط من ظ (١٠) من م ومد و ظ ، و فى الأصل : ربى .

يا بنى إسرائيل «لا تسفكون دماءكم» ١ أى لا يسفك بعضكم ٢ دماء بعض «ولا تخرجون انفسكم» باخراج بعضكم لبعض ٣ لأن المتواصلين بنسب أو دين كالنفس الواحدة ٣ «من دياركم»، قال الحرالى: وأصلها ما أدارته العرب من البيوت كالحلقة استحفاظا لما تحويه من أموالها - انتهى.

ولما كانوا قد نكصوا عند حقوق الأمر فلم يقبلوا ما أتاهم من الخير[4] حتى خافوا الدمار بسقوط الطور عليهم أشار إلى ذلك بقوله «ثم اقررتم» أى بذلك كله ٥ بعد لى ٥ وتوقف، والإقرار إظهار الالتزام بما خفى أمره - قاله الحرالى. «وانتم تشهدون» [6] بلزومه وتعاينون تلك الآيات الكبار الملجئة لكم إلى ذلك، وقد مضى مما يصدق هذا

---

(١) قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١ / ٢٨٨: ظاهر قوله «لا تسفكون دماءكم» أى لا تفعلون ذلك بأنفسكم لشدة تصيبكم وحنق يلحقكم، وقيل معناه لا تسفكوا دماء الناس، فان من سفك دماءهم سفكوا دمه، وقال:

سقيناهم كأسا سقونا بمثله ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

وقيل معناه لا تقتلوا أنفسكم بارتكابكم ما يوجب ذلك كارتداد والزنا بعد الإحصان والمحاربة وقتل النفس بغير حق ونحو ذلك مما يزيل عصمة الدماء.

(٢) وفى ظ: دماءكم (٣-٣) ليست فى ظ (٤) فى م: الخبر (٥-٥) فى ظ: بعدل - كذا (٦) وفى البحر المحيط: أى تعلمون أن الله أخذ عليكم وأراد على قدماء بنى إسرائيل إن كان الخطاب واردا عليهم، وإن كان على معاصريه صلى الله عليه وسلم من أبنائهم فمعناه وأنتم تشهدون على أسلافكم بما أخذه الله عليهم من العهد إما بالنقل المتواتر وإما بما تتلونه من التوراة، وإن كان معنى الشهادة الحضور فيتعين أن يكون الخطاب لأسلافهم. وقال بعض المفسرين: «ثم =

عن التوراة آنفا ما فيــه كفاية[١] للوفق، و سيأتي في المائدة بقيته[٢]، إن شاء الله تعالى. و لما كان هذا بما[٣] أكد [٤]به من[٤] ذكر الميثاق في مظهر العظمة و إضافة الجناية إلى نفس الجاني جديرا بالبعد منه أشار إلى ذلك بقوله «ثم انتم هؤلاء» الحقيرون المقدور عليهم [٥]المجهولون الذين لا يعرف لهم اسم ينادون به، أو الموجودون الآن؛ ثم استأنف البيان عن هذه الجملة فقال[٥] «تقتلون انفسكم» من غير التفات إلى هذا العهد الوثيق «و تخرجون فريقا منكم» [٦]أي ناسا هم أشقاء[٧] لكم فهم جديرون منكم بالإحسان لا بالإخراج «من ديارهم».

و لما كان من المستبعد[٨] جدا بعد الاستبعاد الأول أن يقعوا في

= اقررتم» عائد إلى الخلف، «و انتم تشهدون» عائد إلى السلف، لأنهم عاينوا سفك دماء بعضهم بعضا، وقال «انتم تشهدون» لأن الأوائل والأصاغر صاروا كالشيء الواحد، فلذاك أطلق عليهم خطاب الحضرة.

(١) في ظ: كناية (٢) ليس في م (٣) في م: مما (٤-٤) ليس في م (٥-٥) ليست في ظ (٦) العبارة من هنا إلى «لا بالإخراج» ليست في ظ (٧) و الأشقاء واحد الشقيق. و الشقيق العجل إذا استحكم و كل ما انشق نصفين فكل منهما شقيق الآخر، والأخ من الأب و الأم - قطر المحيط، و المراد هنا معناه الثاني و يدل عليه ما ذكره أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط بما نصه: هذا نزل في بني قينقاع و بني قريظة و النضير من اليهود، كان بنو قينقاع أعداء قريظة والنضير، و الأوس والخزرج أخوان، والنضير وقريظة أيضا أخوان، ثم افترقوا فصارت النضير حلفاء الخزرج و قريظة حلفاء الأوس، فكانوا يقتتلون ثم يرتفع الحرب فيفدون أسراهم فعيرهم الله بذلك - قاله المهدي (٨) وقع في ظ: المستعبد - كذا مصحفا.

ذلك على طريق العدوان استأنف البيان لذلك[1] بقوله « تظهرون » أي تتعاونون، من التظاهر[2] و هو تكلف المظاهرة و هي تساند القوة كأنه استناد ظهر إلى ظهر - قاله الحرالي . « عليهم بالاثم[3] » أي مصاحبين الاثم و هو أسوأ الاعتداء في قول أو فعل أو حال، و يقال لكذوب: أثوم، لاعتدائه بالقول على غيره ، و الإثم الخمر لما يقع بها من العداوة و العدوى - قاله الحرالي . « و العدوان[4] » [5] أي و الامتلاء في مجاوزة الحدود[5] « و ان يأتوكم » أي هؤلاء الذين تعاوتم أو عاوتم عليهم « اسرى » جمع أسرى جمع أسير ، و أصله المشدود بالأسر ، و هو القد و هو ما يقد أي يقطع من السير « تفدوهم[6] » [5] أي تخلصوهم بالمال[5]، من الفداء و هو الفكاك بعوض ، و « تفدوهم » من المفاداة وهي الاستواء في العوضين - قاله الحرالي .

ثم أكد تحريم الإخراج بزيادة الضمير و الجملة الاسمية في قوله[7]:

(١) ليس في م (٢) ذكر أبو حيان خمس قراآت و معناها كلها التعاون و التناصر ، و روى أبو العالية قال : كان بنو إسرائيل إذا استضعفوا قوما أخرجوهم من ديارهم (٣) « عليهم بالاثم » فيه قولان : أحدهما أنه الفعل الذي يستحق عليه صاحبه الذم واللوم ، و الثاني أنه الذي تنفر منه النفس ولا يطمئن إليه القلب ، وفي حديث النواس : الإثم ما حاك في صدرك ، و قيل المعنى تظاهرون عليهم بما يوجب الإثم . و هذا من إطلاق السبب على مسببه ، ولذلك سميت الخمر إثما كما قال : شربت الخمر حتى ضل عقلي - البحر المحيط . (٤) قال المخدوم على المهائمي : أي بما هو معصية في نفسه و تعد على أخيه ، و قال أبو حيان : العدوان هو تجاوز الحد في الظلم (٥ - ٥) ليست في ظ (٦) وقال أبو علي : معنى « تفدوهم » في اللغة تطلقونهم بعد أن تأخذوا عنه شيئا ، وفاديت نفسي أي أطلقتها بعد أن دفعت شيئا (٧) في م : فقال .

«وهو محرم» من التحريم وهو[١] تكرار الحرمة بالكسر وهي المنع من الشيء لدناءته، والحرمة بالضم المنع من الشيء لعلوه - قاله الحرالي[٢] :
«عليكم» [٣]ولما كان يظن أن الضمير للفداء عينه فقال[٣] «اخراجهم» .
ثم أنكر عليهم التفرقة بين الأحكام فقال: «افتؤمنون ببعض الكتب»
٥ أي التوراة وهو الموجب للفاداة «وتكفرون ببعض» وهو المحرم للقتل والإخراج، ثم سبب عن ذلك قوله «فما جزاء من يفعل ذلك»[٤]
[٣]الأمر العظيم الشناعة[٣] «منكم الا خزى» ضد ما قصدتم بفعلكم من العز، والخزى إظهار القبائح التي يستحيي من إظهارها عقوبة - قاله الحرالي[٥].
«في الحيوة الدنيا» تعجيلا للعقوبة [٦]له في الدار التي جعلها محط[٧] قصده،

(١) في ظ : هي (٢) قال أبو حيان الأندلسي : تقدمت أربعة أشياء : قتل النفس والإخراج من الديار والتظاهر والمفاداة ، وهي محرمة واختص هذا القسم بتأكيد التحريم وإن كانت كلها محرمة لما في الإخراج من الديار من معرة الجلاء والنفي الذي لا ينقطع شره إلا بالموت وذلك بخلاف القتل لأن القتل وإن كان من حيث هو هدم البنية أعظم لكن فيه انقطاع الشر، وبخلاف المفاداة بها فانها من جريرة الإخراج من الديار، والتظاهر لأنه لولا الإخراج من الديار والتظاهر عليهم ما وقعوا في قيد الأسر (٣-٣) ليست في ظ (٤) زيد في م ومد: اى (٥) وفي البحر المحيط ١/ ٢٩٣ : الجزاء يطلق في الخير والشر، قال «وجزاهم بما صبروا» وقال «فجزاؤه جهنم» والخزى هنا الفضيحة والعقوبة والقصاص فيمن قتل، أو ضرب الجزية غابر الدهر، أو قتل قريظة وإجلاء النضير من منازلهم إلى اريحا وأذرعات، أو غلبة العدو - أقوال خمسة (٦) العبارة من هنا إلى «قصده» ليست في ظ (٧) في م : محل .

و قد فعل سبحانه ذلك بأنواع الذل القتل فما دونه . ﴿و يوم القيمة﴾ هى فعالة تفهم فيها التاء[١] المبالغة و الغلبة ، و هو[١] قيام أمر مستعظم ، و القيام هو الاستقلال بأعباء ثقيلة ﴿يردون[٢]﴾ [٣] أى بالبعث ، و الرد[٤] هو الرجوع إلى ما كان منه بدء المذهب - قاله الحرالى . ﴿إلى اشد العذاب[٥]﴾ لأنه الخزى الأعظم .

[٦] و لما كانت المواجهة بالتهديد أدل على الغضب التفت إليهم فى قراءة الجماعة فعطف على ما تقديره[٦] ذلك بأن الله عالم بما قصدتموه فى ذلك فهو يجازيكم بما تستحقون قوله ﴿و ما الله﴾ [٦] أى المحيط علما و قدرة[٦] ﴿بغافل عما﴾ أى عن شيء بما[٧] ﴿تعملون[٨]﴾ من ذلك و من غيره ، [٦] و قراءة نافع و ابن كثير بالغيب على الأسلوب الماضى[٦] .

---

(١) فى ظ : هى (٢) و معنى « يردون » يصيرون فلا يلزم كينونتهم قبل ذلك فى أشد العذاب ، أو يراد بالرد الرجوع إلى شيء كانوا فيه كما قال تعالى « فرددنه الى امه » و كأنهم كانوا فى الدنيا فى أشد العذاب أيضا لأنهم عذبوا فى الدنيا بالقتل و السبي و الجلاء و أنواع من العذاب - قاله أبو حيان الأندلسى (٣) العبارة من هنا إلى « الحرالى » ليست فى م (٤) زيد هنا « و » فى الأصل فقط (٥) و « أشد العذاب » الخلود فى النار ، و أشديته من حيث أنه لا انقضاء له ، أو أنواع عذاب جهنم لأنها دركات مختلفة و فيها أودية و حيات ، أو العذاب لا فرج فيه ولا روح مع اليأس من التخلص - البحر المحيط (٦ - ٦) ليست فى ظ (٧) فى م و مد : ما (٨) قال أبو حيان : و هذه الآية من أوعظ الآيات إذ المعنى أن الله بالمرصاد لكل كافر و عاص .

ولما كانت هذه الآيات كلها كالدليل على قوله تعالى "وضربت عليهم الذلة والمسكنة - ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيت الله" كانت فذلكة ذلك / قوله تعالى ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ الذين اشتروا ﴾ [١] أى لجوا فأخذوا [١] ﴿ الحيوة الدنيا ﴾ [٢] على خساستها ﴿ بالاخرة ﴾ [٣] مع نفاستها ،
٥ والدنيا فعلى من الدنو وهو الأنزل رتبة ، فى مقابلة عليا ، ولأنه لزمتها العاجلة صارت فى مقابلة الأخرى اللازمة للعلو ، فى الدنيا نزول قدر وتعجل وفى الأخرى علو قدر وتأخر ، فتقابلتا على ما يفهم تقابلين من معنى كل [٤] واحدة منهما - قاله الحرالى [٥] . [[٦] فالآية من الاحتباك ، ذكر الدنيا أولا يدل على حذف [٧] العليا ثانيا ، وذكر الآخرة ثانيا يدل على
١٠ حذف العاجلة أولا] .

﴿ فلا ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه لا ﴿ يخفف ﴾ من التخفيف [٨] وهو

(١-١) ليست فى ظ (٢) زيد فى مد : العاجلة (٣) زيد فى مد : العالية (٤) ليس فى م.
(٥) وقال أبو حيان الأندلسى : وفى اسم الإشارة دليل على أنه أشير به إلى الذين جمعوا الأوصاف السابقة الذميمة . . . وتقدم أن الشراء أو البيع يقتضيان عوضا ومعوضا أعيانا ، فتوسعت العرب فى ذلك إلى المعانى وجعل إيثارهم بهجة الدنيا وزينتها على النعيم السرمدى اشتراء إيثارا للعاجل الفانى على الآجل الباقى ، إذ المشترى ليس هو المؤثر فى تحصيله والثمن المبذول فيه مرغوب عنه عنده ولا يفعل ذلك إلا مغبون الرأى فاسد العقل . قال بعض أرباب المعانى : إن الدنيا ما دنا من شهوات القلب ، والآخرة ما اتصلت برضا الرب - انتهى كلامه .
(٦) العبارة المحجوزة زيدت من م ومد (٧) فى م : عطف (٨) قال أبو حيان الأندلسى : والتخفيف هو التسهيل . وقد حمل نفى التخفيف على الانقطاع ، =

مصير الثقيل و المستفل إلى حال الطافى[1] المستعلى كحال ما بين الحجر و الهواء[2] - قاله الحرالى . ﴿عنهم العذاب﴾ فى واحدة من الدارين ﴿و لا هم ينصرون﴾ و هو أيضا من أعظم الأدلة على خذلان من غزا لأجل المغنم[3] أو غل[4]، و قد ورد فى كثير من الأحاديث و الآثار التصريح بذلك، منها ما رواه مالك عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: ما ظهر الغلول فى قوم إلا ألقى الله فى قلوبهم الرعب؛ و هو أيضا شرع قديم ففى سفر يوشع بن نون عليه الصلاة و السلام أنه لما فتح مدينة [5] اريحا[6] بعد موت موسى عليه السلام بعث إلى مدينة[5] عاى ثلاثة آلاف مقاتل ليفتحوها، فقتل منهم أهل عاى جماعة و هزموهم، فاضطربت قلوبهم و صارت كالماء، فسجد يشوع[7] على الأرض أمام تابوت الرب هو و مشيخة بنى[8] إسرائيل، فقال له الرب: انهض قائما، و أخبره أن قومه قد غلوا فلا يقدرون الآن أن يثبتوا لأعدائهم حتى ينحوا الحرام عنهم، و قال الله له: و إذا كان غد فقدموا أسباطكم ليقترعوا، و لسبط الذى تصيبه قرعة الرب تتقدم عشائره، و العشيرة التى تصيبها القرعة تتقدم بيوتاتها، و البيت الذى يصيبه[9] قرعة الرب

= و حمل أيضا على التشديد، و الأولى حمله نفى التخفيف بالانقطاع أو بالتقليل منه، أو فى وقت، أو فى كل الأوقات؛ لأنه نفى للماهية فيستلزم نفى أشخاصها و صورها، و الظاهر من النفى بلا و الكثير فيها أنه نفى المستقبل - انتهى كلامه.

(١) ليس فى ظ (٢) فى م: الهوى (٣) وقع فى ظ: المقيم - مصحفا (٤) فى مد: غلى - كذا (٥-٥) ليست فى ظ (٦) فى الأصل: اريحاء، كذا، وضبطه فى معجم البلدان و قال: بالفتح ثم الكسر و ياء ساكنة و الحاء مهملة و القصر و قد رواه بعضهم بالخاء المعجمة لغة عبرانية - الخ (٧) فى م: يوشع (٨) فى م: بنوا - كذا. (٩) فى ظ و م: تصيبه.

و يصابه الحرام عنده يحرق بالنار هو و كل شيء له ، لأنه تعدى على أمر الرب و لأنه أثم باسرائيل ؛ ففعل ما أمره الرب ، فأصابت القرعة عاجار بن كرمى من سبط يهودا [١] ، فأحضره و بنيه و بناته و مواشيه و خيمته و كل من كان له [٢] ، فأصعدهم إلى غور عاجار ، و رجمهم جميع بنى إسرائيل بالحجارة ، و أحرقوهم بالنار ، و جعلوا فوقه تلا من الحجارة الكبار إلى اليوم ، و لذلك دعى [٣] اسم ذلك الموضع غور عاجار إلى اليوم ، ثم أتوا من الغد إلى عاى [٤] فقتلوا جميع من فيها من بنى آدم الذكور و الإناث و أحرقوها .

و لما بين لهم أنهم نقضوا العهود فأحاطت بهم الخطايا فاستحقوا الخلود فى النار توقع السائل الإخبار عن سبب وقوعهم فى ذلك هل هو جهل أو عناد فبشع سبحانه ذلك عليهم بما افتتحه بحرف التوقع فقال: ﴿و لقد﴾

(١) فى م: يهوذا ــ بالدال المعجمة (٢) فى ظ : لهم (٣) فى م : دسا (٤) فى ظ : عادى (٥) وفى البحر المحيط : ومناسبة هذا لما قبله أن إتياء موسى الكتاب هو نعمة لهم إذ فيه أحكامهم و شرائعهم ثم قابلوا تلك النعمة بالكفران ، و ذلك جرى على ما سبق من عادتهم إذ قد أمروا بأشياء و نهوا عن أشياء فخالفوا أمر الله و نهيه ، فناسب ذكر هذه الآية قبلها . و الإيتاء الإعطاء . فيحتمل أن يراد به الإنزال لأنه أنزله عليه جملة واحدة . و يحتمل أن يراد آتيناه ، أفهمناه ما انطوى عليه من الحدود و الأحكام و الأنباء و القصص و غير ذلك مما فيه ، فيكون على حذف مضاف آتينا موسى علم الكتاب أو فهم الكتاب ــ انتهى كلامه .

باللام التى هى توكيد لمضمون الكلام، و " قد "[١] هى لوقوع مرتقب مما كان خبرا أو مما سيكون علما - قاله الحرالى . ﴿ آتينا ﴾ [أى - ٢] بعظمتنا[٣] ﴿موسى الكتب﴾ أى نقضتم تلك العهود مع أن عندكم فيها كتاب الله التوراة تدرسونه كل حين ، فلم ندعكم هملا بعد موسى عليه السلام بل ضبطنا أمركم بالكتاب[٤] ﴿ و قفينا ﴾ [٥]من التقفية[٦] ، و هى متابعة شيء شيئا كأنه يتلو قفاه ، و قفاء الصورة منها خلفها المقابل للوجه - قاله الحرالى . ﴿من بعده﴾ أى بعد موسى[٧] ﴿ بالرسل ﴾ أى ثم لم نقتصر على الضبط بالكتاب الذى تركه فيكم موسى بل واترنا[٨] من بعده إرسال الرسل

---

(١) زيد فى الأصل و م و مد « و » و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) زيد من م و مد (٣) سقط من ظ (٤) قال على المهائمى : ثم أشار إلى أنه لو هان عليهم العذاب بالقتل و الإخراج و المعاونة فكيف يهون على نقض ميثاق الإيمان بالرسل الذى هو بمنزلة التوحيد و على قتلهم فقال ﴿ و لقد آتينا موسى الكتب ﴾ المشتمل على المواثيق كلها و آكدها الإيمان بالرسل الذين يأتون بعده - انتهى كلامه (٥) العبارة من هنا إلى « الحرالى » ليست فى م (٦) و فى البحر المحيط ١/٢٩٦ : قفوت الأثر اتبعته ؛ و الأصل أن يجيء الإنسان تابعا لقفا الذى اتبعه ، ثم توسع فيه حتى صار لمطلق الاتباع و إن بعد زمان المتبوع من زمان التابع ، و قال أمية :

قالت لأخت له قصيه عن جنب   و كيف تقفو و لا سهل و لا جدد

(٧) قال أبو حيان ﴿ من بعده ﴾ لابتداء الغاية و هو ظاهر لأنه يحكى أن موسى لم يمت حتى نبئ يوشع (٨) من م و مد ، و فى الأصل : واترناه ، و فى ظ : واترمنا .

مواترة ، و جعلنا بعضهم فى قفاء بعض ليجددوا لكم أمر[1] الدين و يؤكدوا عليكم العهود و الرسالة انبعاث أمر من المرسل إلى المرسل إليه ﴿و آتينا﴾ بما [2]لنا من العظمة[2] ﴿عيسى﴾[3] اسم معرب ، أصله يسوع[3] ﴿ابن مريم﴾[4] الذى أرسلناه[5] لنسخ بعض التوراة و تجديد ما درس من بقيتها ﴿البينت﴾
٥ من الآيات العظيمة التى[6] لا مرية فيها[6] لذى عقل[7]، و البينة من القول و الكون ما لا ينازعه منازع لوضوحه - قاله الحرالى . ﴿و ايدنه﴾ أى

(١) فى مد : من (٢ - ٢) ليست فى ظ (٣ - ٣) ليست فى مد . قال أبو حيان : عيسى اسم أعجمى ، علم لا يصرف للعجمة و العلمية ، و وزنه عند سيبويه فعلى و الياء فيه ملحقة ببنات الأربع بمنزلة ياء معزى - يعنى بالياء الألف سماها ياء لكتابتهم إياها ياء ؛ و قال أبو على : و ليست للتأنيث كالتى فى ذكرى بدلالة صرفهم له فى النكرة (٤) مريم باللسان السريانى معناه الخادم ، وسميت به أم عيسى فصار علما فامتنع الصرف للتأنيث و العلمية ، و مريم باللسان العربى من النساء كالزيد فى الرجال و به فسر قول رؤبة :

قلت ازير لم تصله مريمه

و ازير الذى يكثر خلطة النساء و زيارتهن .

(٥) فى م : ارسلنا (٦ - ٦) فى ظ : لا مزية فيها ، و فى م : لا مزية فيها (٧) و هى الحجج الواضحة الدالة على نبوته ، فيشمل كل معجزة أوتيها عيسى عليه السلام . و هذا هو الظاهر ، و قيل : الإنجيل ، و قيل : الحجج التى أقامها الله على اليهود .... و أجمل الله ذكر الرسل و فصل ذكر عيسى لأن من قبله كانوا متبعين شريعة موسى ، و أما عيسى فنسخ شرعه كثيرا من شرع موسى - قاله أبو حيان الأندلسى (١ / ٢٩٩) .

قويناه[١] على ذلك كله، من التأييد وهو من الأيد وهو القوة، كأنه يأخذ معه بيده فى الشيء الذى يقويه فيه، كأخذ قوة المظاهرة من الظهر، لأن الظهر موضع قوة الشيء فى ذاته، واليد موضع قوة تناوله لغيره - قاله الحرالى. ﴿بروح القدس﴾ أى الروح الطاهر وهو جبريل عليه السلام كما أيدنا به غيره[٢] من أولى العزم. قال الحرالى: والروح لمحة من لمحات أمر الله، وأمر الله قيوميته فى كلية خلقه ملكا وملكوتا، فما هو قوام الخلق كله ملكا وملكوتا هو الأمر "الا له الخلق والامر"، وما هو قوام صورة من جملة الخلق هو الروح الذى هو لمحة من ذلك الأمر؛ ولقيام عالم الملكوت وخصوصا جملة العرش بعالم الملك وخصوصا أمر الدين الباقى سماهم الله روحا[٣]، ومن أخصهم روح القدس، والقدس

(١) ﴿وايدنه﴾ قرأه الجمهور على وزن فعلناه، وقرأ مجاهد والأعرج وحميد وابن محيصن وحسين عن أبى عمرو «أايدناه» على وزن أفعلناه ... . وفرق بعضهم بينهما فقال: أما المد فمعناه القوة، وأما القصر فالتأييد والنصر، والأصح أنهما بمعنى قويناه وكلاهما من الأيد وهو القوة - قاله أبو حيان الأندلسى.

(٢) العبارة من هنا إلى «فلما سمع يسوع» ليست فى م (٣) وفى البحر المحيط: والروح هنا اسم الله الأعظم الذى كان به عيسى عليه السلام يحيى الموتى - قاله ابن عباس، أو الإنجيل كما سمى الله القرآن روحا، قال تعالى «وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا» قاله ابن زيد، أو الروح التى نفخها تعالى فى عيسى عليه السلام؛ أو جبريل عليه السلام - قاله قتادة والسدى والضحاك والربيع ونسب هذا القول لابن عباس - قاله ابن عطية، وهذا أصح الأقوال، وقد=

= قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : اهج قريشا و روح القدس معك ، و مرة قال له : و جبريل معك - انتهى كلامه ؛ قالوا : و يقوى ذلك قوله تعالى " اذ ايدتك بروح القدس " وقال حسان :

و جبريل رسول الله فينا ‏ وروح القدس ليس له كفاء

و تسمية جبريل بذلك لأن الغالب على جسمه الروحانية و كذلك سائر الملائكة ، أو لأنه يحيا به الدين كما يحيا البدن بالروح ، فانه هو المتولى لإنزال الوحى ؛ أو لتكوينه روحا من غير ولادة و تأييد الله عيسى بجبريل عليهما السلام لإظهار حجته و أمر دينه ، أو لدفع اليهود عنه إذ أرادوا قتله ، أو فى جميع أحواله ؛ و اختار الزمخشرى أن معناه بالروح المقدسة ، كما يقال حاتم الجود و رجل صدق ، ووصفها بالقدس كما قال " و روح منه " فوصفه بالاختصاص و التقريب للكرامة - انتهى . و قد تقدم معنى القدس أنه الطهارة و البركة ؛ وقال مجاهد و الربيع : القدس من أسماء الله تعالى كالقدوس ، قالوا : و إطلاق الروح على جبريل و على الإنجيل و على اسم الله الأعظم مجاز ، لأن الروح هو الريح المتردد فى مخارق الإنسان فى منافذه ، و معلوم أن هذه الثلاثة ما كانت كذلك . إلا أن كلا منها أطلق الروح عليه على سبيل التشبيه ، من حيث أن الروح سبب للحياة ، فجبريل هو سبب لحياة القلوب بالعلوم ، و الإنجيل سبب لظهور الشرائع و حياتها ، و الاسم الأعظم سبب لأن يتوصل به إلى تحصيل الأغراض ؛ و المشابهة بين جبريل و الروح أتم و لأن هذه التسمية فيه أظهر ، و لأن المراد من " ايدنه " قوينا و أعناه و إسنادها إلى جبريل حقيقة و إلى الإنجيل و الاسم الأعظم مجاز ، و لأن اختصاص عيسى بجبريل من آكد وجوه الاختصاص ، إذ لم يكن لأحد من الأنبياء مثل ذلك ، لأنه هو الذى بشر مريم بولادته ، و تولد عيسى بنفخه ، و رباه فى جميع الأحوال ، و كان يسير معه حيث سار ، و كان معه حيث صعد إلى السماء .

الطهارة العلية التي لا يلحقها تنجس على ما تقدم ، و من أخص الروح به جبريل عليه السلام بما له من روح الأمر الديني ، و إسرافيل عليه السلام[1] بما له من روح النفخ الصوري - انتهى . و قد كان لعيسى عليه السلام[1] بالروح مزيد اختصاص لكثرة ما أحيى من الموتى ؛ و المعنى فعلنا بكم يا بني إسرائيل ذلك و لم تزالوا في عهد جميع من ذكر ناقضين للعهود ، فلا أحد أحق منكم بالخلود في النار ، ثم جاء محمد صلى الله عليه وسلم فلم تصدقوه.

ذكر شيء من الإنجيل يدل على أنه عليه السلام أتى بالبينات مع تأييده بروح القدس مستخلصا من الأناجيل الأربعة و قد جمعت بين ألفاظها . قال متى - و معظم السياق له : فلما / سمع يسوع[2] أن يوحنا - / ٩٨
يعني يحيى ابن زكريا عليهما السلام - قد اسلم - يعني خذله أصحابه - مضى[3] إلى الجليل[4] و ترك الناصرة و جاء و سكن كفرناحوم[5] التي على ساحل البحر في تخوم[6] زابلون[7] و بغتاليم[8] ليكمل ما قيل في أشعيا النبي إذ يقول : أرض زابلون[7] أرض بغتاليم[8] طريق البحر عبر[9] الأردن جليل الأمم الشعب الجالس في الظلمة أبصر نورا عظيما الجلوس في الكورة و ظلال الموت نورا أشرق عليهم ، و من ذلك الزمان بدأ يسوع[2] يكرز[10] و يقول: توبوا فقد اقتربت ملكوت السماوات . و قال مرقس : و من بعد حبس[11] يوحنا وافى يسوع[2] إلى الجليل[4] يكرز[12] بإنجيل

(١-١) ليست في ظ (٢) في ظ: يشوع (٣) في ظ: مطى (٤) في م: الجبل ، و جبل الجليل بالقرب من دمشق - راجع معجم البلدان (٥) مدينة في فلسطين (٦) من ظ وم و مد بمعنى الحدود ، و في الأصل : تحوم (٧) كذا ، و زبولون منطقة في شمالي فلسطين (٨) كذا في الأصل ، و في ظ: يفتاليم ، في م و مد: يفتالهم (٩) من ظ وم ومد ، و في الأصل : غبر (١٠) من ظ ومد : أي يعظ و ينادي ، و في الأصل وم : يكرر - كذا (١١) في م : جلس (١٢) من م و مد و ظ ، و في الأصل : يكرر .

ملكوت الله قائلا: قد كمل الزمان و قربت[١] ملكوت الله! فتوبوا و آمنوا بالإنجيل. قال متى: و كان يمشى على بحر الجليل فأبصر أخوين سمعان الذى يدعى بطرس و اندراوس أخاه يلقيان شباكهما[٢] فى البحر لأنهما كانا صيادين، فقال لهما: اتبعانى أجعلكما تكونان صيادى الناس، و للوقت تركا شباكهما و تبعاه؛ و جاز من هناك فرأى أخوين آخرين[٣] يعقوب بن زبدى و يوحنا أخاه فى سفينة مع أبيهما زبدى يصلحون شباكهم فدعاهما، فللوقت تركا السفينة وأباهما زبدى و تبعاه. و فى إنجيل يوحنا بعد قصة يحيى بن زكريا الآتية[٤] فى آل عمران: هذا كان فى بيت عينا فى عبر[٥] الأردن حيث كان يوحنا يعمد، و من الغد نظر يسوع[٦] مقبلا إليه فقال: هذا حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم! هذا ذلك الذى قلت من أجله: إنه يأتى و هو كان قبلى لأنه أقدم منى و أنا لم أكن[٧] أعرفه لكن ليظهر لإسرائيل، من أجل هذا جئت أنا[٨] لأعمد بالما[٩]؛ و شهد يوحنا و قال: إنى رأيت الروح نزل من السماء مثل حمامة و حل عليه و لم أعرفه، لكن من أرسلنى لأعمد بالما هو الذى قال: الذى ترى الروح ينزل و يثبت عليه هو يعمد بروح القدس. و أنا عاينت

(١) التصحيح من ظ و م و مد، و فى الأصل: قرت ـ كذا (٢) العبارة من هنا إلى « تركا شباكهما » ليست فى م (٣) ليس فى مد (٤) فى م فقط: الآيه ـ كذا مصحفا (٥) فى م: عين (٦) فى ظ: يشوع (٧) ليس فى م (٨) فى ظ: انى. (٩) كذا فى الأصول كلها، و لعله: بلما؛ و البلم محركة صغار السمك، و فى الحديث: طعام أهل الجنة بالام و نون و فسره عياض و الخطابى بالثور، والنون الحوت، قالوا وهى لفظة عبرانية ـ تاج العروس (بلم).

و شهدت

و شهدت . و فى الغد كان يوحنا واقفا و اثنان من تلاميذه فنظر يسوع[1] فقال : هذا حمل الله ! فسمع تلميذاه كلامه فتبعا يسوع[1] ، فالتفت يسوع[1] فرآهما يتبعانه فقال لهما : ما ذا تريدان ؟ قالا[2] له : ربى - الذى تأويله يا معلم - أين تكون ؟ فقال لهما : تعاليا لتنظرا . فأتيا و أبصرا موضعه أين يكون ، و أقاما عنده يومهما ذلك و كان نحو عشر ساعات ، و إن واحدا من اللذين سمعا من يوحنا و تبعا يسوع[1] كان اندراوس أخا سمعان و إنه أبصرا و لا سمعان أخاه و قال له : قد وجدنا مسيا - الذى تأويله المسيح - فجاء به إلى يسوع[1] ؛ فلما نظر إليه يسوع[1] قال له : أنت سمعان بن يونا [ن] الذى يدعى الصفا - الذى تأويله بطرس . و من الغد أراد الخروج إلى الجليل فلقى فيليس ناتانايل[3] و قال له : الذى كتب موسى من أجله فى الناموس و الأنبياء[4] وجدناه و هو يسوع[1] الذى من الناصرة ، فقال له ناتانايل[5] : هل يمكن أن يخرج من الناصرة شىء فيه صلاح ؟ فقال له فيليس : تعال و انظر ، فلما رأى يسوع ناتانايل[6] مقبلا إليه قال : من أجله هذا حقا إسرائيلى[7] لا غش فيه ، فقال له[4] ناتانايل[8] : من أين تعرفنى ؟ فقال له[9] يسوع : قبل أن يدعوك فيليس و أنت تحت التينة[10] رأيتك ، فقال له : يا معلم ! أنت هو ملك إسرائيل ، قال له يسوع : لأنى قلت لك

---

(١) فى ظ و مد : يشوع (٢) فى م : فقالا (٣) هكذا فى الأصل و ظ ، و فى م : باباناييل ، و فى مد : ناتاييل (٤) ليس فى م (٥) فى م : باباتيل ، و فى مد : ناتاييل . (٦) فى م و مد : ناتاييل (٧) فى م فقط : اسرائيل (٨) فى مد : ناتاييل (٩) ليس فى م و مد (١٠) العبارة من هنا إلى كلمة « التينة » الآتية ليست فى م .

إني وأيتك تحت التينة آمنت سوف تعاين ما هو أعظم من هذا، و قال له: الحق الحق أقول لكم، إنكم من الآن ترون السماء مفتحة و ملائكة الله ينزلون و يصعدون على ابن البشر . و فى اليوم الثالث كان عرس فى قانا ١ الجليل و كانت أم يسوع هناك و دُعى يسوع و تلاميذه إلى العرس و كان الخمر قد فرغ، فقالت أم يسوع له: ليس لهم خمر، فقال لها يسوع: ما لى و لك أيتها المرأة لم تأت ساعتى بعد؟ فقالت أمه للخدام: افعلوا ما يأمركم به، وكان هناك ستة أجاجين من حجارة موضوعة لتطهير اليهود تسع٢ كل واحدة٣ مطرين أو ثلاثة . فقال لهم يسوع: املأوا الأجاجين ماء، فملأوها إلى فوق، و قال لهم: اغرفوا الآن و ناولوا٤ رئيس السقاة، فلما ذاق رئيس السقاة ذلك الماء المتحول خمرا لم يعلم من أين هو، فدعا رئيس السقاة العريس و قال له: كل إنسان إنما يأتى بالشراب الجيد أولا فاذا سكروا عند ذلك يأتى بالدون و أنت أبقيت الجيد إلى الآن! هذه الآية الأولى التى فعلها يسوع فى قانا الجليل و أظهر مجده و آمن به تلاميذه . و بعد هذا انحدر٥ إلى كفرناحوم هو و أمه و إخوته و تلاميذه فأقاموا هناك أياما يسيرة، ثم قال: و علم السيد يسوع أن الفريسيين سمعوا أنه قد اتخذ تلاميذ كثيرة و أنه يعمد أكثر من يوحنا إذ ليس هو يعمد بل

(١) من م و مد، وفى الأصل: قانا، وفى متن ظ: يوقانا، و بهامشه: أى مدينة.
(٢) فى م ومد: يسع (٣) فى مد: واحد (٤) من م ومد وظ، وفى الأصل، تاولوا - كذا (٥) فى ظ: انحسر - كذا.

(٦) تلاميذه

تلاميذه فترك اليهودية ومضى إلى الجليل وكان قد أزمع أن يعبر على موضع السامرة، فأقبل إلى مدينة السامرة التى تسمى بسوخار[1] إلى جانب القرية التى كان يعقوب وهبها ليوسف ابنه وكان هناك بئر يعقوب وكان يسوع قد عيي[2] من تعب الطريق، فجلس على البئر فى ست ساعات، فجاءت امرأة من السمرة تستقى ماء، فقال لها يسوع: أعطيني[3] أشرب - وكان تلاميذه قد دخلوا إلى المدينة ليبتاعوا لهم طعاما - فقالت له[4] تلك المرأة: كيف وأنت يهودى تستقى الماء وأنا امرأة سامرية واليهود لا يختلطون بالسامرة! أجاب / يسوع وقال لها: ٩٧/ لو كنت تعرفين عطية الله ومن هذا الذى قال لك: ناولينى أشرب، لكنت أنت تسألينه[5] أن يعطيك ماء الحياة! قالت المرأة: يا سيد! إنه لا دلو لك والبئر عميقة فمن أين لك ماء الحياة؟ لعلك[6] أعظم من أبينا يعقوب الذى أعطانا هذه البئر ومنها شرب هو وبنوه وماشيته! فقال لها: كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا، فأما من يشرب من الماء الذى أعطيه[7] لا يعطش إلى الأبد، قالت المرأة: يا سيد! أعطنى من هذا الماء لئلا أعطش ولا أجيء ولا أستقى من ههنا، فقال: انطلق وادعى زوجك وتعالى[8] إلى ههنا، قالت: ليس لى زوج، قال لها: حسنا قلت:

(١) من م و ظ، وفى الأصل: بسورخار، وفى مد: بَصُوخار (٢) من م ومد و ظ، وفى الأصل: عيى ـ كذا بالباء الموحدة (٣) فى م: اعطى ـ كذا. (٤) ليس فى م (٥) فى م: تسلمين (٦) فى مد: افانك ـ كذا (٧) فى م: عطية. (٨) فى م: تعال.

إنه لا بعل لى، لأنه قد كان لك[١] خمسة بعولة و الذى هو لك الآن ليس هو زوجك، أما[٢] هذا فحقا قلت، قالت: يا سيد! إنى أرى أنك نبى[٣]، آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل و أنتم تقولون: إنه باروشليم[٤] المكان الذى[٥] ينبغى أن يسجد فيه، قال: أيتها المرأة! آمنى به[٦]، إنه ستأتى ساعة لا فى هذا الجبل و لا فى يروشليم يسجدون للأب. أنتم تسجدون لما لا تعلمون و نحن نسجد لما نعلم، لكن ستأتى ساعة و هى الآن لكيما الساجدون المحقون[٧] يسجدون[٨] بالروح و الحق، و[٩] [١٠]الرب إنما يريد مثل هؤلاء الساجدين، و الذين يسجدون له بالروح و الحق[١٠] ينبغى أن يسجدوا، قالت المرأة: قد علمت أن مَسِّيا الذى هو المسيح يأتى، فاذا جاء ذاك فهو يعلمنا كل شىء، فقال: أنا هو الذى أكلمك[١١] - و فى هذا جاء تلاميذه و تعجبوا من كلامه مع امرأة و لم يقل أحد: ما ذا تريد و لم تكلمها[١٢] - فتركت المرأة جرّتها و مضت إلى المدينة و قالت[١٣] للناس[١٤]: تعالوا! انظروا رجلا أعلمنى كل ما فعلت، لعل هذا هو المسيح، فخرجوا من المدينة و أقبلوا نحوه؛ و فى هذا سأله تلاميذه قائلين: يا معلم! كل، فقال: إن لى طعاما لا تعرفونه[١٥] أنتم، فقالوا فيما بينهم: لعل إنسانا وافاه

(١) فى م: لى (٢) فى م: فاما (٣) فى م: بنى - كذا (٤) فى مد: يارشليم، وفى معجم البلدان: أورِيشَلِم، وفيه اختلاف فراجعه (٥) زاد فى م: لا (٦) ليس فى ظ و مد (٧) من م و مد وفى ظ: المحققون، وفى الأصل: المحفون - كذا. (٨) زاد فى م: له (٩) فى ظ و م: لان (١٠ - ١٠) ليست فى م (١١) فى م: يكلمك (١٢) فى م: يكلمها (١٣) زيد فى الأصل: تعالوا، ولم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (١٤) ليس فى م (١٥) فى ظ: لا تعرض له.

بشىء

بشيء فطعمه، فقال: طعامي أنا إن أعمل مسرة[1] من أرسلني و أتم عمله، أليس أنتم تقولون: إن الحصاد يأتي بعد أربعة أشهر، و أنا قائل لكم: ارفعوا أعينكم و انظروا إلى الكور قد ابيضت و بلغت الحصاد، و الذي يحصد يأخذ الأجرة و يجمع ثمار الحياة الدائمة، و الزارع و الحاصد يفرحان معا، لأنه في هذا توجد كلمة الحق، إن واحدا يزرع و آخر[2] يحصد، أنا أسألكم تحصدون شيئا ليس أنتم تعبتم فيه بل آخرون تعبوا فيه و أنتم دخلتم على تعب أولئك؛ فآمن به في تلك المدينة سامريون كثيرون[3] من أجل كلمة تلك المرأة، و لما صار إليه السامريون طلبوا إليه أن يقيم[4] عندهم، فمكث عندهم يومين فآمن به كثير، و كانوا يقولون للمرأة: لسنا من أجل قولك نؤمن به لكنا قد سمعنا و علمنا أن[5] هذا هو المسيح بالحقيقة مخلص العالم. و بعد يومين خرج يسوع إلى الجليل و مضى من هناك، لأنه شهد أن النبي لا يكرم في[6] مدينته، و لما صار إلى الجليل قبّله الجليليون[7]، لأنهم عاينوا كل ما عمل بايروشليم[8] في العيد؛ ثم جاء يسوع حيث صنع الماء خمرا و كان في كفرناحوم عند الملك ابن مريض فسمع أن يسوع قد جاء من يهودا إلى الجليل. فمضى إليه و سأله أن ينزل و يبرئ[9] ولده[10]، لأنه قد كان قارب الموت، فقال له يسوع: إن لم تعاينوا الآيات و الأعاجيب لا تؤمنون[11]، فقال له الملك: أنزل يا سيد

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: ميسرة (٢) في مد: الآخر (٣) من ظ، وفي الأصل وم ومد: كثير (٤) من م ومد وظ، وفي الأصل: تقيم (٥) ليس في ظ (٦) في م: و (٧) في ظ: الجليلون (٨) في م: باويرشليم - راجع معجم البلدان. (٩) في مد: يرى (١٠) ليس في م (١١) في م: لا تموتون.

قبل أن يموت فتاى ، قال[1] له يسوع : امض فابنك حي ، فآمن الرجل بالكلمة التي قالها يسوع و مضى ، و فيما هو ماض استقبله غلمانه و بشروه بأن ابنه قد عاش ، فسألهم : في أي وقت ؟ فقالوا له : أمس في الساعة السابعة تركته الحمى ، فعلم أبوه أنه في تلك الساعة[2] التي قال له يسوع فيها : إن ابنك قد حي ، فآمن هو و بيته بأسره[3] ؛ و هذه أيضا آية ثانية عملها[4] يسوع لما جاء من يهودا إلى الجليل . قال مرقس : فأقبل إلى كفرناحوم و بقي يعلم في مجامعهم يوم السبت ، فتعجبوا من تعليمه لأنه كان كالمسلط . و قال متى : و كان يسوع يطوف في كل الجليل و يعلم في مجامعهم و يكرز[5] ببشارة الملكوت و يبرئ كل برص و وجع في الشعب ، فخرج خبره في جميع الشام فقدم[6] إليه كل من به أصناف الأمراض و الأوجاع المختلفة و الذين بهم الشياطين و المعترين[7] في رؤس الأهلة و المخلعين فأبرأهم ، و تبعه جموع كثيرة[8] من الجليل و العشرة المدن و يروشليم و اليهودية و عبر الأردن ، فلما أبصر الجميع[9] صعد إلى الجبل و جلس[10] ، و جاء إليه تلاميذه و فتح فاه يعلمهم قائلا : طوبى للمساكين بالروح ! فان لهم ملكوت السماوات ، طوبى للحزاني[11] ! فانهم يعزون ،

(١) في م ومد : فقال (٢) ليس في م (٣) في م ومد : باسره (٤) في ظ : علمها .
(٥) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : يكرر ـ كذا (٦) من م ، وفي الأصل و مد وظ : فقدموا (٧) في م : المعترن ، وفي مد : المعتربين ـ كذا (٨) من م ، وفي الأصل و مد وظ : كثير (٩) في م و مد : الجمع (١٠) من م و مد وظ ، وفي الأصل : صعد ـ كذا (١١) هكذا في الأصل و ظ ، وفي م : للحزانا ، وفي مد : للخزانا ـ كذا ؛ والحزاني جمع حزين ، من حزنه الأمر يحزنه حزنا جعله =

طوبى للتواضعين! فانهم يرثون الأرض، طوبى للجياع و العطاش من أجل البر! فانهم يشبعون، طوبى للرحماء! فانهم يرحمون، طوبى للنقية قلوبهم! فانهم يعاينون الله، طوبى لفاعلي[١] السلامة! فانهم بني الله يدعون، طوبى للمطرودين من أجل البر! فان لهم ملكوت السماوات[٢]، طوبى [لكم-٣] إذا طردوكم وعيّروكم و قالوا فيكم كل كلمة شر من أجلي؛ افرحوا و تهللوا، فان أجركم عظيم في السماوات[٤]. لأن هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم. [٥]و قال لوقا[٥]: هكذا كان آباؤكم[٦] يصنعون بالأنبياء، الويل لكم أيها الأغنياء! لأنكم قد أخذتم عزاكم[٧]، الويل لكم أيها الشباعى الآن! فانكم ستجوعون؛ الويل لكم أيها الضاحكون الآن! فانكم ستبكون و تحزنون، الويل لكم إذا قال الناس فيكم قولا حسنا! لأن آباءهم كذلك فعلوا بالأنبياء الكذبة - يعني المتنبئين - و فيه من الألفاظ التي لا يجوز إطلاقها في شرعنا حمل[٨] الله و الأب، و قوله: بني الله، و سيأتي إن شاء الله تعالى في آل عمران تأويل مثل هذا على تقدير صحته عنه[٩] و أنه يرد إلى المحكم على أوضح وجه مثل الألفاظ التي وردت في شرعنا و رددناها إلى المحكم، و ضل بها من حملها على ظاهرها ممن يدعي الإسلام - و الله الموفق[١٠].

= حزينا أو جعل فيه حزنا - قطر المحيط ١/٣٩٦.

(١) في م فقط: لفاعل (٢) زاد في م: والأرض (٣) زيد من م (٤) زاد في ظ: و (٥-٥) في م: وقالوا لو قال - كذا (٦) من ظ، وفي الأصل وم ومد: آباؤهم (٧) في ظ: عزكم (٨) كذا في الأصول، ولعله: مثل (٩) ليس في مد (١٠) زاد في م: =

و لما كان هذا حالهم مع الرسل مع أنسهم بهم و معرفتهم بأحوالهم و اتصالهم بالله و كمالهم علم أنهم فى منابذتهم لهم عبيد الهوى و أسرى الشهوات، فتسبب عن ذلك الإنكار عليهم فقال: ﴿(١) أفكلما﴾
(٢) أى أ فعلتم ما فعلتم من نقض العهود مع مواترة الرسل و وجود الكتاب فكلما (٣) ﴿جاءكم رسول﴾ أى من عند الله ربكم ﴿بما (٤) لا تهوى انفسكم﴾

= كما ايدنا به غيره من أولى العزم - قاله الحرالى، والروح لمحمد من لمحات أمر الله، و أمر الله قيوميته فى كلمة خلقه ملكا و ملكوتا، فما هو قوام الخلق كله ملكا و ملكوتا هو امر «الا له الخلق و الامر»، و ما هو قوام صورة من جملة الخلق هو الروح الذى هو لمحة من ذلك الأمر؛ و لقيام عامة الملكوت و خصوصا حملة العرش بعالم الملك و خصوصا أمر الدين الباقى سماهم الله روحا و من أخصهم روح القدس الطهارة العلية التى لا يلحقها نجس على ما تقدم به، و من أخص الروح به جبرئيل عليه السلام بما له من روح الأمر الدينى و إسرافيل عليه السلام بما له من روح النفخ الصورى - انتهى. و قد كان لعيسى عليه السلام بالروح مزيد اختصاص لكثرة ما أحيي من الموتى و لم تزالوا فى أحد جميع من ذكر ناقضين للعهود، فلا أحد أحق منكم بالخلود فى النار، ثم جاء محمد صلى الله عليه و سلم فلم تصدقوه فى ذكر شىء من الإنجيل يدل على أنه عليه السلام أتى بالبينات مع تأييده بروح القدس مستخلصا من الأناجيل الأربعة و قد جمعت بين ألفاظها. قال متى و معظم السياق له: فلما سمع يسوع و كان هذا حالهم.

(١) ليس فى م (٢) و قال أبو حيان الأندلسى: الهمزة أصلها للاستفهام و هى هنا للتوبيخ و التقريع، و الفاء لعطف الجملة على ما قبلها، و اعتنى بحرف الاستفهام فقدم والأصل: فأكلما (٣-٣) هذه العبارة ليست فى ظ (٤) ما موصولة و العائد محذوف أى لا تهواه، و أكثر استعمال الهوى فيما ليس بحق و منه هذه الآية، و أسند الهوى إلى النفس و لم يسند إلى ضمير المخاطب فكأن يكون =

من

من الهوى و هو نزوع النفس لسفل شهوتها فى مقابلة معتلى[١] الروح لمنبعث انبساطه ، كأن النفس ثقيل الباطن بمنزلة الماء و التراب ، و الروح خفيف الباطن بمنزلة الهواء و النار ، وكأن العقل متسع الباطن بمنزلة اتساع النور فى كلية[٢] الكون علوا و سفلا - قاله الحرالى . [٣]و قد دل على أن المراد الباطل[٤] بالتعبير بالهوى و النفس ﴿ استكبرتم[٥] ﴾ [٦] أى طلبتم الكبر و أوجدتموه بما لكم من الرئاسة على قومكم[٦] عن قبول الحق ميلا إلى سنة إبليس مع إعطائكم العهد قبل ذلك على الدوام على اتباعه ﴿ ففريقا ﴾ أى

= بما لا تهوون إشعارا بأن النفس يسند إليها غالبا الأفعال السيئة - قاله أبو حيان (٣٠٠/١) .

(١) فى مد : مستقلى - كذا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كلية - كذا (٣) العبارة من هنا إلى «و النفس» ليست فى ظ (٤) فى م : الباطن (٥) ﴿ استكبرتم ﴾ استفعل هنا بمعنى تفعل و هو أحد معانى استفعل ، و فسر رسول الله صلى الله عليه و سلم الكبر بأنه سفه الحق و غمط الناس . و المعنى قيل استكبرتم عن إجابته احتقارا للرسول أو استبعادا للرسالة و فى ذلك ما كانوا عليه من طبيعة الاستكبار الذى هو محل النقائص و نتيجة الإعجاب و هو نتيجة الجهل بالنفس المقارن للجهل بالخالق و إن ذلك كان يتكرر منهم بتكرر مجىء الرسل إليهم ، و هو كما ذكرنا استكبار بمعنى التكبر و هو مشعر بالتكلف و التفعل لذلك لا أنهم يصيرون بذلك كبراء عظماء بل يتفعلون ذلك و لا يبلغون حقيقته لأن الكبرياء إنما هى لله تعالى فمحال أن يتصف بها غيره حقيقة - قاله أبو حيان (٦ - ١) ليست فى ظ .

فتسبب عن طلبكم الكبر أنكم فريقا ﴿ كذبتم ﴾ كعيسى و محمد عليهما الصلاة و السلام ﴿ و فريقا تقتلون ﴾ أى قتلتم و لم تندموا على قتلهم بل عزمتم على مثل ذلك الفعل كلما جاءكم أحد منهم بما يخالف الهوى و هم لم يبعثوا إلا لصرف الأنفس [1] عن الهوى [1]، لأن دعوة الرسول إلى
٥ الأعلى الذى هو[2] ضد هوى[2] النفس؛ و الظاهر [3] أنه سبحانه أشار[3] بهذه الصيغة المستقبلة[4] إلى قتلهم النبي صلى الله عليه و سلم بالسم فى خيبر كما أشار إليه الحديث الماضى آنفا .

و لما بين سبحانه مخازيهم حتى ختمها بعظيم ما ارتكبوا من الرسل من القتل المعنوى بالتكذيب و الحسى بازهاق الروح مع العلم بأنهم أتوا
١٠ بالبينات و الآيات المعجزات فأرشد المقام إلى أن التقدير فقالوا للأنبياء لما أتوهم أمورا كثيرة يعجب من صدورها عن عاقل و أتوا فى الجواب عن تكذيبهم و قتلهم من التناقضات بما لا يرضاه عالم و لا جاهل عطف

(١ - ١) ليس فى م (٢) ليس فى م (٣ - ٣) فى م و مد: انه اشار سبحانه (٤) قال أبو حيان فى البحر المحيط ١/٣٠٠: و أتى بفعل القتل مضارعا إما لكونه حكيت به الحال الماضية إن كانت أريدت فاستحضرت فى النفوس و صور حتى كأنه ملتبس به مشروع فيه، و لما فيه من مناسبة رؤس الآى ؛ و إما لكونه مستقبلا لأنهم يرومون قتل رسول الله صلى الله عليه و سلم و لذلك سحروه و سموه . . . . و كان فى ذلك على هذا الوجه تنبيه على أن عادتهم قتل أنبيائهم لأن هذا النبي المكتوب عندهم فى التوراة و الإنجيل و قد أمروا بالإيمان و النصر له يرومون قتله فكيف من لم يكن فيه تقدم عهد من الله فقتله عندهم أولى - انتهى .

عليه أو[1] على "و قالوا لن تمسنا النار[2]" قوله - بيانا لشدة بهتهم و قوة عنادهم: ﴿و قالوا[3]﴾ فى جواب ما كانوا يلقون إليهم من جواهر العلم التى هى أوضح من الشمس ﴿قلوبنا غلف[4]﴾ جمع أغلف و هو المغشى الذكر بالقلفة التى هى جلدته، كأن الغلفة[5] فى طرفى المرء: ذكره و قلبه، حتى يتم الله كلمته فى طرفيه بالختان[6] و الإيمان - قاله الحرالى. فالمعنى: عليها أغطية فهى لا تفهم ما تقولون[7]. فكان المراد بذلك مع أنهم أعلم

---

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: و (٢) زاد فى ظ: «الا اياما معدودة» (٣) الضمير فى ﴿قالوا﴾ عائد إلى اليهود وهم أبناء بنى إسرائيل الذين كانوا بحضرة رسول الله صلى الله عليه و سلم، قالوا ذلك بهتا و دفعا لما قامت عليهم الحجج و ظهرت لهم البينات و أعجزتهم عن مدافعة الحق المعجزات، نزلوا عن رتبة الإنسانية إلى رتبة البهيمية - قاله أبو حيان (٤) و فى البحر المحيط ١/٣٠١: و قرأ ابن عباس و الأعرج و ابن هرمز و ابن محيصن ﴿غلُف﴾ بضم اللام وهى مروية عن أبى عمرو، وهو جمع غلاف ولا يجوز أن يكون فى هذه القراءة جمع أغلف لأن تثقيل فعل الصحيح العين لا يجوز إلا فى الشعر، يقال غلفت السيف جعلت له غلافا، فأما من قرأ غلْف بالإسكان فمعناه أنها مستورة عن الفهم و التمييز؛ و قال مجاهد: أى عليها غشاوة، و قال عكرمة: عليها طابع، و قال الزجاج: ذوات غلف، أى عليها غلف لا تصل إليها الموعظة. و يحتمل على هذه القراءة أن يكون قولهم هذا على سبيل البهت و المدافعة حتى يسكتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أما من قرأ بضم اللام فمعناه أنها أوعية للعلم فلو كان ما تقوله حقا و صدقا لوعته - قاله ابن عباس و السدى - انتهى (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الغفلة (٦) فى ظ: بالحسينان - كذا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يقولون.

الناس أن ما يقولونه[1] ليس بأهل لأن[2] يوجه إليه الفهم ، و لذلك أضرب الله [3] سبحانه عنه[3] بقوله ﴿ بل ﴾ أى ليس الأمر كما قالوا[4] من أن هناك غلفا حقيقة بل[4] ﴿ لعنهم الله ﴾ أى طردهم[5] الملك الأعظم[5] عن قبول ذلك لأنهم ليسوا بأهل للسعادة[6] بعد أن خلقهم على الفطرة الأولى القويمة[7] لا غلف على قلوبهم ، لأن اللعن إبعاد فى المعنى و المكانة و المكان إلى أن يصير الملعون بمنزلة النعل فى أسفل القامة يلاقى به ضرر الموطئ - قاله الحرالى[8] .

ثم بين علة ذلك بقوله : ﴿ بكفرهم ﴾ ، قال الحرالى : أعظم الذنوب ما تكون[9] عقوبة الله تعالى[10] عليها الإلزام بذنوب أشد منها ، فأعقب استكبارهم اللعن كما كان فى حق إبليس مع آدم عليه السلام ، فانتظم صدر هذه السورة إظهار الشيطنتين من الجن و الإنس الذى اختتم به القرآن فى قوله "من الجنة و الناس" ليتصل طرفاه ، فيكون ختما لا أول

---

(١) فى م : تقولونه (٢) فى ظ : ان (٣-٣) فى ظ : عنه سبحانه (٤-٤) ليست فى ظ ، و فى م : حقيقية - مكان : حقيقة (٥-٥) ليس فى ظ (٦) العبارة من هنا إلى « قلوبهم » ليست فى ظ (٧) فى م : القوية (٨) قال أبو حيان « بل » للاضراب و ليس إضرابا عن اللفظ المقول لأنه واقع لا محالة فلا يضرب عنه و إنما الإضراب عن النسبة التى تضمنها قولهم : إن قلوبهم غلف ، لأنها خلقت متمكنة من قبول الحق مفطورة لإدراك الصواب فأخبروا عنها بما لم تخلق عليها ، ثم أخبر تعالى أنها لعنوا بسبب ما تقدم من كفرهم و جازاهم بالطرد الذى هو اللعن المتسبب عن الذنب الذى هو الكفر - البحر المحيط ١/ ٣٠٠ (٩) من م و ظ ، و فى الأصل : يكون (١٠) ليس فى م .

له

له و لا آخر ؛ و الفاتحة محيطة به لا يقال[1]: هي أوله و لا آخره ، و لذلك ختم بعض القراء بوصله حتى لا يتبين له طرف ، كما قالت العربية[2] لما سئلت عن بنيها: [هم-٣] كالحلقة المفرغة[4] لا يدرى أين طرفاها . و لما أخبر بلعنهم سبب[5] عنه قوله: ﴿ فقليلا ما يؤمنون ﴾ ، فوصفه بالقلة و أكده بما[6] إيذانا بأنه مغمور[7] بالكفر لا غناء له[8] .

و لما ذكر سبحانه من جلافتهم ما ختمه بلعنهم و كان قد قدم ذكر كتابهم مرارا و أشار إلى الإنجيل بإيتاء عيسى عليه السلام البينات ذكر سبحانه كفرهم بهذا الكتاب الذى مقصود السورة وصفه بالهدى و بهذا الرسول الآتى به دليلا على إغراقهم فى الكفر ، لأنهم مع استفتاحهم[9] به صلى الله عليه و سلم قبل مبعثه على من يعاديهم و استبشارهم به و إشهادهم أنفسهم بالسرور[10] بمجيئه كانوا أبعد الناس من دعوته تماديا فى الكفر

(١) زاد فى ظ : انها (٢) من م ومد وظ ، وفى الأصل : العربيه ـ كذا (٣) زيد من م و مد (٤) فى ظ : المغرغة ـ كذا (٥) قال أبو حيان : ثم أخبر تعالى أنهم لعنوا بسبب ما تقدم من كفرهم و جاراهم بالطرد الذى هو اللعن المتسبب عن الذنب هو الكفر (٦) من م ومد وظ ، وفى الأصل : لما (٧) فى ظ : معمور ـ كذا (٨) و فى البحر المحيط انتصاب « قليلا » على أنه نعت لمصدر محذوف أى فإيمانا قليلا يؤمنون ـ قاله قتادة ، و فى التفسير المظهرى ص ٩٤ : و قال الواقدى معناه لا يؤمنون قليلا و لا كثيرا كقول الرجل للآخر : ما أقل ما تفعل كذا ، أى لا تفعل أصلا ؛ فالقلة مجاز عن العدم ـ انتهى (٩) وقع فى م : استقباحهم ـ كذا مصحفا (١٠) فى ظ : بالسور ـ كذا .

و تقيدا بالضلال ؛ فكان هذا الدليل أبين من الأول عند أهل ذلك العصر و ذلك قوله تعالى ﴿ و لما جاءهم كتٰب ﴾ أي جامع[١] لجميع الهدى لعظمته لكونه[٢] ﴿ من عند الله ﴾ الجامع لجميع صفات الكمال . ثم ذكر من المحببات[٣] لهم في اتباعه قوله ﴿ مصدق لما معهم ﴾ على لسان نبي يعرفون صحة أمره بأمور يشهد بها كتابهم ، و بتصديق هذا الكتاب له باعجاز نظمه و تصديق معناه لكتابهم[٤] ؛ و الجواب محذوف و[٥] دل[٦] ما بعد على أنه كفروا به ، و في ذلك قاصمة لهم لأن كتابهم يكون شاهدا على كفرهم ؛ و لما بين شهادة كتابهم اتبعه شهادتهم لئلا يحرفوا معنى ذلك فقال ﴿ و كانوا ﴾ أي و الحال أنهم كانوا[٧] ، و لما كان استفتاحهم في بعض الزمان أثبت الجار[٨] فقال ﴿ من قبل ﴾ أي قبل مجيئه ﴿ يستفتحون ﴾[٩] أي يسألون الله الفتح[٩] بالاسم[١٠] الآتي به تيمنا بذكره[١١] ﴿ على الذين كفروا ﴾ يعني أنهم لم يكونوا في غفلة عنه بل كانوا أعلم الناس به و قد وطنوا

---

(١) من م و مد و ظ ، و في الأصل : مجامع (٢) في م و مد : بكونه (٣) في م : المحبيات - كذا (٤) العبارة من هنا إلى « كفروا به » ليست في ظ (٥) ليس في م (٦) زيد في م : على (٧) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست في ظ (٨) من م و مد ، و في الأصل : لكبار - كذا (٩ - ٩) ليست في ظ (١٠) في م و مد : باسم (١١) و في البحر المحيط ١ / ٣٠٢ : ﴿ يستفتحون ﴾ أي يستحكمون أو يستعلمون أو يستنصرون - أقوال ثلاثة ، يقولون إذا دهمهم العدو : اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة - انتهى .

أنفسهم على تصديقه و مع ذلك كله ﴿ فلما جاءهم ﴾ [1] برسالة محمد صلى الله [عليه و سلم -[2]] علم[3] ﴿ ما عرفوا ﴾ [4] أي من صدقه بما ذكر من نعوته في كتابهم[4] ﴿ كفروا به ﴾ [5] اعتلالا بأنواع من العلل البينة الكذب، منها زعمهم أن جبريل عليه السلام عدوهم و هو الآتي به؛ قال الثعلبي و الواحدي: روى ابن عباس رضي الله عنهما أن عبد الله بن صوريا حاجّ رسول الله صلى الله عليه و سلم عن أشياء، فلما اتجهت الحجة عليه قال: أي ملك يأتيك من السماء؟ قال: جبريل، و لم يبعث الله نبيا إلا و هو وليه - و في رواية: و سأله عمن يهبط عليه بالوحي، فقال: جبريل - فقال: ذاك عدونا، و لو كان غيره لآمنا بك. و قال ابن إسحاق في السيرة: حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين المكي عن شهر بن حوشب الأشعري أن نفرا من أحبار يهود جاءوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا[6]: خبرنا[7] عن أربع نسألك عنهن، فان فعلت اتبعناك و صدقناك و آمنا بك، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم: عليكم بذلك عهد الله و ميثاقه لئن[8] أنا أخبرتكم بذلك لتصدقني. قالوا: نعم، قال: فاسألوا[9] عما بدا لكم!

(١) العبارة من هنا إلى «علم» ليست في ظ (٢) زيدت من م و مد (٣) ليس في م و مد (٤-٤) ليست في ظ (٥) قال المهائمي (١/٥٢): ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا ﴾ قبل مجيئه بما ذكر في كتابهم و بعده بمعجزاته سيما القولية المصدقة لما معهم ﴿ كفروا به ﴾ عنادا و حسدا، فكيف يخفف في حقهم العذاب أو يجعل أياما معدودة (٦) من م و مد و ظ، و في الأصل: قالوا (٧) في م و مد و ظ: أخبرنا (٨) من م و مد، و في الأصل و ظ: لإن (٩) في م: فاسئلوا، و في الأصل و مد و ظ: فسئلوا.

قالوا: فأخبرنا: كيف يشبه الولد أمه و إنما النطفة من الرجل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أنشدكم بالله و بأيامه عند بنى إسرائيل هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة و نطفة المرأة صفراء رقيقة فأيتهما علت[1] صاحبتها كان الشبه لها؟ قالوا: اللهم نعم؛ قالوا: فأخبرنا[2] عن كيف نومك؟ قال[3]: أنشدكم بالله و بأيامه عند بنى إسرائيل هل تعلمون أن نوم الذى تزعمون أنى لست به تنام عينه و قلبه يقظان؟ قالوا: اللهم نعم، قال: فكذلك نومى، تنام عينى و قلبى يقظان؛ قالوا. فأخبرنا[2] عما حرم إسرائيل على نفسه، قال: أنشدكم بالله و بأيامه عند بنى إسرائيل هل تعلمون أنه[4] كان أحب الطعام و الشراب إليه ألبان الإبل و لحومها و أنه اشتكى شكوى فعافاه الله منها فحرم على نفسه أحب الطعام[5] و الشراب إليه[6] شكرا لله فحرم على نفسه لحوم الإبل و ألبانها؟ قالوا: اللهم نعم؛ قالوا: فأخبرنا عن الروح، قال: أنشدكم بالله و بأيامه هل تعلمون[7] جبريل و هو الذى يأتينى؟ قالوا: اللهم نعم [8]و لكنه يا محمد[8] لنا عدو، و هو ملك إنما يأتى بالشدة و سفك الدماء، و لولا ذلك لاتبعناك. فأنزل الله فيهم[9] "من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه و هدى و بشرى للمؤمنين» - إلى قوله: او كلما عهدوا عهدا نبذه فريق

(١) زيد فى م: على (٢) فى م: اخبرنا (٣) فى م و ظ و مد: فقال (٤) فى م: انه (٥) من م و مد و ظ، ووقع فى الأصل: العظام - كذا مصحفا (٦) ليس فى مد (٧) فى م و مد و ظ: تعلمونه (٨-٨) كرره فى م ثانيا (٩) ليس فى م.

منهم

منهم بل اكثرهم لا يومنون ه[١]» و أصل ذلك فى البخارى فى خلق آدم و الهجرة و التفسير عن أنس بن مالك رضى الله عنه - من روايات جمعت بين ألفاظها - قال: أقبل بنى الله صلى الله عليه و سلم إلى المدينة أى فى الهجرة - إلى أن قال: فأقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبى أيوب رضى الله عنه، فانه ليحدث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام و هو فى نخل لأهله يخترف لهم، فعجل أن يضع التى[٢] يخترف لهم فيها فجاء و هى معه،

(١) سورة ٢ آية ٩٧ - ١٠٠. و فى السراج المنير ١/ ٧٥: روى أنه كان لعمر رضى الله عنه أرض بأعلى المدينة و كان ممره على مدارس (كذا، و الظاهر: مِدراس) اليهود و كان يجلس إليهم و يسمع كلامهم فقالوا: يا عمر! قد أحببناك و إنا لنطمع فيك، فقال: و الله ما أحبكم لحبكم و لا أسألكم لأنى شاك فى دينى! و إنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة فى أمر محمد صلى الله عليه و سلم و أرى آثاره فى كتابكم، ثم سألهم عن جبريل، فقالوا: ذاك عدو لنا، يطلع محمدا على أسرارنا، و إنه صاحب كل خسف و عذاب، و ميكائيل صاحب الخصب و السلام - أى السلامة، فقال عمر: ما منزلتهما من الله؟ قالوا: جبريل عن يمينه و ميكائيل عن يساره و بينهما عداوة، فقال: لئن كان كما تقولون فليسا بعدوين - أى لقرب منزلتهما عند الله - و لأنتم أكفر من الحمير - أى لأن الكفر نتيجة الجهل و البلادة و الحمار مثل فيها - و من كان عدو أحدهما فهو عدو الله تعالى؛ ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم هذه الآية، و قال عليه الصلاة و السلام: لقد وافقك ربك يا عمر! فقال عمر: لقد رأيتنى فى دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر - انتهى (٢) فى ظ: الذى، و فى م: الذى التى - كذا.

فيسمع من نبي الله صلى الله عليه و سلم ثم رجع إلى أهله، فقال نبي الله صلى الله عليه و سلم: أى [1]بيوت أهلنا[1] أقرب - فذكر نزوله على أبى أيوب رضى الله عنه ثم قال: فلما جاء نبي الله صلى الله عليه و سلم جاء عبد الله بن سلام [2]رضى الله عنه[2] فقال: أشهد أنك رسول الله و أنك جئت بحق! و قد علمت يهود أنى سيدهم و ابن سيدهم و أعلمهم و ابن أعلمهم فادعهم فسلهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت، فانهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فىّ ما ليس فىّ. و فى رواية: بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه و سلم و هو فى أرض يخترف فأتاه فقال: إنى سائلك عن ثلاث[3] لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ و ما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ و من أى شيء ينزع الولد إلى أبيه و من أى شيء ينزع إلى أخواله - و فى رواية: و ما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه - فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أخبرنى بهن جبريل آنفا، فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة؛ فقرأ[4] رسول الله صلى الله عليه و سلم هذه الآية "من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله" أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، و أما أول طعام يأكله أهل[5] الجنة فزيادة كبد حوت - و فى رواية: الحوت - و أما الشبه فى الولد فان الرجل إذا غشى[6] المرأة فسبقها ماؤه كان

(١-١) فى م: بيوتنا (٢-٢) ليست فى م و مد (٣) فى م: اربع (٤) فى م: فتلى - كذا (٥) فى مد: اوهل - كذا (٦) من م و مد، و فى الأصل: عشى، و فى ظ: عنسى - كذا.

الشبه له ، و إذا سبقت كان الشبه لها - و فى رواية: و إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، و إذا سبق ماء المرأة نزعت - قال: أشهد أنك رسول الله! ثم قال: يا رسول الله! إن اليهود قوم بهت ، إن علموا باسلامى قبل أن تسألهم بهتونى[1] عندك ، فأرسل نبى الله صلى الله عليه و سلم[2] فدخلوا عليه - و فى رواية : فجاءت[3] اليهود و دخل عبد الله البيت - فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم: يا معشر اليهود! ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذى لا إلٰه إلا هو! إنكم لتعلمون أنى رسول‌الله و أنى جئتكم بحق فأسلموا ، قالوا: ما نعلمه - قالوا للنبى صلى الله عليه و سلم و قالها ثلاث مرار[4] ، قال: فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا: ذاك سيدنا و ابن سيدنا و أعلمنا و ابن أعلمنا و أخيرنا و ابن أخيرنا ، قال: أفرأيتم إن أسلم! قالوا : حاشا لله! ما كان ليسلم - و فى / رواية: أعاذه الله من ذلك - / ١٠٠ قال : يا ابن سلام! اخرج عليهم ، فخرج فقال : أشهد أن لا إلٰه إلا الله و أن محمدا رسول الله ، يا معشر اليهود! اتقوا الله فو الله[5] الذى لا إلٰه إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله و أنه جاء بحق . قالوا : كذبت ، و قالوا: شرنا و ابن شرنا ، و وقعوا فيه فانتقصوه ، قال: فهذا[6] الذى كنت أخاف يا رسول الله! فاخرجهم رسول الله صلى الله عليه و سلم .

و للواحدى فى أسباب النزول عن عمر رضى الله عنه قال: كنت آتى

---

(١) فى م: بهتوا لى ، و فى مد: بهتوى - كذا (٢) زيد فى م: اليهم (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: فجاءة - كذا بالتاء المربوطة (٤) فى ظ: مرات . (٥) فى م: فوا الله - كذا (٦) فى م: هذا .

اليهود عند مواستهم التوراة فأعجب من موافقة القرآن التوراة و موافقة التوراة القرآن، فقالوا: يا عمر! ما أحد أحب إلينا منك، قلت: و لم؟ قالوا: لأنك تأتينا و تغشانا[1]، قلت: إنما أجيء لأعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضا و موافقة التوراة القرآن و موافقة القرآن التوراة، فبينا أنا عندهم ذات يوم إذ مر رسول الله صلى الله عليه و سلم خلف ظهري فقالوا: إن هذا صاحبك فقم إليه، فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه و سلم قد دخل خوخة من المدينة، فأقبلت عليهم فقلت: أنشدكم الله و ما أنزل عليكم من كتاب أ تعلمون أنه رسول الله؟ قال سيدهم: قد نشدكم بالله فأخبروه، فقالوا[2]: أنت سيدنا فأخبره، فقال سيدهم: نعلم أنه رسول الله، قلت: فأنى أهلككم إن كنتم تعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم تتبعوه، فقالوا: إن لنا عدوا من الملائكة[3] و سلما من الملائكة[3]، فقلت: من عدوكم و من سلمكم؟ قالوا: عدونا جبريل، قلت: و من سلمكم؟ قالوا: ميكائيل، قلت: فاني أشهد ما يحل لجبريل أن يعادي سلم ميكائيل، و ما يحل لميكائيل أن يسالم عدو جبريل، و إنهما جميعا و من معهما أعداء لمن عادوا و سلم لمن سالموا، ثم قمت فاستقبلني - يعني رسول الله صلى الله عليه و سلم - فقال: يا ابن الخطاب! ألا أقرئك آيات؟ فقرأ "من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك" - حتى بلغ "و ما يكفر بها الا الفسقون[4]" قلت: و الذي بعثك بالحق ما جئتك[5] إلا أخبرك بقول اليهود فاذا اللطيف

---

(١) في م: تغشاها (٢) في م: قالوا (٣-٣) ليس في م (٤) سورة ٢ آية ٩٧ - ٩٩.
(٥) في م و ظ و مد: جئت.

الخبير قد سبقني بالخبر! فقال عمر : فلقد[١] رأيتني في دين الله أشد من حجر[٢] - انتهى . و قد سألت بعض فضلاء اليهود الموجودين[٣] في زماننا[٣] عن عداوتهم لجبريل عليه السلام فلم يسمح بالتصريح و قال : ما يعطي ذلك . و قد روى هذا الحديث أيضا إسحاق ابن راهويه في مسنده عن[٤] الشعبي عن عمر رضي الله عنه ، قال شيخنا البوصيري : و هو مرسل صحيح الإسناد [٤]و فيه : انه قال لهم : و كيف منزلتهما[٤] من ربهما ؟ قالوا : أحدهما عن يمينه و الآخر من الجانب الآخر ، و إني أشهد أنهما و ربهما سلم لمن سالموا و حرب لمن حاربوا .

[٤]و لما بين سبحانه بهذا أنهم أعتى[٤] الناس و أشدهم تدليسا[٥] و بهتا بل كذبا و فسقا كانوا أحق الناس بوصف الكفر فسبب[٦] عن ذلك قوله ﴿ فلعنة الله ﴾ [٤]أي الذي له الأمر كله[٤] ﴿ على الكٰفرين ۝ ﴾ [٧]فأظهر موضع الإضمار تعليقا للحكم بالوصف ليعم و إشعارا بصلاح من شاء الله[٨] منهم . و لما استحقوا بهذا وجوه[٩] المذام كلها وصل به قوله ﴿ بئسما ﴾ [١٠]فأتى بالكلمة الجامعة للذام المقابلة لنعم الجامعة لوجوه المدائح كلها أي

---

(١) في مد : لقد (٢) في ظ : معجز (٣ - ٣) ليس في مد (٤-٤) ليست في ظ .
(٥) في مد : تلبيسا (٦) في مد : تسبب (٧) في التفسير المظهري ﴿ فلعنة الله على الكفرين ﴾ أي عليهم ، أتى بالمظهر للدلالة على سبب استحقاقهم اللعنة فاللام للعهد ، و يجوز أن يكون للجنس وهم داخلون فيه (٨) ليس في ظ (٩) في مد : وجود - كذا (١٠) قال المهائمي : أي بئسما باعوا به حظ أنفسهم الأخروى إذ باعوه بالكفر بما أنزل الله لا ريب فيه بل ﴿ بغيا ﴾ عادا مع الله كراهة ﴿ ان ينزل الله ﴾ من وحيه - انتهى .

بئس شيء ﴿ اشتروا به انفسهم ﴾ [1] أي حظوظهم[1] ، فقدموها وآثروها فكان ذلك عين فأخبرها[2] عكس ما فعل المؤمنون من بيعهم لأنفسهم وخروجهم عنها بتعبدهم لله بايثار ما يرضيه على هوى أنفسهم[3] ، فكان ذلك عين تحصيلها و تقديمها ، ثم فسر الضمير العائد على[4] المبهم المأخوذ[5] في إحراز النفس فقال ﴿ ان يكفروا ﴾ أي يستروا[6] [7] على التجدد و الاستمرار ا عليهم ﴿ بما انزل الله ﴾ [7] الذي لا كفوء له ، أي اشتروا أنفسهم فأبقوها لهم على زعمهم بالكفر و لم يجعلوها تابعة[8] ؛ و يجوز أن يكون " اشتروا " بمعنى باعوا ، لأنهم بذلوها[9] للشيطان بالكفر كما بذل المؤمنون أنفسهم لله بالإيمان .

ثم علل كفرهم بقوله ﴿ بغيا[10] ﴾ [11] أي حسدا و ظلما لأن تكون النبوة في بني إسماعيل عليه السلام . و[11] [12] قال الحرالي : هو اشتداد في

(١-١) ليست في مد و ظ (٢) وقع في م : تاخيرها - كذا محرفا (٣) في مد : النفس بهم (٤) في ظ : الى (٥) في مد : الموحود (٦) في مد : يستمروا (٧) العبارة من هنا إلى « بالإيمان » سقطت من مد و ظ (٨) في مد : بايعه (٩) في مد : بذلوا.
(١٠) في التفسير المظهري ص ٩٥ : أصل البغي الطلب والفساد ، يقال بغى يبغي بغيا إذا طلب ، وبغى الجرح إذا فسد . ويطلق الباغي على الظالم لأنه مفسد ، وعلى الخارج على الإمام لأنه مفسد و طالب للظلم ، و على الحاسد فانه يظلم المحسود و يطلب إزالة نعمته ؛ و المعنى أنهم يكفرون حسدا و طلبا لما ليس لهم و فسادا في الأرض - انتهى (١١-١١) ليست في م و مد (١٢) العبارة من هنا إلى « و الله الموفق » ليست في م .

طلب شيء ما ـ انتهى ؛ و أصله مطلق الطلب و الإرادة ، كأن الإنسان لما كان مجبولا على النقصان و مطبوعا على الشر و العصيان إلا من عصم الله و أعان كان مذموما على مطلق الإرادة ، لأن من حقه أن لا تكون له خيرة[1] و لا إرادة بل تكون إرادته تابعة لإرادة[2] مولاه كما هو شأن العبد ـ و الله الموفق .

ثم علل بغيهم بقوله ﴿ان ينزل الله ﴾[3] ذو الجلال و الإكرام[3] ﴿ من فضله ﴾ و[4] في صيغة "ينزل" إشمار[5] بتمادي ما[5] يغيظهم فيما يستقبل ، و بشرى للنبي صلى الله عليه و سلم و المؤمنين ﴿ على من يشاء من عباده ﴾[6] من العرب الذين حسدوهم[7] . ثم سبب عن ذلك قوله ﴿ فباؤا ﴾[8] أي رجعوا لأجل ذلك ﴿ بغضب ﴾ في حسدهم لهذا النبي صلى الله عليه و سلم لكونه من العرب ﴿ على غضب ﴾ كانوا استحقوه بكفرهم بأنبيائهم عنادا . ثم علق الحكم الذي استحقوه بوصفهم تعميما

(١) في مد : خيرة (٢) في مـد : لأمر (٣ ـ ٣) ليست في ظ (٤) ليس في مد .
(٥ ـ ٥) في ظ : بما (٦) قال المهائمي ﴿إن ينزل الله﴾ من وحيه الذي هو ﴿من فضله على من يشاء من عباده﴾ سيما من رآه أهلا له دونهم فعاندوا الله ـ انتهى . و في التفسير المظهري ﴿من فضله﴾ بلا سبق عمل يقتضيه (٧) في م : خسروهم ـ كذا .
(٨) وقال المهائمي ﴿ فباؤا بغضب ﴾ عظيم من الله على عنادهم معه و تحكمهم عليه ﴿ على غضب ﴾ على كفرهم بآياته و رسله و نقضهم مواثيق فكيف يكون عذابهم هينا و أياما معدودة ـ انتهى .

و إشارة إلى أنه سيؤمن بعضهم فقال ﴿و للكفرين﴾ [1] أى الذين هم راسخون في هذا الوصف منهم[2] و من غيرهم ﴿ عذاب مهين ٥ ﴾ من الإهانة و هي الاطراح إذلالا و احتقارا[3] .

و لما أقام سبحانه الدليل على استحقاقهم للخلود فى النار بكفرهم
٥ بالكتاب الذى كانوا يستفتحون بالآتى به أقام دليلا آخر على ذلك أبين منه و ذلك بكفرهم بكتابهم نفسه فقال ﴿ و اذا قيل لهم[4] ﴾ [5]أى هؤلاء الذين نقضوا عهود كتابهم[5] ﴿ اٰمنوا بما انزل الله ﴾ أى [6]الملك الذى له[6]

---

(١) و فى البحر المحيط ١ / ٣٠٦ : الألف و اللام فى « الكفرين » للعهد ، و أقام المظهر مقام المضمر إشعارا بعلة كون العذاب المهين لهم إذ لو أتى : ولهم عذاب مهين ، لم يكن فى ذلك تنبيه على العلة ؛ أو تكون الألف و اللام للعموم فيندرجون فى الكافرين ، و وصف العذاب بالإهانة و هو الإذلال قال تعالى "و ليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين" وجاء فى الصحيح فى حديث عبادة ـ وقد ذكر أشياء محرمة فقال : فمن أصاب شيئا من ذلك فعوقب به فهو كفارة له ، فهذا العذاب إنما هو لتكفير السيئات ؛ أو لأنه يقتضى الخلود خلودا لاينقطع ، أو لشدته وعظمته واختلاف أنواعه ، أو لأنه جزاء على تكبرهم عن اتباع الحق ـ انتهى . و فى التفسير المظهرى : يراد بهم إذلالهم بخلاف عذاب العصاة من المؤمنين ، فانه لتطهيرهم عن الذنوب ـ انتهى (٢) ليس فى ظ (٣) فى مد : افتقارا (٤) قال أبو حيان : الإخبار عمن بحضرة رسول الله صلى الله عليه و سلم من اليهود ، وسياق الآية يدل على أن المراد آباؤهم ، لأنهم هم الذين قتلوا الأنبياء ، و حسن ذلك أن الراضى بالشيء كفاعله ، و أنهم جنس واحد و أنهم متبعون لهم و معتقدون ذلك و أنهم يتولونهم فهم منهم (٥ - ٥) ليست فى ظ .

الأمر كله مطلقا، و على جهة العموم[١] من الكتب و الصحف[٢] . / و لما رفع مقدارهم بالدعاء إلى الإيمان بما أسند إلى هذا الاسم الأعظم ﴿ قالوا ﴾ تسفيلا لأنفسهم ﴿ نؤمن بما أنزل علينا[٣] ﴾ فأسقطوا اسم من يتشرف بذكره و يتبرك باسمه [١]و خصوا بعض ما أنزله[١] . ثم عجب من دعواهم هذه بقوله[٤] ﴿ و يكفرون ﴾ أي قالوا ذلك و الحال أنهم يكفرون ﴿ بما وراءه ﴾ [٥]أي وراء ما أنزل عليهم مما أنزل الله على رسله ، و هو يشمل ما قبل التوراة و ما بعدها ، لأن وراء يراد بها تارة خلف و تارة قدام ، فاذا قلت: زيد ورائي ، صح أن يراد في المكان الذي[٦] أواريه أنا بالنسبة إلى من[٦] خلفي فيكون أمامي ، و أن يراد في المكان الذي هو متوار عني فيكون خلفي . و قال الحرالي : وراء ما لا يناله الحس و لا العلم حيث ما كان من لمكان ، فربما اجتمع أن يكون الشيء وراء من حيث أنه

(١-١) ليست في ظ (٢) الجمهور أنه القرآن ، و قال الزمخشري : مطلق فيما أنزل الله من كل كتاب (٣) يريدون التوراة وما جاءهم من الرسالات على لسان موسى و من بعده من أنبيائهم ، و حذف الفاعل هنا للعلم به لأنه لا ينزل الكتب الإلهية إلا الله ؛ وذموا على هذه المقالة لأنهم أمروا بالإيمان بكل كتاب أنزله الله ، فأجابوا بأن آمنوا بمقيد ، و المأمور به عام فلم يطابق إيمانهم الأمر - قاله أبو حيان في البحر المحيط ١ / ٣٠٧ (٤) في مد : بقولهم (٥) و في السراج المنير ١ / ٧٣ ﴿ بما وراءه ﴾ أي بما سواه من الكتب كقوله تعالى ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك ﴾ أي سواه ، قال أبو عبيدة : بما بعده أي من القرآن ، و قوله تعالى ﴿ وهو ﴾ أي ما وراءه - انتهى (٦) العبارة من هنا إلى « هو متوار عني » ليست في م .

لا يعلم و بكونه أماما فى المكان - انتهى . ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أن ذلك الذى وراءه هو ﴿الحق﴾ الواصل إلى أقصى غاياته بما دلت عليه "ال[1]" قال الحرالى : فانهاه لغاية الحق بكلمة "ال" لأن ما ثبت و لا زوال له لانتهائه هو "الحق" و ما ثبت وقتا ما ثم يتعقبه[2] تكملة[3] أو يقبل[4] زيادة
٥ فانما هو "حق" منكر اللفظ، فان بين المعرف بكلمة "ال" و بين المنكر أشد التفاوت فى المعنى - انتهى . ﴿مصدقا لما[5] معهم﴾ فصح أنهم كافرون بما عندهم، لأن المكذب بالمصدق لشيء مكذب بذلك الشيء .

(١) فى مد: الى - كذا (٢) فى ظ : تتعقبه ، و فى مد : تعقبه ، و فى م : تقعقبه - كذا (٣) فى مد: بكلمة (٤) فى مد : تقبل (٥) فى السراج المنير ١/٧٣ : أى من التوراة ، حال ثانية مؤكدة تتضمن رد مقالهم ، فانهم كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ، ثم اعترض الله تعالى عليهم بقتل الأنبياء مع ادعاء الإيمان بالتوراة بقوله تعالى ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ فلم تقتلون ﴾ . و فى تبصير الرحمن للمهائمى ١ / ٥٣ ﴿لما معهم﴾ من الكتاب الذى يؤمنون به ﴿ قل ﴾ إن صح إيمانكم بالتوراة وقد تضمنت ميثاق الإيمان بكل نبي فما لكم لا تؤمنون بالأنبياء ، و إن منعكم التمسك بالتوراة من الإيمان بنبي لنسخه بعض أحكامه ﴿ فلم تقتلون ﴾ الآية . و فى البحر المحيط ١/٣٠٧ ﴿مصدقا﴾ حال مؤكدة ، إذ تصديق القرآن لازم لا ينتقل ﴿ لما معهم ﴾ هو التوراة ، أو التوراة و الإنجيل لأنهما أنزلا على بنى إسرائيل و كلاهما غير مخالف للقرآن ، و فيه رد عليهم لأن من لم يصدق ما وافق التوراة لم يصدق بها ، و إذا دل الدليل على كون ذلك منزلا من عند الله وجب الإيمان به ، فالإيمان ببعض دون بعض متناقض - انتهى .

ثم كشف ستر[1] مقالتهم[2] هذه[3] بأبين[4] نقض فقال ﴿ قل فلم ﴾ أى تسبب عن دعواكم هذه أن يقال لكم: لم ﴿تقتلون انبياء الله﴾ الملك الأعظم مع أن كتابكم محرم لمطلق القتل فكيف بقتل الأنبياء ! ثم بين أن كفرهم بهذا القتل إنما هو بطريق الرضى بقتل أسلافهم[5] بقوله مثبتا الجار لأن ذلك كان منهم فى بعض[6] الأزمان الماضية ﴿من قبل﴾ و فى صيغة المضارع[7] تصوير لشناعة هذا القتل بتلك الحال الفظيعة[8] و رمز إلى أنهم لو قدروا الآن فعلوا فعلهم ، لأن التقدير : و تُصرّون على قتلهم من بعد ؛ و فيه إيماء إلى حرصهم على قتل النبي صلى الله عليه و سلم تحذيرا منهم، و لقد صدق هذا الإيماء الواقع ، فقد عزم بنو النضير على أن يلقوا عليه صخرة، و سمّه أهل خيبر . ثم أورد مضمون دعواهم بأداة الشك فقال ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ إشعارا[9] بأن مثل ذلك

---

(١) فى ظ : سترة (٢) فى مد: مقالهم (٣) ليس فى م (٤) فى م: بما بين (٥) فى مد: اسدوفهم - كذا (٦) ليس فى ظ (٧) و فى البحر المحيط ١ / ٣٠٧ (قال ابن عطية) و فائدة سوق المستقبل فى معنى الماضى الإعلام بأن الأمر مستمر، ألا ترى أن حاضرى محمد صلى الله عليه و سلم لما كانوا راضين بفعل أسلافهم بقى لهم من قتل الأنبياء جزء ، و فى إضافة أنبياء إلى الله تشريف عظيم لهم و انه كان ينبغى لمن جاء من عند الله أن يعظم أجل تعظيم وأن ينصر لا أن يقتل - انتهى (٨) فى م : القطيعة (٩) فى م : اشعار .

لا يصدر من متلبس بالإيمان[1] .

و لما دل على كذبهم في دعوى الإيمان بما فعلوا بعد موسى مما استحقوا به الخلود في النار أقام دليلا آخر أقوى من كل ما تقدمه ، فانه لم يعهد إليهم في التوراة ما عهد إليهم في التوحيد و البعد عن الإشراك [2]و هو[2] في النسخ الموجودة بين أظهرهم الآن ، و قد نقضوا جميع ذلك باتخاذ العجل في أيام موسى و بحضرة هارون عليهما السلام كما هو منصوص الآن فيما بين أيديهم منها فقال تعالى ﴿ و لقد جاءكم موسى بالبيّنٰت ﴾ [3]من الآيات[3] .

و لما كان كفرهم مع ذلك في غاية الاستبعاد عبر عنه بأداته [3]مصورا لزيادة قبحه بترتبه على أظهر البيان و موبخا لهم[3] فقال ﴿ ثم اتخذتم ﴾ [4] أي مع العلاج لفطركم الأولى و عقولكم السليمة[5] ﴿ العجل ﴾ [6]و نبه[7] بالجار

---

(١) قال علي المهائمي (١/٥٠) : أي إن صح دعواكم فلم أنكم لا تؤمنون بها أيضا ، ثم أشار إلى أن كفرهم لم يتأخر إلى عصر الأنبياء الذين قتلوهم بل كفروا في عصر موسى بما هو أشد منه - انتهى . و قال أبو حيان : قيل « ان » نافية أي ما كنتم مؤمنين ، لأن من قتل أنبياء الله لا يكون مؤمنا ، فأخبر تعالى أن الإيمان لا يجامع قتل الأنبياء أي ما اتصف بالإيمان من هذه صفته . قيل و الأظهر أن « ان » شرطية و الجواب محذوف ، التقدير : فلم فعلتم ذلك . و قال ابن عطية و﴿ ان كنتم ﴾ شرط و الجواب متقدم (٢-٢) ليس في مد (٣-٣) ليست في ظ (٤) العبارة من هنا إلى « السليمة » ليست في ظ (٥) ليس في م (٦) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست في ظ . وفي تبصير الرحمن ﴿ العجل ﴾ إلٰها معبودا ﴿ من بعده ﴾ =

على

على أن الاتخاذ في بعض زمن البعد فقال ﴿ من بعده ﴾ أي بعد مفارقة موسى لكم إلى الطور كما في الآية الأخرى " فتنا قومك من بعدك " ﴿ وانتم ﴾ أي والحال أنكم ﴿ ظلمون ﴾ أي[1] لم تزعموا أنه إلهكم على جهل منكم بل [2] بعد مجيء البينات إليكم أن إلهكم إنما هو الله الذي أنقذكم من العبودية وأراكم من[3] العجائب الخوارق ما لا يقبل شكا[5] وسمعتم كلامه فعلمتم أنه ليس بجسم ولا يشبه الجسم، فلم تفعلوا ذلك إلا لأن الظلم -[4] وهو[5] المشي على غير نظام خبط عشواء -[6] وصف[6] لكم[3] لازم[7].

= أي من بعد تقررها عندكم ﴿ و ﴾ لا يبعد منكم إذ ﴿ انتم ظلمون ﴾ أي عادتكم الظلم كقولكم " سمعنا وعصينا " حين رفع عليكم الطور - انتهى (٧) في مد: قيد.

(١) ليس في ظ (٢) في م: اى (٣) ليس في مد (٤) العبارة من هنا إلى «عشواء» ليست في ظ (٥) في مد: هي (٦-٦) ليس في م (٧) في البحر المحيط ٣٠٨/١: وإنما كررت هنا لدعواهم أنهم يؤمنون بما أنزل عليهم وهم كاذبون في ذلك، ألا ترى أن اتخاذ العجل ليس في التوراة بل فيها أن يفرد الله بالعبادة، ولأن عبادة غير الله أكبر المعاصي فكرر عبادة العجل تنبيها على عظيم جرمهم، ولأن ذكر ذلك قبل أعقبه تعداد النعم بقوله " ثم عفونا عنكم " و " فلو لا فضل الله عليكم ورحمته " وهنا أعقبه التقريع والتوبيخ، ولأن في قصة الطور ذكر توليهم عما أمروا به من قبول التوراة وعدم رضاهم بأحكامها اختيارا حتى ألجئوا إلى القبول اضطرارا، فدعواهم الإيمان بما أنزل إليهم غير مقبولة، ثم في قصة الطور تذييل لم يتقدم ذكره والعرب متى أرادت التنبيه على تقبيح شيء أو تعظيمه كررته، وفي هذا التكرير أيضا من الفائدة تذكارهم بتعداد نعم الله عليهم ونقمه منهم ليزدجر الأخلاف بما حل بالأسلاف - انتهى.

... ثم ذكر أمرا آخر هو أبين فى عنادهم و أنهم إنما هم مع الهوى فقال مقبلا على خطابهم لأنه أشد فى التقريع ﴿و اذ اخذنا﴾ [1]و أظهره فى مظهر العظمة تصويرا[2] لمزيد جرأتهم[3] ﴿ميثاقكم﴾ على الإيمان و الطاعة ﴿و رفعنا فوقكم الطور﴾ الجبل العظيم الذى جعلناه زاجرا لكم عن الرضى بالإقامة فى حضيض الجهل و رافعا إلى أوج العلم و قلنا لكم و هو فوقكم ﴿خذوا ما آتينكم﴾ من الأصول و الفروع فى هذا الكتاب العظيم ﴿بقوة﴾ .

[4]و لما كانت فائدة السماع القبول و من سمع فلم يقبل كان كمن لم يسمع قال[4] ﴿و اسمعوا﴾ [5]و إلا دفناكم به ، [6]و ذلك[6] حيث يكفى غيركم فى التأديب رفع[7] الدرة[8] و السوط عليه فينبعث للتعلم[9] الذى أكثر النفوس الفاضلة تتحمل فيه المشاق الشديدة لما له[10] من الشرف و لما به من الفخار ؛

(١) العبارة من هنا إلى « جرأتهم » ليست فى ظ (٢) فى م : تصوير (٣) فى م اختصاصهم (٤-٤) ليست فى ظ (٥) قال أبو حيان فى البحر المحيط ١/٣٠٨ : ﴿و اسمعوا﴾ أى اقبلوا ما سمعتم كقوله : سمع الله لمن حمده ، أو اسمعوا متدبرين لما سمعتم ، أو اسمعوا أطيعوا لأن فائدة السماع الطاعة - قاله المفضل ، و المعنى فى هذه الأقوال الثلاثة قريب . قال الماتريدى : معنى « اسمعوا » افهموا ، و قيل : اعملوا ، و وجهه أن السمع يسمع به ثم يتخيل ثم يعقل ثم يعمل به إن كان مما يقتضى عملا ؛ و لما كان السماع مبتدأ و العمل غاية و ما بينهما وسائط صح أن يراد بعض الوسائط و صح أن يراد به الغاية - انتهى (٦-٦) ليس فى م . (٧) فى م : وقع (٨) فى ظ : الديرة - كذا (٩) فى م : المتعلم (١٠) فى ظ : لها .

و لما ضلوا بعد هذه الآية الكبرى وشيكا مع كونها مقتضية للثبات على الإيمان بعد أخذ الميثاق الذى لا ينقضه ذو مروءة فكان ضلالهم بعده [١]منبئا عن[١] أن العناد لهم طبع لازم فكانوا كأنهم عند إعطاء العهد عاصون قال [٢]مترجما عن أغلب أحوال أكثرهم فى مجموع أزمانهم و هو ما عبر عنه فى الآية السالفة بقوله "ثم توليتم" [٢] مؤذنا بالغضب عليهم بالإعراض عن خطابهم بعد إلخامهم[٣] بالمواجهة فى تقريعهم [٤]حيث ناقضوا ما قال لهم من السماع النافع لهم فأخبروا أنهم جعلوه ضارا ﴿ قالوا سمعنا[٥] ﴾ [٦]أى بآذاننا[٦] ﴿ و عصينا ﴾ [٦]أى و عملنا بضد ما سمعنا[٦]؛ و ساقه لغرابته[٧] مساق جواب سائل كأنه قال: رفع الطور فوقهم أمر هائل جدا

(١ ـ ١) فى م: مبينا على، و فى ظ: منبياء عن ـ كذا (٢ ـ ٢) العبارة من هنا إلى « ثم توليتم » ليست فى ظ، و لفظ « ثم » فقط ليس فى مد (٣) فى م فقط: اخامهم ـ كذا بالخاء المعجمة (٤) العبارة من هنا إلى « ضارا » ليست فى ظ، وفى مد « فاخبر » مكان « فاخبروا » (٥) قال أبو حيان ﴿ واسمعوا ﴾ كل ما نقول لكم لئلا يفوتكم شيء من ذلك ﴿ قالوا سمعنا و عصينا ﴾ إنما قالوا: عصينا، فى تلك الحالة لأنهم "اشربوا". وفى السراج المنير ١/٧٤: سمعنا قولك وعصينا أمرك، وقيل: سمعنا بالآذان وعصينا بالقلوب، قال أهل المعانى: إنهم لم يقولوا هذا بألسنتهم و لكن لما سمعوا بالآذان و تلقوه بالعصيان نسب ذلك إلى القول اتساعا. وفى البحر المحيط ١/٣٠٨: ظاهره أن كلتا الجملتين مقولة ونطقوا بذلك مبالغة فى التعنت والعصيان، و يؤيده قول ابن عباس: كانوا إذا نظروا إلى الجبل قالوا: سمعنا وأطعنا، وإذا نظروا إلى الكتاب قالوا: سمعنا وعصينا (٦ـ٦) ليست فى ظ.

(٧) فى مد: لغرابة.

مقتض للمبادرة إلى إعطاء العهد ظاهرا و باطنا و الثبات عليه فما فعلوا؟ فقيل: بادروا / إلى خلاف ذلك ﴿ و اشربوا ﴾ [١] فأعظم الأمر باسناد الفعل إليهم ثم إلى قلوبهم، و هو [١] من الإشراب و هو مداخلة نافذة سائغة كالشراب و هو الماء المداخل[٢] كلية الجسم للطافته و نفوذه - قاله الحرالى[٣]. [٤]و قال الكشاف: و[٥] خلط لون بلونه[٤] ﴿ فى قلوبهم العجل ﴾ أى حبه، [٦]و حذفه للايذان بشدة التمكن بحيث صار المضاف هو المضاف إليه[٦] ﴿ بكفرهم ﴾ و فيه إشارة إلى أن من أعرض عن امتثال الأمر استحق الإبعاد عن مقام الأنس.

قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى المفتاح الباب الثامن فى وجوه بيان الإقبال و الإعراض فى القرآن: اعلم أن كل مربوب يخاطب[٧] بحسب ما[٧]

(١ - ١) ليست فى ظ (٢) فى ظ: الداخل (٣) قال على المهائمى: أى تداخلهم حب العجل تداخل الشراب فى أعماق البدن فاستقر. و قال الخطيب الشربينى: قال البغوى فى القصص: إن موسى عليه السلام أمر أن يبرد العجل بالمبرد ثم يذر فى النهر و أمر بالشرب منه، فمن بقى فى قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه. قال أبو حيان الأندلسى: و الإشراب مخالطة المائع الجامد، و توسع فيه حتى صار فى اللونين، قالوا: و أشربت البياض حمرة، أى خلطتها بالحمرة؛ و معناه أنه داخلهم حب عبادته كما داخل الصبغ الثوب. و قال ابن عرفة: أشرب قلبه حب كذا، أى حل محل الشراب و مازجه - انتهى كلامه (٤) العبارة من هنا إلى « بلون » ليست فى ظ (٥) ليس فى م (٦ - ٦) ليست فى ظ. (٧ - ٧) فى ظ: بما.

فى

فى وسعه لقنه[1] و ينفى عنه ما ليس فى وسعه لقنه[1]، فلكل سن من أسنان القلوب خطاب إقبال بحسب لقنه[1]، و ربما كان له إباء عن بعض ذلك فيقع عنه الإعراض بحسب بادى ذلك الإباء، و ربما تلافته النعمة فعاد الإقبال إليه بوجه ما دون صفاء الإقبال[2] الأول، و ربما تناسقت الإقبالات مترتبة فيعلو البيان و الإفهام[3] بحسب رتبة من توجه إليه الإقبال، و يشتد الإدبار بحسب بادى الإدبار، و ربما تراجع لفف البيان فيها بعضها على بعض. فخطاب الإقبال على النبي صلى الله عليه و سلم أعظم إفهام فى القرآن "الم تر الى ربك كيف مد الظل - الآية[4]" "و هو الذى جعل لكم اليل لباسا - الآية[5]" تفاوت الخطابين بحسب تفاوت المخاطبين، "او لم ير الذين كفروا ان السموٰت و الارض كانتا رتقا ففتقنٰهما[6]" أعرض عنهما الخطاب و نفى عنهم ما ليس فى حالهم رؤيته. "خذوا ما اٰتينٰكم بقوة و اسمعوا قالوا سمعنا و عصينا و اشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم" خاطبهم و أمرهم، فلما عصوا أعرض وجه الخطاب عنهم ثم تلافاهم بخطاب لسان نبى الرحمة لهم، و استمر إعراضه هو تعالى عنهم[7] فى[8] تمادى الخطاب "يٰايها النبى اذا طلقتم النساء[9]" تنزل الخطاب فى الرتبتين ليبين[10] للأعلى[11] ما يبينه للأدنى، "ذلك[12] خير لكم[13] و اطهر[13]"؛

---

(١) فى م: لقته (٢) زيد بعده فى الأصل «و» (٣) فى ظ: الفهم (٤) سورة ٢٥ آية ٤٥ (٥) سورة ٢٥ آية ٤٧ (٦) سورة ٢١ آية ٣٠ (٧) ليس فى ظ (٨) فى مد: و (٩) سورة ٦٥ آية ١ (١٠) فى م ومد: لتبين، و فى ظ: ليتبين (١١) من ظ، وفى بقية الأصول: الأعلى (١٢) فى مد: ذلكم (١٣ - ١٣) ليس فى مد - راجع سورة القرآن ٥٨ آية ١٢.

و هذا الباب عظيم النفع فى الفهم لمن استوضح بيانه و التفافه[1] موارده فى القرآن ـ انتهى .

و الدليل الوجودى[2] على إشرابهم حب العجل مسارعتهم إلى عبادة ما يشبهه فى عدم الضر النفع و الصورة، ففى السفر الرابع من التوراة فى قصة بالاق ملك الأمورانيين الذى استنجد بلعام بن بعور ما نصه : و سكن بنو إسرائيل ساطيم و بدأ الشعب[3] أن يسفح ببنات مواب[4] و دعين[5] الشعب إلى ذبائح آلهتهم و أكل الشعب من ذبائحهم و سجدوا[6] لآلهتهم و كمل بنو إسرائيل العبادة[7] بعليون[8] الصنم و اشتد غضب الله على بنى إسرائيل - انتهى .

و لما بين سبحانه عظيم كفرهم و عنادهم مع وقاحتهم بادعاء[9] الإيمان و الاختصاص بالجنان أمر نبيه صلى الله عليه و سلم أن يقول لهم على وجه التهكم[10] بهم[11] [12] مؤكدا لذمهم[13] بالتعبير بما وضع لمجامع الذم[14] فقال[15]

(١) فى ظ : التفاق ـ كذا (٢) فى مد : الموحود (٣) وقع فى ظ : العشب ـ مصحفا. (٤) فى مد : موات . و فى الأصل : مؤاب ـ كذا (٥) ـ كذا فى الأصول كلها، والظاهر : دعون (٦) من ظ ، و فى الأصل و م : سجد ، و ليس فى مد (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لعبادة (٨) فى ظ : بعيلون (٩) فى م : بادعائهم . (١٠) فى الأصل : الهتكم ، و التصحيح من بقية الأصول (١١) ليس فى مد . (١٢) العبارة من هنا إلى « الذم » ليست فى ظ (١٣) من م ، و فى الأصل و مد : لزمهم ـ كذا بالزاى (١٤) فى مد : المذام (١٥) ليس فى مد .

﴿ قل بئسما[1] ﴾ [2]أي بئس شيئا الشيء الذي[2] ﴿ يأمركم به ﴾ من الكفر ﴿ ايمانكم ﴾ هذا الذي ادعيتموه؛ و أوضح هذا التهكم[3] بقوله على سبيل الفرض [1] و التشكيك[1] ﴿ ان كنتم مؤمنين * ﴾ على ما زعمتم ، فحصل من هذا أنهم إما كاذبون في دعواهم ، و إما أنهم أجهل الجهلة حيث عملوا ما لا يجامعه الإيمان و هم لا يعلمون .

---

(١) و في التفسير المظهري ص ٩٧ : و المخصوص محذوف يعني هذا الأمر أو ما تفعلون من القبائح الظاهرة القباحة المذكورة في الآيات الثلاث ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ تقرير للقدح في دعواهم ، و الجواب محذوف يدل عليه ما قبله تقديره : إن كنتم مؤمنين بالتوراة فبئسما يأمركم به إيمانكم بها هذا الأمر ، لأن المؤمن لا يتعاطى إلا ما يقتضيه إيمانه لكن الإيمان لا يأمر به فلستم بمؤمنين بها ، أو إن كنتم مؤمنين بالتوراة ما فعلتم تلك القبائح لكنكم فعلتم فلستم مؤمنين . قال أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط ١/٣٠٩ : ﴿ قل ﴾ يا محمد أو قل يا من يجادلهم ﴿ بئسما يامركم به ايمانكم ﴾ ، عني بإيمانهم الذي زعموا في قولهم " نؤمن بما انزل " و قيل ثم محذوف تقديره : صاحب إيمانكم و هو إبليس ، و أضاف الإيمان إليهم لكونه إيمانا غير صحيح و لذلك لم يقل : الإيمان ، و أضاف الأمر إلى إيمانهم على طريق التهكم ، كما قال أصحاب شعيب " اصلوٰتك تامرك ان نترك " ، ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ قيل : إن نافية ، و قيل : شرطية ، قال الزمخشري : تشكيك في إيمانهم و قدح في صحة دعواهم - انتهى كلامه . وقال ابن عطية : وقد يأتي الشرط و الشارط يعلم أن الأمر على أحد الجهتين كما قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام " ان كنت قلته فقد علمته " و قد علم عيسى عليه السلام أنه لم يقله ، و كذلك " ان كنتم مؤمنين " و القائل يعلم أنهم غير مؤمنين ، لكنه أقام حجة لقياس بين - انتهى كلامه (٢ - ٢) ليست في ظ (٣) في الأصل : المتكم ، و التصحيح من بقية الأصول .

- ولما نهضت الأدلة على أنه[1] لا حظ لهم فى الآخرة غير النار و ذلك نقيض دعواهم أنها[1] لهم فقط فى قولهم "لن تمسنا النار الا اياما معدودة[2]" و[3] تفسيرهم ذلك بأنها سبعة أيام و أنا نخلفهم[4] فيها ختم سبحانه ذلك بدليل قطعى بديهى فقال[3] ﴿قل ان كانت[5]﴾ [6]و قدم الجار إشعارا بالاختصاص فقال[7] ﴿لكم الدار الأخرة﴾ أى كما زعمتم، و ميزها[8] بقوله ﴿عندالله﴾ [9]الذى له الكمال كله[9]، و بين المراد بقوله ﴿خالصة﴾ [9]ولما ذكر الخلوص تأكيدا للعنى زاده تأكيدا بقوله[9] ﴿من دون الناس﴾ أى سائرهم لا يشرككم فيها أحد منهم من الخلوص و هو تصفية الشيء مما يمازجه فى خلقته مما هو دونه - قاله الحرالى . ﴿فتمنوا الموت﴾ لأن ذلك علم على[7] صلاح حال العبد مع ربه و عمارة ما بينه و بينه و رجائه للقائه . قال الحرالى : فعلى قدر[10] نفرة النفس من الموت يكون ضعف منال النفس من المعرفة التى بها تأنس بربها فتتمنى لقاءه و تحبه، و من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، و من كره لقاء الله كره الله لقاءه، يقع ذلك لعامة المؤمنين عند

---

(١) فى ظ : انهم (٢) سورة ٢ آية ٨٠ (٣) ليس فى ظ (٤) فى م : نخلفهم - كذا.
(٥) و فى البحر المحيط ١ / ٣١٠ ما نصه : نزلت فيما حكاه ابن الجوزى عند ما قالت اليهود : إن الله لم يخلق الجنة إلا لإسرائيل و بنيه . و قال أبو العالية و الربيع : سبب نزول هاتين الآيتين قولهم " لن يدخل الجنة الا من كان هودا " و" نحن ابنؤا الله " و" لن تمسنا النار - الآيات "؛ و الضمير فى " قل " إما للنبي و إما لمن ينبغى إقامة الحجة عليهم منه و من غيره (٦) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (٧) ليس فى م (٨) فى م : بينها (٩ - ٩) ليست فى ظ .
(١٠) فى م : قدرة .

الكشف حال الغرغرة، و لخاصة[1] المؤمنين فى مهل الحياة لأنهم لو كشف لهم الغطاء لم يزدادوا يقينا، فما هو للمؤمن بعد الكشف من محبة لقاء الله فهو للموقن[2] فى حياته و يقظته، لكمال الكشف له مع وجود حجاب[3] الملك الظاهر[4]؛ و لذلك ما مات نبي حتى يخير[5] فيختار لقاء الله، لتكون وفادته على الله وفادة محب مبادر، و لتقاصر[6] المؤمن عن يقين النبي يتولى[7] الله الخيرة[8] فى لقائه، لأنه وليه، و منه [9]ما ورد: ما ترددت[9] فى شيء ترددي فى [10]قبض روح[10] عبدى المؤمن يكره الموت، و أنا أكره مساءته و لا بد له منه؛ ففى ضمن ذلك اختيار الله للمؤمن لقاءه، لأنه وليه يختار له فيما لا يصل إليه إدراكه - انتهى[11].

---

(١) فى ظ: لخاصة - كذا (٢) فى مد: للمؤمن (٣) فى مد: حجاب - كذا (٤) فى مد: الظاهرى (٥) فى م: يخبر، و فى مد: خير (٦) فى مد: لقاصر (٧) فى ظ: تولى (٨) فى مد: الخبرة (٩-٩) فى م: ما تردد ما وردت (١٠-١٠) من م و ظ و مد: و فى الأصل: روح قبض - كذا (١١) قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١/٣١١: و المقصود من ذلك التحدى و إظهار كذبهم، و ذلك أن من أيقن أنه من أهل الجنة اختار أن ينتقل إليها و أن يخلص من المقام فى دار الأكدار و أن يصل إلى دار القرار، كما روى عمن شهد له رسول الله صلى الله عليه و سلم بالجنة كعثمان و على و عمار و حذيفة أنهم كانوا يختارون الموت، و كذلك الصحابة كانت تختار الشهادة؛ و فى الحديث الصحيح أنه قال صلى الله عليه و سلم: ليتنى أحيا ثم أقتل ثم أحيا فأقتل! لما علم من فضل الشهادة، و قال لما بلغه قتل من قتل ببئر معونة: يا ليتنى غودرت معهم فى لحف الجبل! و روى عن حذيفة أنه كان يتمنى الموت، فلما احتضر قال: حبيب جاء على =

. ثم جهل[١] سبحانه عليهم[١] بالكذب فقال ﴿ ان كنتم صٰدقين ﴾ أى[٢] معتقدين/ الصدق[٢] فى دعواكم خلوصها[٣] لكم، و لما كان التقدير: فقال لهم فما تمنوه؟ عطف عليه قوله -[٤] إخبارا بالغيب[٥] قطعا[٦] للعناد مؤكدا لأن ادعاءهم الخلوص أعظم من ادعائهم الولاية كما فى سورة الجمعة: ﴿ و لن يتمنوه ابدا ﴾ ،ثم ذكر السبب فى عدم التمنى فقال ﴿ بما قدمت ﴾ و هو[٧] من التقدمة[٨] و هى[٩] وضع الشيء قداما و هو جهة[١٠] القدم الذى هو الأمم[١١] و التجاه أى قبالة الوجه - قاله الحرالى[١٢] . [١٣]و عبر باليد التى بها أكثر الأفعال إشارة إلى أن أفعالهم لقباحتها كأنها خالية عن القصد فقال[١٣]:

= فاقة! و عن عمار لما كان صفين قال:

غدا نلقى الأحبه   محمدا و صحبه

و عن على أنه كان يطوف بين الصفين بغلالة فقال له ابنه الحسن: ما هذا بزى المحاربين، فقال: يا بنى! لا يبالى أبوك أ على الموت سقط أم عليه سقط الموت؛ و كان عبد الله بن رواحة ينشد وهو يقاتل الروم:

يا حبذا الجنة و اقترابها   طيبة و بارد شرابها

و الروم روم قد دنا عذابها

(١-١) فى مد: عليهم سبحانه (٢-٢) ليست فى ظ: و فى الأصل: معقدين - كذا، و التصحيح من م و مد (٣) كتب فوقه فى الأصل: أى الدار الآخرة (٤-٤) العبارة من هنا إلى «للعناد» ليست فى ظ ومد (٥) فى م: للغيب و (٦) ليس فى مد (٧) فى ظ: هى (٨) فى ظ: القدمة - كذا (٩) فى م: هو (١٠) فى مد: وجهة (١١) من م و ظ ومد، و وقع فى الأصل: الأهم - مصحفا (١٢) قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١/١١٣: هذا من المعجزات، لأنه إخبار بالغيب، و نظيره =

﴿ ايديهم ﴾ أى من الظلم و إلى ذلك أشار قوله [١] عاطفا على ما تقديره: فالله عليم بذلك؟ ﴿ و الله ﴾ [١] الذى لا كفوء له [١] ﴿ عليم بالظلمين ﴾ [١] أى كلهم [١] حيث أظهر تنبيها على الوصف الموجب للحكم و تعميما و تهديدا.

و لما بين أنهم لا يتمنونه أثبت لهم ما هو فوق ذلك من تمنى الضد الدال على علمهم بسوء منقلبهم فقال ﴿ و لتجدنهم ﴾ أى بما تعلم [٢] من ٥ أحوالهم [٣] بما منه الوجدان، و هو إحساس الباطن بما [٤] هو فيه و الإصابة أيضا لما له [٥] علاقة الباطن، كأنه فيه ﴿ [٦] احرص ﴾ صيغة [٦] مبالغة من الحرص،

= من الإخبار بالغيب قوله " فان لم تفعلوا و لن تفعلوا " وظاهره أن من ادعى أن الجنة خالصة له دون الناس ممن اندرج تحت الخطاب فى قوله " قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة " لا يمكن أن يتمنى الموت أبدا، و لذلك كان حرف النفى هنا « لن » الذى قد ادعى فيه أنه يقتضى النفى على التأبيد فيكون قوله « ابدا» على زعم من ادعى ذلك التوكيد، و أما من ادعى انه بمعنى لا فيكون « ابدا » إذ ذاك مفيدا لاستغراق الزمان، ويعنى بالأبد هنا ما يستقبل من زمان أعمارهم. و فى المنتخب ما نصه: و إنما قال هنا " و لن يتمنوه " وفى الجمعة " ولا يتمنونه " لأن دعواهم هنا أعظم من دعواهم هناك. لأن السعادة القصوى فوق مرتبة الولاية، لأن الثانية تراد لحصول الأولى، و" لن " أبلغ من " لا " فجعلها لنفى الأعظم - انتهى كلامه. قال ابن عطية: والصحيح أن هذه النازلة من موت من تمنى الموت إنما كانت أياما كثيرة عند نزول الآية و هى بمنزلة دعائه النصارى من أهل نجران إلى المباهلة - انتهى كلامه (١٣ - ١٣) ليست فى ظ (١-١) ليست فى مد و ظ (٢) فى مد: يعلم (٣) فى م: حالهم (٤) فى مد: مما (٥) فى م: هو. (٦-٦) ليس فى مد. و كلمة « احرص » ثبتت فيه بعد « الحرالى »

و جوعلبه الاستغراق فيما يختص فيه الحظ ـ قاله الحرالي[1] . ﴿ الناس على حيوة ﴾ على أى حالة كانت و هم قاطعون بأنه لا يخلو يوم منهما عن كدر ، فانهم يعلمون أنها و إن كانت فى غاية الكدر خير لهم مما بعد الموت ﴿ [2]و من[2] ﴾ أى و أحرص من ﴿ الذين اشركوا ﴾ الذين لا بعث عندهم[3] على الحياة علما منهم[4] بأنهم صائرون[5] إلى العذاب الدائم بالسيئات المحيطة و الشرك . قال الحرالي : إسناد[6] الأمر المختص بواحد إلى من ليس له[7] معه أمر ـ انتهى .

ثم بين مقدار ما يتمنونه[8] فقال ﴿ يود ﴾ من الود و هو صحة نزوع النفس للشيء المستحق نزوعها له ـ قاله الحرالي . ﴿ احدهم ﴾ أى أحد من تقدم من اليهود و المشركين بجميع أصنافهم ، أو من اليهود خاصة ، أو من المشركين [9]فتكون ودادة[9] اليهود من باب الأولى . قال الحرالي : و هو نحو من خطاب القرآن لا يصل إليه ابلاغ الخلق ﴿ لو يعمر ﴾ من التعمير و هو تمادى العمر كأنه تكرار ، و العمر أمد ما بين بدو[10] الشيء

(١) فى البحر المحيط : و الضمير المنصوب فى ﴿ لتجدنهم ﴾ عائد على اليهود الذين أخبر عنهم بأنهم لا يتمنون الموت ، أو على جميع اليهود ، أو على علماء بنى إسرائيل ـ أقوال ثلاثة ؛ و أتى بصيغة أفعل من الحرص مبالغة فى شدة طلبهم للبقاء و دوام الحياة (٢ ـ ٢) ليس فى مد (٣) زيد فى ظ : علما (٤) ليس فى مد (٥) فى ظ : صابرون ـ كذا (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : استناد (٧) ليس فى م (٨) فى ظ : يتمنون ، و فى مد : يتمونه ـ كذا (٩ ـ ٩) فى مد : فيكون ود (١٠) فى مد : بد .

و انقطاعه

و انقطاعه — قاله الحرالى . ﴿ الف سنة ﴾ خوفا من الموت أو[1] ما بعده ، و الألف كمال العدد بكمال ثالثة رتبة ؛ و السنة أمد تمام دورة الشمس و تمام ثنتى عشرة دورة القمر — قاله الحرالى[2] . و هذا المعنى و إن كان موجودا فى الحول و العام و الحجة غير أن مأخذ الاشتقاق ملاحظ فى الجملة ، فلبلاغة[3] القرآن لا يطلق واحد من هذه الألفاظ إلا فيما يناسب السياق من أصل اشتقاق هذه الألفاظ ، فهذا السياق لما[4] كان المراد به ذمهم بتهالكهم على بقائهم فى الدنيا على أى حالة كانت علما منهم بأنها و لو[5] كانت أسوأ الأحوال خير لهم مما بعد الموت لتحقق شقائهم عبر بما منه الإسنات[6] و هو القحط و سوء الزمان ، أو[7] ما منه الدوران الذى فيه[8] كد و تعب[9] إن كان أصلها من سنا يسنو إذا دار حول البئر . قال السهيلى فى الروض : و قد تسمى السنة دارا فى الخبر : إن بين آدم و نوح ألف دار - أى سنة ، ثم قال : فتأمل هذا فان العلم بتنزيل الكلام و وضع الألفاظ فى مواضعها اللائقة بها يفتح بابا من العلم باعجاز القرآن و الله المستعان . ﴿ و ما هو ﴾ [10] أى تعميره[10] ﴿ بمزحزحه ﴾ و الزحزحة إبعاد الشىء المستثقل[11] المترامى لما يبعد عنه — قاله الحرالى . ﴿ من العذاب ﴾

(١) فى م : و (٢) وقال أبو حيان الأندلسى: الألف عشر من المئين، وقد يتجاوز فيه فيدل على الشىء الكثير ، وهو من الألفة إذ هو مألف أنواع الأعداد ، إذ العشرات مألف الآحاد ، و المئون مألف العشرات . و الألف مألف المئين — انتهى كلامه (٣) فى مد: بلاغة (٤) فى م : كما (٥) فى مد: ان (٦) فى ظ: الاستناب — حطأ (٧) فى م : و (٨) فى مد : له (٩) زيد فى الأصل و م و ظ « و » ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (١٠ — ١٠) ليست فى ظ و مد (١١) فى م : المستنقل .

١أى ٢زحزحة مبتدأة٢ من٣ العذاب ، وعبر بمن دون عن إعلاما ٤بأنهم لم يفارقوا العذاب دنيا و لا آخرة٥ و إن لم يحسوا به فى الدنيا٤، ثم فسر الضمير بقوله ﴿ ان يعمر ﴾ إنما تزحزحه الطاعة المقرونة بالإيمان الصحيح الذى ليس فيه٦ تفرقة . و لما كان التقدير: لأنهم يعملون فى
٥ أعمارهم الأعمال السيئة المحيطة ، عطف عليه قوله ﴿ و الله ﴾ ٧الذى له الأمر كله٧ ﴿ بصير بما يعملون٨ ﴾٩ .

و لما ذكر عداوتهم لأخص البشر و اجتراءهم عليه١٠ بالتكذيب

---

(١) العبارة من هنا إلى « اعلاما » ليست فى ظ و مد (٢ – ٢) فى م: زحزحه مبتديه (٣) زيد فى م: بذلك (٤) العبارة من هنا إلى «فى الدنيا » ليست فى ظ. (٥) فى م : اخرى (٦) ليس فى ظ (٧–٧) ليست فى ظ (٨) وهذه الجملة تتضمن التهديد و الوعيد . و أتى هنا بصفة بصير و إن كان الله تعالى متنزها عن الجارحة إعلاما بأن علمه بجميع الأعمال علم إحاطه و إدراك للخفيات – قاله أبو حيان الأندلسى (٩) وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة الامتنان على بنى إسرائيل وتذكارهم بنعم الله إذ آتى موسى التوراة المشتملة على الهدى و النور و والى بعده بالرسل لتجديد دين الله و شرائعه و آتى عيسى الأمور الخارقة من إحياء الأموات و إبراء الأكمه و الأبرص و إيجاد المخلوق و نفخ الروح فيه و الإنباء بالمغيبات وغير ذلك . وأيده بمن ينزل الوحى على يديه و هو جبريل عليه السلام ، ثم مع هذه المعجزات و النعم كانوا أبعد الناس عن قبول ما يأتيهم من عند الله – البحر المحيط (١٠) فى مد: عليهم .

و القتل ، و ختم ذلك بعداوتهم لأكمل الخلق و أخصهم[١] حسدا لنزول هذا الذكر عليه عبارة ثم إشارة[٢] بما رمزه[٣] إلى نصبهم لقتله و أنهى ذلك بأنه لا محيص لهم من العذاب ، لأنه بصير بأعمالهم الموجبة له ذكر ما هو من دقيق أعمالهم من عراقتهم[٤] فى الكفر بعداوتهم لخواص الملائكة الذين هم خير محض لا حامل أصلا على بغضهم إلا الكفر ، و بدئ[٥] بذكر المنزل للقرآن ، لأن عداوتهم للمنزل عليه لأجل ما نزل عليه عداوة لمنزله ، لأنه سبب ما كانت العداوة لأجله ، فقال آمرا له صلى الله عليه و سلم إعلاما بما أبصره من خفى مكرهم القاضى بضرهم[٦]: ﴿قل﴾ ؛[٧] أو يقال - و هو أحسن و أبين و أمتن : و لما أمره صلى الله عليه و سلم بما دل على كذبهم فى ادعائهم خلوص الآخرة لهم و أخبر بأنه [٨]لا بد من[٨] عذابهم أمره[٩] بدليل آخر على كلا الأمرين ، فعلى تقدير كونه دليلا على الأول يكون[١٠] منسوقا على "قل" الأولى بغير عاطف إشعار بأن كلا من الدليلين كاف[١١] فيما سيق له ، و على تقدير كونه دليلا على الثانى [١٢]الذى خصه[١٢] يكون جوابا لمن كأنه قال : لم لا يزحزحهم التعمير عن العذاب[١٣] ؟ "قل"

(١) فى ظ : احضهم - كذا (٢) فى م : اشار (٣) فى م : زمزه (٤) فى م : عزاقتهم.
(٥) و فى : مد بدا (٦) فى م : بصرهم - كذا (٧) فى م : و (٨-٨) فى م : لا يومن.
(٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ابصره (١٠) فى الأصل : نكون (١١) فى م : كان (١٢ - ١٢) ليس فى م و ظ و مد (١٣) و فى البحر المحيط ١/٣١٧ : تم ختم الآيات بأن الله تعالى مطلع على قبائح أفعالهم و مجازيهم عليها . و تبين بمجموع هذه الآيات ما جبل عليه اليهود من فرط كذبهم و تناقض أفعالهم و أقوالهم و نقص عقولهم و كثرة بهتهم - أعاذنا الله من ذلك و سلك بنا أنهج المسالك .

أى لهؤلاء الذين ادعوا أن دار الملك خالصة[1] لهم[2] و هم يعادون خواص جنده[3] ﴿من﴾ [4]وهى اسم مبهم يشمل الذوات العاقلة آحادا و جموعا و استغراقا - قاله الحرالى[4]. ﴿كان عدوا لجبريل﴾ أى فانه لا يضر إلا نفسه، لأنه لا يبلغ ضره بوجه من الوجوه و لعداوته له لله [5]الذى خصه بقربه و اختياره لرسالته[5]، فكفر حينئذ هذا المعادى له[6] بجميع كتب الله و رسله؛ و جبريل قال الحرالى / [7]يقال هو[7] اسم عبودية، لأن إيل اسم من أسماء الله عز و جل فى الملأ الأعلى و هو يد بسط لروح[8] الله فى القلوب بما يحييها الله به من روح أمره إرجاعا إليه فى هذه الدار قبل إرجاع روح الحياة بيد القبض من عزرائيل[9] عليه السلام - انتهى.

ثم علل هذا الخبر المحذوف بما أرشد إليه فقال: ﴿فانه﴾ أى جبريل ﴿نزله﴾ أى القرآن [5]الذى كفروا به، لحسدهم للذى أنزل عليه بعد ما كانوا يستفتحون به[5]. الآتى بما ينفعهم، الداعى إلى ما يصلحهم

(١) فى ظ: خالص (٢) من مد و ظ، وفى الأصل: له (٣) زيد فى الأصل: ما تكلمت به من مولى العظيم، ولم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها. (٤ - ٤) ليست فى م و مد (٥ - ٥) ليست فى ظ (٦) زيد فى ظ: أى حين معاداته له، لأن من عادى رسولا أو صادقا فقد عاداهم كلهم كما تقرر، يدل على ذلك ما سيأتى من قوله «... قوم نوح المرسلين»، «عاد المرسلين» إلى غير ذلك بل عليهم (٧ - ٧) فى م: هم (٨) زيد فى م: الروح - كذا (٩) فى ظ: عزائيل.

فيرفعهم

فيرفعهم . [1] و لما كان المراد تحقيق أنه كلام الله [2] و أنه [3] أمر بابلاغه جمع بين "قل" و بين ﴿ على [3] قلبك ﴾ أي [4] و هو أكمل القلوب ، [5] دون أن يقال: على قلبي - المطابق لقل ؛ و أداة الاستعلاء [6] دالة على أن المنزل تمكن فى القلب فصارت مجامعه مغمورة [7] به ، فكان مظهرا له ﴿ باذن الله ﴾ الملك الأعظم الذى له الأمر كله ، فليس لأحد إنكار ما أذن فيه ، و النازل به [8] لم يتعد شيئا مما أمر به [8] ؛ و الإذن رفع المنع و [9] إيتاء المكنة كونا و خلقا ما لم يمنعه حكم تصريف - قاله الحرالى . ﴿ مصدقا لما [10] بين يديه ﴾ من كتب الله التى [11] أعظمها كتابهم ، فكانوا أحق الناس بالإيمان به ، و كان جبريل عليه السلام أحق الملائكة بمحبتهم له

---

(١) العبارة من هنا إلى « و بين » ليست فى ظ (٢ - ٢) ليس فى م (٣) ليست فى مد (٤) ليس فى ظ (٥) العبارة من هنا إلى « مظهرا له » ليست فى ظ .

(٦) أتى بلفظ "على" لأن القرآن مستعل على القلب ، إذ القلب سامع له و مطيع يمتثل ما أمر به و يجتنب ما نهى عنه ، و كانت أبلغ من إلى ، لأن إلى تدل على الانتهاء فقط و على تدل على الاستعلاء ، و ما استعلى على الشيء يضمن الانتهاء إليه ؛ و خص القلب و لم يأت : عليك ، لأن القلب هو محل العقل و العلم و تلقى الواردات ، أو لأنه صحيفته التى يرقم فيها و خزانته التى يحفظ فيها . أو لأنه سلطان الجسد - قاله أبو حيان الأندلسي فى البحر المحيط ١/٣٢٠ (٧) فى م و مد : معمورة .

(٨ - ٨) قدمها فى ظ على « الملك الأعظم » ، و فى الأصل : لم يتعدا - كذا ، و التصحيح من م و ظ و مد (٩) فى مد : او (١٠) زيد فى م : أى ما تكلمت به من قولى العظيم (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الذى - كذا .

لإنزاله، وكان كفرهم به كفرا بما عندهم، ١ فلا وجه لعداوتهم له١ ؛ والبين حد فاصل فى حس أو معنى - قاله الحرالى. ﴿ وهدى ﴾ إلى كل خير، ١ لأنه بيان ما وقع التكليف به من أفعال القلوب والجوارح١ ﴿ وبشرى ﴾ ١ أى ببيان الثواب١ ﴿ للمؤمنين ٥ ﴾٢ أى الذين لهم الإيمان وصف لازم، فلا يفرقون٣ بين كتب الله ولا بين رسله، بل حيثما قادهم الحق انقادوا؛ فلا يدخل فى ذلك الذين آمنوا بألسنتهم "فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ٤" ولا من علم الله منه ذلك ولو كان قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم - الله أعلم بما كانوا عاملين؛ فلو أنهم مؤمنون لما عادوا من نزل به بشرى لهم ولكنهم كفرة فهم فى العذاب، والآخرة ليست لهم ١ بل عليهم ١.

ولما كانت عداوة واحد من الحزب لكونه من ذلك الحزب عداوة لجميع ذلك الحزب تلاه بقوله ﴿ من كان عدوا لله ﴾٥ ١ذى الجلال والإكرام١ لعداوته واحدا من أوليائه لكونه من أوليائه ﴿ وملئكته ﴾

(١-١) ليست فى ظ (٢) خص الهدى والبشرى للمؤمنين لأن غير المؤمنين لا يكون لهم هدى به ولا بشرى كما قال " وهو عليهم عمى " ولأن المؤمنين هم المبشرون " فبشر عبادى "، " يبشرهم ربهم برحمة منه " ودلت هذه الآية على تعظيم جبرئيل والتنويه بقدره حيث جعل الواسطة بينه تعالى وبين أشرف خلقه والمنزل بالكتاب الجامع للأوصاف المذكورة، ودلت على ذم اليهود حيث أبغضوا من كان بهذه المنزلة الرفيعة عند الله تعالى - قاله أبو حيان الأندلسى. (٣) فى مد: فلا يفرقوا (٤) سورة ٢ آية ٨٩ (٥) زيد فى مد: اى.

[1] النازلين بأمره [1] ﴿و رسله﴾ من البشر و غيرهم [1] ، [1] و خص من بينهم بالذكر من حباه بالفضل فقال[1] : ﴿و جبريل [2] و ميكٰل﴾ ، فانه قد كفر فأهلك نفسه بكفره ، و على ذلك دل قوله ﴿فان الله﴾ [1] الملك الأعلى [1] ﴿عدو للكٰفرين ه﴾ [1] حيث أظهر و لم يضمر [1] ، و عبر بالوصف اللازم صرفا للخطاب عمن يتعظ منهم فيرجع فلا تلحقه المعاداة لذلك؛ و ميكال يقال هو اسم عبودية أيضا و هو يد بسط للأرزاق[3] المقيمة للأجسام كما أن إسرافيل يد بسط للأرواح التى بها الحياة - قاله الحرالى .

و لما فرغ من ترغيبهم فى القرآن بأنه من عند الله و أنه مصدق لكتابهم و فى جبريل بأنه الآتى به باذن الله و من ترهيبهم من عداوته اتبعه مدح هذا القرآن و أنه واضح الأمر لمريد[4] الحق و أن كفر به منهم أو من غيرهم فاسق أى خارج عما يعرف من الحق فانه بحيث لا يخفى على أحد[5] فقال تعالى - عطفا على قوله : "فانه نزله على قلبك باذن الله" ، أو[6] قوله : "و لقد جاءكم موسى بالبينٰت" ، أو على ما تقديره : فلقد بان بهذا الذى نزله جبريل عليه السلام أن الآخرة ليست خالصة لهم [7] و أنهم[7]

(١ - ١) ليست فى ظ (٢) جبريل اسم ملك علم له . . . و أبعد من ذهب إلى أنه مشتق من جبروت الله ، و من ذهب إلى أنه مركب تركيب الإضافة و معنى جبر عبد و إيل اسم من أسماء الله ، لأن الأعجمى لا يدخله الاشتقاق العربى ، و لأنه لو كان مركبا تركيب الإضافة لكان مصروفا - قاله أبو حيان الأندلسى؛ و فيه مزيد تحقيق فليراجع ثمه (٣) فى مد : الارزاق (٤) فى مد نقط : لمزيد - كذا (٥) ليس فى م (٦) فى ظ : و (٧-٧) ليس فى ظ .

بين أحاطت به خطيئته لكفره - : ﴿ و لقد انزلنا ﴾١ بعظمتنا فى ذلك و غيره ﴿ اليك ﴾ و أنت أعظم الخلق ﴿ اٰيٰت بيّنٰت ﴾ فى الدلالة على صدقك و صحة أمرك ، ٢و البينة الدلالة الفاصلة بين القصة٣ الصادقة و الكاذبة ، فسقوا بكفرهم بها ﴿ و ما يكفر بها ﴾ منهم و من غيرهم
٥ ﴿ الا الفٰسقون ۞ ﴾ الذين الفسق ٤ لهم صفة٤ لازمة ، ٥و عن الحسن أن الفسق إذا استعمل فى نوع من المعاصى وقع على أعظمه من كفر و غيره٦ ،

(١) سبب نزولها فيما ذكر الطبرانى أن ابن صوريا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : ما جئت بآية بينة فنزلت ، وقال الزمخشرى : قال : ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها ، فنزلت - انتهى . و مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة لأنه لما ذكر تعالى جملا من قبائح اليهود و ذمهم على ذلك و كان فيما ذكر من ذلك معاداتهم لجبريل فناسب ذلك إنكارهم لما نزل به جبريل فأخبر الله تعالى بأن الرسول عليه السلام أنزل عليه آيات بينات و أنه لا يجحد نزولها إلا كل فاسق و ذلك لوضوحها - قاله أبو حيان فى البحر المحيط ١/ ٣٧٣ (٢) العبارة من هنا إلى « و الكاذبة » ليست فى ظ (٣) فى م : القضية (٤-٤) فى م و مد : صفة لهم . (٥) العبارة من هنا إلى « وغيره » ليست فى ظ (٦) قال أبو حيان الأندلسى ما نصه : و ناسب قوله ﴿ بيّنٰت ﴾ لفظ الكفر وهو التغطية ، لأن البين لا يقع فيه إلباس ، فعدم الإيمان به ليس لشبهة لأنه بين ، و إنما هو تغطية و ستر لما هو واضح بين ، و ستر الواضح لا يقع إلا من متمرد فى فسقه . . . . و كنى بالفسق هنا عن الكفر لأن الفسق خروج الإنسان عما حد له و قد تقدم قول الحسن أنه يدل على أعظم ما يطلق عليه فكأنه قيل : و ما يكفر بها إلا المبالغ فى كفره المنتهى فيه إلى أقصى غاية - انتهى كلامه .

و فى

و فى ذلك رجوع إلى وصف الكتاب الذى هو مقصود السورة .

و لما أنكر عليهم أولا ردهم للرسل لامرهم[١] بمخالفة الهوى فى قوله "أفكلما جاءكم رسول" و اتبعه بما يلائمه إلى أن ختم بأن آيات هذا الرسول من الأمر البين الذى يشهد[٢] بكتابهم و قد أخذ عليهم العهد باتباعه كما أرشد إليه قوله تعالى "فاما ياتينكم منى هدى - الآية" أنكر عليهم ثانيا كفرهم بما أتى به الرسل بقوله ﴿[٣]أو كلما عٰهدوا عهدا نبذه﴾ أى طرحه محتقرا له ﴿فريق منهم﴾ أى ناس[٤] شأنهم السعى فى الفرقة .

و لما كان هذا مترددا بين التقليل و التكثير لتردد[٥] التنوين بين التعظيم و التحقير رد احتمال التقليل[٦] بقوله ﴿بل﴾ أى و ليس الفريق الكافر بالنبذ أقلهم بل ﴿اكثرهم لا يؤمنون ﴾ حالا و لا مآلا .

ثم اتبع هذا الإنكار ذكر الكتاب و الرسول كما فعل فى الإنكار الأول غير أنه صرح هنا بما طواه هناك فقال ﴿و لما جاءهم رسول﴾ أى عظيم محيطة[٨] دعوته بما أشعر به الاسم[٨] الأعظم فى قوله ﴿من عند الله﴾ أى الملك الذى له[٧] جميع الملك و الأمر ﴿مصدق لما معهم﴾ لكونه

---

(١) فى مد: امرهم (٢) فى م و مد: شهد (٣) و المراد بهذا الاستفهام الإنكار و إعظام ما يقدمون عليه من تكرر عهودهم و نقضها، فصار ذلك عادة لهم و سجية فينبغى أن لا يكترث بأمرهم و أن لا يصعب ذلك، فهى تسلية للرسول صلى الله عليه و سلم إذ كفروا بما أنزل عليه، لأن ما كان ديدنا للشخص و خلقا لا ينبغى أن يحتفل بأمره - قاله أبو حيان (٤) فى مد : من (٥) زيد فى م و ظ : اى (٦) وقع فى م و مد : التعليل - مصحفا (٧) ليس فى م (٨) ليس فى مد .

أى بكتاب محقق أنه من عند الله لإعجاز نظمه و تصديق معناه لكتابهم ﴿ نبذ ﴾ أى رمى رمى استخفاف ﴿ فريق من الذين اوتو الكتٰب ﴾ الأول ﴿ كتٰب الله ﴾ [١] الملك الأعلى [١] الذى أخذ عليهم فيه الميثاق على لسان نبيهم باتباع النبى الأمى أسوأ النبذ بجحله [٢] لاستخفافهم به [٢] ﴿ وراء ظهورهم ﴾ [٣] بتركهم للعمل به و إن حلوه بالذهب و وضعوه على الكراسى [٤] بين أيديهم [٤] . و أشعر بعنادهم بقوله ﴿ كأنهم لا يعلمون ﴾ [٥] و لما كانت سنة الله جارية بأنه ما أمات أحد سنة إلا زاد فى خذلانه بأن أحيي على يده بدعة أعقبهم نبذهم لكلام الله / أولى الأولياء إقبالهم على كلام الشياطين الذين هم أعدى الأعداء فقال تعالى ﴿ و اتبعوا ما تتلوا ﴾ أى [٦] تقرأ أو تتبع [٦] ، [٧] و عبر بالمضارع إشارة إلى [٨] كثرته و فشوه [٨]

(١ — ١) ليس فى ظ (٢ — ٢) ليس فى ظ ، وفى م : لاستحقاقهم (٣) العبارة من هنا إلى « ايديهم » ليست فى ظ (٤ — ٤) ليس فى مد (٥) قال أبو حيان : و متعلق العلم محذوف أى كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك لثبوت ذلك عندهم و تحققه ، و إنما نبذوه على سبيل المكابرة و العناد ، و قال الشعبي : هو بين أيديهم يقروءنه ولكنهم نبذوا العمل به ، وعن سفيان : أدرجوه فى الديباج و الحرير و حلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله و لم يحرموا حرامه ـ انتهى كلامه . . . . وقال الماوردى : كأنهم لا يعلمون ما أمروا به من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل معناه : كأنهم لا يعلمون أنه نبى صادق ، و قيل معناه : كأنهم لا يعلمون أن القرآن والتوراة و الإنجيل كتب الله و أن كل واحد منها حق و العمل به واجب ـ انتهى كلامه (٦—٦) فى مد : يقرأ و يتبع (٧—٧) العبارة من هنا إلى « استمراره » ليست فى ظ (٨ — ٨) فى مد : كدته و تسوة ـ كذا .

و استمراره ﴿ الشيطين علي ملك ﴾ أي زمن[1] ملك ﴿ سليمن ﴾ من السحر الذي هو كفر . قال الحرالي : من حيث أن حقيقته أمر يبطل بذكر اسم الله و يظهر أثره فيما قصر عليه من التخييل و التمريض و نحوه بالاقتصار به من[2] دون اسم الله الذي هو كفر - انتهى . وكأن السحر كان في تلك الأيام ظاهرا عاليا على ما يفهمه التعبير بعلى ،[3] و أحسن من هذا أن يضمن " تتلوا " تكذب[4] ، فيكون التقدير : تتلو كذبا على ملكه ، كما أشار إليه ما رواه البغوي وغيره عن الكلبي و كذا ما روى عن السدي . [2]و قال أبو حاتم أحمد بن حمدان[5] الرازي في كتاب الزينة : و روى في الحديث أنه لما مات سليمان عليه السلام عمدت الشياطين فكتبت أصناف السحر : من كان يحب أن يبلغ كذا فليفعل كذا ، و جعلوه في كتاب ثم ختموه بخاتم سليمان و كتبوا في عنوانه : هذا كتاب آصف بن برخيا الصديق لسليمان[6] بن داود عليهما السلام من ذخائر

(١) في مد : زمى - كذا (٢) ليس في م (٣) العبارة من هنا إلى « في يهود انتهى » ليست في ظ (٤) في البحر المحيط ١/٣٢٦ : و قال أصحابنا : لا تكون « على » في معنى « في » بل هذا من التضمين في الفعل ضمن تتقول فعديت بعلى لأن تقول تعدى بها ، قال تعالى " ولو تقول علينا " و معنى " على ملك سليمن " أي شرعه و نبوته و حاله ، و قيل على عهده و في زمانه ، و هو قريب ، و قيل : على كرسي سليمان بعد وفاته ، لأنه كان من آلات ملكه (٥) في م : احمدان .
(٦) في مد : سليمان .

كنوز العلم، ثم دفنوه تحت كرسيه، فاستخرجه بعد ذلك بقايا بنى إسرائيل حين أحدثوا ما أحدثوا، فلما عثروا عليه قالوا: ما كان ملك سليمان إلا بهذا، فأفشوا السحر فى الناس؛ فليس هو فى أحد أكثر منه فى يهود - انتهى.

و سليمان - على ما ذكر فى أول إنجيل متى أثناء إنجيل لوقا - هو ابن داود بن لَسّى[1] بن عونيد[2] بن باعاز[3] بن سلمون بن يصون بن عيناداب[4] بن ارام بن يورام بن حصرون[5] بن فارض بن يهودا بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام و الحاصل أنهم مع تركهم للكتب المصدقة لما معهم، الكفيلة بكل هدى و بركة، الآتية من عند الله المتحبب إلى عباده بكل جميل، على ألسنة رسله الذين هم أصدق الناس و أنصحهم و أهداهم، لا سيما هذا الكتاب المعجز الذى كانوا يتباشرون بقرب زمن صاحبه؛ اتبعوا السحر الذى هو أضر الأشياء و أبشعها[6]، الآتى به الشياطين الذين هم [7]أعدى الأعداء[7] و أفظعها[8]، و أعجب ما فى ذلك أنهم نسبوا السحر إلى سليمان عليه السلام كذبا و فجورا و كفروه به ثم كانوا هم أشد الناس تطلبا له و مصاحبة علما و عملا و أكثر ما يوجد فيهم، فكانوا بذلك شاهدين على أنفسهم بالكفر؛ و من المحاسن أيضا أنه لما كان قوله "و لقد

---

(١) هكذا فى الأصل و ظ، و فى م: يسّى، و فى مد: سى - كذا (٢) فى مد: غونيد (٣) كذا فى الأصل و م، و فى ظ و مد: باعاز (٤) فى م: عميناداب بن - كذا (٥) فى ظ: حصرون (٦) فى مد: استفها (٧-٧) فى م: اعدآ الاعداء، و فى ظ: اعدا الاعدا (٨) فى م: انطعها.

آتينا موسى الكتٰب و قفينا من بعده بالرسل[١] " و ما بعده فى [٢] الكتب و الأنبياء[٢] و الرسل من البشر و الملائكة كانت فذلكته[٣] أن الكفرة من أهل الكتاب نبذوا ذلك كله و نابذوه[٤] و أقبلوا على السحر الذى كان إبطاله من أول معجزات نبيهم و أعظمها؛ فهو أشد شيء منافاة لشرعهم مع علمهم بأن ذلك [٥] يضرهم فى الدارين و لا ينفعهم .

و لما اعتقد أهل الكتاب بعد موت سليمان[٦] عليه السلام أن السحر منه ، و أن انتظام ملكه على الإنس و الجن ، الطير و الوحش و الريح إنما كان به ، نفى الله تعالى ذلك عنه بقوله: ﴿و ما كفر سليمٰن[٧]﴾ ، قال الحرالى: يقال[٨] هو [٩] من السلامة ، فانه من سلامة صدره[١٠] من تعلقه بما خوله الله تعالى من ملكه " هذا من فضل ربى ليبلونى ء اشكر ام اكفر[١١] "

(١) سورة ٢ آية ٨٧ (٢-٢) فى م : الانبياء و الكتب (٣) فى م : فذلكه (٤) فى مد: نابذوا (٥) زيد فى الأصل : «لا» و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) فى مد : موسى (٧) قال أبو حيان الأندلسى : تنزيه لسليمان عليه السلام عن الكفر ، أى ليس ما اختلقته الجن من نسبة ما تدعيه إلى سليمان تعاطاه سليمان ، لأنه كفر و من نبأه الله تعالى منزه عن المعاصى الكبائر و الصغائر فضلا عن الكفر؛ و فى ذلك دليل على صحة نفى الشيء عمن لا يمكن أن يقع منه الكفر؛ و لا يدل هذا على أن ما نسبوه إلى سليمان من السحر يكون كفرا ، إذ يحتمل أنهم نسبوا إليه الكفر مع السحر ، و روى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما ذكر سليمان فى الأنبياء قال بعض اليهود: انظروا إلى محمد يذكر سليمان فى الأنبياء وما كان إلا ساحرا، نسبته إلى السحر و العمل به – انتهى كلامه (٨) ليس فى مد (٩) زيد فى م : اسم (١٠) فى ظ : مقدرة (١١) سورة ٢٧ آية ٤٠ .

و هو واحد كما[1] فى ملك العالم المشهود من الأركان الأربعة و ما منها من المخلوقات ـ انتهى ؛ أى مّا وقع منه[2] كفر مّا فضلا عن أن يكون بالسحر الذى هو أبعد الأشياء عن آيات الأنبياء ﴿ و لكن الشيٰطين كفروا ﴾ .

ثم بين كفرهم بقوله ﴿ يعلمون النـاس[3] ﴾ أى المضطرين[4] الذين لم يصلوا إلى سِنّ الذين آمنوا ﴿ السحر ﴾ أى الذى ولدوه ثم بما يزينونه من حاله[5] ليعتقد[6] أنه مؤثّر بنفسه و نحو ذلك ، كما أن الأنبياء[7] و أتباعهم يعلمون الناس الحق بما يبينونه[8] من أمره . و السحر قال الحرالى : هو قلب الحواس فى مدركاتها عن الوجه المعتاد لها فى صحتها عن سبب باطل لا يثبت مع ذكر الله عليه . و قال الكرمانى : أمر خارق للعادة صادر[9] عن نفس شريرة[10] لا تتعذر[11] معارضته . [12]و قال الأصفهانى : اختلفوا فى تعلمه على ثلاثة أوجه : أحدها[13] أنه حرام ، الثانى أنه مكروه ، الثالث أنه مباح ؛ و الحق أنه إن كان تعلمه للعمل فهو حرام . و إن كان لتوقيه و عدم الاغترار به فهو مباح[14] ، و قال : و [14] المراد بالسحر ما يستعان

(١) فى مد : كما قال (٢) فى م : من (٣) أخره فى ظ عن « آمنوا » (٤) فى ظ : المصطربين (٥) فى م : خاله ـ كذا (٦) فى م : ليعتقدوا (٧) زيد فى م : عليهم السلام (٨) من م ومد وظ ، وفى الأصل : يبينوه (٩) من م ومد ، وفى الأصل : ضارّ ، وفى ظ : صار (١٠) فى م : سريرة (١١) فى مد : لايتعذر (١٢) العبارة من هنا إلى « لما خفى سببه » ليست فى ظ (١٣) ليس فى م (١٤) ذكر أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١/٣٢٧ فى حقيقة السحر سبعة أقوال . . . و قال بعد ذكر السابع : قال بعض معاصرينا : هذه الأقوال كلها التى قالوها فى حقيقة السحر أنواع =

في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان مما لا يستقل به الإنسان ، و ذلك لا يستتب[١] إلا لمن يناسبه في الشرارة و خبث النفس ، فان التناسب شرط في التضام و التعاون و بهذا يميز الساحر عن [٢]الولي و النبي[٢] ؛ و أما ما يتعجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات و الأدوية أو يريه[٣] صاحب خفة[٤] اليد فغير حرام ، و تسميته سحرا[٥] على التجوز[٦] لما فيه من الدقة[٧] ، لأنه في الأصل لما خفي سببه .

و قوله: ﴿و ما﴾ ، أي و اتبعوا[٨] أو و يعلمون ﴿ما انزل على الملكين﴾ قال الحرالي : فيه إنباء بأن هذا التخييل ضربان : مودع في الكون هو أمر الشياطين ، و منزل من غيب[٩] هو المتعلم من الملكين ؛ و قال: ﴿ ببابل ﴾ تحقيقا لنزولها إلى الأرض ﴿ هاروت و ماروت ﴾ بدل من الملكين[١٠] ، كأنهما لما كانا مع الحاجة إليهما لا يحتاجان إلى أحد[١١]

= السحر و قد ضم إليها أنواع أخر من الشعبذة والدك والنازنجيات و الأوفاق و العزائم وضروب المنادل والصرع و ما يجري ذلك ـ انتهى كلامه . و لا يشك في أن السحر كان موجودا لنطق القرآن و الحديث الصحيح (١٢) ليس في م .

(١) في م : لا تستتب ، و في مد : لا يستتب (٢ ـ ٢) في مد : النبي و الولي (٣) في م : برية (٤) في م نقط : حفة ـ بالحاء المهملة ـ كذا (٥) ليس في مد (٦) في م : البخور ـ كذا (٧) في م : الرقة (٨) زيد في ظ : ما (٩) من م و مد وظ ، و في الأصل : عيب ـ كذا بالعين المهملة (١٠) زيد في الأصل « و » و لم تكن الزيادة في م و مد و ظ فحذفناها (١١) لعله إشارة إلى قصة ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ١ / ٣٢٩ و فيها : و امتنعت (زهرة) الا ان يعبدا صنما و يشربا =

وضلتا أيضا بكونهما ملكين - بكسر اللام، و عبارة الحرالى : ملكان صلا ملكين فى الأرض، و الآية من إظهار الله للملائكة ١فضل الخليفة١ . ثم بين نصيحة الملكين بقوله٢ ﴿ و ما ﴾ فأنبأ أن التقدير : و ما كفر الملكان كما كفر الشياطين فانهما ما ﴿ يعلمن ﴾، و زيادة من فى قوله٢ ﴿ من
٥ احد ﴾ لتأكيد الاستغراق ﴿ حتى يقولا / انما نحن فتنة ﴾ أى على صورة الاختبار٣ من الله لعباده، ٤فانه يعلم نبأ من يختار السحر لما فيه من النفع العاجل على أمر النبوة فيكفر، و من يعلم حقيقته لئلا٥ يقع فيه و هو لا يشعر ثم يتركه إقبالا على دين الله؛ و وحد و المخبر عنه اثنان لأنها مصدر و هو لا يثنى و لا يجمع. ٢قال الحرالى٢ : و أصل معناها من فتن
١٠ الذهب و هو تسخيره٦ ليظهر جوهره و يتخلص طيبه من خبيثه - انتهى. ﴿ فلا تكفر ﴾ ٧بالعمل بما نعلمكه، فان العمل به كفر، ٨أو باعتقاد أنه حق مغن عما جاء عن الله، أو مؤثر بنفسه٨ ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرقون به ﴾ مخالفة للملكين فى النهى عن ذلك، و ذكر الفرقة فى أشد الاتصال٩ ليفهم منه ما دونه فقال : ﴿ بين المرء١٠ و زوجه ﴾، و المرء اسم سن من أسنان

= الخمر و يقتلا - الخ .

(١ - ١) فى م : فضلا الخليقة (٢ - ٢) ليست فى مد (٣) من مد و ظ، و فى الأصل : الاختيار - كذا (٤) العبارة من هنا إلى « و لا يجمع » ليست فى م وظ (٥) فى الأصل : ليلا (٦) فى ظ : تسخير (٧) قال على رضى الله عنه : كانا يعلمان تعليم الإنذار لا تعليم دعاء إليه كأنهما يقولان : لا تفعل كذا، كما لو سأل سائل عن صفة الزنا أو القتل فأخبر بصفته ليجتنبه، فكان المعنى فى "يعلّمن" يعلمان - قاله أبو حيان الأندلسى (٨-٨) ليست فى ظ (٩) فى م : الامتثال (١٠) قراءة الجمهور =

الطبع يشارك الرجل به المرأة ولا يكون له فيه[1] فضل ما و يسمى معناه المروة – قاله الحرالي .

و لما ذكر السبب القريب[2] للضرر رده إليه ترقية[3] للذهن الثاقب إلى أعلى[4] المراتب و صونا له عن اعتقاد ما لا يناسب فقال: ﴿ و ما هم بضارين ﴾ و هو من الضر - بالفتح و الضم - و هو ما يؤلم الظاهر من الجسم و ما يتصل بمحسوسه، في مقابلة الأذى و هو إيلام النفس و ما يتصل بأحوالها، و تشعر[5] الضمة في الضر بأنه عن علو[6] و قهر، و الفتحة بأنه ما يكون عن مماثل و نحوه، و قل ما يكون عن الأدنى[7] إلا أذى و منه "لن يضروكم الا اذى[8]" قاله الحرالي ﴿ به من احد ﴾. و لما أكد استغراقه بضروب من التأكيد تلاه بمعيار[9] العموم فقال: ﴿ الا باذن الله[10] ﴾، [11] المحيط بكل شيء قدرة و علما ولا كفوء له[11]، و فيه إعلام لهم بأن ضرره

= بفتح الميم و سكون الراء و الهمز، و قرأ الحسن و الزهري و قتادة: المر – بغير همز مخففا، و قرأ ابن أبي إسحاق: المُرء – بضم الميم و الهمزة، و قرأ الأشهب العقيلي: المرء – بكسر الميم و الهمز. و رويت عن الحسن، و قرأ الزهري أيضا: المر – بفتح الميم و إسقاط الهمز و تشديد الراء – البحر المحيط ١/٣٢٧.

(١) ليس في م (٢) من م و مد و ظ، و في الأصل: القرب – كذا (٣) من م و ظ، و في الأصل: ترقيه (٤) من م و مد و ظ، و في الأصل: اعلا (٥) في الأصل: و نشعر – كذا (٦) في م عتو (٧) في الأصل: الاذنى، و في م و مد: الاذى، و في ظ: الادمى – كذا (٨) سورة ٣ آية ١١١ (٩) من م و ظ و مد، و في الأصل: خيار – كذا (١٠) و في هذه الجملة أي ﴿ الا باذن الله ﴾ دليل على أن ما يتعلمون =

[١]الرسول الله[١] صلى الله [٢]عليه و سلم[٢] ذلك الضرر الضعيف حيث سحره لبيد ابن الأعصم إنما هو كضرر غيره من الأسباب التى قد تخفى فيضاف الأمر فى ضررها إلى الله تعالى ، و قد تعرف[٣] فيضاف الضرر إليها كما كان يحصل لغيره من إخوانه من الأنبياء منهم و من غيرهم ، و العلم حاصل بأن المؤثر فى الجميع فى الحقيقة هو الله تعالى، و سيأتى عند قوله تعالى "و هو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها" فى سورة الأنعام[٤] ما ينفع استحضاره هنا .

و لما كان هذا الذى تقدم[٥] و إن كان للعامل[٦] به[٧] نفع على زعمه ضرره أكبر من نفعه اتبعه قسما[٨] آخر ليس للعامل[٦] به شىء غير الضر ؛ فليس الحامل على تعلمه إلا إيثارا للحاق بإبليس و حزبه فقال[٩] : ﴿ و يتعلمون ﴾ ، أى من السحر الذى ولده الشياطين لا من[١٠] الملكين ﴿ ما يضرهم ﴾ لأن مجرد العمل به كفر أو معصية ثم حقق أنه ضرر كله لا شائبة للنفع[١١] فيه بقوله[١٢]: ﴿ و لا[١٣] ينفعهم ﴾

= له تأثير و ضرر لكن ذلك لا يضر إلا باذن الله ، لأنه ربما أحدث الله عنده شيئا و ربما لم يحدث - قاله أبو حيان (١ - ١) ليست فى ظ .

(١ - ١) فى م : لرسوله (٢ - ٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عليه (٣) فى مد يعرف (٤) ٦ آية ٩٧ (٥) من م و مد ، و فى الأصل : تقدم - كذا (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: للحامل (٧) فى ظ : بل (٨) فى م : قسم (٩) ليس فى ظ (١٠) فى ظ: لامر - كذا (١١) وفى مد: للنقض (١٢) فى م: بقولهم (١٣) لما ذكر انه يحصل به الضرر لمن يفرق بينهما ذكر أيضا أن ضرره لا يقتصر على من يفعل به ذلك بل هو أيضا يضر من تعلمه . و لما كان إثبات الضرر لشىء لا ينفى النفع لأنه قد يوجد الشىء فيحصل به الضرر و يحصل به النفع نفى النفع عنه بالكلية و أتى بلفظ «لا» لأنها ينفى بها الحال و المستقبل - البحر المحيط ١ / ٣٣٣ .

لأنه لا[1] تأثير له أصلا ، و النفع وصول موافق الجسم الظاهر و مايتصل به في مقابلة الضر ، و لذلك يخاطب به الكفار كثيرا لوقوع[2] معنيها[3] في الظاهر الذي هو مقصدهم من ظاهر الحياة الدنيا - قاله الحرالي .

ثم اتبعه ما يعرف أنهم ارتكبوه على علـــم فقال محققا مؤكدا: ﴿ و لقد علموا ﴾ ، بيانا لأنهم أسفه الناس ﴿ لمن اشترىه ﴾ أي آثره على ما يعلم نفعه من الإيمان[4] ﴿ ما له في الآخرة ﴾ [5] الباقية الباقي نفعها ﴿ من خلاق ﴾ أي نصيب موافق أصلا ، و الخلاق الحظ اللائق لمن يقسم له النصيب من الشيء كأنه موازن[6] به خلق نفسه و خلق جسمه - قاله الحرالي .

ثم جمع لهم المذام[7] على وجه التأكيد فقال: ﴿ و لبئس ما شروا ﴾ ، أي باعوا على وجه اللجاجة ﴿ به انفسهم ﴾ إشارة إلى أنه مما أحاط بهم فاجتثت[8] نفوسهم من أصلها فأوجب لهم الخلود في النار ، ثم قال بعد اثبات العلم لهم: ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ ، أي لو كان لهم قابلية لتلقي واردات[9]

(١) ليس في م (٢) في ظ : للوقوع (٣) هكذا في الأصل و مد . و في م و ظ : معنييها (٤) قال أبو حيان الأندلسي : و الضمير المنصوب في اشترىه عائد على السحر أو الكفر أو كتبهم الذي باعوه بالسحر أو القرآن لأنه تعوضوا عنه بكتب السحر - أقوال أربعة . و الخلاق النصيب - قاله مجاهد ، أو الدين - قاله الحسن ، أو اقوام - قاله ابن عباس ، أو الخلاص أو القدر ، قاله قتادة - أقوال خمسة - انتهى كلامه (٥) زيد في ظ : أي (٦) في مد : موافق (٧) في الأصل : المرام (٨) وقع في الأصل : فاحتبت ، و في م و ظ : فاجتنت ، و في مد : و ... - مصححا (٩) في ظ : وارات .

الحق ، إشارة إلى أن هذا لا يقدم عليه من له أدنى علم ، فعلمهم الذى أوجب لهم الجرأة على هذا عدمٌ بل العدم خير منه .

و لما بين ما عليهم فيما ارتكبوه من المضار اتبعه ما فى الأعراض عنه[1] من المنافع فقال : ﴿و لو انهم [امنوا - [2]] ﴾ أى بما دعوا إليه من هذا
٥ القرآن ، [3] و من اعتقاد أن الفاعل فى كل شيء إنما هو الله لا السحر[3] ﴿ و اتقوا ﴾ ما يقدح فى الإيمان[4] من الوقوف مع ما كان حقا فنسخ من التوراة فصار باطلا ، و من الإقدام على ما لم يكن حقا أصلا من السحر لأثيبوا خيرا مما تركوا ، لأن[5] من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه ؛ هكذا الجواب و لكنه[6] عبر عنه بما يقتضى الثبوت ، الدوام و الشرف
١٠ إلى غير ذلك مما[7] يقصر[8] عنه الأذهان من بلاغات القرآن فقال : ﴿ لمثوبة ﴾ [9] صيغة مفعلة من ثواب و هو الجزاء بالخير[10] ، و فى الصيغة

(١) ليس فى مد (٢) زيد من م ومد وظ والقرآن المجيد ، و قد سقط من الأصل (٣ - ٣) ليست فى ظ (٤) وقع فى الأصل : الايماء - خطأ ، و التصحيح من م و ظ و مد (٥) فى ظ : الان - كذا (٦) فى ظ : و لكن (٧) من م ومد وظ ، و فى الأصل : بما - كذا (٨) فى م و مد و ظ ، تقصر (٩) اللام لام الابتداء لا الواقعة فى جواب لو و جواب لو محذوف لفهم المعنى أى لأثيبوا ، ثم ابتدأ على طريق الإخبار الاستئناف لا على طريق تعليقه بإيمانهم و تقواهم و ترتبه عليهما - هذا قول الأخفش أعنى أن الجواب محذوف - البحر المحيط ١ / ٣٣٥ (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل بالخبر - كذا .

شعار

إشعار بعلو و ثبات – قاله الحرالى ، و شرفها بقوله: ﴿من عند الله[1]﴾ الذى[2] له جميع صفات الكمال[2]، و زادها شرفا بقوله: ﴿خير[3]﴾، مع حذف المفضل عليه . [4] قال الحرالى : و سوى بين هذه المثوبة و مضمون الرسالة فى كونهما من عند الله تشريفا لهذه المثوبة و إلحاقا لها بالنمط العلى من علمه و حكمته و مضاه[5] كلمته[6] – انتهى . و هذه المثوبة عامة لما يحصل فى الدنيا و الأخرى من الخيرات التى منها ما يعطيه الله لصالحى عباده من التصرف بأسماء الله الحسنى على حسب ما تعطيه مفهوماتها من المنافع ، و من ذلك واردات الآثار[7] ككون الفاتحة شفاء و آية الكرسى حرزا من الشيطان و نحو ذلك من منافع القرآن و الأذكار و التبرك بآثار الصالحين و نحوه .

ثم أكد الخبر[8] بأن علمهم جهل بقوله: ﴿لو كانوا يعلمون﴾ . قال الحرالى : فيه إشعار برتبة من العلم أعلى و أشرف من الرتبة التى كانت تصرفهم عن[9] أخذ السحر ، لأن تلك الرتبة تزهد فى علم ما هو

(١) قال فى البحر المحيط : و فى وصف المثوبة بكونها من عند الله تفخيم و تعظيم لها ، و لمناسبة الإيمان و التقوى لذلك كان المعنى أن الذى آمنتم به و اتقيتم محارمه هو الذى ثوابكم منه على ذلك فهو المتكفل بذلك لكم ؛ و اكتفى بالتنكير فى ذلك إذ المعنى لشىء من الثواب :

قليلك لا يقال له قليل

(٢ – ٢) ليست فى ظ (٣) و قال أبو حيان : و ليس "خير" هنا أفعل تفضيل بل هى للتفضيل لا الأفضلية فهى كقوله " أفمن يلقى فى النار خير " " و خير مستقرا " و

فشركما لخيركما الفداء

(٤) فى م : قاله (٥) فى م فقط : امضاء (٦) فى ظ : كلمة (٧) فى ظ : للآثار .
(٨) فى م : الخير (٩) فى مد : على .

شر و هذه ترغيب فى مثال[1] ما هو خير ، و فيه بشرى لهذه الأمة بما فى كيانها من / قبول هذا العلم الذى هو علم الأسماء و منافع القرآن يكون[2] لهم عوضا من علم السيميا الذى هو باب من السحر . و عساه أن يكون من نحو المنزل على الملكين ، قال صلى الله عليه و سلم : من اقتبس علما من النجوم اقتبس بابا من السحر ، زاد ما زاد .

و حقيقة السيميا[3] أمر من أمر الله أظهر آثاره فى العالم الأرضى على سبيل أسماء و أرواح خبيثة من واطن الفتن فى العلويات من النيرات[4] و الكواكب و الصور ، و ما أبداه منه فى علوم و أعمال لا يثبت شىء منه مع اسمه تعالى ، بل يشترط فى صحته إخلاؤه عن اسم الله و ذكره و القيام بحقه و صرف التحنثات و الوجهة إلى من دونه ، فهو لذلك كمر موضوع فتنة من الله تعالى لمن شاء[5] أن يفتنه به ، حتى كانت فسة سم السيميا من هدى الاسم[6] بمنزلة اسم اللات ، الذى من هدايه اسم الله العزيز ، و لله كلية الخلق و الأمر هدى ، إضلالا إظهارا[7] لكلمته الجامعة الشاملة لمقابلات الأزواج[8] التى منتهاها قسمة[9] إلى دارين : دار نور رحمانى من اسمه العزيز الرحيم ، و دار نار تنقمى من اسمه الجبار المنتقم "و يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون[10] " .

و لما جعل سبحانه من المضرة فى السحر حوت كذا من لمثوبة من

---

(١) فى م و ظ : مثال (٢) فى مد : تكون له (٣) ليس فى مد (٤) فى م : النيران - كذا (٥) فى م و ظ : يشاء (٦) فى ظ : الاسم (٧) فى مد اظهار (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الأرواح (٩) فى ظ : قسمه (١٠) سورة ٣٠ آية ١٤ .

آمن و أتقى من هذه الأمة سورة الفلق و الناس المعوذتان حرزا و إبطالا و تلقفا لما يأفك سحر الساحرات عوضا دائما [1] باقيا لهذه الأمة من عصا موسى ، فهما عصا هذه الأمة التي تلقف ما يأفك سحر الساحرات عوضا دائما بما فيهما [2] من التعويذ الجامع للعوذة من شر خلق الذي من لحمة [3] منه كان السحر مفرقا ، فهما عوذتان من وراء ما وراء السحر و نحوه [5] و [4] ذلك من مثوبة الدفع مع ما أوتوا من مثوبة النفع [5] ، و يكاد أن لا يقف [6] من جاءه [7] هذه الآية لهذه الأمة عند غاية من منال الخيرات و وجوه الكرامات . انتهى .

و لما كان من الحق كما قال الحرالي إجراء الأمور على حكم ما أثبتها الحق لأنها [8] بذلك حق هو مثل [9] للحق المبين و صرفها إلى ما لم يثبتها الحق في حيزه إفك ، قلب [10] عن وجهه فهو خيل باطل [11] هو في باب الرأي [12] بمنزلة السحر في الحس فهو حيل لما صحة النسبة فيه مثال تتبع الآيات لذامة للسحر الحقيقي المتقدم على السحر المجازي الذي حيلوا به الخير و قصدوا به الشر ليكون النهي عنه نهيا عن الأول بطريق [13] الأولى فقال ملتفتا عن ذكرهم إلى خطاب المؤمنين الذي هو أخص من "يبني إسرائيل" الأخص من "يأيها الناس اعبدوا ربكم [14]" "يأيها الذين

(١) العبارة من هنا إلى «دائما» الآتي ليست في م (٢) من مد و ظ ، و في الأصل و م : فيه (٣) من م و مد ، و في الأصل و ظ : تمه (٤) ليس في م (٥) من م و مد و ظ ، و في الأصل : للدفع (٦) في مد ، ظ : تقف (٧) من مد ، و في الأصل و م و ظ : مرجاة - كذا (٨) في م : لأن (٩) في مد : امثل (١٠) في م : قلبه . (١١) زيد في مد : و (١٢) في مد : الرأى (١٣) كذا ، والصواب : بالطريق (١٤) قال=

امنوا ﴾ ، أي أقروا بالإيمان صدقوا إقراركم به بأن ﴿ لا تقولوا ﴾ للنبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ راعنا ﴾ التي تقصدون[1] بها الرعاية والمراقبة لمقصد الخير وخفض[2] الجانب ، فاغتنمها اليهود لموافقة[3] كلمة سيئة[3] عندهم فصاروا يلوون بها ألسنتهم ويقصدون بها الرعونة وهي إفراط الجهالة فنهاهم عن موافقتهم في تقول منها للصحيح الموافق في الصورة لشبيه من القبيح ، وعوضهم منها ما لا يتطرق إليه فساد فقال : ﴿ وقولوا انظرنا ﴾ فأبقى المعنى[4] وصرف اللفظ . قال الحرالي : فيه إلزام تصحيح الصور[5] لتطابق صحيح المقاصد وليقع الفرق بين الصورتين كما وقع الفرق بين المعنيين فهي آية فرقان خاصة بالعرب ، [6]قال الأصفهاني[7] :

= أبو حيان الأندلسي : ولما كانت الآيات السابقة فيها ما تضمن من الوعيد من قوله " فان الله عدو للكفرين " وقوله " وما يكفر بها الا الفسقون " وذكر نبذ العهود ونبذ كتاب الله واتباع الشياطين وتعلم ما يضر ولا ينفع والإخبار عنهم بأنهم علموا أنه لا نصيب لهم في الآخرة اتبع ذلك آية تتضمن ... لمن آمن واتقى ، فجمعت هذه الآيات بين الوعيد والوعد والترغيب والترهيب والإنذار والتبشير وصار فيه استطراد من شيء إلى شيء وإحضار ... مغيب ... تتلاقى ... في عقودها ... لدراري في ... سعودها معلمة صدق من أتى بها وهو ... ولا دارس ولا ... ولا عاشر الأحبار ولا مارس " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى " صلى الله عليه وأوصل أزكى تحية إليه .

(١) في مد : يقصدون (٢) من ظ ، وفي الأصل وم ومد : خفض ... من م وظ .
وفي مد : سيئة ، وفي الأصل : سبة (٤) زيد في م : الذي هو (٥) في م : للصور .
(٦) العبارة من هنا إلى « الآن » ليست في ظ (٧) وفي البحر المحيط ١ / ٣٣٩ -

، هذا

و هذا النهي اختص بهذا الوقت ، قال الواحدي : لإجماع الأمة على جواز المخاطبة بهذا اللفظ الآن و قال : ﴿ و اسمعوا ﴾ أى قولوا ما أمرتكم به و امتثلوا جميع أوامري و لا تكونوا كاليهود في حملهم[٢] السماع على حقيقته ، قولهم " سمعنا و عصينا "؛ و عطف[٣] ﴿ و للكفرين ﴾ على غير معطوف عليه مذكور مرشد إلى أن التقدير : فان السماع أى القبول إيمان و للسامعين نعيم كريم و الإعراض كفر و للكافرين من اليهود و غيرهم ﴿ عذاب اليم ﴾ .

و لما أرشد ختم الآية إلى العلة الحاملة[٤] على الامتثال علل[٥] بعلة أخرى فقال[٦] : ﴿ ما يود الذين كفروا ﴾ مطلقا ﴿ من اهل الكتب[٧] ﴾ اليهود و النصارى ﴿ و لا ﴾ من ﴿ المشركين ﴾ باى نوع كان من أنواع

= «قال ابن عطية : و هذه لفظة مخلصة لتعظيم النبي صلى الله عليه و سلم ، و الظاهر عندي استدعاء نظر العين المقترن بتدبر الحال و هذا هو معنى « راعنا » فبدلت للمؤمنين اللفظة لتزول تعلق اليهود - انتهى .

(١) في م : اخص (٢) من م و مد و ظ ، و في الأصل : جملهم (٣) قال أبو حيان الأندلسي : و لما نهى أولا و أمر ثانيا و أمر بالسمع و حض عليه إذ في ضمنه الطاعة أخذ يذكر لمن خالف أمره و كفر " فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم " (٤) في م : الحاصلة (٥) في م : علله .

(٦) ليس في ظ (٧) ذكر المفسرون أن المسلمين قالوا لحلفائهم من اليهود : آمنوا بمحمد صلى الله عليه و سلم فقالوا : وددنا لو كان خيرا مما نحن عليه فنتبعه ، فأكذبهم الله بقوله : ﴿ ما يود الذين كفروا ﴾ و على هذا يكون المراد بأهل الكتاب الذين بحضرة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و الظاهر العموم فى أهل الكتاب و هم اليهود و النصارى . و فى المشركين و هم مشركو العرب و غيرهم - قاله =

الشرك بغضا فيكم[١] حسدا لكم ﴿ ان ينزل عليكم ﴾ و أكد الاستغراق بقوله : ﴿ من خير من ربكم ﴾ أى[٢] المحسن إليكم ، فكأنه[٣] قيل : للسماع علتان حاملتان عليه داعيتان[٤] إليه[٥] : إحداهما أخروية و هى النعيم للطيع و العذاب للعاصى ، و الآخرى دنيوية و هى[٦] مخالفة الأعداء ، [٧]فانهم
٥ ما يودون أن ينزل عليكم شىء لكم فيه خير فضلا عن أن تمتثلوه[٨] ، و مخالفة الأعداء من الأغراض العظيمة للتمكنين فى الأخلاق الفاضلة من ذوى الأدوات[٩] الكاملة ، و لم يعطف "ما يود" لأنه مع ذلك علة للعلة ، فكأنه قيل: لهم عذاب اليم لأنهم يودون[١٠] لكم خيرا ؛ فسماعكم من جملة عذابهم ، لأنه واقع على خلاف ودادتهم[١١] مع ما يدخر لهم
١٠ فى الآخرة بكفرهم و تمنيهم[١٢] كفركم[١٣] . و لا يخفى ما فيها ، فى التى بعدها[١٤] من التحريض على الكتاب الذى لا ريب فيه .

و لما بين سبحانه ما يودون اتبعه التعريف بأن له التصرف التام[١٥] ، رضى من رضى و سخط من سخط فقال معلقا الأمر بالاسم الأعظم

= أبو حيان الأندلسى .

(١) زيد فى م : و (٢) زيد فى مد : من (٣) فى م : فانه (٤) وقع فى الأصل : راعيتان - كذا ، و التصحيح من م و ظ و مد (٥) فى ظ : اليهم (٦) ليس فى مد (٧) العبارة من هنا إلى « الاعداء » ليست فى مد (٨) فى ظ : يمتثلوه . (٩) فى م : الاودات - كذا (١٠) فى م : لا يودون (١١) فى مد : ودادهم . (١٢) فى الاصل : تمينهم - كذا ، و التصحيح من م و ظ و مد (١٣) فى م : كفرهم (١٤) فى ظ : يجده - كذا (١٥) فى ظ : العام .

للجامع؛ ﴿ والله ﴾ أي [1] [2]ما يودون والحال أن [4]له[3] الأسماء الحسنى ﴿ يختص ﴾. [4]ولما كان المنزل أتم الرحمة عبر عنه بقوله [2]: ﴿ برحمته ﴾ التي وسعت كل شيء من الهداية والعلم وغير ذلك ﴿ من يشاء ﴾ [5]أي يجعله مختصا أي منفردا بها من[4] بين الناس، ولو كان عند غيره بمحل الاحتقار كما كان العرب عند بني إسرائيل لما كانوا / يرون من جهلهم وضلالهم و[6]جفائهم واختلال[6] أحوالهم؛ و"الاختصاص" عناية تعين المختص لمرتبة[7] ينفرد بها دون غيره، و"الرحمة"[8] نحلة[9] ما يوافق المرحوم في ظاهره وباطنه، أدناه كشف الضر وكف الأذى، وأعلاه الاختصاص برفع الحجاب - قاله الحرالي. ولما كان ذلك ربما أوهم أنه إذا فعله لم يبق من رحمته ما يسع غير المختص نفاه[10] بقوله مصدرا له[11] بالاسم الأعظم أيضا [12] عاطفا على ما أفهمه الاختصاص من نحو أن يقال

---

(١) زيد في م: الذي يعلم (٢-٢) ليست في ظ (٣) في ظ: ذوا (٤) العبارة من هنا إلى « بين الناس » ليست في ظ (٥) ليس في م (٦-٦) في مد: اختلال - فقط (٧) في مد: لرتبة (٨) و"الرحمة" هنا عامة بجميع أنواعها، أو النبوة والحكمة والنصرة، اختص بها محمد صلى الله عليه وسلم - قاله علي والباقر ومجاهد والزجاج، أو الإسلام - قاله ابن عباس، أو القرآن أو النبي صلى الله عليه وسلم "وما أرسلنك الا رحمة للعلمين" وهو نبي الرحمة - أقوال خمسة أظهرها الأول - البحر المحيط ١ / ٣٤١ (٩) من ظ وم، وفي الأصل: نحاته، وفي مد: نحله - كذا (١٠) في ظ: بقا - كذا (١١) ليس في م (١٢) العبارة من هنا إلى « الرحمة عليهم » ليست في ظ.

تعريضا باليهود: فالله يمن[1] يزوى[2] عنه الرحمة عليم[3] ﴿ والله ﴾ [4] أى الملك الأعلى الذى له جميع العظمة و الرحمة فلا[5] كفوء له ﴿ ذو الفضل العظيم ه ﴾ أى الذى لا يحصر[6] بحد و لا يدخل تحت عد .

و لما حرم سبحانه قولهم "راعنا" بعد حله و كان ذلك من باب النسخ و أنهى[7] ما يتعلق به بالوصف بالفضل العظيم بعد التخصيص الذى من[8] مقتضاه نقل ما يكون من المنافع من ملك أو دين أو قوة أو علم من ناس إلى ناس[9]، و كان اليهود يرون أن دينهم لا ينسخ، فكان النسخ لذلك من مطاعنهم فى هذا الدين و فى كون هذا الكتاب هدى للمتقين، لأنه على زعمهم لا يجوز على الله، قالوا: لأنه يلزم منه البدا أى بفتح الموحدة[10] مقصورا - و هو أن يبدو الشيء أى يظهر بعد أن لم يكن، و ذلك لا يجوز على الله تعالى؛ هذا مع ان النسخ فى كتابهم الذى بين أظهرهم، فان فيه أنه[11] تعالى امرهم بالدخول إلى بيت المقدس بعد مماطلة الجبارين، فلما أبوا حرم عليهم دخولها و منعهم منه و من القتال بالقدرة و الأمر، كما سنراه من نص التوراة فى سورة المائدة إن شاء الله

(١) فى م: ممن، و فى مد: بين (٢) فى مد: يروى (٣) فى مد: عليهم.
(٤) العبارة من هنا إلى « ه » ليست فى ظ (٥) فى م: ولا (٦) فى م: لا يحصر، و فى مد: لايحصر، و فى الأصل: لايحضر - كذا (٧) من م و ظ و مد، و فى الأصل: انتهى (٨) ليس فى مد (٩) قال أبو حيان الأندلسي: ﴿الفضل العظيم﴾ يجوز أن يراد به هنا جميع أنواع التفضلات فتكون "ال" للاستغراق، و عظمه من جهة سعته و كثرته (١٠) فى ظ: البدء (١١) فى م: ان.

تعالى

تعالى . و أمرهم بالجمعة فاختلفوا فيه ، كما قاله النبي صلى الله عليه و سلم و يأتي في قوله تعالى "إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه[١]" ، اختاروا السبت ، ففرض عليهم و شدد عليهم فيه و أحل لهم جميع اللحوم و الشحوم ، فلما اتخذوا العجل حرم عليهم الشحوم ؛ و أعظم[٢] من ذلك تعاطيهم من النسخ ما لم يأذن به الله في تحريفهم الكلم عن مواضعه ، و تحريم الأحبار و الرهبان و تحليلهم لهم ما شاؤا من الأحكام التي[٣] تقدم عد جملة منها أصولا و فروعا ، كما قال تعالى "اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله[٤]" ، و لما قال عدي بن حاتم للنبي صلى الله عليه و سلم : يا رسول الله ! إنهم لم يكونوا[٥] يعبدونهم ، قال : أليسوا[٦] يحلون لهم و يحرمون ؟ قال : بلى ، قال : فتلك عبادتهم لهم - كما هو مبين في تفسير و في وفادة عدي ؛ و كما فعلوا في إبدال الرجم في الزنى[٧] بالتحميم و الجلد[٧] ؛ و في اتباع ما تتلو الشياطين مع ما فيه إبطال كثير من شرعتهم ؛ و في نبذ فريق منهم[٨] كتاب الله ؛ و في قولهم "سمعنا و عصينا[٩]" ، و في اتخاذهم العجل مع نهي موسى عن ذلك - كل هذا كله في كثير من فصول التوراة فيما أشير إليه بقوله "أفتؤمنون ببعض الكتاب و تكفرون ببعض[١٠]" إلى غير ذلك ، و لما كان ذلك قال تعالى جوابا عن طعنهم

(١) سورة ١٦ آية ١٢٤ (٢) في م و مد: عجب (٣) في ظ : الذي (٤) سورة ٩ آية ٣١ (٥) من م و مد و ظ ، و في الأصل : قالوا (٦) زيد في م : انهم (٧-٧) في ظ : بالجلد و التحميم ، و في م : بجلد و التحميم (٨) في ظ : فيهم (٩) سورة ٢ آية ٩٣ (١٠) سورة ٢ آية ٨٥ .

سابقا[1] له في مظهر العظمة معلما أنه قد ألبس العرب المحسودين ما كان قد زين به أهل الكتاب دهورا[2] فابتـــدلوه و دنسوا محياه و رذلوه و غيروه و بدّلوه[3] إشارة إلى أن الحسد لكونه اعتراضا على المنعم يكون سببا لإلباس المحسود ثوب الحاسد: ﴿ ما ننسخ ﴾ و النسخ[4] قال الحرالي نقل بادٍ من أثر أو كتاب و نحوه من [5]محله بمعاقب[5] يذهبه، أو باقتباس يغني عن غيبته و هو وارد الظهور في المعنيين في موارد الخطاب؛ و المعاقبة في هذا أظهر - انتهى. و ساقها بغير عطف لشدة التباسها بما قبلها لاختصاصنا لأجل التمشية[6] على حسب المصالح بالفضل و الرحمة، لأنه إن كان المراد نسخ جميع الشرائع الماضيـــة بكتــابنا فلما فيه من التشريف بالانفراد بالذكر و عدم التبعية و التخفيف للأحمال[7] التي كانت، و إن كان المراد نسخ ما شرع لنا فللنظر في المصالح الدنيوية و الأخروية بحسب ما حدث

---

(١) في ظ: سايقا - كذا (٢) في م: وهورا (٣) من مد وظ، وفي م: بدلوا، وفي الأصل: بذلوه - بالذال المعجمة (٤) النسخ إزالة: الشيء بغير بدل يعقبه نحو نسخت الشمس الظل و نسخت الريح الأثر، أو نقل الشيء من غير إزالة نحو نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه إلى مكان آخر. سبب نزولها فيما ذكروا أن اليهود لما حسدوا المسلمين في التوجه إلى الكعبة و طعنوا في الإسلام قالوا: إن محمدا يأمر أصحابه بأمر اليوم و ينهاهم عنه غدا و يقول اليوم قولا و يرجع عنه غدا، ما هذا القرآن إلا من عند محمد، و إنه يناقض بعضه بعضا فنزلت - البحر المحيط ١/ ٣٤ (٥ - ٥) في م: محلة بمعاقبة (٦) في م: التسمية (٧) من م ومد وظ، و وقع في الأصل: الاجمال - بالجيم خطأ.

من الأسباب ﴿ من آية ﴾ أى فنرفع[1] حكمها ، أو تلاوتها بعد إنزالها ، أو نأمر[2] بذلك على أنها من النسخ[3] [على – [4]] قراءة ابن عامر ، سواء كانت فى شرع من قبل كاستقبال بيت المقدس أو لم تكن ؛ و فى صيغة نفعل إشعار بأن من تقدم ربما نسخ عنهم ما لم يعوضوا به مثلا و لا خيرا ، ففى طيه ترغيب للذين آمنوا فى كتابهم الخاص بهم و أن يكون لهم عند النسخ حسن قبول فرحا[5] بجديد[6] أو اغتباطا[7] بما هو خير من المنسوخ ، ليكون حالهم عند تناسخ الآيات مقابل حال الآبين[8] من قبوله المستمسكين بالسابق المتقاصرين عن[9] خير لاحق وجدّته – قاله الحرالى. ﴿او ننسأها[10]﴾ [11] أى نؤخرها ، أى[12] نترك إنزالها عليكم أصلا ، وكذا معنى "او نُنسها" من أنسى[13] فى قراءة غير ابن كثير و أبى عمرو ، أى نأمر بترك[14] إنزالها

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : فيرفع ، و فى م : فنوقع (٢) فى مد: نامن – كذا .
(٣) من م و مد ، وفى الأصل وظ : أنسخ (٤) زيد من م و مد وظ (٥) من م و مد و ظ ، و وقع فى الأصل : ورحا – كذا (٦) وقع فى الأصل و م و مد : تحديدا ، و التصحيح من ظ (٧) وقع فى الأصل وظ : اعتباطا – كذا بالعين المهملة ، و التصحيح من م و مد (٨) فى ظ : الآبين ، و فى الأصل و م ومد : الابين – كذا (٩) فى م: على (١٠) من مد . وفى بقية الأصول : ننساها (١١) النسيئة التأخير نسأ ينسأ ، و يأتى نسأ بمعنى أمضى الشيء ، قال الشاعر :

أمون كألواح الأران نسأتها   على لاحب كأنه ظهر برجد

– البحر المحيط ١/ ٣٣٧ (١٢) كذا ، و الظاهر : او (١٣) من م و ظ ، و فى الأصل و مد النسى – كذا ، و فى البحر المحيط ١/٣٤٤ : و قرأ باقى السبعة =

﴿ نات بخير منهـا او مثلها ﴾ كما فعلنا فى "راعنا" و غيرها . أو يكون المعنى "ما ننسخ من آية" فنزيل حكمهـا أو لفظها عاجلا كما فعلنا فى "راعنا" أو "ننسأها" بأن نؤخر نسخها أو نتركه[1] - على قراءة "ننسها[2]" زمنا ثم ننسخها كالقبلة "نات[3]" عند نسخها "بخـير منها او مثلها"؛

٥ و قال الحرالى : و هو الحق / إن شاء الله تعالى . و النسء[4] تأخير عن وقت إلى وقت ، ففيه مدار بين السابق و اللاحق بخلاف النسخ ، لأن النسخ معقب للسابق و النسء مداول[5] للمؤخر ، و هو نمط من الخطـاب على خفى المنحى ، لم يكد يتضح معناه لأكثر العلماء إلا للأئمة[6] من آل محمد صلى الله عليه و سلم لخفاء الفرقان بين ما شأنه المعاقبة و ما[7] شأنه المداولة[8].

١٠ و من أمثاله ما وقع فى النسء[4] من نهى النبى صلى الله عليه و سلم عن لحوم الأضـاحى فتقبله[9] الذين آمنوا نسخا ، و إنما كان إنساء و تأخيرا لحكم

= "ننسها" بضم النون و كسر السين من غـير همز ......فتحصل فى هذه اللفظة دون قراءة الأعمش إحدى عشرة قراءة (١٤) وقع فى الأصل : ستركـ .

(١) وقع فى الأصل : بتركه - كذا ، و التصحيح من م و ظ و مد (٢) فى مد فقط : ننـاها - كذا (٣) من م و مد ، و فى ظ : نات - كذا ، و وقع فى الأصل : يات - مصحفا (٤) فى م و مد : النسى (٥) فى مد و ظ : مدلول (٦) فى الأصل و م : الايمة ، و فى مد : لائمة ، و الكلمة لا تتضح فى ظ (٧) ليس فى ظ (٨) من مد و ظ ، وفى م : المداة ، و فى الأصل : المداواة (٩) من م و ظ ، و فى الأصل : فيقبله ، و فى مد : فقبله

الاستمتاع بها بعد ثلاث إلى وقت زوال الدافّة التى كانت دفت عليهم من البوادى، فلم يلقن ذلك عن النبى صلى الله عليه و سلم حتى فسره فقال: إنما نهيتكم [1]من أجل[1] الدافة، ففى متسع فقهه[2] أن أحكاما تؤخرَ فتشابه النسخ من وجه ثم تعاد فتخالفه من هذا الوجه من حيث أن حكمة المنسوخ منقطعة و حكمة المنسَئ متراجعة. و منه المقاتلة للعدو عند وجدان المنة و القوة و المهادنة[3] عند الضعف عن المقاومة هو[4] من أحكام المنسئ، وكل ما[5] شأنه أن يمتنع فى وقت لمعنى مّا ثم يعود فى وقت لزوال ذلك المعنى فهو من المنسَئ[6] الذى أهمل علمه أكثر الناظرين و ربما أضافوا أكثره إلى نمط النسخ لخفاء الفرقان بينهما؛ فيحق أن[4] هذه الآية من جوامع[7] آى الفرقان، فهذا حكم النسء و الإنساء[8] و هو فى العلم بمنزلة تعاقب الفصول بما اشتملت عليه من الأشياء المتعاقبة فى وجه المتداولة فى الجملة. قلت: و حاصله تأخير الحل كما ذكر[9] أو الحرمة كما فى المتعة و نحو ذلك إلى وقت آخر و ذلك هو مدلول النسء على ما كانت العرب تتعارفه كما سيأتى تحريره فى سورة براءة عند " انما النسيء زيادة فى الكفر[10] " قال: و أما النسيان و التنسية فمعناه أخفى من النسيء[11] و هو ما يظهره الله[12]

(١ - ١) فى م: عن (٢) فى مد: ففهمه - كذا (٣) فى الأصل المهادية، والتصحيح من م و ظ و مد (٤) ليس فى مد (٥) فى م: من (٦) زيد فى ظ: به (٧) فى م: جوامعه (٨) من ظ، و فى الأصل: الاتساء، و فى مد: الانسا، و فى م: الانسيا - كذا (٩) فى مد: لما (١٠) سورة ٩ آية ٣٧ (١١) فى مد: النس. (١٢) ليس فى م.

من البيانات[1] على سبيل إدخال النسيان على من ليس شأنه أن ينسى كالسنن التي أبداها النبي صلى الله عليه و سلم عن تنسيته[2] كما ورد من[3] قوله: إني لأُنَسَّى لأسُنَّ . و قال عليه الصلاة و السلام في[4] إفصاح القول فيه[5]: بئسما لأحدكم أن يقول: نسيت ، بل هو نُسِّي . و منه قيامه من اثنتين

٥ و سلامه من اثنتين حتى أظهر الله سنة ذلك لأمته ، و كانت تلك الصلاة بسهوها ليست بدونهـا من غير سهو بل هي مثلها أو خير[6] ؛ و من نحوه منامه عن الصلاة حتى أظهر الله توقيت الصلاة بالذكر كما كان قد أظهرها

(١) في مد: البيان (٢) في مد: تنسيه (٣) في ظ: في (٤) في م: على (٥) ليس في مد (٦) و في البحر المحيط ١/ ٣٤٤: و قال الزجاج: قراءة "تنسها" بضم النون و سكون النون الثانية و كسر السين لا يتوجه فيها معنى الترك ، لأنه لا يقـال أنسي بمعنى ترك؛ و قال أبو علي الفارسي و غيره: ذلك متجه لأنه بمعنى نجعلك تتركها ، و كذلك ضعف الزجاج أن تحمل الآية على النسيـان الذي هو ضد الذكر و قال: إن هذا لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ولا نسي قرآنا ، و قال أبو علي وغيره: ذلك جائز وقد وقع ، و لا فرق بين أن ترفع الآية بنسخ أو بِنُسأة ، و احتج زجاج بقوله تعالى "ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك" أي لم نفعل ، قال أبو علي : معناه لم نذهب بالجميع ، و حكى الطبري قول الزجـاج عن أقدم منـه . قال ابن عطية : و الصحيح في هذا أن نسيان النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد الله أن ينساه و لم يرد أن يثبته قرآنا جائز ، و أما النسيان الذي هو آفة في البشر فالنبي صلى الله عليه و سلم معصوم منه قبل التبليغ و بعد التبليغ ما لم يحفظه أحد من الصحابة و أما بعد أن يحفظه فجائز عليه ما يجوز على البشر، =

بالوقت الزمانى، فصار[1] لها وقتان: وقت نور عيانى من مدارها مع الشمس، و وقت نور وجدانى من[1] مدارها مع الذكر، و لصحة وقوعها للوقتين كانت الموقتة بالذكر أداء بحسبه، قضاء بحسب فوت الوقت الزمانى؛ فلله تعالى على [هذه -[2]] الأمــة فضل عظيم فيما يكمل لها على طريق النسخ و على سبيل النسء و على جهــة النسيان الذى ليس عن تراخ و لا إهمال و إنما يوقعه إجبارا مع إجماع العزم، و فى كل[3] ذلك إنباء[4] بان ما وقع من الأمر بعد هـذا النسيان خـير من موقع ذلك الأمر الذى كان يقع على إجماع و رعاية لتستوى أحوال هذه الأمة فى جميع تقلبات[5] أنفسها، كل ذلك من اختصاص رحمته و فضله العظيم - انتهى. و استدل[6] سبحانه على إتيانه[7] بذلك بقدرته، و القدرة[8] الشاملة التـامة مستلزمة للعلم أى و ليس هو كغيره من الملوك إذا أمر بشىء خاف غائلة[9] أتباعه و رعاياه فى نقضه. و استدل على القدرة بأن له جميع الملك و أنه ليس لأحد معه

= لأنه قد بلغ و أدى الأمانة، و منه الحديث حين أسقط آية فلما فرغ من الصلاة قال: أ فى القوم أبى؟ قال: نعم يا رسول الله! قال: فلم لم تذكرنى؟ قال: خشيت أنهـا رفعت. فقال النبى صلى الله عليه و سلم: لم ترفع و لكنى نسيتها - انتهى كلام ابن عطية.

(١ - ١) ليست فى مد (٢) زيد من م و ظ و مد، وقدسقط من الأصل.
(٣) ليس فى م (٤) فى مد: اتينا - كذا (٥) فى م: تغلبات، و فى مد: تقلباب.
(٦) زيد فى م: اى اوجد الدليل لغيره او فعل فعل من يطلب الدليل (٧) و فى ظ: اثباته (٨) زيد فى م: له (٩) فى ظ: غائلته.

أمر؛ و حاصل ذلك أنه لما ذكر سبحانه هذا الكتاب و أكد أمره مرارا وكان ناسخا لفروع شريعتهم و لا سيما ما فيها من الآصار و الأغلال أشار سبحانه إلى أن من أعظم ضلالهم و غيهم و محالهم[1] ادعاؤهم أن النسخ لا يجوز على الله، فمنعوا من "لا يسئل عما يفعل[2]" مما هو موجود في كتابهم كما مر آنفا، و مما سوغوه لأنفسهم بالتحريف و التبديل، و لزم من ذلك تكذيب كل رسول أتاهم بما لا تهوى أنفسهم، و فعلوا خلاف حال المؤمنين المصدقين بما أنزل إلى نبيهم و ما أنزل إلى غيره، و ضمن ذلك عيبهم بالقدح في الدين بالأمر بالشيء اليوم و النهي عنه غدا، و أنه لو كان من عند الله لما تغير[3] لأنه عالم بالعواقب، و لا يخلو إما أن يعلم أن الأمر بذلك الشيء مصلحة فلا ينهى عنه بعد، أو[4] مفسدة فلا يأمر به اليوم؛ و جوابهم عن ذلك معرضا عن خطابهم تعريضا بغباوتهم إلى خطاب أعلم الخلق بقوله: ﴿الم تعلم ان الله﴾ أي الحائز لجميع أوصاف[5] الكمال ﴿على كل شيء قدير﴾ على وجه الاستفهام المتضمن[6] للانكار و التقرير المشار فيه للتوعد و التهديد، فيخلق بقدرته من الأسباب / ما يصير الشيء في وقت مصلحة و في وقت آخر مفسدة لحكم و مصالح دبرها لتصرم هذا العالم. و يقضي[7] هذا الكون بشمول علمه بكل ما تقدم و ما تأخر،

(١) في م: مخالهم - كذا بالخاء المعجمة (٢) سورة ٢١ آية ٢٣ (٣) من م و ظ و مد، و في الأصل: تغير - كذا (٤) في مد: و (٥) في مد: صفات (٦) زيد في م و ظ: لاجل قصد اليهودية (٧) في م و مد: تقضى.

و لو أراد لجعل[1] الأمر على سنن واحد[2] و الناس على قلب رجل واحد "و لوشاء ربك لأمن من فى الارض كلهم جميعا[3]" "لجعل[4] النـاس امة واحدة[5]" و لكنه مالك الملك و ملك[6] السماوات و الأرض، يتصرف على حسب ما يريد، لا راد لأمره و لا معقب لحكمه، و لا يسوغ الاعتراض عليه بوجه، و هل يجوز أن يعترض العبد الذى لا ينفك أصلا من الرق على السيد الثابت السودد على أنه لا يلزمه شيء أصلا فلا يلزمه الأمر على حسب المصالح؛ ثم اتبع ذلك بما هو كالدليل على شمول القدرة فقال: ﴿ الم تعلم ان الله ﴾ الجامع لأنواع العظمة ﴿ له ملك السمٰوٰت و الارض ﴾ يفعل فى ذواتها و أحوالها ما يشاء. قال الحرالى: فهو بما هو على كل شيء قدير يفصل الآيات، و هو بما له ملك السماوات و الأرض يدبر الأمر - انتهى[7].

و لما أتم[8] سبحانه ما أراد من إظهار قدرته و سعة ملكه و عظمته بالاسم العلم الذى هو[9] [أعظم -[10]] من مظهر [العظمة -[10]] فى تنسخ و ننسا بالإقبال على خطاب من لا[11] يعلم ذلك حق علمه غيره فتهيأت[12] قلوب السامعين و صغت[13] لفت الخطاب إليهم ترهيبا فى إشارة إلى ترغيب فقال: ﴿ و ما لكم

(١) فى م: بجعل (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: واحدة (٣) سورة ١٠ آية ٩٩ (٤) فى م فقط: بجعل - كذا؛ راجع سورة ١١ آية ١١٨ (٥) ليس فى م. (٦) فى م: مالك (٧) ليس فى ظ (٨) فى ظ: تم (٩) زيد فى م: من (١٠) زيد من م و مد و ظ (١١) ليس فى مد (١٢) من م و ظ، و فى الأصل: فتهيـات - كذا، و فى مد: فهيّات (١٣) من م، و فى بقية الأصول: صفت - كذا بالفاء.

من دون الله﴾ المتصف بجميع صفات العظمة ﴿من ولى﴾ يتولى أموركم، وهو من الولاية، قال الحرالى: وهى [1] القيام بالأمر عن وصلة واصلة [2] ﴿ولا نصير ٥﴾ فأقبلوا بجميع قلوبكم إليه ولا تلفتوها [3] عنه، وفى ذلك تعريض بالتحذير للذين آمنوا ولم يبلغوا درجة المؤمنين من مخالفة أمره إذا حكم عليهم بما أراد كائنا ما كان لئلا تلقن [4] بواطنهم عن اليهود نحوا مما لقنت [5] ظواهر ألسنتهم، بأن تستمسك [6] بسابق [7] فرقانها فتتثاقل [8] عن قبول لاحقه و [9] مكمله، فيكون [9] ذلك تبعا لكثرة أهل الكتاب فى إبائها [10] نسخ ما لحقه التغيير من أحكام [11] كتابها - أفاده الحرالى وقال: وهو فى الحقيقة خطاب جامع لتفصيل ما يرد [12] من النسخ فى تفاصيل الأحكام والأحوال بمنزلة الخطاب المتقدم فى صدر السورة المشتمل على جامع [13] ضرب الأمثال فى قوله تعالى: "ان الله لا يستحى ان يضرب مثلا ما" الآية، وذلك لأن هذه السورة هى فسطاط القرآن

(١) زيد فى م: الامر بالقيام، وفى مد: القيام بالامر (٢) فى مد: فاصله (٣) وفى ظ: لا تلقنوها (٤) من م و ظ، و فى الأصل: يلقن، وفى مد: بلقن - كذا. (٥) فى الأصل: لقيت. والتصحيح من م وظ ومد (٦) من م وظ ومد، وفى الأصل: يستمسك (٧) فى م: سابق، وفى مد: بظاهر (٨) من م و ظ، وفى الأصل: فيتثاقل، وفى مد: فتسافل - كذا (٩-٩) من م و ظ و مد. وفى الأصل: نكمله فكون - كذا (١٠) من م و ظ و مد، وفى الأصل: اباتها - كذا (١١) زيد فى ظ و مد: فى (١٢) زيد فى الأصل «الله» ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (١٣) ليس فى م و ظ.

الجامعة لجميع ما تفصّل[١] فيه؛ و هي سنام القرآن، و سنام الشي أعلاه؛ و هي سيدة سور[٢] القرآن؛ ففيها لذلك[٣] جوامع ينتظم بعضها ببعض أثر تفاصيله خلالها[٤] في سنامية معانيها و سيادة خطابها نحوا من انتظام آي[٥] سورة الفاتحة المنتظمة من غير تفصيل وقع أثناءها[٦] ليكون بين المحيط الجامع و[٧] الابتداء الجامع مشاكلة مّا - انتهى. و لما كان[٨] رسخ [٩]ما ذكره سبحانه من تمام قدرته و عظيم مملكته و ما أظهر لذاته المقدس من العظم بتكرير اسمه العلَم [١٠]و إثبات أن ما سواه عدم[١٠] فتأهلت القلوب للوعظ صدعها[١١] بالتأديب بالإنكار الشديد فقال: ﴿ام﴾ أي أتريدون أن تردوا أمر خالقكم في النسخ أم ﴿تريدون ان﴾ تتخذوا من دونه إلها لا يقدر على شيء بأن ﴿تسئلوا رسولكم﴾ أن يجعل لكم إلها غيره ﴿كما سئل موسى﴾ ذلك. [١٢]و لما كان سؤالهم ذلك في زمن يسير أثبت[١٣] الجار فقال: ﴿من قبل﴾ أي قبل هذا الزمان إذ قال قومه بعد ما رأوا من الآيات و قد مرّوا بقوم يعكفون على أصنام لهم: "اجعل لنا الها كما لهم الهة[١٤]" و قالوا: "ارنا الله جهرة[١٥]"، و قالوا: "لن نصبر على طعام

(١) في مد: يفضل (٢) في م: سورة (٣) ليس في مد (٤) في الأصل: حلالها - كذا بالحاء المهملة، و التصحيح من بقية الأصول (٥) من م، و في الأصل و مد: اى (٦) في الأصل: اثناء، و في م: اثنا، و في مد: اسنا - كذا. (٧) و في م: في (٨) ليس في م و ظ (٩) و في م: مما (١٠ - ١٠) ليست في ظ (١١) في م: ...دغها (١٢) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست في ظ. (١٣) من م و مد، و في الأصل: امت - كذا (١٤) سورة ٧ آية ١٣٨. (١٥) سورة ٤ آية ١٥٣.

واحد[1] "، وكانوا يتعنتون عليه فى أحكام الله بانواع التعنتات كما تقدم .
و " الإرادة " فى الخلق نزوع النفس لباد تستقبله - قاله الحرالى . و أدل دليل على ما [2] قدرته قوله عطفا على ما تقديره: فيكفروا[3] فانه من سأل ذلك فقد تبدل الكفر بالإيمان ﴿ و من يتبدل الكفر بالايمان ﴾ [4] أى
٥ يأخذ الكفر بدلا من الإيمان بالإعراض عن الآيات و سؤال غيرها[5] أو[6] التمسك بما نسخ منه ، و عبر بالمضارع استجلابا[7] لمن زل بسؤال شيء من ذلك إلى الرجوع بالتوبة ليزول عنه الاستمرار فيزول الضلال ﴿ فقد ضل سواء السبيل ﴾ أى عدله و وسطه فلم يهتد إليه و إن كان فى بينات منه ، فان من حاد عن السواء أوشك أن يبعد بعدا لا سلامة معه[8] " و ان هذا
١٠ صراطى مستقيما فاتبعوه و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله[9] "
و كثيرا ما كان يتزلزل طوائف من الناس عند تبدل الآيات و تناسى الأحكام و بحسب ما يقع فى النفس ، من تثاقل[10] عنه أو تحامل على قبوله

(١) سورة ٢ آية ٦١ (٢) ليس فى ظ و مد (٣) وفسر الزمخشرى هذا بأن قال : و من ترك الثقة بالآيات المنزلة و شك فيها و اقترح غيرها . و قال أبو العالية : الكفر هنا الشدة و الإيمان الرخاء ، و هذا فيه ضعف إلا أن يريد أنهما مستعاران فى الشدة على نفسه و الرخاء لها عن العذاب و النعيم - قاله أبو حيان الأندلسى .
(٤) العبارة من هنا إلى « الضلال » ليست فى ظ (٥) و فى م و مد : غيرهما .
(٦) فى مد فقط : و (٧) و فى مد : استجما - كذا (٨) فى مد : منه .
(٩) سورة ٦ آية ١٥٣ (١٠) من مد و ظ . و فى الأصل : ثاقل ، و فى م : تناقل - كذا .

يلحقه

يلحقه من هذا الضلال عن سواء هذا السبيل١ ؛ و فيه إشعار بأن الخطاب للذين آمنوا ، لأن المؤمنين المعرفين بالوصف لا يتبدل أحوالهم من إيمان لكفر ، لأن أحدا لا يرتد عن دينه بعد أن خالط الإيمان بشاشة قلبه "فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها٢" ، "و من يسلم وجهه إلى الله و هو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ٣" ؛ و قال عليه الصلاة و السلام : إن الله لا ينتزع[٤] العلم انتزاعا بعد أن أعطاكموه . فبذلك يتضح مواقع[٥] خطاب القرآن مع المترتبين[٦] [٧]في أسنان القلوب بحسب الحظ من الإيمان و الإسلام و الإحسان[٧] - قاله الحرالي . و عرف "السبيل" بأنه المشتمل على قوام السائر فيه و السالك له من نحو الرعي و السقي و شبهه ، و السواء بأنه من الشيء أسمحه

(١) و في البحر المحيط ١/٣٤٧ : لما كانت الشرطية توصل سالكها إلى رضوان الله تعالى كنى عنها بالسبيل ، و جعل من حاد عنها كالضال عن الطريق ، و كنى عن سؤالهم نبيهم ما ليس لهم أن يسألوه بتبدل الكفر بالإيمان ، و أخرج ذلك في صورة شرطية و صورة الشرط لم تقع بعد تنفيرا عن ذلك و تبعيدا منه ، فوبخهم أولا على تعلق إرادتهم بسؤال ما ليس لهم سؤاله و خاطبهم بذلك ، ثم أدرجهم في عموم الجملة الشرطية و ان مثل هذا ينبغي أن لا يقع لأنه ضلال عن المنهج القويم ؛ فصار صدر الآية إنكارا و توبيخا و عجزها تكفيرا و ضلالا ، و ما أدى إلى هذا فينبغي أن لا يتعلق به غرض ولا طلب و لا إرادة (٢) سورة ٢ آية ٢٥٦ (٣) سورة ٣١ آية ٢٢ (٤) من م وظ و مد ، و في الأصل : لا ينزع . (٥) ليس في م (٦) في مد . المرتدين (٧ - ٧) ليست في مد .

بالأمر الذى قصد له ، قال : و يقال هو وسطه و خياره .

و لما كان أكثر المثيرين لهذه الشكوك فى صور أهل الإسلام قال تعالى مخاطبا للمؤمنين و هم فى غمارهم تنفيرا لهم عن الضلال الذى هو فى نفسه أهل لأن[1] ينفر عنه فكيف و هو شماتة العدو و بتخييله و ودادته[2] تحذيرا لهم من مخالطتهم: ﴿ود كثير﴾ [3]و هو تعليل لمعنى الكلام و هو : فلا تتبدلوا الكفر بالإيمان ، بعد تعليله بالضلال ؛ و ذلك كما مضى فى "ما يود الذين كفروا" سواء .

و لما كان المشركون عربا عالمين بأن طبع العرب[4] الثبات لم يدخلهم معهم فى هذا الود و قال : ﴿من اهل الكتٰب﴾ فأنبأ[5] أن[6] المصافى منهم قليل ، و بشر سبحانه بأن ما يودونه من قسم المحال بسوقه[7] سوق المتمنى فقال : ﴿لو يردونكم﴾ أى بأجمعكم[8] ؛ ثم حقق أمر التمنى [9]فى كونه[9] محالا [10] [11]مشيراً بإثبات الجار إلى قناعتهم به و لو فى زمن يسير[11] فقال : ﴿من بعد ايمانكم﴾ [11]أى الراسخ[11] ﴿كفارا﴾ [11]أى لتكونوا مثلهم فتخلدوا معهم فى النار[11] ﴿حسدا﴾ على ما آتاكم الله من الخير الهادى إلى الجنة ، و الحسد قلق النفس من رؤية النعمة على الغير ، و عبر عن بلوغ الحسد

(١) فى ظ: لا (٢) فى م: ردادته (٣) و فى عبارة م من قوله «و هو تعليل» إلى قوله «سوق المتمنى فقال» تقديم و تأخير (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: للعرب (٥) من م وظ و مد ، وفى الأصل: فانبا ـ كذا (٦) سقط من مد (٧) فى مد: يسوقه (٨) فى مد: جمعكم (٩-٩) كرره فى مد ثانيا (١٠) زيد فى مد: فقال. (١١-١١) ليست فى ظ .

إلى غاية لا حيلة معها فى تركه بقوله : ﴿ من عند انفسهم [1] ﴾ أى أنه راسخ فى طباعهم فلا تطمعوا فى صرفه بشئ [2] ، فان أنفسهم غالبة على عقولهم ، ثم زاده تأكيدا بقوله [3] مشيرا باثبات الجار إلى ذمهم [4] بأنهم استمروا على الضلال بعد الدعوة ، لا يطلبون الحق مع القدرة على تعرفه ، حتى هجم عليهم [5] بيانه و قهرهم عرفانه ، ثم لم يرجعوا إليه ؛ و ما كفاهم ضلالهم فى أنفسهم حتى تمنوا إضلال غيرهم بالرجوع عنه ﴿ من [6] بعد ما تبين ﴾ [7] أى بيانا عظيما بوضوحه [8] فى نفسه ﴿ لهم الحق ﴾ [9] أى من صحة رسالة محمد صلى الله عليه و سلم و أنه خاتم النبيين المرسل [10] إلى الناس [10]

(١) و يتعلق المجرور الذى هو "من عند انفسهم" إما بملفوظ به وهو ود أى ودوا ذلك من قبل شهوتهم لا أن ودادتهم ذلك هى من جهة التدين و اتباع الحق ، ألا ترى إلى قوله تعالى "من بعد ما تبين لهم الحق" ؟ و إما بمقدر فيكون فى موضع الصفة التقدير : حسدا كائنا من عند أنفسهم ؛ و على كلا التقديرين يكون توكيدا ، أى ودادتهم أو حسدهم من تلقائهم – البحر المحيط ٣٤٨/١ (٢) فى م : لشئ . (٣) العبارة من هنا إلى «بالرجوع عنه» ليست فى ظ (٤) فى م : دينهم . (٥) من م و مد ، و فى الأصل : عليه (٦) فى البحر المحيط ٣٤٨/١ تتعلق "من" هذه بقوله "ود" أى أن ودادتهم كفركم للحسد المنبعث من عند أنفسهم ، و تلك الودادة ابتدأت من زمان وضوح الحق و تبينه لهم ، فليسوا من أهل الغباوة الذين قد يعزب عليهم وضوح الحق بل ذلك على سبيل الحسد و العناد ؛ و هذا يدل على أن الكفر يكون عنادا ، ألا ترى إلى ظاهر قوله ﴿ من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ (٧) العبارة من هنا إلى «نفسه» ليست فى ظ (٨) فى م : بوضوح . (٩) العبارة من هنا إلى «التوراة» ليست فى ظ (١٠-١٠) فى مد : للناس .

كافة[١] بشهادة ما طابقه من التوراة[١]، و من أنهم خالدون فى النار، لأنهم ممن[٢] أحاطت به خطيئته بما دل عليه سبحانه فى جميع هده الآيات إبطالا لدعواهم فى مس النار لهم[٣] أياما معدودة .

ثم أرشد إلى الدواء بقوله مسببا عن الإخبار بأن ودهم محال و بعدم
٥ رجوعهم: ﴿ فاعفوا ﴾ أى عاملوهم معاملة العافى بأن لا تذكروا[٤] لهم شيئا مما تظهره تلك الودادة الناشئة عن هذا الحسد من الأقوال و الأفعال ولا تأخذوا فى مؤاخذتهم به، فانهم لا يضرونكم و لا يرجعون إليكم، ﴿ و اصفحوا ﴾ أى أظهروا لهم أنكم لم تطلعوا على شيء من ذلك، و أصل معناه من الإعراض بصفحة العنق عن الشيء كأنه لم يره، و أمرهم[٥] بمطلق
١٠ الصفح و لم يقيده بالجميل الذى اختص به خطاب نبيهم صلى الله عليه و سلم فى قوله "فاصفح الصفح الجميل[٦]" لتنزل الخطاب على مراتبه و مستحق[٧] مواقعه. و حثهم[٨] على أن يكون فعلهم ذلك اعتمادا على تفريجه سبحانه بقوله: ﴿ حتى[٩] يأتى الله ﴾[١٠] الذى لا أمر لأحد معه ﴿ بامره ﴾ فبشرهم

(١-١) ليست فى م (٢) فى م: من (٣) ليس فى ظ (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: لا يذكروا (٥) من م و ظ و مد، و فى الأصل: امره (٦) سورة ١٥ آية ٨٥ (٧) فى ظ: مستجمع (٨) فى مد: حثهم - كذا (٩) فى البحر المحيط ١/٣٤٩: غيا العفو والصفح بهذه الغاية و هذه موادعة إلى أن أتى أمر الله بقتل بنى قريظة و إجلاء بنى النضير و إذلالهم بالجزية و غير ذلك مما أتى من أحكام الشرع فيهم و ترك العفو و الصفح. و قال الكلبي: هو إسلام بعض و اصطلام بعض، و قيل آجال بنى آدم، و قيل: القيامة، و قيل: المجازاة يوم القيامة، و قيل: =

بذلك

بذلك بظهورهم على من أمروا[١] بالصفح و العفوا[١] عنهم ، و قد كان مبدأ ذلك و يتم فى زمن عيسى عليه السلام .

و لما كان النصر و هم فى القلة[٢] و الضعف بحال عظيم و قوة عدوهم وكثرتهم أعظم مستبعدا قال: ﴿ ان الله ﴾ و أظهر موضع الإضمار[٣] تحقيقا للبشرى بالإيماء إلى استحضار ما يدل عليه هذا الاسم الأعظم من صفات الجلال و الإكرام ﴿ على كل شيء قدير ﴾[٤] ففى هـذا الختم بشرى للمؤمنين بتقـديرهم كما أن فى الختم بالعلم بشرى بتعليمهم ، و فى إفهامه نذارة للكافرين بمقابل[٥] ذلك .

و لما أمرهم بالثقة[٦] بهذا الكتـاب ما نسخ منه و ما لم ينسخ و أن

= قوة الرسالة وكثرة الأمة ؛ و الجمهور على أنه الأمر بالقتال . و عن الباقر أنه لم يؤمر بقتال حتى نزل " اذن للذين يقتلون " و الأمر بالعفو و الصفح هو أن لا يقاتلوا و أن يعرض عن جوابهم ، فيكون أدعى لتسكين الثـائرة و إطفاء الفتنة وإسلام بعضهم لا أنه يكون ذلك على وجه الرضا لأن ذلك كفر (١٠) زيد فى مد : أى . و العبارة من هنا إلى « معه » ليست فى ظ .

(١-١) فى م و ظ : بالعفو و الصفح ، و فى مد : بالمعروف و الصفح (٢) فى م : العلة ـ كذا (٣) فى م : الاضمار (٤) و فيه إشعار بالانتقام من الكفار ، و وعد للمؤمنين بالنصر و التمكين ، ألا ترى أنـه أمر بالموادعـة بالعفو و الصفح و غيا ذلك الى ان " ياتى الله بامره " ثم أخبر بأنه قـادر على كل شيء ـ البحر المحيط ٤٤٩/١ (٥) فى مد : المقابل (٦) من مد ، و فى الأصل محرف غير واضح ، و فى م : النفد ، و فى ظ : الثقه .

لايعوقهم عنه طعن الطاعنين و لا حسد الحاسدين و أمرهم[1] [2] بالإعراض عن الغير أمرهم بالإقبال على إصلاح النفس و الإحسان إلى الغير[2] مما[3] اتصف به المهتدون فى قوله تعالى "و يقيمون الصلوٰة و مما رزقنٰهم ينفقون"، و لما كان المقصود من الصلاة قصر الهمـــة و النية على الحضرة الإلٰهية

٥ و تفريغ البال من جميع الشواغل علم أن التقدير بعد الختم بشمول القدرة فاعلوا / ذلك [4] و ثقوا به [4] ﴿ و اقيموا الصلوٰة ﴾ [5] التى هى مع كونها[6] سنبتليكم[7] فى قبلتها بالنسخ قوام الدين و المعينة على جميع النوائب باعانة الخالق الذى قصد بها الإقبال عليه و التقرب إليه ﴿ و اٰتوا الزكوٰة ﴾ التى هى قرينة الصلاة ، فمن فرق بينهما [8] فقد نسخ[8] ما أثبت الله فاستحق

١٠ القتال[9] ليرجع عما ارتكب من الضلال ، [10] و هى[10] من أعظم نفقات المؤمنين إحسانا إلى الخلائق إن كنتم مصلين بالحقيقة ، فان المال بعض

(١) فى ظ : امر (٢-٢) ليست فى ظ (٣) فى م : بما (٤-٤) فى مد : و بقوله .
(٥) لما أمر بالعفو و الصفح أمر بالمواظبة على عمودى الإسلام : العبادة البدنية ، و العبادة المالية، إذ الصلاة فيها مناجاة الله تعـالى و التلذذ بالوقوف بين يديه ، و الزكاة فيها الإحسان إلى الخلق بالإيثار على النفس ، فأمروا بالوقوف بين يدى الحق و بالإحسان إلى الخلق. قال الطبرى: إنما أمر الله هنا بالصلاة و الزكاة ليحط ما تقـدم من ميلهم إلى قول اليهود : راعنـا ، لأن ذلك نهى عن نوعه ثم أمر المؤمنون بما يحطه ـ البحر المحيط (٦) فى الأصل فقط : كوندا ، و التصحيح من بقية الأصول (٧) فى مد : مستقبليكم (٨-٨) فى م : فنسخ ـ كذا (٩) فى مد : النار (١٠-١٠) فى مد : فهى .

ما صرفت عنه الصلاة من أعراض الدنيا .

و لما كان قوله " يايها الذين اٰمنوا لا تقولوا راعنا " و ما بعده خطابا للمؤمنين تحذيرا من كيد أعدائهم بالنهي عما يرديهم و الأمر بما ينجيهم و ختمه بهذه الآية فذلكة لذلك كله جميعا لمعانيه و فتحها برأس العبادات البدنية و المالية وكانت "ال[1]" مشيرة[2] إلى الواجب من ذلك ختم الآية نفسها بالأمر العام الجامع فقال: ﴿و ما تقدموا لانفسكم من خير﴾ أي من الصلاة و الزكاة و غيرهما فرضا و نفلا ﴿تجدوه﴾ و زاد[3] ترغيبا فيه بقوله: ﴿عند الله﴾ أي الجامع لصفات الكمال، فهو يحفظه بما له من العلم و القدرة و يربيه[4] بما له من الكرم و الرحمة - إلى غير ذلك من أمور الفضل .

و لما كان الشيء قد يهمل لكونه صغيرا و قد لا يطلع عليه لكونه خفيا حقيرا قال مرغبا مرهبا: ﴿ان الله﴾ °المحيط قدرة و علما° ﴿بما تعملون بصير﴾ و أظهر الاسم في موضع الإضمار إشعارا بالاستئناف للخبر ليكون ختما جامعا ، لأنه لو عاد على خصوص هذا الخطاب[6] لكان "انه"، و ذلك لأن تجديد الإظهار يقع[7] بمعنى رد[8]

(١) في م و ظ : ان (٢) في م : مسيرة ١م) من م و مد و ظ ، و في الأصل: زاده (٤) من م و مد و ظ ، و في الأصل : بربه - كذا (٥-٥) لبست في ظ .
(٦) في الأصل : الكتاب ، و التصحيح من م و ظ و مد (٧) من م ، و في مد: نفع (٨) في مد : رده .

ختم الخطاب على إحاطة جملته[1] - قاله الحرالي ؛ [2] و المعنى أنه لو أضمر لكان ربما أفهم تقيد[3] علمه بحيثية ما تقدم من عمل الخير ؛ و على مثل هذا دل قول العلامة شمس الدين الغزى[4] فى أول شرحه لإيساغوجي[5] : الغالب[6] فى المضمر إرادة المعنى الأول ، و أما حديث : إعادة[7] الشيء معرفة[8]. فأصل يعدل عنه كثيرا للقرائن[9] .

و لما ذكر دعواهم فى مس النار و أبطلها من وجوه كثيرة أحاطت بهم فيها الخطايا إحاطة اقتضت خلودهم فيها من جهة [ضلالهم إلى آية

---

(١) فى مد : علته - كذا (٢) العبارة من هنا إلى « للقرائن » ليست فى ظ (٣) فى مد: تقييد، و فى البحر المحيط : و هذه جملة خبرية ظاهرة التناسب فى ختم ما قبلها بها ، تتضمن الوعد و الوعيد ، و كنى بقوله "بصير" عن علم المشاهدة أى لا يخفى عليه عمل عامل و لا يضيعه و من كان مبصرا لفعلك لم يخف عليه هل هو خير أو شر ، و أتى بلفظ بصير دون مبصر إما لأنه من بصر فهو يدل على التمكن والسجية فى حق الإنسان أو لأنه فعيل للمبالغة بمعنى مفعل الذى هو للتكثير. قال بعض الصوفية : على المريد إقامة المواصلات و إدامة التوسل بفنون القربات واثقا بأن ما تقدمه من صدق المجاهدات ستزكو ثمرته فى آخر الحالات وأنشدوا :

سابق إلى الخير و بادر به   فإنما خلفك ما تعلم
و قدم الخير فكل امرئ   على الذى قدمه يقدم

(٤) من م ، و فى الأصل : الفزى ، و فى مد : بن الغزى (٥) فى م : لا تساغوجى .
(٦) فى م : الغالبه (٧) فى م : اعاره ، و ليس فى مد (٨) فى م : معرفه (٩) زيد فى مد : و قال الشيخ سعد الدين فى المختصر فى بحث التشبيه : لم يأت بالضمير لئلا يعود إلى المشبه المذكور هو أخص ، و ما يقال إن المعرفة إذا أعيدت كانت عين الأول فليس على إطلاقه .

النسخ مرقيا الخطاب من سيئة إلى أسوأ منها ثم من جهة -[1] إضلالهم لغيرهم من آية النسخ عطف على تلك الدعوى الإخبار بدعواهم في دخول الجنة تصريحا بما أفهمته الدعوى الأولى تلويحا و قرن بذلك مثل ما ختم به ما قبلها من أن[2] من فعل خيرا وجد[3] على وجه بين فيه أن ذلك الخير الإسلام و الإحسان فقال تعالى : ﴿ و قالوا ﴾ أى أهل الكتاب من اليهود و النصارى حسدا منهم على المسبب الذى هو الجنة كما حسدوا على السبب و هو إنزال ما اقتضى الإيمان الموصل إلى الرضوان الذى به تستباح الجنان ﴿ لن يدخل الجنة ﴾ المعدة لأولياء الله ﴿ الا من كان هودا ﴾ هذا قول اليهود منهم ﴿ او نصارى ﴾ و هذا قول النصارى نشرا[4] لما لفته[5] الواو[6] فى "و قالوا[7]" .

---

(١) زيد من م وظ ومد (٢) زيد فى مد : ما (٣) فى م : اوجده ، وفى مد وظ : وجده (٤) فى ظ فقط : فبشرا (٥) فى مد : لفت (٦) ليس فى مد (٧) وفى البحر المحيط ١ / ٣٥٠ : و الضمير فى ﴿وقالوا﴾ عائد على أهل الكتاب من اليهود و النصارى ، و لفهم فى القول ﴿لن يدخل الجنة﴾ لأن القول صدر من الجميع باعتبار أن كل فريق منهما قال ذلك لا أن كل فرد فرد قال ذلك حاكما على أن حصر دخول الجنة على كل فرد فرد من اليهود و النصارى ، و لذلك جاء فى العطف با و التى هى للتفصيل و التنويع ، و أوضح ذلك العلم بمعاداة الفريقين و تضليل بعضهم بعضا ، فامتنع أن يحكم كل فريق على الآخر بدخول الجنة ، و نظيره فى لف الضمير و فى كون أو للتفصيل قوله " و قالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا " إذ معلوم أن اليهود لا يأمر بالنصرانية و لا النصرانى يأمر باليهودية .

و لما كانوا[1] أبعد الناس عن هذه الأماني التي تمنوها لأنفسهم لمنابذتهم لما عندهم من العلم و التي حسدوا فيها المؤمنين لأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال مشيرا إلى بعدهم عن ذلك على وجه الاستئناف [2]معترضا بين الدعوى و طلب الدليل عليها تعجيلا لتوهيتها[3] : ﴿ تلك ﴾ بأداة البعد ﴿ امانيهم ﴾ تهكما بهم، [4]أي [5]أمثال هذه الشهوة من ودهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم، و أن يردوهم كفارا، و أن لا يدخل الجنة غيرهم - و أمثال ذلك من شهواتهم[6] .

و لما كان كل مدع لغيب مفتقرا في تصحيح دعواه إلى دليل و كان مثل هذا لا يقنع فيه إلا بقاطع [7]أمر أعلم[7] الخلق لأنه لا ينهض بأخراسهم في علمهم و لددهم غيره بمطالبتهم بذلك ناقضا لدعواهم فقال : ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ بلفظ البرهان . قال الحرالي : ‹ هو علم قاطع الدلالة غالب القوة بما تشعر به صيغة الفعلان ضم أولها و زيادتا[8] آخرها ›

(١) من م و مد و ظ، و في الأصل : كان (٢) العبارة من هنا إلى «لتوهيتها» ليست في ظ (٣) في مد : لتوهينها (٤) العبارة من هنا إلى « شهواتهم » ليست في ظ (٥) من م و مد، و في الأصل : الى (٦) قال أبو حيان الأندلسي : و الأظهر أن تلك إشارة إلى مقالتهم " لن يدخل الجنة " أي تلك المقالة أمانيهم أي ليس ذلك عن تحقيق و لا دليل من كتاب الله و لا من إخبار من رسول و إنما ذلك على سبيل التمني و إن كانوا هم جازمين بمقالتهم لكنها لما لم تكن عن برهان كانت أماني، و التمني يقع بالجائز و الممتنع، فهذا من الممتنع، و لذلك أتى بلفظ الأماني و لم يأت بلفظ مرجواتهم، لأن الرجاء يتعلق بالجائز، تقول : ليتني طائر، و لا يجوز : لعلني طائر (٧ - ٧) في ظ : امرا اعلم (٨) في مد : زيادة .

و هذا كما افتتح تلك بالنقض بقوله "قل اتخذتم" و فى ذلك إعلام بأنه تعالى ما غيّب[1] شيئا إلا و أبدى عليه علما ليكون فى العالم المشهود شفاف عن العالم الغائب ـ قاله الحرالى . [2] قالوا : و هـذا أهدم شيء[3] لمذهب المقلدين و دليل على أن كل قول لا برهان عليه باطل[4] .

و لما نادى عليهم بالكذب فى قوله : ﴿ ان كنتم صٰدقين ﴾ أثبت لغيرهم بقوله : ﴿بلىٰ﴾ ما ادعوا الاختصاص به ، ثم بين أهل الجنة بقوله : ﴿ من اسلم وجهه ﴾ أى كليته ، لأن الوجه أشرف ما ظهر من الإنسان ، فمن أسلمه أسلم كلـه ، كما أن « الإيمان » إذعان القلب الذى هو أشرف ما بطن و إذعانه إذعان جميع الأعضاء ؛ و « الإسلام » قال الحرالى الإلقاء بما يكون من منة[5] فى باطن أو ظاهر ؛ و « الوجه » مجتمع حواس الحيوان ، و أحسن ما فى الموتان[6] - و هو ما عدا الحيوان ، و موقع الفتنة من الشيء الفتان ؛ و هو أول ما يحاول إبداؤه من الأشياء لذلك[7] ﴿ لله ﴾ من أجل أنه الله[8] الجامع للكمال .

و لما كان ذكر الأجر لكل واحد بعينه أنص على المقصود و أنفى

(١) من م وظ و مد ، وفى الأصل ، غير ـ كذا (٢) العبارة من هنا إلى «باطل» ليست فى ظ (٣) فى م : لى (٤) و فى البحر المحيط ١ / ٣٥١ : و فى هذا دليل على أن من ادعى نفيا أو إثباتا فلا بد له من الدليل ، و تدل الآية على بطلان التقليد وهو قبول الشيء بغير دليل . قـال الزمخشرى : و هذا أهدم شيء لمذهب المقلدين و أن كل قول لا دليل عليه فهو باطل (٥) فى م : سمه (٦) وقع فى م : الموتات ـ محرفا (٧) ليس فى ظ (٨) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

التعنت[1]، أفرد الضمير فقال: ﴿ و هو محسن ﴾ فى جانب الحق[2] باذعان القلب، و فى جانب الخلق بما يرضى الرب، [3]فصار يعبد الله كأنه يراه[3]، فطابق سره[4] علنه . و لما نفوا الأجر عن غيرهم و أثبته سبحانه للتصف بالإسلام منهم و ممن سواهم و كان ربما قيل إنه أعطى غيرهم لكونه الملك المطلق بغير سبب ربط الأجر بالفاء دليلا على أن إسلامهم هو السبب فقال: ﴿ فله ﴾ خاصة[5] ﴿ اجره عند ربه ﴾ إحسانا إليه باثبات نفعه على حسب ما ربّه به فى كل شريعة .

[6]و لما كان ربما ادعى أنه ما[7] أفرد الضمير إلا لأن المراد واحد بعينه فلا يقدح ذلك فى دعوى أنه لن يدخل الجنة إلا اليهود أو النصارى جمع فقال: ﴿ و لا خوف عليهم ﴾ من آت ﴿ و لا هم يحزنون ﴾ على شيء فات دفعا لضرهم، و هذا كما أثبت سبحانه خلاف دعواهم فى مس النار بقوله: "بلى من كسب سيئة و احاطت به خطيئته" الآية[8]، فالتحم الكلام بذلك أشد التحام و انتظم أى انتظام .

و لما أبطل دعوى اختصاصهم بالرحمة [9]قدحا منهم فى غيرهم[9] و أثبتها للحسنين اتبع ذلك [10]قدح كل فريق منهم فى الآخر و[10] بيان انتفائها عنهم باساءتهم بابطال كل فرقة منهم دعوى الأخرى مع ما يشهد به

(١) فى م: للتعنت، والكلمة لا تتضح فى مد (٢) العبارة من هنا إلى «علنه» تأخرت فى م عن «هو السبب فقال» و قد ثبتت فى هامشه (٣-٣) ليست فى ظ (٤) زيد بعده فى م «و» (٥) ليس فى مد (٦) العبارة من هنا إلى «جمع فقال» ليست فى ظ (٧) من م و مد، و فى الأصل: انما (٨) سورة ٢ آية ٨١ (٩-٩) ليست فى ظ (١٠-١٠) ليست فى ظ، و فى م «الاجر» مكان «الآخر» كذا .

كتاب

كتاب كل من بطلان قوله فقال: ﴿ و قالت اليهود ليست ﴾[1] أنث[2] فعلهم لضعف قولهم و جمع أمرهم ﴿ النصارى على شيء ﴾ أى يعتد به لكونه صحيحا، و ليس مخففة[3] من وزن فرح[4]، و معناها مطلق النفى لمتقدم إثبات أو مقدره - قاله الحرالى[5]. ﴿ و قالت النصارى ﴾ كذلك[6]

---

(١) العبارة من هنا إلى «أمرهم» ليست فى ظ و إلى «صحيحا» ليست هنا فى مد بل أخرت عن «الحرالى» و لفظها ﴿النصارى على شيء﴾ أى يعتد به لكونه صحيحا أنث فعلهم لضعف قولهم و جميع أمرهم (٢) وقع فى م: انس - كذا بالسين محرفا (٣) فى الأصل: محففه، و فى م و مد: مخففه - كذا (٤) فى ظ: قزح، و فى مد: فزح (٥) و قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١ / ٣٥٢: قيل المراد عامة اليهود و عامة النصارى، فهذا من الإخبار عن الأمم السالفة و تكون "ال" للجنس و يكون فى ذلك تقريع لمن بحضرة رسول الله صلى الله عليه و سلم من الفريقين و تسلية له صلى الله عليه و سلم إذ كذبوا بالرسل و بالكتب قبله، و قيل المراد يهود المدينة و نصارى نجران حيث تماروا عند الرسول و تسابوا وأنكرت اليهود الإنجيل و نبوة عيسى و أنكرت النصارى التوراة و نبوة موسى، فتكون حكاية حال و "ال" للعهد و المراد بذلك رجلان رجل من اليهود يقال له نافع بن حرملة قال لنصارى نجران: لستم على شيء، و قال رجل من نصارى نجران لليهود: لستم على شيء، فيكون قد نسب ذلك للجميع حيث وقع من بعضهم، كما يقال: قتل بنو تميم، و إنما قتله واحد منهم، و ذلك على سبيل المجاز و التوسع؛ و نسبة الحكم الصادر من واحد إلى الجمع و هو طريق معروف عند العرب فى كلامها نثرها و نظمها (٦) ليس فى ظ.

﴿ ليست اليهود على شيء ﴾ [1] فعجب منهم فى هذه الدعوى [2] العامة لما قبل التبديل و النسخ و ما بعده بقوله: ﴿ و هم ﴾ [3] أى و الحال أنهم [3] ﴿ يتلون الكتب ﴾ أى مع أن [4] فى كتاب كل منهم حقية أصل دين الآخر .

ثم شبه بهم فى نحو هذا القول الجهلة الذين ليس لهم كتاب الذين هم عندهم ضلال، و فى ذلك غاية العيب لهم لتسوية حالهم مع علمهم بحال الجهلة فى القطع فى الدين بالباطل كما سوى حالهم بهم فى الحرص على الحياة فى الدنيا و منهم عبدة الأصنام الذين منهم العرب الذين أخرجوا الرسول صلى الله عليه و سلم من بلده و منعوه من مسجد أبيه إبراهيم عليهما الصلاة و السلام الذى [5] هو الحقيق به [6] دونهم ، و ساق ذلك جواب سائل كأنه قال : هذا قول العلماء بالكتاب فما حال من لا علم له ؟ فقال : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا القول البعيد عن القصد ﴿ قال الذين لا يعلمون ﴾ [7] و لما كان صدور هذا من أهل العلم فى غاية الغرابة و صدوره من الجهلة

---

(١) زيد فى مد : أى لنسخ ديننا لدينهم و تعجب (٢) فى ظ : الدعوة . (٣-٣) ليست فى ظ (٤) ليس فى مد (٥) فى الأصل: الذين، و التصحيح من م وظ ومد (٦) فى ظ: بهم (٧) وفى البحر المحيط ١/٣٥٣: ﴿ الذين لا يعلمون ﴾ هم مشركو العرب فى قول الجمهور، و قيل: مشركو قريش، و قال عطاء: أمم كانوا قبل اليهود و النصارى؛ و قال قوم: المراد اليهود و كأنه أعيد قولهم أى قال اليهود مثل قول النصارى و نفى عنهما العلم حيث لم ينتفعوا به فجعلوا لا يعلمون؛ و الظاهر القول الأول، وقال الزمخشرى: أى مثل ذلك الذى =

أغرب نبه تعالى [1]على أن[1] سامعه جدير بأن يقول لعده له عداد ما لا يصدق: كيف قال الجهلة ؟ فقال أو يقال: و لما كان قولهم هذا لا يكاد يصدق من شدة غرابته كان كأنه قيل: أحق كان هذا منهم حقيقة أم كنى به عن[2] شيء آخر[3] ؟ فأجيب[4] بقوله: "كذلك"، أى الأمر كما ذكرنا عنهم حقيقة لا كناية عن شيء غيره ، فلما استقر فى النفس كان كأنه قيل: هل وقع هذا لأحد غيرهم ؟ فقيل: نعم ، وقع أعجب منه و هو أنه قال الجهلة [5]كعبدة الأصنام و المعطلة[5] ﴿ مثل قولهم ﴾ فعاندوا و ضللوا المؤمنين أهل العلم بالكتاب الخاتم الذى لا كتاب مثله ، و ضللوا أهل كل دين[5] .

و لما وقع الخلاف بين هذه الفرق تسبب عنه حكم الملك الذى لم يخلقهم سُدى بينهم فقال: ﴿ فالله ﴾ [5]الملك الأعظم[5] ﴿ يحكم بينهم ﴾ و الحكم قصر المصرّف على بعض ما يتصرف فيه و عن بعض ما تشوّف[6] إليه - [7] قاله الحرالى[7] . و حقق أمر البعث بقوله: ﴿ يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ۝ ﴾ و الاختلاف افتعال من الخلاف و هو تقابل[8] بين رأيين

= سمعت على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم و لا كتاب كعبدة الأصنام و المعطلة و نحوهم قالوا الكل أهل دين: ليسوا على شيء ، و هو توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم .

(١ - ١) فى م: بأن (٢) فى م: مرا - كذا (٣) ليس فى ظ (٤) فى م و ظ: و اجيب (٥-٥) ليست فى ظ (٦) من مد و ظ ، و فى الأصل: شوف - كذا، و فى م: يشوف (٧ - ٧) ليس فى مد (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: يقابل - كذا، و فى م: قابل .

فيما ينبغي انفراد الرأي فيه - قاله الحرالي[1] .

و لما اشتركت جميع هذه الفرق في الظلم و زاد الجهلة منع حزب الله من عمارة المسجد الحرام بما يرضيه[2] من القول و الفعل فازدادوا بذلك ظلما آخر ، و كان من منع مسجدا واحدا لكونه مسجدا مانعا لجميع المساجد قال[3]: ﴿ و من اظلم ﴾ أي منهم ، و إنما أبدل الضمير بقوله : ﴿ ممن منع[4] مسجد الله ﴾ أي [5]الجامع لصفات الكمال[5] التي هي جنان الدنيا لكونها أسباب الجنة التي قصروها[6] عليهم ، ثم أبدل من ذلك [5]تفخيما له تذكرة مرة بعد أخرى[5] قوله : ﴿ ان يذكر فيها اسمه ﴾ و عطف بقوله : ﴿ و سعى في خرابها ﴾ أي بتعطيلها عن ذكر الله لبعد وجوه ظلمهم زيادة في تبكيتهم . والمنع الكف عما يترامى[7] إليه . و المسجد مفعل لموضع السجود و هو

---

(١) وقال أبوحيان الأندلسي : و قد تضمنت هذه الآيات الشريفة أشياء ، منها افتتاحها بحسن النداء و إثبات وصف الإيمان لهم و تنبيههم على تعلم أدب من آداب الشريعة بأن نهوا عن قول لفظ لإيهام ما إلى لفظ أنص في المقصود وأصرح في المطلوب (٢) وقع في ظ : برنليه - كذا مطموسا (٣) ليس في ظ .

(٤) المنع الحيلولة بين المريد و مراده ، و لما كان الشيء قد يمنع صيانة صار المنع متعارفا في المتنافس فيه - قاله الراغب ، البحر المحيط ١/٣٥٧ ؛ و ذكرت فيه مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه جرى ذكر النصارى في قوله "و قالت النصارى ليست اليهود على شيء" و جرى ذكر المشركين في قوله "كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم" و في أيّ نزلت منهم كان ذلك مناسبا لذكرها تلو ما قبلها.

(٥-٥) ليست في ظ (٦) في م : قصورها (٧) في مد : يرامى .

أخفض

أخفض[1] بحط القائم . و السعي الإسراع في الأمر حسا أو معنى . و الخراب ذهاب العمارة ، و العمارة إحياء المكان و إشغاله بما وضع له – قاله الحرالي .

ثم ذكر سبحانه ما رتبه على فعلهم من الخوف في المسجد الذي أخافوا فيه أولياءه و في جميع جنسه[2] و الخزي في الدنيا و الآخرة / ضد ١٤/ ما رتبه لمن أحسن فقال[3] : ﴿ اولئك ﴾ أي البعداء البغضاء ﴿ ما كان لهم ﴾ [4]أي ما صح و ما انبغى[4] ﴿ ان يدخلوها ﴾ أي المساجد الموصوفة ﴿ الا خائفين ﴾ [5]و ما كان أمنهم فيها إلا بسبب [6]كثرة المساعد على[6] ما ارتكبوه من الظلم و التمالؤ على الباطل و سنزيل ذلك ، ثم عمم الحكم بما يندرج فيه هذا الخوف فقال : ﴿ لهم في الدنيا خزي ﴾ أي عظيم بذلك و بغيره ، ثم زاده بأن عطف عليه قوله : ﴿ و لهم في الآخرة ﴾ [7]التي هم لها منكرون بالاعتقاد أو الأفعال ﴿ عذاب عظيم ه ﴾ فدل بوصف العذاب على وصف الخزي الذي أشار إليه بالتنوين . قال الحرالي : و فيه إنباء باحباط ما يصرف عنهم وجها من وجوه العذاب ، فنالهم من العذاب العظيم ما نال الكافرين حتى كان ما كان لهم من ملة و كتاب لم يكن ، و ذلك أسوأ الخسار ؛ قال : و من الموعود أن من أعلام قيام الساعة تضييع

---

(١) من م و ظ ، و في الأصل : اخفط – كذا ، و في مد : اخفص – كذا بالصاد المهملة (٢) في الأصل : جلسه ، و التصحيح من م و ظ و مد (٣) زيد في مد : تعالى (٤ – ٤) ليست في ظ (٥) العبارة من هنا إلى « ذلك » ليست في ظ . (٦–٦) ليست في مد (٧) زيد في ظ : اى .

المساجد[١] لذلك[٢] كل أمة و كل طائفة و كل شخص معين تطرق بجُرم[٣] فى مسجد يكون فعله سببا لخلائه فان الله عز و جل يعاقبه بروعة و مخافة تناله[٤] فى الدنيا ، حتى ينتظم[٥] بذلك من خرب مدينة من مدن الإسلام أو كانت أعماله سبب خرابها ، و فى ضمن ذلك ما كان من أحداث المسلطين على البيت المقدس بما جرّت إليه أعمال يهود فيه ؛ قال : كذلك أجرى الله سنته أن من لم يقم حرمة مساجده شرده منها و أحوجه[٦] لدخولها تحت رقبة[٧] و ذمة من أعدائه ، كما قد شهدت مشاهدة[٨] بصائر أهل التبصرة[٩] و خصوصا فى الأرض المقدسة المتناوب[١٠] فيها دول الغلب[١١] بين هذه الأمة

(١) فى البحر المحيط ١ / ٣٥٨ : و أضيفت المساجد لله على سبيل التشريف كما قال تعالى " وان المساجد لله " و خص بلفظ المسجد و إن كان الذى يوقع فيه أفعالا كثيرة من القيام و الركوع و القعود و العكوف و كل هذا متعبد به و لم يقل مقام و لا مركع و لا مقعد و لا معكف لأن السجود أعظم الهيئات الدالة على الخضوع و الخشوع و الطواعية التامة ، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه و سلم : أقرب ما يكون العبد من ربه و هو ساجد . و هى حالة يلقى فيها الإنسان نفسه للانقياد التام و يباشر بأفضل ما فيه وأعلاه و هو الوجه التراب الذى هو موطى قدميه . (قال ابن عطية) و هده الآية تتناول كل من منع من مسجد إلى يوم القيامة أو خرب مدينة إسلام ، لأنها مساجد و إن لم تكن موقوفة ، إذ الأرض كلها مسجد (٢) فى م : كذلك (٣) فى مد : بحرم (٤) فى م : تباله ، و فى مد . تناوله (٥) من م وظ ، و فى مد : تنتظم ، وفى الأصل : ينتظم - كذا (٦) فى م : اخرجه (٧) فى الأصل و م وظ : رقيه ، و فى مد : رقمه - كذا (٨) ليس فى ظ . (٩) فى م : التبصر (١٠) من م وظ ، وفى مد : المتناوب . وفى الأصل : المتناول . (١١) فى مد : القلب .

و أهل الكتاب " الٓمٓ ﴿ غلبت الروم ﴿ فى أدنى الارض و هم من بعد غلبهم سيغلبون ﴿ فى بضع سنين [١] " فكل طائفة فى بضعها إذا ساء عملها فى مسجدها شردت منه و دخلته فى بضع الأخرى خائفة كذلك[٢] حتى[٣] تكون[٤] العاقبة للمتقين حين[٥] يفرح المؤمنون[٦] بنصر الله ، قال : و فى إشعاره تحذير من غلق المساجد و إيصادها[٧] و حجرها [٨]على القاصدين[٨] للتحنث[٩] فيها و الخلوة بذكر الله ؛ و ليس رفع المساجد منعها بل رفعها[١٠] أن لا يذكر فيها غير اسم الله ، قال تعالى " فى بيوت اذن الله ان ترفع [١١] " قال عمر رضى الله عنه لما بنى الرحبة : من أراد أن يلغط أو يتحدث أو ينشد شعرا فليخرج إلى هذه الرحبة . و قال صلى الله عليه و سلم : جنبوا مساجدكم صبيانكم و مجانينكم و سلّ سيوفكم و بيعكم و شراءكم ، و ابنوا على أبوابها المطاهر . ففى كل ذلك إنباء[١٢] بأن من عمل فى مساجد الله بغير ما وضعت له من ذكر الله كان ساعيا فى خرابها و ناله الخوف فى محل الأمن – انتهى[١٣] .

---

(١) سورة ٣٠ آية ١ – ٣ (٢) فى م فقط : لذلك (٣) فى م : حين (٤) من م و مد ، وفى ظ : يكون ، وفى الأصل : نكون – كذا (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : حتى (٦) فى م : المؤمنين – خطأ (٧) فى مد : ايصادها (٨–٨) فى م : للقاصدين (٩) فى ظ : التحنث (١٠) فى مد : منعها (١١) سورة ٢٤ آية ٣٦ (١٢) هكذا فى الأصل ، و فى ظ و م : انبأ ، و فى مد : انبا (١٣) قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١ / ٣٥٩ : هذا الجزاء مناسب لما صدر منهم ، أما الخزى فى الدنيا فهو الهوان و الإذلال لهم وهو مناسب للوصف الأول ، لأن فيه إخمال المساجد بعدم ذكر الله و تعطيلها من ذلك فجوزوا على ذلك بالإذلال و الهوان ، و أما العذاب العظيم =

و لما [1] أفهمت الآية أنه حصل لأولياء الله منع من عمارة بيت الله بذكره و كان الله تعالى قد منّ على هذه الأمة بأن جعل الأرض كلها لها مسجدا سلّى المؤمنين بأنهم أينما صلوا بقصد عبادته لقيهم ثوابه ، لأنه لا يختص به جهة دون جهة ، لأن ملكه للكل على حدّ سواء ؛ فكان كأنه قيل : فأقيموا الصلاة التى هى أعظم ذكر الله حيثما كنتم فانه لله ، كما [2] أن المسجد الذى مُنعتموه لله ؛ و عطف عليه قوله : ﴿ و لله ﴾ [3] أى الذى له الكمال كله [3] ﴿ المشرق ﴾ أى موضع الشروق و هو مطلع الأنوار ﴿ و المغرب ﴾ و هو موضع أفولها . فأنبأ [4] تعالى كما قال الحرالى باضافة جوامع الآفاق إليه إعلاما بأن الوجهة لوجهه لا للجهة ، من حيث أن الجهة له - انتهى .

و لما كان هذان [5] الأفقان [6] مدارا [7] للكواكب [8] من الشمس و غيرها عبر [9] بهما عن جميع الجهات ، لتحول الأفلاك حال [10] الدوران

= فى الآخرة فهو العذاب بالنار و هو إتلاف لها كلهم و صورهم و تخريب لها بعد تخريب " كلما نضجت جلودهم بدلنٰهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب " و هو مناسب للوصف الثانى و هو سعيهم فى تخريب المساجد فجوزوا على ذلك بتخريب صورهم و تمزيقهم بالعذاب (١) زيد فى م : كان (٢) ليس فى مد . (٣-٣) ليست فى مد و ظ ، و لفظ « اى » فقط ليس فى م (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فانباه (٥) فى م : هذا ان (٦) فى م : الافق ، و فى مد : الافقان (٧) فى م : مدار (٨) فى م : الكواكب (٩) و فى البحر المحيط ١ / ٣٦٠ : و الذى يظهر أن انتظام هذه الآية بما قبلها هو أنه لما ذكر منع المساجد من ذكر الله =

إلى

إلى كل منهما[1] ، فلذلك تسبب عن ذكرهما قوله : ﴿ فأينما[2] تولوا ﴾ أى فأى مكان أوقعتم فيه التولية للصلاة إلى القبلة التى أمرتم بالتولية إليها من بيت المقدس أو الكعبة أو غيرهما فى النافلة ﴿ فثَمَّ ﴾ أى فذلك الموضع ، لأن "ثَمَّ" إشارة لظرف مكان ﴿ وجه الله ﴾ أى جهته[3] [4] التى وجهكم إليها[4] أو مكان استقباله و التوجه إليه و ما يستقبلكم من [5] جلاله و جماله[5] و يتوجه[6] إليكم من بره و افضاله . فان نسبة[7] جميع الأماكن و الجهات فى الإبداع[8] و القرب و البعد و غير ذلك إليه واحدة . قال الحرالى : و أبهم المولى ليقع تولى القلب لوجه الله حين تقع[9] محاذاة وجه[10] الموجه الظاهر للجهة المضافة لله - انتهى[11] .

= و السعى فى تخريبها نبه على أن ذلك لا يمنع من أداء الصلوات و لا من ذكر الله إذ المشرق و المغرب لله تعالى ، فأى جهة أديتم فيها العبادة فهى لله يثيب على ذلك ، و لا يختص مكان التأدية بالمسجد ؛ و المعنى و لله بلاد المشرق و المغرب و ما بينهما، فيكون على حذف مضاف (١٠) كرره فى ظ ثانيا .

(١) من مد ، وفى بقية الأصول: منها (٢) فى الأصل : فاين ما - كذا (٣) فى م : وجهته (٤-٤) ليس فى ظ (٥-٥) فى ظ : جماله وجلاله (٦) فى مد : متوجه

(٧) من م ومد و ظ ، و فى الاصل : نسبه - كذا (٨) فى مد : الايداع .

(٩) من مد ، وفى م وظ : يقع ، وفى الأصل : وقع - كذا (١٠) ليس فى مد .

(١١) قال أبو حيان الأندلسى . و فى قوله ﴿ اينما تولوا فثم وجه الله ﴾ رد على من يقول إنه فى حيز وجهة ، لأنه لما خير فى استقبال جميع الجهات دل على أنه ليس فى جهة و لا فى حيز ، ولو كان فى حيز لكان استقباله والتوجه إليه أحق من جميع الأماكن . فحيث لم يخصص مكانا علمنا أنه لا فى جهة و لا حيز بل جميع الجهات =

و لما أخبر من سعة فضله مبثوثا[1] فى واسع ملكه بما وقفت[2] العقول عن منتهى علمه علله[3] بما صغر ذلك فى جنبه فقال : ﴿ ان الله ﴾ فذكره بالاسم الأعظم الجامع لجميع[4] الأسماء ﴿واسع﴾ أى محيط بما لا تدركه الأوهام ، فلا يقع شيء إلا فى ملكه ؛ و أصل الوسع[5] تباعد الأطراف و الحدود ﴿عليم ه﴾ فلا يخفى عليه فعل فاعل أين ما كان و كيف ما كان ، فهو يعطى المتوجه إليه على قدر نيته بحسب بلوغ إحاطته و شمول علمه و قدرته . قال الحرالى فى شرح الأسماء : و السعة المزيد على الكفاية من نحوها إلى أن ينبسط إلى ما وراء امتدادا [و -[6]] رحمة و علما "و رحمتى وسعت كل شيء[7]" / "للذين احسنوا الحسنى و زيادة[8]" "لهم ما يشاؤن فيها و لدينا مزيد[9]" ، و لا تقع السعة إلا مع إحاطة العلم و القدرة و كمال الحلم و إفاضة الخير و النعمة لمقتضى كمال الرحمة . و لسرى[10] النعمة فى وجوه الكمايات ظاهرا و باطنا خصوصا و عموما لم يكد يصل الخلق إلى حظ من السعة ، أما ظاهرا فلا تقع[11] منهم و لا تكاد[12] « إنكم لن تسعوا الناس بمعروفكم » ، و أما باطنا بخصوص حسن الخلق فمساه

= فى ملكه و تحت ملكه ، فأى جهة توجهنا إليه فيها على وجه الخضوع كنا معظمين له ممتثلين لأمره - البحر المحيط ١/٣٦١ .

(١) فى ظ : مثبوتا (٢) فى م : وفقت (٣) ليس فى م (٤) فى ظ : بجميع - كذا .
(٥) فى م : الواسع (٦) زيد من ظ (٧) سورة ٧ آية ١٥٦ (٨) سورة ١٠ آية ٢٦ (٩) سورة ٥٠ آية ٣٥ (١٠) فى مد : لسرى - كذا (١١) من م ، و فى الأصل : فلا قع - كذا ، و فى مد و ظ : فلا يقع (١٢) فى مد : لا يكاد .

يكاد. وقال في تفسيره: قدم تعالى "المشرق" لأنه موطن بدو[1] الأنوار التي منها رؤية الأبصار، وأعقبه بالمغرب الذي هو مغرب الأنوار الظاهرة [وهو مشرق الأنوار الباطنة، فيعود التعادل إلى أن مشرق الأنوار الظاهرة - ٢] هو مغرب الأنوار الباطنة «الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان - وأشار بيده نحو المشرق» «لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق» انتهى. قلت: ومن ذلك حديث صفوان ابن عسال[3] رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن لله بالمغرب بابا - وفي رواية: باب التوبة مفتوح من قبل المغرب - مسيرة عرضه سبعون عاما، لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله - أخرجه الطبراني والبغوي في تفسيره. وقد ظهر أن المغرب في الحديث المتقدم وهو في الصحيح ما عدا المشرق الذي أشار إليه بالفتنة في الحديث الآخر؛ فالمغرب حينئذ المدينة وما ينسب إليها من جهة المشرق [4]وما وراء ذلك من جهة الجنوب والشمال[4] وما وراء ذلك من جهة الغرب إلى منتهى الأرض، فلا يعارض حينئذ حديث «وهم بالشام» فانها من جملة المغرب على هذا التقدير[5]، فدونك جمعا طال ما دارت فيه الرؤس وحارت فيه الأفكار في المحافل والدروس - والله الموفق.

---

(١) من م، وفي الأصل ومد: بده، وفي ظ: بدى (٢) زيدت من م وظ ومد.
(٣) في مد: غسال - كذا بالغين المعجمة، خطأ (٤-٤) ليست في م. ووقع في ظ «وراى»، وفي الأصل «وارى» مكان «وراء» (٥) في ظ: التقدير - كذا.

و لما [1] أفاد ما تقدم وصفه تعالى بتمام القدرة و اتساع الملك و الفضل و شمول العلم[1] كان من المحال افتقاره إلى شيء ولد أو غيره قدّم أهل الأديان الباطلة كلهم بافترائهم[2] فى الولد اليهود فى عزير و النصارى فى المسيح و عبدة الأوثان فى الملائكة فقال معجبا ممن اجترأ على نسبة ذلك إليه مع معرفة ما تقدم عاطفا على ما سبق من دعاويهم: ﴿ و قالوا اتخذ الله ﴾ [3] الذى له الكمال كله[3] و عبر بقوله: ﴿ ولدا ﴾ [4] الصالح للذكر و الأنثى لينظم[5] بذلك مقالات الجميع. و لما كان العطف على مقالات أهل الكتاب ربما أوهم اختصاص الذم بهم حذفت واو العطف فى قراءة ابن عامر على طريق الاستئناف [6] فى جواب من كأنه قال: هل انقطع حبل افترائهم[6]؟ إشارة إلى ذم كل من قال بذلك، و ذلك إشارة إلى شدة التباسها بما قبلها كما قال الإمام أبو على الفارسى فى كتاب الحجة، لأن جميع المتحزبين[7] على أهل الإسلام مانعون لهم من إحياء المساجد بالذكر لشغلهم لهم بالعداوة عن لزومها؛ و الحاصل أنه إن عطف كان انصباب الكلام إلى أهل الكتاب و أما غيرهم فتبع لهم للمساواة

(١-١) ليست فى مد (٢) فى مد: بافترايهم، و فى الأصل: باقترانهم، و فى م: بافترايهم، و فى ظ: باقترابهم (٣-٣) ليست فى ظ (٤) فى البحر المحيط ١/٣٦٢: و قال القشيرى: أتى بالولد و هو احدى الذات لا جزء لذاته و لا تجوز الشهوة فى صفاته - انتهى (٥) فى ظ: لينتظم (٦-٦) ليست فى ظ و مكانه فيه: و (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: المتحربين.

فى

فى المقالة[1] ، و إذا حذفت الواو انصب إلى الكل انصبابا واحدا .

و نزه نفسه الشريفة استئنافا بقوله : ﴿سبحنه﴾ فذكر[2] علم التسبيح الجامع لإحاطة المعنى فى جوامع التنزيـــه كله ، ثم جاء بكلمة الإضراب المفهمة الرد بالنفى فكأن الخطاب يفهم : ما اتخذ الله ولدا و لا له ولد ﴿بل له ما﴾ [3]فعبر بالأداة التى هى لغير العاقل[4] تصلح له تعميما و تحقيرا لهم ﴿فى السمٰوٰت و الارض﴾ مما ادعت كل فرقة منهم[5] فيـه الولدية و غير ذلك .

ثم علله بقوله معبرا بما يفهم غاية الإذعان : ﴿كل له قٰنتون ۝﴾ [6]أى مخلصون خاشعون متواضعون ، لاستسلامهم لقضائه من غير قدرة على دفاع ، و لا تطلع إلى نوع امتناع العاقل و غيره ، حتى كأنهم يسعون

---

(١) فى مد : المقاولة (٢) قال أبو حيان الأندلسى : و لما كانت هذه المقالة من أفسد الأشياء وأوضحها فى الاستحالة أتى باللفظ الذى يقتضى التنزيه و البراءة من الأشياء التى لا تجوز على الله تعالى قبل أن يضرب عن مقالتهم و يستدل على بطلان دعواهم ، و كان ذكر التنزيه أسبق لأن فيه ردعا لمدعى ذلك و أنهم ادعوا أمرا تنزه الله عنه ، ثم أخذ فى إبطال تلك المقالة ـ البحر المحيط ١ / ٣٦٢ (٣) العبارة من « فعبر » إلى « تحقيرا لهم » ليست فى ظ (٤) زيد فى م : و كل ، و فى مد : و ـ نقط (٥) ليس فى م (٦) قال أبو حيان الأندلسى : ﴿قٰنتون﴾ خبر عن كل ، و جمع حملا على المعنى ، و كل إذا حذف ما تضاف إليه جاز فيها مراعاة المعنى فتجمع ، و مراعاة اللفظ فتفرد ؛ و إنما حسنت مراعاة الجمع هنا لأنها فاصلة رأس آية . و لأن الأكثر فى لسانهم أنه إذا قطعت عن الإضافة كان مراعاة المعنى أكثر و أحسن قال تعالى " و كل كانوا ظٰلمين " ، " و كل اتوه داخرين " " و كل فى فلك يسبحون " .

في ذلك و يبادرون إليه مبادرة اللبيب الحازم . قال الحرالي : فجاء بالجمع المشعر كما يقال بالعقل[1] و العلم لما تقدم من أنه لا عجمة و لا جمادية بين الكون و المكوّن ، إنما يقع بجمادية و عجمة بين آحاد من المقصرين في الكون عن الإدراك التام ، و القنوت ثبات القائم بالأمر على قيامه تحققا[2] بتمكنه[3] فيه . انتهى .

ثم[4] علل ذلك بما هو أعظم منه فقال : ﴿ بديع السموٰت و الارض ﴾ أي خالقهما على غير مثال سبق ، و ما أبدع كلية أمر كان أحرى[5] أن يكون ما في طيه و إحاطته و إقامته من الأشياء المقامة به من مبدعه فكيف يجعل له شبيه[6] منه ؟ لأن الولد مستخرج شبيه بما استخرج من عينه - ذكره الحرالي . ﴿ و اذا قضى ﴾ [7]أي أراد ﴿ امرا ﴾ منهما أو من غيرهما[7]، و القضاء إنفاذ[8] المقدر . و المقدر ما حد من مطلق المعلوم - قاله الحرالي . ﴿ فانما يقول له كن ﴾ من الكون و هو[9] كما البادي[9]

---

(١) من م و مد و ظ ، و في الأصل : بالعاقل (٢) في ظ : تحقيقا (٣) في م : بتمكينه (٤) لما ذكر أنه مالك لجميع من في السماوات و الأرض و أنهم كل قانتون له و هم المظروف للسماوات و الأرض ذكر الظرفين ، و خصهما بالبداعة لأنهما أعظم ما نشاهده من المخلوقات - قاله أبو حيان في البحر المحيط ١/٣٦٤ .
(٥) في م : اخرى - كذا (٦) من ظ ، و في الأصل : سبيه ، و في مد : سبب .
(٧-٧) العبارة أخرت في مد عن « قاله الحرالي » (٨) من ظ و مد ، و في الأصل و م : انفاذ - كذا بالدال (٩-٩) في مد : كما قال الرازي .

في ظاهره و باطنه ﴿ فيكون ﴾ [1] فهو منزه عن حاجة التوالد و كل حاجة ، و سر التعبير بالمضارع يذكر إن شاء الله تعالى في آل عمران . [2] قال الحرالي : و صيغته تمادي الكائن في أطوار و أوقات و أسنان يمتد تواليها في المكون / إلى [3] غاية كمال [3] – انتهى . قالوا : و رفع « يكون » للاستئناف أي فهو يكون ، أو العطف على " يقول " إيذانا بسرعة التكوين على جهة التمثيل ، و من قال بالأول منع العطف على " يقول [4] " لاقتضاء الفاء أن القول مع التكوين فيلزم قدم التكوين . و قال الإمام أبو علي الفارسي في كتاب الحجة : إن ذلك لا يطرد في مثل ثاني حرفي آل عمران و هو قوله تعالى " ثم قال له كن فيكون [5] " لأنه لا يحسن تخالف الفعلين [6] المتعاطفين بالمضي و غيره ، و أول قوله :

و لقد أمر على اللئيم يسبني   فمضيت ثم أقول لا يعنيني

بأن معناه : مررت ماضيا ، و طعن فيه أبو شامة بأن يكون في الآية ماض مثله و قد صرح أبو علي و الحق معه بأنه على بابه يعني ؛ و فائدة التعبير

---

(١) و في البحر المحيط : لما ذكر ما دل على الاختراع ذكر ما يدل على طواعية المخترع و سرعة تكوينه . . . و المعتقد في هذه الآية أن الله لم يزل آمرا للمعدومات بشرط وجودها قادرا مع تأخر المقدورات عالما مع تأخر وقوع المعلومات ، و كل ما في الآية مما يقتضي الاستقبال فهو بحسب المأمورات والمحدثات تجيء بعد أن لم تكن ، و كل ما استند إلى الله من قدرة و علم فهو قديم لم يزل (٢) العبارة من هنا إلى « انتهى » ليست في مد (٣-٣) من م وظ ، و في الأصل ومد : كمال غاية (٤) في مد: يكون (٥) سورة ٣ آية ٥٩ (٦) ليس في ظ .

به مضارعا[1] تصوير الحال و الإرشاد إلى أن التقدير : كن فكان ، لأنه متى قضى شيئا قال له : كن ، فيكون ؛ و جعل الأحسن عطفه على "كن" لأنه و إن كان بلفظ الأمر فمعناه الخبر[2] أي يكون ؛ و قال : إن ذلك أكثر اطرادا لانتظامه لمثل قوله "ثم قال له [كن -٣] فيكون[4]" . و هذا
٥ الموضع مجمع على رفعه ، وكذا قوله تعالى في الأنعام "و يوم يقول[5] كن فيكون" . و إنما الخلاف في ستة مواضع اختص ابن عامر منها بأربعة : و هي هذا الموضع ، و قوله تعالى في آل عمران "اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون[6]" . و في مريم مثله سواء . و في غافر "فاذا قضى امرا فانما يقول له[7] كن فيكون[8]" ؛ و وافقه الكسائي[9] في حرفين[9]
١٠ في النحل "انما قولنا لشيء إذا اردنه ان نقول له[7] كن فيكون[10]" و في يٰس "انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون[11]" فجعلوا النصب

(١) زيد في مد : ان (٢) في م : الخير - كذا (٣) زيد من ظ و م (٤) كناية عن سرعة تكوين ما أراد . و لا خطاب هناك ، لأن المعدوم لا يؤمر و الموجود لا يؤمر بإيجاده ، وهو من مجاز التمثيل ؛ و قرئ برفع "فيكون" أي فهو يكون ، و بالنصب على جواب الأمر ، شبه الأمر المجازي بالأمر الحقيقي إذ الأمر الحقيقي ينتظم منه شرط و جزاء فلا بد من التغاير ، إذ لا يصح تقدير : إن يكن يكن ، و من قال : إن النصب لحن ، فهو مخطئ و القراءة في السبعة فهي من المتواتر - المدمن البحر المحيط ١/٣٦٤-٣٦٦ (٥) زيد في الأصل «له» ولم تكن الزيادة في م وظ و مد و القرآن المجيد سورة ٦ آية ٧٣ فحذفناها (٦) سورة ٣ آية ٤٧ (٧) زيد في مد : له - خطأ (٨) سورة ٤٠ آية ٦٨ (٩ - ٩) ليس في ظ (١٠) سورة ١٦ آية ٤٠ . (١١) سورة ٣٦ آية ٨٢ .

في

فى هذين عطفا على "يقول" و فى الأربعة الأولى جوابا للأمر فى قوله "كن" اعتبارا بصورة اللفظ و إن[1] لم يكن المعنى على الأمر فالتقدير[2]: يقول له يكون فيكون ، أى فيطاوع ، فطاح قول من ضعفه بأن المعنى على الخبر و أنه لا يصح النصب إلا إذا تخالف الأمر و جوابه ، و هذا ليس كذلك بل يلزم فيه أن يكون الشيء شرطا لنفسه ، لأن التقدير : إن يكن يكن ؛ و صرح ابن مجاهد بوهم ابن عامر و أن هذا غير جائز فى العربية ، كما نقله عنه الإمام أبو شامة فى شرح الشاطبية ؛ فأمعنت النظر فى ذلك لوقوع القطع بصحة قراءة ابن عامر لتواترها نقلا عمن أنزل عليه القرآن ، فلما رأيته لم ينصب إلا ما فى حيز «إذا» علمت أن ذلك لأجلها لما فيها من معنى الشرط . فيكون مثل قوله تعالى فى الشورى "و يعلم الذين يجادلون فى آيتنا[3]" بنصب "يعلم" فى قراءة غير نافع و ابن عامر على بعض التوجيهات ، و ذلك ماش على نهج السداد من غير كلفة و لا استبعاد إذا تومل الكلام على «إذا» ؛ قال الرضى و هو العلامة نجم الدين محمد بن[4] حسن الإسترابادى فى الظرف[5] من شرحه لقول العلامة أبى عمرو عثمان بن الحاجب فى كافيته : و منها «إذا» ، و هى للمستقبل و فيها معنى الشرط ، فلذلك اختير بعدها الفعل ، و الأصل فى استعمال "إذا" أن تكون لزمان من أزمنة المستقبل مختص من بينها بوقوع حدث فيه[6] متطوع به ، ثم قال : و كلمة الشرط ما يطلب جملتين يلزم من وجود مضمون أولاهما فرضا حصول

(١) فى م : إنما (٢) فى مد : و التقدير (٣) سورة ٤٢ آية ٣٥ (٤) زيد فى مد : محمد بن .
(٥) فى م و ظ و مد : الظروف (٦) ليس فى مد .

مضمون الثانية ، فالمضمون الأول مفروض ملزوم، و الثانى لازمه ؛ ثم قال : و « إن » موضوعة لشرط مفروض وجوده[1] فى المستقبل مع عدم قطع المتكلم لا بوقوعه و لا بعدم وقوعه ، و ذلك لعدم القطع فى الجزاء لا بالوجود و لا بالعدم ، سواء شك فى وقوعه كما فى حقنا ، أو لم يشك كإن الواقعة فى كلامه تعالى؛ و قال: و لا يكون الشرط فى اسم إلا بتضمن معناها ؛ ثم قال : فنقول[2] : لما كان « إذا » للأمر[3] المقطوع بوجوده فى اعتقاد المتكلم فى المستقبل لم يكن لمفروض وجوده ، لتنافى[4] القطع و الفرض فى الظاهر ، فلم يكن فيه معنى « إن » الشرطية ، لأن الشرط كما بينا هو المفروض وجوده ، لكنه لما كان ينكشف لنا الحال كثيرا فى الأمور التى نتوقعها قاطعين بوقوعها عن خلاف ما نتوقعه[5] جوّزوا تضمين « إذا » معنى « إن » كما فى « متى » و سائر الأسماء الجوازم ، فيقول القائل : إذا جئتنى فأنت مكرم - شاكا فى مجيء المخاطب غير مرجح وجوده على عدمه بمعنى متى جئتنى سواء؛ ثم قال: و لما كثر دخول معنى الشرط فى « إذا » و خروجه عن أصله من الوقت المعين جاز استعماله و إن لم يكن فيه معنى « إن » الشرطية ، و ذلك فى الأمور القطعية استعمال « إذا » المتضمنة لمعنى « إن » ، و ذلك لمجيء جملتين بعده على طرز الشرط و الجزاء و إن لم يكونا شرطا و جزاء ، ثم قال فى الكلام على الفاء فى نواصب الفعل : و قد تضمر « أن » الناصبة بعد الفاء و الواو الواقعتين

---

(١) فى م : وجوه (٢) من مد، و فى م : فيقول ، و فى الأصل و ظ : فقول - كذا (٣) فى مد: الامر (٤) فى م : لينا فى (٥) فى م: يتوقعه، و لا يتضح فى مد .

بعد الشرط[١] قبل الجزاء، نحو إن تأتني فتكرمني - أو: و تكرمني - آتك، أو بعد الشرط و الجزاء، نحو إن تأتني آتك فأكرمك - أو: و أكرمك - و ذلك لمشابهة الشرط في الأول و الجزاء في الثاني المنفي، إذ[٢] الجزاء مشروط وجوده بوجود الشرط، و وجود الشرط مفروض، فكلاهما غير موصوفين بالوجود / حقيقة، و عليه حمل قوله تعالى "ان يشا يسكن الريح فيظللن - إلى قوله: و يعلم الذين يجادلون[٣]" على[٤] قراءة النصب؛ ثم قال: و إنما صرفوا ما بعد فاء السببية من الرفع إلى النصب لأنهم قصدوا التنصيص على كونها سببية و المضارع المرتفع بلا قرينة مخلصة للحال و الاستقبال ظاهر في معنى الحال، كما تقدم في باب المضارع، فلو أبقوه مرفوعا لسبق إلى الذهن أن الفاء لعطف[٥] جملة حالية الفعل على الجملة التي قبل الفاء، يعني[٦] فكان يلزم أن يكون الكون قديما كالقول، فصرفه إلى النصب منبه في الظاهر على أنه ليس معطوفا، إذ المضارع المنصوب بأن مفرد، و قبل الفاء المذكورة جملة، و يتخلص المضارع للاستقبال اللائق بالجزائية كما ذكرنا في المنصوب بعد إذن، فكان فيه شيئان: رفع جانب كون الفاء للعطف، و تقوية[٧] كونه للجزاء؛ فيكون إذن ما بعد الفاء مبتدأ محذوف الخبر وجوبا - انتهى. فالتقدير هنا و الله أعلم: فكونه واقع حق ليس بخيال كالسحر و التمويهات، فعلى هذا قراءة النصب أبلغ لظهورها[٨] في[٩] الصرف عن الحال إلى الاستقبال مع

(١) في م: و (٢) من م و مد و ظ، و في الأصل: اذا (٣) سورة ٤٢ آية ٣٥.
(٤) في ظ: في (٥) في مد: تعطف (٦) ليس في ظ (٧) من مد، و في الأصل: تقوية - كذا، و في ظ و م: تقويته (٨) في مد: لظهورما (٩) زيد في ظ: معنى.

ما دلت عليه من سرعة[1] الكون و أنه حق ، ثم رأيت البرهان [بن-[2]] إبراهيم بن محمد السَفاقُسى حكى[3] فى إعرابه ما خرجته عن ابن الضائع[4] - يعنى بالضاد المعجمة و العين المهملة - و هو الأستاذ أبو الحسن على بن محمد بن يوسف الكُتامى[5] شيخ أبى حيان فقال ما نصه : زاد ابن الضائع فى نصب " فيكون " وجها حسنا و هو نصبه فى جواب الشرط و هو إذا ، و كان مراده التسبيب عن الجواب كما ذكرت ، قال السفاقسى : و يصح فيه وجه ثالث على مذهب الكوفيين و هو نصبه فى جواب الحصر بانما ، لأنهم أجازوا : إنما هى ضربة أسد فيتحطم[6] ظهره .

و لما تقرر بما أنبأ[7] من بديع آياته[8] فى منبث[9] مصنوعاته أن عظمته تقصر عنها الأوهام و تنكص خاسئة[10] دونها نوافذ الأفهام عجب من الجرأة عليه بما استوى فيه حال الجهلة من العرب بالعلماء من أهل الكتاب تبكيتا[11] لهم و تنفيرا منهم بانه لاحامل لهم[12] على الرضى لأنفسهم بالنزول من أوج العلم إلى حضيض أهل الجهل إلا اتباع الهوى فقال : ﴿ و قال الذين لا يعلمون ﴾ أى ليس لهم علم من العرب ﴿ لولا ﴾ أى هلا ﴿ يكلمنا الله ﴾ أى يوجد[13] كلامه لنا على ما له من جميع الصفات

(١) فى م : شرعة (٢) زيد من م (٣) فى م : حلى - كذا (٤) فى م : الصانع (٥) فى مد : الكتامى - كذا (٦) من ظ ، وفى م و مد : فتحطم . وفى الأصل : فتحظم - كذا . (٧) من م ومد وظ ، وفى الأصل : انباء (٨) فى م ومد وظ : اياته ، وفى الأصل : اباته . (٩) من مد ، و فى الأصل و م وظ : منبت (١٠) فى الأصل : خاسة - كذا ، وفى م وظ ومد : خاسية (١١) من مد و ظ ، وفى م : تنكيتا ، وفى الأصل : تبكيتا - كذا . (١٢) ليس فى ظ (١٣) من مد وظ ، وفى الأصل : توجد ، و فى م : يوحه - كذا .

أو

﴿او تأتينا 'اية﴾ أى على حسب اقتراحنا عادّين[1] ما آتاهم من الآيات - على ما فيها من آية[2] القرآن التى لا يوازيها[3] آية أصلا - عدما .

و لما كان قولهم هذا جديرا[4] بأن لا يصدق نبه عليه بقوله ﴿كذلك﴾ أى الأمر كما ذكرنا عنهم[5] . و لما كان كأنه قيل : هل وقع مثل هذا قط ؟ قيل : نعم ، وقع ما هو أعجب منه و هو أنه ﴿قال الذين﴾ [6]و لما كان المراد بعض من تقدم أدخل الجار فقال[6] : ﴿من قبلهم﴾ [7]ممن ينسب إلى العلم من أهل الكتاب[7] ﴿مثل قولهم﴾ ، ثم علله بقوله : ﴿تشابهت قلوبهم﴾ فى هذا و إن كانت مختلفة باعتبار العلم ، و فى ذلك تسلية للنبى صلى الله عليه و سلم بأنه كما تعنت عليه تعنت على من قبله . و لما كان ذلك توقّع[8] السامع الإخبار عن البيان فكان كأنه قيل : هل قالوا ذلك جهلا أو عنادا ؟ فقيل : بل عنادا لأنا ﴿قد بينا الا'يٰت﴾ فى كل آية[9] فى الكتاب المبين المسموع و الكتاب الحكيم المرئى . و لما كان يقع البيان خاصا بأهل الإيقان قال : ﴿لقوم يوقنون﴾ و فيه بعث

(١) فى م : علم دين (٢) فى الأصل : انه ، و التصحيح م و ظ و مد (٣) فى مد : لا توازيها (٤) فى م : حذرا (٥) من مد ، و فى ظ : عنهم . و فى الأصل : معهم ، و فى م : بمفهم . و قال أبو حيان الأندلسي : و لما حكى عنهم نسبة الولد إلى الله تعالى أعقب ذلك مقالة أخرى لهم تدل على تعنتهم و جهلهم بما يجب لله تعالى من التعظيم و عدم الاقتراح على أنبيائه - البحر المحيط ١ / ٣٦٦ (٦-٦) ليست فى ظ . (٧-٧) أخر هذه العبارة فى م عن « باعتبار العلم » (٨) فى م : يوقع ، و فى ظ : يوقع - كذا (٩) من م ، و فى الأصل و مد و ظ : امة .

للشاك على تعاطى أسباب الإيقان، و هوا صفاء العلم عن كدر [١]بطرق الريب[٢] لاجتماع شاهدى السمع و العين. قال[٣] الحرالى: و فيه إشارة لما حصل للعرب من اليقين، كما قال سيد العرب على رضى الله عنه: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا. استظهارا لما بطن من عالم الملكوت
٥ على ظاهر عالم الملك إكمالا للفهم عن[٤] واضح هذا البيان الذى تولاه الله و من اصطفاه الذى اشتمل عليه استتباع ضمير "بينا"؛ و فى استواء العالم و غيره فى الجهل بعد البيان دليل على مضمون التى قبلها فى أن ما أراد كان. و لما تضمن هذا السياق الشهادة بصحة رسالته صلى الله عليه و سلم و أنه ليس عليه إلا البيان صرح بالأمرين فى قوله [٥]مؤكدا لكثرة
١٠ المنكرين[٥] ﴿انا ارسلنك﴾ [٦]هذا على أن يكون المراد بذلك جميع الأمم،

(١) فى البحر المحيط: الإيقان وصف فى العلم يبلغ به نهاية الوثاقة فى العلم، أى من كان موقنا فقد أوضحنا له الآيات فآمن بها و وضحت عنده و قامت به الحجة على غيره، و فى جمع الأيت رد على من اقترح آية، إذا الآيات قد بينت فلم يكن آية واحدة فيمكن أن يدعى الالتباس فيها بل ذلك جمع آيات بينات لكن لا ينتفع بها إلا من كان من أهل العلم و التبصر و اليقين (٢-٢) فى مد: نطرق الريب، و فى م: تطرق اليربب، و فى ظ: نطرق الريب (٣) فى ظ: قاله (٤) فى م: على. (٥-٥) ليست فى ظ (٦) هذه الآية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يضيق صدره لتماديهم على ضلالهم، (و مناسبة هذه الآية لما قبلها) أنه لما ذكر أنه بين الآيات ذكر من بينت على يديه فأقبل عليه و خاطبه صلى الله عليه و سلم ليعلم أنه هو صاحب الآيات فقال: ﴿انا ارسلنك بالحق﴾ أى بالآيات الواضحة - البحر المحيط ١ / ٣٦٧.

أما إذا أريد هذه الأمة فقط فيكون المعنى: قد بينا الآيات الدالات[1] على طريق الحق بأعظم برهان و بالإخبار عن دقائق لا يعلمها إلا حُذّاق أهل الكتاب لقوم يحق عليهم الإيقان لما وضح لهم من الأدلة، ثم علل ذلك بقوله: "انا ارسلنك" إرسالا ملتبسا ﴿ بالحق ﴾ [2] أى [3] بالأمر الكامل الذى يطابقه الواقع فى كل جزئيـــة يخبر بها. قال الحرالى: [و الحق - [4]] التام المكمل بكلمة «ال» هو استنطاق الخلق عن أمر الله فيهم على وجه[5] أعلى لرسالته العلية الخاصة به عن عموم ما / وقعت به رسالة /١٨
المرسلين من دون هذا الخصوص. و ذلك «حق» منكر، كما تقدم أى عند قوله: "و هو الحق مصدقا لما معهم" لأن ما أحق غيبا[6] مما أنزله الله فهو «حق» حتى السحر، و ما أظهر غيب القضاء و التقدير و أعلن بابداء حكمة الله على ما أبداها من نفوذ مشيئته فى متقابل ما أبداه من خلقه فهو «الحق» الذى خلقت به السماوات و الأرض ابتداء و به ختمت الرسالة انتهاء ليتطابق[7] الأول و الآخر كمالا؛ حال كونك ﴿ بشيرا و نذيرا ﴾ و قال الحرالى[8]: لما أجرى الله سبحانـــه من الخطاب عن أهل الكتاب و العرب نبأ[9] ردهم لما أنزل أولا و آخرا و نبأ ما اقتروه مما[10] لا شبهة فى دعواه أعرض بالخطاب عن الجميع و أقبل به على النبى صلى الله عليه و سلم تسلية له و تأكيدا لما أعلمه به[3] فى أول السورة من أن الأمر مجرى على

(١) فى مد: الدالة (٢) العبارة من هنا إلى «يخبر بها» ليست فى ظ (٣) ليس فى مد (٤) زيد من م و مد، و فى ظ: فالحق (٥) فى م و ظ و مد: وجهه.
(٦) فى مد: عيبا - كذا (٧) فى مد: لتتطابق (٨) ليس فى ظ (٩) فى الأصل: نباه (١٠) فى مد: بما.

تقديره و قسمته[1] الخلق بين مؤمن و كافر و منافق، فأنبأه تعالى أنه ليس مضمون رسالته أن يدعو الخلق إلى غير ما جبلوا عليه، و أن مضمون رسالته أن يستظهر خبايا الأفئدة و القلوب على الألسنة و الأعمال، فيبشر المهتدى و الثابت على هدى سابق، و ينذر[2] الأبى[3] و المنكر لما سبق إقراره به قبل، فعم بذلك الأولين و الآخرين من المبشرين و المنذرين - انتهى - أى[4] فليس عليك إلا ذلك فبشر و أنذر فانما عليك البلاغ و ليس عليك خلق الهداية فى قلوب أهل النعيم ﴿و لا تسئل﴾[5] و يجوز أن يكون حالا من "ارسلنك" أو من "بشيرا"[5] ﴿عن اصحٰب الجحيم﴾ و المراد بهم من ذكر فى الآية السابقة من الجهلة و من قبلهم، أى عن أعمالهم لتذهب نفسك عليهم[6] حسرات لعدم إيمانهم، كما قال[6] تعالى "و لا تسئلون عما كانوا يعملون" أى[7] فحالك مستو بالنسبة إلينا و إليهم، لأنك إن بلغتهم جميع ما أرسلت به إليهم لم نحاسبك بأعمالهم، و إن تركت بعض ذلك محاسنة[8] لهم لم يحبّوك ما دمت على دينك فأقبل على أمرك و لا تبال بهم، و هو معنى قراءة[9] نافع "و لا تسئل" على النهى، أى

---

(۱) فى م: قسمه، و فى مد: قسمة (۲) فى الأصل: و بدر - كذا، و التصحيح من بقية الأصول (۳) فى ظ: للآبى، و فى مد: للاى - كذا (٤) ليس فى مد. (٥-٥) ليست فى ظ (٦-٦) ليست فى م و ظ (۷) ليس فى ظ (۸) فى مد: محاسه - كذا (۹) قال أبو حيان الأندلسى: قراءة الجمهور بضم التاء و اللام، و قرأ أبى «و ما تسأل» و قرأ ابن مسعود «و لن تسأل» و هذا كله خبر، فالقراءة الأولى و قراءة أبى يحتمل أن تكون الجملة مستأنفة وهو الأظهر، و يحتمل أن تكون =

احتقرهم

احتقرهم فانهم أقل من [أن -[1]] يلتفت إليهم، فبلغهم جميع الأمر فانهم لا يحبونك[2] إلا إذا[3] انسلخت مما[4] أنت عليه؛ و فى الحكم بكونهم أصحابها إثبات لما نفوه عن أنفسهم بقولهم "لن تمسنا النار - الآية[5]" و نفى لما خصصوا به أنفسهم فى قولهم: "لن يدخل الجنة - الآية[6]". و الجحم قال الحرالى انضمام الشيء و عظم فيه، و من معنى حروفه الحجم و هو التضام و ظهور المقدار إلا أن الحجم فيما ظهر كالأجسام و الجحم - بتقديم الجيم - فيما يلطف[7] كالصوت و النار.

و لما جرت العادة بأن المبشر يسرّ بالبشير[8] أخبر تعالى أن أهل الكتاب فى قسم المنذرين فهم لا يزالون عليه غضابا فقال عطفا على ما اقتضاه ما قبله: ﴿و لن ترضى﴾ من الرضى و هو إقرار ما ظهر عن[9]

= فى موضع الحال، و أما قراءة ابن مسعود فيتعين فيها الاستئناف، و المعنى على الاستئناف أنك لا تسأل عن الكفار ما لهم لم يؤمنوا، لأن ذلك ليس إليك، ان عليك الا البلاغ، انك لاتهدى من احببت، انما انت منذر؛ وفى ذلك تسلية له صلى الله عليه و سلم وتخفيف ما كان يجده من عنادهم، فكأنه قيل: لست مسؤلا عنهم فلا يحزنك كفرهم.

(١) زيد من م و مد و ظ (٢) من مد و ظ، و فى الأصل و م: لا يحبوك (٣) فى م و مد وظ: ان (٤) فى مد: عما (٥) سورة ٢ آية ٨٠ (٦) سورة ٢ آية ١١١. (٧) فى م و ظ: لطف (٨) فى م: بالبشر (٩) فى م: على.

إرادة - قاله الحرالى - ﴿عنك اليهود و لا النصارى﴾ لشيء من الأشياء ﴿حتى تتبع ملتهم﴾ أى حتى تكون بشيرا لهم، و لن تكون بشيرا لهم حتى توافقهم فيما أحدثوه من أهوائهم بأن تتبع[1] كتابهم على ما بدلوا فيه و حرفوا و أخفوا[2] على ما أفهمته إضافة الملة إليهم لا إلى صاحبها
٥ المعصوم و هو إبراهيم عليه السلام[3]، و يكون ذلك برغبة[4] منك[5] تامة على ما أفهمته صيغة الافتعال و تترك[6] كتابك الناسخ لفروع كتابهم؛ والملة قال الحرالى الأخذ والعمل بما فى العقل هدايته من اعلام المحسوسات. و لما قيل ذلك اقتضى الحال سؤالا و هو: فما[7] أقول؟ فقال: ﴿قل﴾ [8]و لم يقيده[8] بلهم إعراضا عنهم[9] ﴿ان هدى الله﴾ [10]الذى هو جميع

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: سع - كذا (٢) روى أن اليهود والنصارى طلبوا من رسول الله صلى الله عليه و سلم المدنة و وعدوه أن يتبعوه بعد مدة خداعا منهم فاطلعه الله على ستر خداعهم فنزلت، نفى الله رضاهم عنه إلا بمتابعة دينهم و ذلك بيان أنهم أصحاب الجحيم الذين هم أصحابها لا يطمع فى إسلامهم. و الظاهر أن قوله تعالى ﴿و ان ترضى﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه و سلم، علق رضاهم عنه بأمر مستحيل الوقوع منه صلى الله عليه و سلم و هو اتباع ملتهم، و المعلق بالمستحيل مستحيل - البحر المحيط ١ / ٣٦٨ (٣) زيد فى مد: و سيأتى تفسير الملة قريبا (٤) فى الأصل: برغمة، و التصحيح من بقية النسخ (٥) فى مد: منه (٦) من ظ و مد، و فى الأصل و م: تترك - كذا (٧) فى ظ: كما، و زيد بعده فى ظ و م و مد: ذا (٨-٨) ليس فى ظ (٩) فى م: لهم (١٠) زيد فى ظ: اى.

ما أنزل[1] [2] الجامع لصفات الكمال[2] على رسله من كتابى وكتابكم ﴿هو﴾ [2]أى خاصة[2] ﴿الهدى﴾ [2] أى كله[2] مشيرا بأداة التعريف إلى كمال معناه، [3]وبالحصر إلى[4] أن غيره هو الهوى؛ وأضافه إلى الاسم الأعظم وأكده[5] بإن وأعاده بلفظه وعبر عنه بالمصدر واستعمل فيه ضمير الفصل ردا لإنكارهم له، فان اتبعوه كله فآمنوا بأن كتابهم داع إلى كتابك فبشرهم، وإن لم يتبعوه فالزم إنذارهم؛ وفى الآية إشارة إلى ذلك الكتاب لا ريب فيه.

ثم عطف على ما أفهمه السياق من نحو: فلئن زغت[6] عنه لتتركن[7] الهدى كله [2]باتباع الهوى[2]، قوله: ﴿[2]ولئن[2] اتبعت اهوائهم﴾[8] الداعية لهم[9] إلى تغيير كتابهم. قال الحرالى: فأظهر إفصاحا[10] ما أفهمته إضافة الملة إليهم من حيث كانت وضعا بالهوى لا هداية نور عقل كما هى فى حق الحنيفيين - انتهى. ولما كان الكلام هنا فى أمر الملة التى هى ظاهرة للعقل أسقط "من" وأتى الذى بخلاف ما يأتى[11] فى[12] القبلة[13] فقال:

---

(١) زيد فى ظ: الله (٢-٢) ليس فى ظ (٣) العبارة من هنا إلى «لإنكارهم له» ليست فى ظ (٤) وفى م: على (٥) فى مد: اكد (٦) فى ظ: رغبت (٧) فى م: ليتركن، وفى مد: لتركن، وفى ظ: لتترك (٨) والأهواء جمع هوى وكان الجمع دليلا على كثرة اختلافهم، إذ لو كانوا على حق لكان طريقا واحدا "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا" وأضاف الأهواء إليهم لأنها بدعهم وضلالهم، ولذلك سمى أصحاب البدع أرباب الأهواء. (٩) ليس فى مد (١٠) فى مد: ايضاحا (١١) وهو قوله تعالى "من بعد ما جاءك" راجع السورة ٢ آية ١٤٥ (١٢) زيد فى مد وظ «امر» (١٣) فى ظ: القلة.

﴿ بعد الذى ﴾ قال الحرالى : أشارت[1] كلمة " الذى " إلى معنى قريب من الظاهر المحسوس كأنه عَلَم ظاهر ، ففيه إنباء بأن أدنى ما جاءه[2] من العلم مظهر لإبطال ما هم عليه فى وجوه تلبيسهم و أهوائهم ﴿ جاءك من العلم ﴾ بأنهم على ضلال و أنك[3] على جميع الهدى . و خاطبه بذلك صلى الله عليه

٥ و سلم و المراد و الله أعلم من اتبع أهواءهم بعد الإسلام من المنافقين تمسكا بولايتهم / طمعا فى نصرتهم و لذا[4] ختم بقوله : ﴿ ما لك من الله ﴾ [5] الذى له الأمر كله و لا كفوء له[5] ، و أكد النفى بالجار فقال : ﴿ من ولى و لا نصير ه ﴾[6] .

و لما أفصح بمن يستحق النذارة منهم بتغيير الدين بأهوائهم فأفهم[7]

(١) فى ظ : اسارت ، و فى م و مد : اشارة ـ كذا (٢) من م وظ و مد ، و فى الأصل : جاء (٣) فى الأصل : و الكر ، والتصحيح من بقية الأصول (٤) فى م : كذا (٥ ـ ٥) ليست فى ظ (٦) فى البحر المحيط ١/٣٦٩ ، قالوا : تدل هذه الآية على أمور ، منها أن من علم الله منه أنه لا يفعل الشيء يجوز أن يخاطب بالوعيد ، لاحتمال أن يكون الصارف له ذلك الوعيد ، أو يكون ذلك الوعيد أحد الصوارف ، و نظيره " لئن اشركت ليحبطن عملك " ؛ و منها أن قوله ﴿ بعد الذى جاءك من العلم ﴾ يدل على أنه لا يجوز الوعيد إلا بعد المعذرة أولا فيبطل بذلك تكليف ما لا يطاق ؛ و منها أن اتباع الهوى باطل فيدل على بطلان التقليد . . . . و فى قوله : ﴿ مالك من الله من ولى و لا نصير ﴾ قطع لإطماعهم أن تتبع أهواءهم ، لأن من علم أنه لا ولى له ولا نصير ينفعه إذا ارتكب شيئا كان أبعد فى أن لا يرتكبه و ذلك إياس لهم فى أن يتبع أهواءهم أحد (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فانهم .

من

من يستحق البشارة تلاه بالإفصاح بالقسمين: من يستحق البشارة منهم، و من يستحق النذارة، فقال: ﴿ الذين اتينهم الكتب ﴾ أي التوراة و الإنجيل ﴿ يتلونه حق تلاوته ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يتبعونه حق اتباعه، من تلا فلان فلانا إذا تبعه - رواه عنه أبو عبيد[1]. و هي ناظرة إلى قوله قريبا[2]: "و هم يتلون الكتب" أي لا حق تلاوته بل[3] تلاوة ليس فيها تدبر لمعانيه و لا عمل بما فيه؛ هذا إذا جعلناه حالا، و إن جعلناه خبرا و قوله: ﴿ اولئك ﴾ [4]أي العظيمو الرتبة خاصة[4] ﴿ يؤمنون به ﴾ خبرا ثانيا فالمعنى أن من لم يؤمن بالكتاب [4]حق الإيمان من غير تحريف له و لا إخفاء لشيء فيه[5] لما انتفى عنهم المقصود بالذات و هو الانتفاع بالكتاب المؤتى انتفى عنهم أصل الإيتاء لأنه تجرد عن الفائدة؛ و الضمير في "به" يصح أن يكون للهدى. قال الحرالي: و حقية[5] الأمر هي وفاؤه إلى غايته و الإحاطة به إلى جماع حدوده حتى لا يسقط منه شيء و لا يقصر[6] فيه غاية إشعارا[7] باشتمال[8] الكتاب على أمر محمد صلى الله عليه و سلم[9].

(1) في مد: ابو عبيدة (2) في الأصل: فريقا - كذا، و التصحيح من بقية الأصول (3) في مد: بلا - كذا (4-4) ليست في ظ (5) كذا في الأصل، و في مد و ظ حقيقة، و في م: حمه - كذا (6) في م ظ و مد: تقصّر (7) في م و مد: اشعار (8) في ظ: اشمال (9) قال أبو حيان الأندلسي في بيان سبب نزول الآية: قال ابن عباس: نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب و كانوا اثنين و ثلاثين من أهل الحبشة و ثمانية من رهبان الشام، و قيل: كان =

و لما وصف المؤمنين به و لم يبين ما لهم اتبعه بالكافرين[١] فقال : ﴿ و من يكفر به ﴾ ٢ أى بالكتب ، ثم حصر الخسر[٣] فيهم بقوله : ﴿فاولئك﴾ أى البعداء البغضاء ﴿هم﴾ خاصة ﴿الخسرون ﴾ فأفهم أن المؤمنين به هم الرابحون[٤]؛ و من الوصف بالخسار[٥] يعلم أنهم كانوا على
٥ حق و شيء يمكن الربح فيه بتكملة الإيمان بكتابهم بالإيمان ٢ بالكتاب الخاتم فضعيوه فخسروا ، فانه لا يخسر إلا من له أصل مال متهيئ للنماء و الربح - و الله أعلم .

و لما طال المدى فى [٦]استقصاء تذكيرهم بالنعم ثم[٦] فى بيان عوارهم و هتك أستارهم و ختم ذلك بالترهيب بخسارهم[٧] لتضييع[٨] أديانهم بأعمالهم

= بعضهم من أهل نجران و بعضهم من أهل الحبشة و من الروم ، و ثمانية ملاحون أصحاب السفينة أقبلوا مع جعفر؛ و قال الضحاك : هم من آمن من اليهود كابن سلام و ابن صوريا و ابن يامين و غيرهم ، و قيل : فى علماء اليهود و أحبار النصارى ، و قال ابن كيسان : الأنبياء و المرسلون ، و قيل : المؤمنون ، و قيل : الصحابة - قاله عكرمة و قتادة ، و على هذا الاختلاف يتنزل الاختلاف فى " الكتب " أهو التوراة أو الإنجيل أو هما و القرآن أو الجنس فيكون يعنى به المكتوب فيشمل الكتب المتقدمة .

(١) فى مد : الكافرين (٢) ليس فى م (٣) فى م : الحشر (٤) من م ، و فى بقية الأصول : راسخون (٥) فى مد : بالخسارة ، و فى ظ : بالخساره (٦-٦) ليست فى ظ (٧) العبارة من هنا إلى « و اقوالهم » ليست فى ظ (٨) فى م : لتضييع .

و أحوالهم و أقوالهم أعاد ما صدر به قصتهم من التذكير بالنعم[1] و التحذير من حلول النقم يوم يجمع الأمم و يدوم فيه الندم لمن زلت به القدم ، ليعلم أن ذلك فذلكة القصة و المقصود بالذات في [2] الحث على [2] انتهاز [3] الفرصة في التفصّي [4] عن حرمة [5] النقص إلى لذة الربح بدوام الشكر . قال الحرالي : فليعده [6] بالتقدم كرره تعالى إظهارا لمقصد التئام آخر الخطاب بأوله و ليتخذ [7] هذا الإفصاح و التعليم أصلا لما يمكن أن يرد من نحوه في سائر القرآن حتى كأن الخطاب إذا انتهى إلى غاية خاتمة يجب أن يلحظ القلب بداية تلك الغاية فيتلوها ليكون في تلاوته جامعا لطرفي البناء [8] و [9] في تفهمه جامعا لمعاني طرفي المعنى ؛ انتهى - فقال تعالى : ﴿يٰبنى اسرائيل﴾ أي ولد الأنبياء الأصفياء ، والد الأنبياء السعداء ﴿اذكروا نعمتى﴾ أي الشريفة بالنسبة إلىّ و ﴿التى انعمت عليكم﴾ بها في الدنيا ﴿و انى فضلتكم﴾ و اقتصر هنا على نعمة التفضيل و لم يذكر الوفاء الذي هو فضيلة النفس الباطنة [10] إشارة إلى جمودهم باقتصارهم على النظر في لظاهر و ﴿على العلمين ۝﴾ في تلك [11] الأزمان كلها بإتمام نعمة الدنيا بشرع الدين المقتضي للنعمة في الأخرى ، فانكم إذا ذكرتم النعمة شكرتموها فقيدتموها و استوجبتم من

(١) في ظ : بالنعيم (٢-٢) ليست في ظ (٣) وقع في ظ : انتهاض - خطأ (٤) في م و مد و ظ : التقصي (٥) في م : حرفة ، و في ظ : حدقه - كذا (٦) في م : فليعده (٧) من ظ و مد ، و في الأصل و م : ليتحد - كذا بالدال المهملة .
(٨) في م : البنا ، و في مد : البيا ، و في الأصل : النبا ، و في ظ : النباء - كذا .
(٩) العبارة من هنا إلى « الأصفياء و » ليست في ظ (١٠) زيدت « و » في ظ .
(١١) زيد في ظ : في .

الله الزيادة فى الدنيا و الرضى فى العقبى ﴿و اتقوا يوما لا تجزى﴾ أى تقضى[1]، أى يصنع[2] فيه ﴿نفس عن نفس شيئا﴾ أى من الجزاء.

و لما ختمت الآية الماضية بحصر الخسارة فيهم ناسب تقديم نفى القبول فقال: ﴿و لا يقبل منها عدل﴾ يبذل[3] فى فكاكها من غير الأعمال الصالحة ﴿و لا تنفعها شفاعة﴾ غير مأذون فيها ﴿و لا هم ينصرون﴾ و إن كثرت جموعهم. قال الحرالى: أجراها تعالى فى هذا التكرار على حدها فى الأول إلا ما خالف بين الإيرادين فى قوله "و اتقوا يوما - إلى آخره" ليجمع النبأ فى كل واحد من الشفاعة و العدل بين مجموع الردين من الأخذ و القبول فيكون[4] شفاعتها لا مقبولة و لا نافعة، و يكون عدلها [5]لا مأخوذا و لا مقبولا[5]، و ذلك لأن المعروض للقبول[6] أول ما يؤخذ أخذا بحسبه من أخذ سمع أو عين، ثم ينظر[7] إليه نظر تحقيق فى المسموع و تبصر[8] فى المنظور؛ فاذا صححه التحقيق و التبصير قبل، و إذا[9] لم يصححه رد، و إنما يكون ذلك [10]لمن فى[10] حاله حظ صحة ظاهرة لا يثبت[11] مع الخبرة، فأنبأ تعالى بمضمون الآيتين الفاتحة و الخاتمة أن

(١) من ظ، و فى م: يقضى، و فى الأصل: نقضى - كذا (٢) من ظ، و فى الأصل: نصنع - كذا، و فى م: يضيع، و فى مد: تضيع (٣) فى مد: يعدل.
(٤) فى ظ: تكون، و فى مد: فتكون (٥-٥) فى الأصول: لا ماخوذ و لا مقبول (٦) فى مد: القبول (٧) فى ظ: تنظر (٨) فى مد فقط: يبصر.
(٩) فى م: ان (١٠-١٠) ليس فى مد (١١) من م، و فى الأصل و ظ: لاثبت - كذا، و فى مد: تثبت.

هؤلاء ليس فى حالهم حظ صحة البتة لا فى شفاعة و لا فى عدل فلا يقبل و لا يؤخذ [1] إنباء بغرائه[1] عن لبسه[2] ظاهر صحة يقتضى أخذه بوجه مّا ، ففيه تبرئة[3] ممن حاله حال ما[4] نبّىء[5] به[6] عنهم على ما تقدم معناه فى مضمون الآية ؛ و بهذه الغاية انصرف[7] الخطاب عنهم على خصوص ما أوتوا من الكتاب الذى كان / يوجب لهم أن يتدينوا بقبول ما جاء /١٢٠
مصدقا لما معهم [8] فاتخذوا لهم[8] بأهوائهم ملة افتعلتها[9] أهواؤهم ، فنظم تعالى بذلك ذكر صاحب الملة التى يرضاها و افتتح بابتداء أمره فى ابتلائه ليجتمع عليهم الحجتان السابقة بحسب الملة الحنيفية الإبراهيمية و اللاحقة بحسب الدين المحمدى ، كان صلى الله عليه و سلم يقول فى الصباح: أصبحنا[10] على فطرة الإسلام و كلمة الإخلاص و على دين نبينا محمد صلى الله عليه و سلم و على ملة أبينا إبراهيم صلى الله عليه و سلم . فخص المحمدية بالدين و الإبراهيميه بالملة لينتظم ابتداء الأبوة الإبراهيمية بطوائف أهل الكتاب سابقهم و لاحقهم بنبإ[11] ابتداء الأبوة الآدمية فى متقدم قوله تعالى: "و اذ قال ربك للملئكة انى جاعل فى الارض خليفة - الآيات" لينتظم رؤس الخطابات[12] بعضها ببعض و تفاصيلها بتفاصيلها، و ليكون إظهار ذالك

(١ - ١) فى م و ظ : انبآء بغرايه (٢) فى م و ظ : لبسة (٣) فى ظ : بتوبة .
(٤) فى ظ : من (٥) فى مد : بنى ، و فى م : بنىْ (٦) ليس فى مد (٧) فى ظ : اصرف (٨-٨) من ظ ، و فى م و مد : فاتخذوهم ، و فى الأصل : فاتخذولهم .
(٩) فى مد : افتعلها (١٠) فى مد : بحيث - كذا (١١) فى م و مد : بنبىء ، و فى ظ : بنباء (١٢) فى مد : الخطاب .

فى سورة سنام القرآن أصلا لما فى سائره[1] من ذلك، و ذكر قبل ذلك أن الملة ما يدعو إليه هدى العقل المبلغ عن الله توحيده من ذوات الحنيفيين، و أن الدين الإسلام، و الإسلام إلقاء ما باليد ظاهرا و باطنا، و ذلك إنما يكون عن بادى غيب التوحيد - انتهى.

و لما عاب سبحانه أهل الضلال و كان جُلُّهم[2] من ذرية إبراهيم عليه السلام[3] و جميع[4] طوائف الملل تعظمه[5] و منهم العرب و بيته الذى بناه أكبر مفاخرهم و أعظم مآثرهم ذكر الجميع ما أنعم به عليه تذكيرا يؤدى إلى ثبوت هذا الدين باطلاع هذا النبي الأمى الذى لم يخالط عالما قط على ما لا يعلمه إلا خواص العلماء، و ذكر البيت الذى بناه فجعله الله عماد صلاحهم، و أمر بأن يتخذ بعض ما هناك مصلى تعظيما لأمره و تفخيما لعلى قدره؛ و فى التذكير بوفائه بعد ذكر الذين وهوا بحق التلاوة و بعد دعوة بنى إسرائيل عامة إلى الوفاء بالشكر حث على الاقتداء به، [6]و كذا فى ذكر الإسلام و التوحيد هزّ[7] لجميع من يعظمه إلى اتباعه فى ذلك. و قال الحرالى: لما وصل الحق تعالى بالدعوة العامة الأولى فى قوله تعالى "يايها الناس" [8]ذكر أمر[8] آدم و افتتاح استخلافه ليقع بذلك جمع الناس كافة[9] فى طرفين فى اجتماعهم فى أب[10] واحد

(١) فى مد : سائره - كذا (٢) فى ظ : حلهم (٣) العبارة من هنا إلى « تعظمه » ليست فى ظ (٤) فى م و مد : جمع (٥) فى مد : يعظمه (٦) العبارة من هنا إلى « فى ذلك » ليست فى ظ (٧) فى م و مد : هو (٨-٨) فى م و مد : ذكرهم امر. (٩) من ظ و م و مد و فى الأصل : كانه (١٠) فى ظ : باب.

ولدين١ واحد نظم تعالى بذلك وصل خطاب أهل الكتاب بذكر إبراهيم، ليقع بذلك اجتماعهم أيضا فى أب واحد وملة واحدة اختصاصا بتبعية [الإمامة -٢] الإبراهيمية من عموم تبعية الخلافة الآدمية تنزيلا للكتاب وترفيعا للخلق إلى علو اختصاص الحق؛ فكما٣ ذكر تعالى فى الابتداء تذكيرا معطوفا على أمور تجاوزها الإفصاح فى أمر آدم عطف أيضا التذكير بابتداء أمر إبراهيم عليه السلام على أمور تجاوزها٤ °الإفصاح هى أخص من متجاوز الأول كما أن إفصاحها أخص من إفصاحها وأعلى رتبة من° حيث أن الخلق والأمر مبدوء من حد لم يزل ولا يزال يتكامل إلى غاية ليس وراءها مرمى فقال تعالى: ﴿وإذ ابتلى ابرٰهم﴾ انتهى٦.
٧والمعنى أنه عامله بالأمر٨ بأمور شاقة ٩معاملة المختبر الممتحن، وقال:

(١) كذا فى الأصل، والظاهر: ودين (٢) زيد من م ومد، وفى ظ: للامامة.
(٣) فى م: كما، وفى مد: فلما (٤) فى م: يجاوزها (٥-٥) ليست فى مد (٦) مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما جرى ذكر الكعبة والقبلة وأن اليهود عيروا المؤمنين بتوجههم إلى الكعبة وترك بيت المقدس كما قال "ماولٰهم عن قبلتهم" ذكر حديث إبراهيم وما ابتلاه به الله واستطرد إلى ذكر البيت وكيفية بنائه وأنهم لما كانوا من نسل إبراهيم كان ينبغي أن يكونوا أكثر الناس اتباعا لشرعه واقتفاء لآثاره فكان تعظيم البيت لازما لهم فنبه الله بذلك على سوء اعتمادهم وكثرة مخالفتهم وخروجهم عن سنن من ينبغي اتباعه من آبائهم وأنهم وإن كانوا من نسله لا ينالون لظلمهم شيئا من عهده - البحر المحيط ١/٣٧٤.
(٧) العبارة من هنا إلى «الممتحن» ليست فى ظ (٨) ليس فى م (٩) من م. =

﴿ ربه ﴾ أى المحسن ١ إليه إشعارا ١ بأن تكليف العباد هو غاية الإحسان إليهم و فى ابتداء قصته بقوله : ﴿ بكلمٰت فأتمهن ﴾ بيان لأن أسنى أحوال العباد الإذعان و التسليم لمن قامت الأدلة على صدقه و٢ المبادرة لأمره٣ دون اعـــتراض و لا توقف و لا بحث عن علة ، و فى ذلك إشارة إلى تبكيت المدعين لاتباعه من بنى إسرائيل حيث اعترضوا فى ذبح البقرة و ارتكبوا[٤] غاية التعنت[٥] مع ما فى ذبحها من وجوه الحكم بعد أن أساؤا الأدب عـلى نبيهم فى ذلك و فى غـيره فى أول أمرهم و أثنـائه و آخره فأورثهم ذلك نكالا و بعدا ، فظهر أن الصراط المستقيم حال إبراهيم و من ذكر معـه من الأنبيـاء و الرسل عليهم الصلاة و السلام ، و أنهم المنعم عليهم ؛ و الظاهر عطف " اذ " عـلى " نعمتى " فى قوله " يٰبنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم " أى و اذكروا إذ ابتلى أباكم٢ إبراهيم فأتم ما ابتلاه به فما لكم أنتم[٦] لا تقتدون به فتفعلوا عند الابتلاء فعله فى إيفاء العهد و الثبـات على الوعد لأجازيكم عـلى ذلك جزائى للمحسنين . و الإتمام التوفية لما له صورة تلتئم[٧] من أجزاء و آحاد - قاله الحرالى . فكأنه قيل : فما جوزى على شكره بالإتمام قبل ؟ ﴿ قال ﴾ له ربه ، و يجوز أن يكون " قال " بيانا لابتلى ﴿ انى جاعلك للناس ﴾ أى كافة ﴿ اماما ﴾ كما كانت خلافة أبيه آدم لبنيه كافة ، و الإمام ما يتبع هداية إلى سدا -

---

= وفى الأصل : شاهه ، وفى مد : ساقه .

(١-١) ليس فى ظ ومد ، ولفظ «إليه» ليس فى م (٢) ليس فى ظ (٣) فى م : لامر . و فى مد : لايره - كذا (٤) فى ظ : فارتكبوا (٥) فى م : التعب (٦) فى م : ان (٧) فى م : تليم - كذا .

قاله الحرالي[1] . و استأنف قوله ﴿ قال ﴾ أي[2] إبراهيم ﴿ و من ﴾ أي و اجعل من ﴿ ذريتي ﴾ أئمة ﴿ قال لا ينال ﴾ أي قد أجبتك و عاهدتك بأن أحسن إلى ذريتك لكن لا ينال ﴿ عهدي ﴾ [3] الذي عهدته إليك[4] بالإمامة ﴿ الظلمين ﴾ منهم، لأنهم نفوا أنفسهم عنك في أبوة الدين؛ و في ذلك أتم ترغيب في التخلق بوفائه لا سيما للذين دعوا قبلها إلى الوفاء بالعهد، و إشارة إلى أنهم إن شكروا أبقى رفعتهم كما أدام رفعته، و إن ظلموا لم تنلهم دعوته فضربت عليهم الذلة / و ما معها و لا يجزي أحد عنهم شيئا و لا هم ينصرون؛ و الذرية بما[5] يجمع[6] معنى الذرّ و الذرء، و الذريّ مختلف وزنه على وجوه اشتقاقه، فيكون فعلولة[7] كأنه ذرورة ثم خفف بقلب الراء[8] ياء استثقالا للتضعيف ثم كسر ما قبل الياءين تحقيقا[9] لها[10] لأنه اجتمع بعد القلب واو[11] وياء[12] سبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء، أو[13] تكون[14] فعليّة[15] من الذر منسوبا، و من الذرء مخفف فعولة بقلب[16] الهمزة ياء ثم الواو ياء لاجتماعها معها سابقة إحداهما

---

(١) و قال أبو حيان الأندلسي: الإمام القدوة الذي يؤتم به، و منه قيل لخيط البناء إمام، و للطريق: إمام، و هو مفرد على فعال كالإزار الذي يؤتزر به، و يكون جمع آم اسم فاعل من أم يؤم كجائع و جياع و قائم وقيام ونائم و نيام. (٢) ليس في مد (٣) العبارة من هنا إلى « بالإمامة » ليست في ظ (٤) في م: اليكما (٥) في ظ: بما (٦) من ظ، و في الأصل: مجمع، و في م: بجمع - كذا (٧) في مد: معلوله (٨) في م: الذر (٩) في ظ: تخفيفا، و في م: تحتفيقا - كذا. (١٠) ليس في م (١١) في م. راويا (١٢) زيد في م و مد: و (١٣) في ظ: و (١٤) في م و مد: يكون (١٥) في مد: فعيلة (١٦) في مد: قلب.

بالسكون ثم الإدغام ، أو فعّيلة ١ إن يكن فى الكلام لما فيه من ثقل اجتماع الضم و الكسر - قاله الحرالى ٢ ، و فيه تصرف .

و لما كان من إمامته اتباع الناس له فى حج البيت الذى شرفه الله ببنائه قال إثر ذلك ناعيا على أهل الكتاب مخالفته و ترك دينه و موطئا

٥ لأمر القبلة : ﴿ و اذ جعلنا البيت ﴾ أى الذى بناه إبراهيم بأم القرى ﴿ مثابة للناس ﴾ أى مرجعا يرجعون إليه بكلياتهم[٣] . كلما ٤ تفرقوا عنه اشتاقوا إليه هم ٥ أو غيرهم آية ٦ على رجوعهم من الدنيا إلى ربهم . قال الحرالى : و هو مفعلة من الثوب و هو الرجوع تراميا إليه بالكلية . و فى صيغة المفعلة دوام المعاودة[٧] مثابرة ﴿ و امنا ﴾ لكونه بيت الملك .

(٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فعلية (٢) و قال أبو حيان الأندلسى : الدرية النسل مشتقة من ذروت أو ذريت أو ذرأ الله الخلق أو الذر و يضم ذالها أو يكسر أو يفتح ، فأما الضم فيجوز أن تكون ذرية فعيلة من ذرأ الله الخلق و أصله ذريئة خففت الهمزة بإبدالها ياء كما خففوا همزة النسيء فقالوا : النسيّ ، ثم أدغموا الياء التى هى لام الفعل فى الياء التى هى لله ، و يجوز أن تكون فعولة : من ذروت ، الاصل ذرووة أبدلت لام الفعل ياء ، اجتمع لك واو وياء واو المد و الياء المنقلبة عن الواو التى هى لام الفعل وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت واو المد ياء و أدغمت فى الياء وكسر ما قبلها لأن الياء تطلب الكسر ، و يجوز أن تكون فعيلة من ذررت ، اصلها ذريوة ـ البحر المحيط ٣٧٢/١ (٣) العبارة من هنا إلى « غيرهم » ليست فى ظ (٤) فى مد : كما (٥) ليس فى مد (٦) فى الأصل : انه . و التصحيح من مد و م و ظ (٧) زيد فى م : له .

من حرب الدنيا و من عذاب الآخرة إلا فى حق من استثناه الله من الكافرين فعلا بالشرك و قوة بالإلحاد؛ و الأمن براءة عيب [١] من تطرق أذى إليه - قاله الحرالى . [٢] و قد كانوا فى الجاهلية يرى الرجل قاتل أبيه فى الحرم فلا يتعرض [٣] له . قال الأصبهانى [٤] : و هذا شيء توارثوه من زمن [٥] إسماعيل عليه السلام فبقوا عليه إلى أيام النبى صلى الله عليه و سلم [٦] ، فاليوم من أصاب فى الحرم جريرة أقيم عليه الحد بالإجماع .

و لما كان التقدير : فثاب الناس إليه [٧] ائتماما ببانيه و آمنوا بدعوته فيه عطف عليه قوله : ﴿ و اتخذوا ﴾ ، و على قراءة الأمر يكون التقدير : فتوبوا إليه أيها الناس ائتماما به و اتخذوا ﴿ من مقام ابرٰهم ﴾ خليلنا ﴿ مصلى ﴾ و هو مفعل لما تداوم فيه الصلاة . و مقام إبراهيم هو الحجر الذى قام عليه حين جاء لزيارة ولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام فلم يجده ، فغسلت امرأة إسماعيل رأسه و هو معتمد برجله عليه و هو راكب ، غسلت شق رأسه [الأيمن - [٨]] و هو معتمد [٩] على الحجر برجله اليمنى ، ثم

---

(١) ليس فى ظ . وزيد بعده فى م و مد : المرء (٢) العبارة من هنا إلى « بالإجماع » ليست فى ظ (٣) وقع فى الأصل : يعوض - مصحفا ، و التصحيح من مد ، و فى م : فلا يعرض (٤) فى م و مد : الاصفهانى (٥) فى م و مد : دين (٦) و الظاهر أن جعله امنا هو فى الدنيا ، إذ كان العرب يقتتلون و يغير بعضهم على بعض ومكة آمنة من ذلك . فيلقى الرجل قاتل أبيه فيها فلا يهيجه . فأمن الناس فيه و الطير والوحش إلا الخمس الفواسق - الملخص من البحر المحيط ١/٣٧٩ (٧) ليس فى ظ ومد . (٨) زيد من ظ وم ومد (٩) زيدت فى الأصل « برجله عليه وهو راكب غسلت شق رأسه و هو معتمد » و قد كانت مكررة و لم تكن فى م ومد وظ فحذفناها .

أدارت الحجز إلى الجانب الأيسر و غسلت شقه الأيسر، فغاصت رجلاه فيه؛ و لهذا أثر قدميه مختلف، أصابع هذه [١] عند عقب هذه [١]، و هو قبل أن يبنى [٢] البيت - و الله أعلم بمراده. ﴿و عهدنا﴾ عطف على قوله "جعلنا" ﴿الى ابرٰهم﴾ الوفى ﴿و اسمٰعيل﴾ ابنه الصادق الوعد، و فى ذكره إفصاح باجابة دعوته فيه فى قوله "و من ذريتى" و إشارة إلى أن فى ذريته من يختم [٣] الأمم بأمته و يكون استقباله بيته فى أجل العبادات [٤] من شرعته و أتم الإشارة بقوله: ﴿ان طهرا بيتى﴾ أى عن كل رجس حسى و معنوى، [٥] فلا يفعل بحضرته شيء لا يليق فى الشرع [٥]؛ و البيت موضع المبيت المخصوص من الدار المخصوصة من المنزل المختص من البلد - قاله الحرالى [٦]. ﴿للطائفين﴾ به الذين فعلهم فعل العارف بأنه ليس وراء الله مرمى و لا مهرب منه إلا إليه ﴿و العٰكفين﴾ فيه، و العكوف الإقبال على الشيء و ملازمته و الاقتصار عليه، و الطواف التحليق بالشيء فى غيب أو لمعنى غيب - قاله الحرالى. ﴿و الركع السجود ه﴾

(١-١) ليس فى م و مد (٢) فى م: يلى - كذا (٣) فى م فقط: تختم (٤) فى ظ: عباده (٥-٥) ليست فى ظ (٦) قال أبو حيان الأندلسي: هذه إضافة تشريف لا أن مكانا محل الله تعالى، و لكن لما أمر ببنائه و تطهيره و إيفاد الناس من كل فج إليه صار له بذلك اختصاص فحسنت إضافته إلى الله بذلك و صار نظير قوله "ناقة الله" و "روح الله" من حيث أن فى كل منهما خصوصية لا توجد فى غيره فناسب الإضافة إليه تعالى. و الأمر بتطهيره يقتضي سبق وجوده إلا إذا حملنا التطهير على البناء و التأسيس على الطهارة و التقوى و قد تقدم أنه كان مبنيا على عهد نوح - البحر المحيط ١ / ٣٨٢.

قال

قال الحرالي: و في ذكر الركوع تخصيص للعرب الذين إنما شرع الركوع في دينهم، و في ذلك تبكيت لمن أخرج المؤمنين و منعهم من البيت، و في تكرير تفصيل هذه الآيات باذ تنبيه على توبيخهم بترك دينه و هو الخليل و اتباع من لا يعلم و هو العدو.

و[1] لما ذكر أمر البيت الشريف فيما تكفل به[2] سبحانه و فيما أمر به الخليل و[1] ولده عليهما السلام من تطهيره ذكر باهتمامه بأهله و دعائه لهم مبكتا لمن عقّه من ذريته بالتصريح بكفرهم بيوم[3] الجزاء الآمر بكل خير الزاجر عن كل ضير فقال: ﴿ و اذ قال ابرٰهم رب ﴾ فأسقط أداة البعد إنباء بقربه[4] كما هو حال أهل الصفوة[5] ﴿ اجعل هذا ﴾ أي الموضع[6] الذي جعلت فيه بيتك و أمرتني بأن أسكنته من ذريتي.

و لما كان السياق للمنع من المسجد و للسعي في خرابه و كان ذلك شاملا بعمومه للبادي و لذلك[7] قرر أنه مثابة للناس عامة و أمنٌ كان الأنسب تنكير البلد فقال: ﴿ بلدا ﴾ يأنس[8] من يحل به ﴿ اٰمنا ﴾ إفصاحا بما أفهمه "و اذ جعلنا البيت - الآية"؛ و المعنى أنكم عققتم أعظم آبائكم في دعوتيه كلتيهما: في كونه بلدا فانه[9] إذا انقطع الناس عن أهله خرب[10]، و في كونه آمنا، و هذا بخلاف ما يأتي في سورة إبراهيم عليه السلام.

(1) ليس في م (2) ليس في مد (3) في م: بنوم - كذا (4) من م و ظ و مد، و في الأصل: تقربه - كذا (5) زيد في ظ «و» (6) زيد في ظ: أي (7) في م: بذلك (8) زيد في م و ظ و مد «به» (9) في ظ: قاله - كذا (10) في مد: حزب - كذا.

و لما ذكر القرار و الأمن اتبعه الرزق و قال ١ : ﴿ وارزق اهله ﴾ ٢
و قال : ﴿ من الثمرت ﴾ ، ولم يقل : من الحبوب ، لما في تعاطيها
من الذل المنافي للأمن ، لما روى أن النبي صلى الله عليه و سلم رأى سكة
حرث فقال : ما دخلت هذه بيتا إلا ذل . و قال : ﴿ من آمن منهم بالله ﴾
٥ ٣الجامع لصفات الكمال ٣ ﴿ و اليوم الآخر ﴾ تقييدا لدعوة الرزق بما
قيدت به دعوة الإمامة[٤] تأدبا معه[٥] حيث قال " لا ينال عهدي الظلمين "
﴿ قال ﴾ الله تعالى معلما أن شمول الرحمانية[٦] بأمن الدنيا و رزقها بجميع[٧]
عمرة الأرض ﴿ و من كفر ﴾ أي أنيله[٨] أيضا ما ألهمتك من الدعاء
بالأمن و الرزق ، و عبر عن ذلك بقوله : ﴿ فامتعه[٩] ﴾ تخسيسا له بما
١٠ أفهمه لفظ المتاع بكونه كما مضى من أسماء الجيفة التي إنما هي منال[١٠] المضطر
على شعور برفضه على قرب من مترجى الغناء عنها ، و أكد[١١] ذلك بقوله :

(١) في ظ : فقال (٢) قال أبو حيان الأندلسي : لما بنى إبراهيم البيت في أرض مقفرة و كان حال من يتمدن من الأماكن يحتاج فيه إلى ماء يجري و مزرعة و يمكن بهما القطان بالمدينة دعا الله للبلد بالأمن و بأن يجبى له الأرزاق ، فانه إذا كان البلد ذا أمن أمكن وفود التجار إليه لطلب الربح ، و لما سمع في الإمامة قوله تعالى " لا ينال عهدي الظلمين " قيد هنا من سأل له الرزق فقال ﴿ من آمن منهم بالله و اليوم الآخر ﴾ و الضمير في " منهم " عائد على " اهله " ، دعا لمؤمنهم بالأمن و الخصب لأن الكافر لا يدعى له بذلك
(٣-٣) ليست في ظ (٤) العبارة من هنا إلى " لظلمين " ليست في ظ (٥) زيد في مد : تعالى (٦) في م : الرحمة (٧) في ظ : بجميع (٨) في مد : ابتنه - كذا
(٩) زيد في م . قليلا ، و سيأتي (١٠) في م : متاز - كذا (١١) زيد في م : في .

﴿ قليلا ﴾ لكن فيه إيماء إلى أنه يكون أطيب حالا فى الدنيا و أوسع رزقا من المؤمن ، و كذا فى قوله : ﴿ ثم اضطره ﴾ [١] بما لى من العظمة الباهرة[١] ﴿ الى عذاب النار ﴾ أى[٢] بما أستدرجه[٣] به من النعم الحاملة له على المعاصى التى هى أسباب النقم ، • فى التعبير بلفظ الاضطرار إلى ما لا يقدم عليه أحد باختيار إشعار باجبار الله خلقه على ما يشاء[٤] منهم من إظهار حكمته و أن أحدا لا يقــدر على حركة و لا سكون إلا بمشيئته ؛ و الاضطرار الإلجاء إلى ما فيه ضرر بشدة و قسر[٥] . و لما كان التقدير : فبئس المتاع ما ذكر له فى الدنيا ، عطف عليه قوله : ﴿ و بئس المصير ﴾ أى العذاب له فى الآخرة ، و هو مفعل بما [٦]منه التصيير[٦] و هو التنقيل[٧] فى أطوار و أحوال ينتهى[٨] إلى غاية تجب[٩] أن تكون[١٠] غير حالة الشيء الأولى[١١] بخلاف المرجع .

و لما ذكر بما مهده من أمر البيت دينا و دنيا اتبعه ببنائه مشيرا إلى ما حباهم[١٢] به من النعمة و ما قابلوه به من كفرها باختيارهم لأن يكونوا من غير الأمة المسلمة التى دعا لها لما دعا للرسول فقال[١٣] عاطفا على " اذ ابتلى " تعديدا لوجوه النعم على العرب بأبيهم الأعظم استعطافا إلى التوحيد[١٣] : ﴿ و اذ يرفع ابرٰهم ﴾ • أى اذكر الوقت الذى يباشر بالرفع[١٣] ﴿ القواعد[١٤]

(١-١) ليست فى ظ (٢) ليس فى مد (٣) فى م : استدرجته (٤) فى مد : شاء .
(٥) فى م : قشر (٦-٦) فى م : فيه التعبير (٧) من م و ظ ، و فى الأصل : التفقيد ، و فى مد : التنقل (٨) فى م و مد : تنتهى (٩) فى مد : تحت ، و فى بقية الأصول : يجب (١٠) فى ظ : يكون ، و فى مد : نكون ـ كذا (١١) فى م و مد : الاول .
(١٢) فى ظ : احياهم (١٣-١٣) ليست فى ظ (١٤) القواعد قال الكسائى =

من البيت ﴾ قال الحرالى : عدّد تعالى وجوه عنايته بسابقة العرب فى هذه الآيات كما عدد وجوه نعمته على بنى إسرائيل فى سابقة الخطاب ، فكانت هذه فى أمر إقامة دين الله ، و كانت تلك فى محاولة مدافعته ، ليظهر بذلك تفاوت ما بين الاصطفاء و العناية ؛ و القاعدة ما يقعد عليه الشيء أى[1] يستقر و يثبت[2] و يجوز أن يراد بها سافات البناء ، لأن كل ساف[3] قاعدة للذى يبنى[4] عليه - قاله الأصبهانى[5] .

و لما أفرد الخليل عليه السلام بهذا الرفع إظهارا لشرفه بكونه هو السبب الأعظم فى ذلك عطف عليه ولده فقال : ﴿ و اسمٰعيل ﴾ أى يرفع القواعد أيضا ، و وصل بهذا العمل الشريف قوله : "ربنا" مرادا فيه القول محذوفا منه أداة البعد أى يقولان : ﴿ ربنا تقبل منا ﴾ أى عملنا[6] بفضلك و لا ترده علينا ، إشعارا بالاعتراف بالتقصير لحقارة العبد و إن اجتهد فى جنب عظمة مولاه . و لما تضمن سؤال القبول المشعر بخوف الرد علم الناقد البصير بالتقصير علله بقوله : ﴿ انك ﴾ و أكده

= و الفراء : هى الجدر ، و قال أبو عبيدة : الأساس . . . . فإن كانت الأساس فرفعها بأن يبنى عليها فتنتقل من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع و تتطاول بعد التقاصر . قال الزمخشرى : و يجوز أن يكون المراد بها سافات البناء ، و يجوز أن يكون المعنى ما قعد من البيت أى استوطىء يعنى جعل هيئة القاعدة لمستوطأة مرتفعة عالية بالبناء - البحر المحيط ١ / ٣٧٣ و ٣٨٧ .

(١) فى م : ان (٢) العبارة من هنا إلى « الأصبهانى » ليست فى ظ (٣) فى مد : ساق (٤) فى م : بنى (٥) فى مد : الاصفهانى (٦) فى ظ : علمنا - كذا .

بقوله: ﴿انت السميع العليم﴾ أى فان كنت سمعت أو علمت ا منا حسنا فزده حسنا، وإن كنت سمعت أو علمت ا غير ذلك من نحو قول ناشئ عن اختلاج فى النفس بما سببه كلال أو إعياء[1] فاغفره .

و لما سأل القبول[2] سأل الزيادة عليه بقوله: ﴿ربنا﴾ على ما مضى من طرز دعاء المقربين باسقاط أداة البعد ﴿و اجعلنا﴾ أى أنا و ابنى هذا الذى أعانى ﴿مسلمين لك و من ذريتنا[4]﴾ قال الحرالى: لما تحقق مرجو الإيمان فى ذريته فى قوله: "من امن منهم" طلب التكملة باسلام الوجه و المسألة[5] له و لابنه و لمن رزق الإيمان من ذريته و ذرية ابنه، فان الإسلام لما كان ظاهر الدين كان سريع الانثلام لأجل مضايقة أمر

(١-١) ليست فى ظ (٢) فى م: اعتياء (٣) قال أبو حيان الأندلسى: وحكى بعض المفسرين عن بعض الناس فرقا بين القبول و التقبل، قال: التقبل تكلف القبول وذلك حيث يكون العمل ناقصا لا يستحق أن يقبل، قال: فهذا اعتراف من إبراهيم و إسماعيل بالتقصير فى العمل؛ و لم يكن المقصود إعطاء الثواب، لأن كون الفعل واقعا موقع القبول من المخدوم ألذ عند الخادم العاقل من إعطاء الثواب عليه؛ و سؤالهما التقبل بذلك على أن ترتيب الثواب على العمل ليس واجبا على الله تعالى - البحر المحيط ١/٣٨٨ (٤) لما تقدم الجواب له بقوله "لا ينال عهدى الظلمين" علم أن من ذريتهما الظالم وغير الظالم فدعا هنا بالتبعيض لا بالتعميم فقال: ﴿ومن ذريتنا﴾ و خص ذريته بالدعاء للشفقة و الحنو عليهم ولأن فى صلاح نسل الصالحين نفعا كثيرا لمتبعهم، إذ يكونون سببا لصلاح من وراءهم؛ و الذرية هنا قيل أمة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله "وابعث فيهم" و قيل هم العرب لأنهم من ذريتهما. قال القفال: لم يزل فى ذريتهما من يعبد الله وحده لا يشرك به شيأ و لم تزل الرسل عليهم السلام من ذريتهما - البحر المحيط ١/٣٨٩ (٥) فى م: المسلمة .

الدنيا، و إنما يتم الإسلام بسلامة الخلق من يد العبد و لسانه و الإلقاء بكل ما بيده لربه[١] مما ينازع فيه وجود النفس و متضايق الدنيا، و لذلك[٢] هو مطلب لأهل الصفوة فى خاتمة العمر ليكون الخروج من الدنيا عن إلقاء للحق و سلام للخلق كما قال يوسف عليه السلام "توفنى مسلما[٣]" و طلب بقوله : ﴿ امة مسلمة لك ﴾ أن[٤] يكونوا بحيث يؤم بعضهم بعضا .

و لما كان المسلم مضطرا إلى العلم قال ﴿ و ارنا مناسكنا ﴾ و فى ذلك ظهور لشرف[٥] عمل الحج حيث كان متلقى عن الله بلا واسطة لكونه علما على آتى[٦] يوم الدين حيث لا واسطة هناك بين الرب و العباد ، و المنسك[٧] مفعل من النسك و هو ما يفعل قربة و تدينا . تشارك حروفه حروف السكون - قاله الحرالى . و لما كان الإنسان محل العجز فهو أضر شىء إلى التوفيق قال : ﴿ و تب علينا ﴾ إنباء بمطلب التوبة أثر الحسنة كما هو مطلب العارفين بالله المتصلين بالحسنات[٨] رجعا بها إلى من له الخلق و الأمر ، ثم علل طمعه فى ذلك بأن عادته تعالى التطول و الفضل فقال :

١٢٣ / ﴿ انك / انت التواب ﴾ أى الرجاع بعباده إلى موطن النجاة من حضرته بعد ما سلط عليهم عدوهم بغوايته[٩] ليحرفوا فضله عليهم و عظيم قدرته ثم اتبعه

(١) زيد فى م و مد : و ذلك (٢) فى م : ذلك (٣) سورة ١٢ آية ١٠١ (٤) فى م : اى (٥) وقع فى الأصل : الشرف - كذا ، و التصحيح من م و ظ و مد . (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اتى (٧) و قال تاج القراء الكرمانى : إن كان المراد أعمال الحج و ما يفعل فى المواقف كالطواف و السعى و الوقوف و الصلاة فتكون المناسك جمع منسك المصدر جمع لاختلافها ، و إن كان المراد المواقف التى يقام فيها شرائع الحج كمنى و عرفة و المزدلفة فيكون جمع منسك و هو موضع العبادة . و روى عن على أن إبراهيم لما فرغ عن بناء البيت و دعا بهذه الدعوة بعث الله إليه جبريل عليه السلام فحج به - البحر المحيط (٨) فى م : من الحسنات . (٩) فى مد : بغواته - كذا .

وصفا هو كالتعليل له فقال: ﴿ الرحيم ﴾ .

ولما طلب ما هو له في منصب النبوة من تعليم الله له المناسك بغير واسطة طلب لذريته مثل ذلك بواسطة من جرت العادة به لأمثالهم فقال: ﴿ ربنا وابعث فيهم ﴾ أي الأمة المسلمة التي من ذريتي وذرية ابني إسماعيل ﴿ رسولا منهم ﴾[1] ليكون أرفق بهم وأشفق عليهم ويكونوا[2] هم أجدر باتباعه والترامي في نصره، وذلك الرسول[3] هو محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه لم يبعث من ذريتهما بالكتاب غيره، فهو دعوة إبراهيم عليه السلام أبي العرب وأكرم ذريته؛ ففي ذلك أعظم ذم لهم بعداوته مع كونه مرسلا لتطهيرهم بالكتاب الذي [4]هو الهدى[4] لا ريب فيه، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ يتلوا ﴾ أي يقرأ متابعا[5] مواصلا ﴿ عليهم ءايتك ﴾ أي علاماتك الدالات عليك أعم من أن يكون نزل بها الكتاب أو استنبطت منه ﴿ ويعلمهم الكتب ﴾ الكامل الشامل لكل كتاب أوتيت جوامع الكلم ﴿ والحكمة ﴾ وهي كل أمر يشرعه لهم فيحفظهم في صراطي [6]معاشهم ومعادهم[6] من الزيغ المؤدي إلى الضلال الموجب للهلاك.

ولما كان ظاهر دعوته عليه السلام أن البعث في الأمة المسلمة

(١) لما دعا ربه بالأمن لمكة وبالرزق لأهلها وبأن يجعل من ذريته أمة مسلمة ختم الدعاء لهم بما فيه سعادتهم دنيا وآخرة وهو بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فيهم، فشمل دعاءه لهم الأمن والخصب والهداية - البحر المحيط ١/٣٩٢ (٢) في ظ: فيكون (٣) في م: للرسول (٤-٤) ليس في م (٥) في ظ: قرآنا (٦-٦) في ظ: معشاهم ومعاذهم.

كانوا إلى تعليم ما ذكر أحوج منهم إلى التزكية فان أصلها موجود بالإسلام فأخر قوله: ﴿ و يزكيهم ﴾ أي يطهر قلوبهم بما أوتي من دقائق الحكمة، [١]فترتقي بصفاتها[١] و لطفها من ذروة الدين إلى محل يؤمن عليها فيه أن ترتد[٢] على أدبارها و تحرف كتابها كما فعل من تقدمها[٣]، و التزكية إكساب الزكاة، و هي نماء النفس بما هو لها بمنزلة الغذاء للجسم - قاله الحرالي.

و لما ذكر سبحانه في سورة الجمعة بعثه في الأميين عامة اقتضى المقام تقديم التزكية التي رأسها البراءة من الشرك الأكبر ليقبلوا ما جاءهم من العلم، و أما تقديمها في آل عمران مع ذكر البعث للمؤمنين فلاقتضاء الحال بالمعاتبة على الإقبال على الغنائم الذي[٤] كان سبب الهزيمة لكونها إقبالا على الدنيا التي هي أم الأدناس؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ انك انت العزيز[٥] ﴾ أي الذي يغلب كل شيء و لا يغالبه شيء، لأن العزة كما قال الحرالي الغلبة الآتية على كلية الظاهر و الباطن، ﴿ الحكيم ه ﴾ أي الذي يتقن ما أراد فلا يتأتى نقضه، و لا متصف[٦] بشيء من ذلك غيرك؛ و في ذلك إظهار عظيم لشرف العلم و طهارة الأخلاق، و أن ذلك لا ينال إلا بمجاهدات لا يطيقها البشر و لا تدرك أصلا إلا بجد تطهره[٧] العزة

(١-١) في م: فترقى بصفاتها (٢) من م، و في الأصل: يرتد، و في مد و ظ: يرتد - كذا (٣) في ظ: مقدمها (٤) في م: الذين (٥) و في البحر المحيط ١/٣٩٣: المنيع الذي لا يرام - قاله المفضل بن سلمة، أو الذي لا يعجزه شيء - قاله ابن كيسان، أو الذي لا مثل له - قاله ابن عباس. أو المنتقم - قاله الكلبي، أو القوى و منه "فعززنا بثالث" أو المعز و منه "و تعز من تشاء" (٦) في م: لا يتصف، و في ظ: لا متصفه (٧) و في م: نظيره.

و ترتيب

و ترتيب أبرمته الحكمة، هذا لمطلق ذلك فكيف بما يصلح منه للرسالة! و فيه إشارة إلى أنه يكبت[1] أعداء الرسل و إن زاد عددهم و عظم جدهم، و يحكم أمورهم فلا يستطيع أحد نقض شيء منها.

و لما كان التقدير: فمن يرغب في مخالفة من يرسله من[2] هو بهذه الصفة! عطف[3] عليه قوله: ﴿ و من يرغب عن ملة ابرٰهم ﴾ المستقيم الطريقة، الطاهر[4] الخليقة، الشفيق على ذريته، الباني لهم أعظم المفاخر، المجتهد لهم في جليل المناقب و المآثر ﴿ الا من سفه نفسه ﴾ أي [5] امتهنها و احتقرها و استخف بها، أي فعل بها ما أدى إلى ذلك؛ و في[5] ذلك تعريض بمعاندي أهل الكتاب. قال الحرالي: و السفاهة خفة الرأي في مقابلة ما يراد منه من المتانة و القوة، و في نصب النفس إنباء بلحاق السفاهة بكلية ذي النفس، لأن من سفهت نفسُه اختص السفه بها، و من سفه نفسَه - بالنصب - استغرقت السفاهة ذاته و كليته و كان بدء ذلك و عاديته[6] من جهة نفسه، يفهم ذلك نصبها؛ و ذلك لأن الله عز و جل جعل النفس مبدأ كل شر أبداه في ذات ذي النفس، فانه تعالى يعطي الخير بواسطة و بغير واسطة، و لا يُحذي[7] الشر[8] إلا بواسطة نفس ليكون في ذلك حجة الله على خلقه؛ و إنما استحق السفاهة من يرغب عن ملة إبراهيم لظهور شاهدها في العقل و عظيم بركتها في التجربة، لأن من ألقى

(١) في م و ظ: يكتب (٢) في ظ: بمن (٣) ليس في م (٤) في م و ظ: الظاهر (٥-٥) ليست في ظ (٦) في م: عادته، و في مد: عايدته - كذا (٧) من ظ و م، و في الأصل: يحذى - كذا، و في مد: يجدى (٨) في الأصل: الخير، و التصحيح من م و ظ و مد.

يملته لم يؤاخذ فى كل مرتبة[١] من رتب الدنيا و الآخرة ، فلا عذر لمن رغب عن ذلك ، لظهوره فى شاهدى العقل و الحس اللذين هما أظهر حجج الله على خلقه "و تلك حجتنا اٰتينٰها ابرٰهيم على قومه[٢]" انتهى .

و لما كان التقدير : فلقد آتيناه من المزايا ما قدمنا لكم مما لا يعدل[٣] عنه ذو مسكة عطف عليه قوله : ﴿ و لقد اصطفينٰه ﴾[٤] فذكره بمظهر العظمة تعظيما له ، فان العبد يشرف شرف سيده ، و تشريفا لاصطفائه فان الصنعة تجل بجلالة[٥] مبدعها ﴿ فى الدنيا ﴾ بما ذكرناه[٦] من كريم المآثر التى يجمعها إسلامه ؛ و هو افتعال من الصفوة و هى ما خلص من اللطيف عن كثيفه[٧] و مكدره ، و فى صيغة الافتعال من الدلالة على التعمد و القصد ما يزيد فيما أشير إليه من الشرف ﴿ و انه فى الاٰخرة لمن الصٰلحين ﴾ /[٨] و فى هذا أكبر تفخيم لرتبة الصلاح حيث جعله من /١٢٤

---

(١) فى م و مد : رتبة (٢) سورة ٦ آية ٨٣ (٣) فى م : لا تعدل (٤) فى البحر المحيط ١ / ٣٩٥ : أى جعلناه صافيا من الأدناس ، و اصطفاؤه بالرسالة و الخلة و الكلمات التى وفى و وصى بها و بناء البيت و الإمامة و اتخاذ مقامه مصلى و تطهير البيت و النجاة من نار نمرود و النظر فى النجوم و أذانه بالحج و إراءته مناسكه - إلى غير ذلك مما ذكر الله فى كتابه من خصائصه و وجوه اصطفائه - انتهى (٥) فى م : حلاله (٦) فى مد : ذكرنا (٧) فى ظ : كثيفه (٨) وقال أبو حيان الأندلسى : ذكر تعالى كرامة إبراهيم فى الدارين بأن كان فى الدنيا من صفوته و فى الآخرة من المشهود له بالاستقامة فى الخير . و من كان بهذه الصفة يجب على كل أحد أن لا يعدل عن ملته ؛ و هاتان الجملتان مؤكدتان ، أما الأولى فباللام و أما الثانية فبان و باللام .

المتصفين بها ، فهو حقيق بالإمامة لعلو رتبتـه عنـد الله فى الدارين ؛ ففى ذلك أعظم ترغيب فى اتباع دينـه و الاهتداء بهديـه ، و أشد ذم لمن خالفه ؛ و كل ذلك تذكير لأهل الكتاب بما عندهم من العلم بأمر هذا[1] النبي الكريم[2] و ما هو سبب له ، و إقامة للحجة[3] عليهم ، لأن أكثر ذلك معطوف على "اذكروا" قوله "يٰبنى اسراءيل اذكروا نعمتى".

و لما ذكر إمامته ذكر ما يؤتم به فيه و هو سبب اصطفائه و صلاحه و ذلك دينه ، و ما أوصى به عليه السلام بنيه ، و ما أوصى به بنوه بنيهم سلفا[4] لخلف[5] و لا سيما يعقوب عليه السلام المنوه بنسبة أهل الكتاب إليه فقال : ﴿ اذ ﴾ أى اصطفيناه بعظمتنا لأنه ﴿ قال له ربه اسلم ﴾ أى لإحسان ربك إليك ، و حذف المفعول ليتناول كل ما يصح إسلامه إلى المسلم إليه و قصره عليه و تخلى[6] المسلم عنه ﴿ قال اسلمت لرب العٰلمين ۝ ﴾ أى المحسن إلىّ و إلى جميع الخلائق ﴿ و وصى بها ﴾ أى بهـذه المقالة أو الوصية أو الخصلة التى اصطفاه الله بها ، و لعله لم يذكر الضمير لئلا يوهم

(١) ليس فى م (٢) زيد فى م : صلى الله عليه و سلم (٣) فى ظ : الحجة (٤) فى ظ : سلما ـ كذا (٥) من مد و ظ ، و فى الأصل : بخلف ـ كذا (٦) من م و ظ ، و فى الأصل : محلى ـ كذا ، و فى مد : تحلى . و قال أبو حيان الأندلسي : و فى قوله : ﴿ اسلم ﴾ تقدير محذوف ، أى أسلم لربك ، وأجاب بأنه أسلم لرب العالمين ، فتضمن أنه أسلم لربه لأنه فرد من أفراد العموم ، و فى العموم من الفخامة ما لا يكون فى الخصوص ، لذلك عدل أن يقول : اسلمت لربى ، و من كان ربا للعالمين ينبغى أن يكون جميعهم مسلمين له منقادين .

الرجوع إلى ربه ؛ و قرئ "و اوصى" فهو[1] من ايصاء و الوصية و هي التقدم في الشيء النافع المحمود عاقبته ، [1]و قراءة التشديد أبلغ لدلالتها على التكرر و التكثر[2] ﴿ ابرٰهم بنيه و يعقوب ﴾ وصّى بها أيضا بنيه فقال كل منهم : ﴿ يبنيّ ان الله ﴾ بعظمته و كماله ﴿ اصطفى لكم الدين ﴾
٥ و هو الإسلام ، فأغناكم[3] عن تطلبه و إجالة الفكر فيه رحمة منه لكم ﴿ فلا ﴾ أي فتسبب عن ذلك أني أقول لكم : لا ﴿ تموتنّ ﴾ على حالة من الحالات ﴿ الا و انتم ﴾ أي و الحال أنكم ﴿ مسلمون ه ﴾ أي ملقون بأيديكم و جميع ما ينسب إليكم لله لا حظ لكم في شيء أصلا و لا التفات إلى غير مولاكم ، فان من كمل افتقاره إلى الغني الحكيم أغناه بحسب
١٠ ذلك . و قرر سبحانه بالآيات الآتية بطلان ما عليه المتعنتون من اليهودية و النصرانية ، و برأ خليله و الأنبياء من ذلك على وجه أوجب القطع بأنهم عالمون ببطلانه .

ذكر قصة إبراهيم عليه السلام من التوراة : ذكر في السفر الأول منها أنه ابرهيم[4] بن[5] تارح بن ناحور[6] بن شارغ[7] بن

---

(١) ليس في مد (٢ - ٢) ليست في ظ (٣) زيد في ظ : ه (٤) و في البحر المحيط ١ / ٣٧٢ : إبراهيم اسم علم أعجمي ، قيل ومعناه بالسريانية قبل النقل إلى العلمية أب رحيم ، وفيه لغى ست بألف و ياء وهي الشهيرة المتداولة وألف مكان الياء ، و بإسقاط الياء مع كسر الهاء أو فتحها أو ضمها أو بحذف الألف والياء وفتح الهاء ، قال عبد المطلب :

نحن آل الله في كعبته لم نزل ذاك على عهد إبرهم

و في ص ٣٧٤ : هو الجد الحادي والثلاثون لنبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و هو خليل الله بن تارح بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر و هو =

ا اوغو بن[1] فالغ[2] بن عابر[3] بن شالخ[4] بن ارنخشد[5] بن سام بن نوح ؛ لأنه قال في التوراة : لما أتت على سام مائة سنة ولد له ارنخشد[5] فأتت عليه خمس[6] و ثلاثون سنة فولد له شالاح[7] و سماه في موضع آخر شالخ[4]، فأتت عليه ثلاثون سنة فولد له عابر[3] فأتت عليه أربع و ثلاثون سنة فولد له فالغ[8]، فأتت عليه ثلاثون سنة فولد له آرغُو[9]، فأتت عليه اثنتان[10] و ثلاثون سنة فولد له شارغ[11]، فأتت عليه ثلاثون سنة فولد له ناحور[12]،

= هود النبي عليه السلام ، و مولده بأرض الأهواز، و قيل بكوثى و قيل ببابل و قيل بنجران ، و نقله أبوه إلى بابل أرض نمروذ بن كنعان (٥) زيده بعده في الأنساب للسمعاني ١/١٣ : ازر، و في نسب قريش : آزر (٦) من م وظ و مد، و في الأصل : ناخور، وفي البحر المحيط : ناجور، و في الأنساب للسمعاني ١/١٣ : ماخور - راجع نسب قريش ١/٤ (٧) من الأنساب ، و في الأصل و م و مد : ساروغ ، و في ظ : ساوغ ، و في نسب قريش : أسرح .

(١-١) من نسب قريش ، و في الأصول : ارعوبن ، و ليس في الأنساب (٢) في الأصل و م و مد : فالاع، و في م : قالاع، و التصحيح من البحر المحيط و الأنساب و نسب قريش (٣) في الاصول : عابار، و التصحيح من الأنساب و نسب قريش. (٤) في الأصول : شالاح ، و التصحيح من الأنساب و نسب قريش (٥) في الأصول : ارفخشاد ، و التصحيح من الأنساب و نسب قريش (٦) في م : خمسة - كذ (٧) مر التعليق عليه آنفا (٨) في الأصل و م و ظ : فالاغ ، و في مد: فالاع ، و التصحيح من الأنساب و نسب قريش (٩) في الأصول : ارعو، و التصحيح من نسب قريش (١٠) في ظ : اثنان (١١) من الأنساب ، و في الأصول : ساروغ ، و في نسب قريش : اسرع (١٢) هكذا في الاصول و نسب قريش ، و في الأنساب : ماخور .

فأتت عليه [تسع و عشرون سنة فولد له تارح فأتت عليه -[1]] خمس و سبعون سنة [2]فولد له[2] ابرم و ناحور[3] و هاران . و خالفه فى الإنجيل بعض المخالفة فقال فى إنجيل لوقا : ناحور[3] بن شارغ[4] بن ارغو[5] بن فالغ[6] بن عابر بن [7]صالا بن قينان[7] بن أرفخشد[8] بن سام بن نوح ؛ و نوح على ما قال فى التوراة ابن لمك[9] بن متوشلح[10] بن خُنوخ[11] بن يارد[12] [13]بن هليل[13] بن قينان[14] بن أنوش[15] بن شيث[16] بن آدم عليه السلام . و هكذا[17] قال فى أثناء[18] إنجيل لوقا إلا أنه قال فى لمك:

---

(١) زيد من م و ظ و مد (٢-٢) ليست فى م (٣) هكذا فى الأصول و نسب قريش ، و فى الأنساب : ماخور (٤) من الأنساب ، و فى ظ و مد : شارخ ، وفى الأصل و م : سارخ ، و فى نسب قريش : أَسْرَع (٥) فى الأصول : ارعو ، و التصحيح من نسب قريش (٦) فى الأصول : فالق ، و التصحيح من الأنساب و نسب قريش (٧ - ٧) كذا فى الأصول ، و فى الأنساب و نسب قريش : شالخ (٨) فى الأصول : ارفخشاد ، و التصحيح من الأنساب ونسب قريش (٩) هكذا فى الأصول والأنساب ، وفى نسب قريش : لامك (١٠) هكذا فى الأصول و الأنساب ، و فى نسب قريش : مَتّوشالخ (١١) من ظ و الأنساب ونسب قريش ، و فى الأصل و م و مد : حنوح (١٢) فى م : يارد ، و فى نسب قريش : يادر ، و فى الأنساب : ادد (١٣ - ١٣) من نسب قريش ، و ليس فى الأنساب ، و فى الأصول : بن مهلاليل (١٤) هكذا فى الأصول والأنساب ، و فى نسب قريش : قَنان (١٥) هكذا فى الأصول و الأنساب ، و فى نسب قريش : أَنش (١٦) من الأنساب ، و فى نسب قريش : شاث ، و فى الأصول : شيت - كذا بالتاء المثناة (١٧) فى م : كذا (١٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : اثناء ، و زيد فيه بعده « و » .

لامك، و فى [١] يارذ: يرذ بن مهلالايل [١]. ثم قال فى التوراة: و ولد هاران لوطا، و مات هاران فى حياة أبيه تارح فى الأرض التى ولد فيها وهى أور[٢] الكلدانيين [٣] - و فى نسخة [٤]: الكردانيين - [٥] فتزوج إبرم سرّى وكانت عاقرا [٦] فلم يولد لها ولد، فانطلق تارح بابنه إبرم و بلوط ابن ابنه هاران و بكنّته سرى [٧] من اورالكلدانيين متيمما أرض كنعان، فانتهوا إلى حرّان فسكنوها، فتوفى تارح بحرّان عن مائتى سنة و خمس سنين؛ و قال الرب لإبرم: اخرج من أرضك من حيث ولدت و من آل [٨] أبيك إلى الأرض التى أريك فأجعلك [٩] لشعب عظيم و أباركك و أعظم اسمك وكن مباركا و أبارك بنيك و ألعن لاعنيك و يتبارك بك جميع قبائل الأرض و بزرعك، فصنع إبرم كما أمره الرب و انطلق معه لوط ابن أخيه و سرى زوجته وكان إذ ذاك ابن خمس و سبعين سنة و معهم جميع مواشيهم و ما اتخذوا بحرّان من ولدان و خدم، فخرجوا يريدون أرض كنعان فأتوها، فجاء إبرم حتى [١٠] آتى بلاد شخام و إلى بَلُّوط مُمرى و كان الكنعانيون بعد سكانا فى الأرض فاعتلن الرب لإبرم و قال له: إنى معطٍ ذريتك هذه الأرض، و بنى إبرم هنالك مذبحا للرب إذ ظهر له

(١-١) فى م: ذيردمهلالايل، و فى ظ: بارد برذ بن مهلاليل، و فى مد: بارذ يرذ بن مهيالايل (٢) فى مد فقط: اوار (٣) فى م: الكلدانيين (٤) زيد فى م ومد: اتون (٥) زيد فى م: و نقل الأصبهانى عن السدى أن اور أرض بين الكوفة و البصرة (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: كاقرا (٧) زيد فى م: و. (٨) فى مد: الى (٩) فى م: فاجعل (١٠) ليس فى ظ.

و انتقل من هنالك إلى الجبل من المشرق إلى بيت ايل[١] ، فنصب خيمته فى بيت ايل من غربها قبالة البحر و عاى[٢] من شرقها ، و بنى ثم للرب مذبحا و دعا باسم الرب، ثم ظعن منطلقا و كان مظعنه إلى مهب[٣] الجنوب و كان جوع فى الأرض ، فهبط إبرم إلى مصر ليسكنها ، لأن الجوع
١٣٥/ اشتد فى الأرض ؛ فلما دنى / من مصر قال لسرى امرأته : إنى عالم أنك امرأة حسناء ، فان رآك المصريون يقولون : امرأته ، فيقتلوننى ؛ قولى : إنى أخته - فذكر قصة أخذ فرعون مصر لها و القوارع التى أصابته فحالت بينه و بينها فخلى سبيلها و أحسن إليها و إلى إبراهيم - إلى أن قال : فخرج إبرم من مصر هو و امرأتــه و لوط معه إلى أرض[٤] التيمن - و فى نسخة : إلى القبلة - و هى[٥] جهة الجنوب فاستغنى إبرم جدا ، فظعن[٦] لمظعنه[٧] من الجنوب حتى أتى بيت ايل إلى الموضع الذى كان نصب فيه خيمته من قبل و لوط معه و كان له غنم و بقر و خير كثير جدا و أخبية ، و لم تكن تلك الأرض تسعهما كليهما[٨]، لأن مواشيهما كثرت جدا ؛ فذكر أن لوطا رفع بصره فنظر إلى أرض الأردن فاذا هى كلها أرض سقى و شرب مثل فردوس الله و مثل أرض مصر التى فى مدخل صاغار - و فى نسخة : زغر[٩] فاختار لوط أرض الأردن ؛ فسكن إبرم أرض كنعان ، و سكن لوط قرى عاجار و ورث - و فى نسخة : قرى المرج - و خيّم إلى سدوم و كان

(١) فى م : آيل - كذا (٢) فى م فقط : وعاى (٣) ليس فى مد (٤) من م و مد وظ ، و فى الأصل : الأرض - كذا (٥) من م و مد وظ ، و فى الأصل : هو (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فطعن - كذا (٧) و فى ظ : لمطعنه ، و فى مد : بمظعنه ، و فى م : بمظعنه (٨) فى ظ : كلاهما (٩) فى مد : زعر .

أهل

أهل سدوم أشرارا خَطَأة جدا، فقال الرب لإبرم بعد ما اعتزله لوط: مد بصرك فانظر من المكان الذى أنت فيه إلى الجرنيا[١] و التيمن - و فى نسخة: إلى الشمال و الجنوب و المشرق و المغرب - لأن جميع الأرض التى ترى إياك أعطيها و ذريتك من بعدك إلى الأبد، و أجعل ذريتك مثل ثرى الأرض، فان قدرت أن تحصى تراب الأرض فان زرعك يحصى[٢]، فأتى إبرم فسكن بين بلوط - و فى نسخة: فى مرج ممرى الأمورانى التى يحبرون[٣] - و بنى هنالك مذبحا للرب، و كان على عهد أمرقال[٤] ملك شنعار - و فى نسخة: شنوار - و ارنوخ ملك ذى[٥] اللاشار[٦] - و فى نسخة: الخزر - و كدر لعمر[٧] ملك عيلم[٨] - و فى نسخة: خوزستان - و ترغيل ملك جيلان[٩] - و فى نسخة: الأمم - اجتمع هؤلاء فى قاع السدوميين و هو البحر المالح فقتلوا الجبابرة الذين[١٠] فى العشرة القرى و الأبطال الذين بها و الحورانيين الذين فى جبال ساعير - و فى نسخة: شراة - إلى بطمة فاران[١١] التى فى البرية، و رجعوا و أتوا عين الدنيا[١٢] - و فى نسخة: الحكم[١٣] - و هى رقيم و قتلوا كل رؤساء العمالقة و الامورانيين سكان عين جاد، و خرج بارع ملك سدوم و بَرْشَع[١٤] ملك عامرا

(١) من ظ، و فى الأصل: ابحريا، و فى م: ابحريبا، و فى مد: ابحرتبا (٢) فى الأصل: يحصى - كذا (٣) من م و مد، و فى ظ: يحيرون، و فى الأصل: يجرون (٤) من م و ظ و مد، و فى الأصل: امرفال (٥) من م و ظ و مد، و فى الأصل: دى (٦) من م و ظ و مد، و فى الأصل: اللاتنار (٧) فى م: لعمرى. (٨) فى م: هيلم (٩) هكذا فى الأصل و ظ، و فى م و مد: حيلان (١٠) فى الأصل: الذى، و التصحيح من م و مد و ظ (١١) فى ظ: ماران (١٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: دنيا (١٣) فى ظ: الحكيم (١٤) فى ظ: مَرتَسع.

و شنآب ملك ادوما[١] وَ شاليم ملك صَبُوئيم و ملك بالاع[٢] التي هي صاغار- و في نسخة : زغر[٣]- خمسة ملوك[٤] ، قاتلوا الأربعة بقاع السدوميين ، فهرب ملك سدوم و ملك عامرا فوقعوا هناك ، و هرب البقية إلى الجبل فاستباحوا جميع مواشي سدوم و عامُرا و جميع طعامهم و استاقوا[٥] لوطا ابن أخي إبرم و ماشيته و انطلقوا ، فأتى من نجا منهم و أخبر إبرم[٦] العبراني، فعبّى فتيانه و مولّديه ثلاثمائة و ثمانية عشر رجلا و سار في طلبهم إلى داريا - و في نسخة : بانياس - فأحاط بهم ليلا ، فقاتلهم و هزمهم إلى الجوف - و في نسخة : المزة[٧] - التي عن شمال دمشق و هي قرية يقال لها حلبون[٨] و رد لوطا ابن أخيه[٩] و ماشيته و جميع المواشي و النساء و الشعب ، فخرج ملك سدوم فتلقاه فرد إليه جميع ما سلب منه ؛ و من بعد هذا حلّ وحي[١٠] الله على إبرم في الرؤيا و قال له : يا إبرم ! أنا أكانفك و أساعدك ، لأن ثوابك قد جزل جدا ؛ فقال إبرم : اللهم ! رب ما الذي تنحلني و أنا خارج من الدنيا بلا نسل و يرثني اليعازر[١١] غلامي الدمشقي ؟ فقال له الرب : لا يرثك هذا بل ابنك الذي يخرج من صلبك فهو يرثك ، و[١٢] قال له[١٢] :

---

(١) كذا في الأصل بالدال المهملة ، و في م و مد : اذوما - بالذال المعجمة .
(٢) في م : بالاغ (٣) في مد : ژغر - بالزاي الفارسية (٤) زيدت في ظ : و .
(٥) من مد و ظ ، و في م : اشتاقوا ، و في الأصل : اسماقوا - كذا (٦) زيدت في م : و (٧) في ظ فقط : المزة (٨) في م و مد : حليون (٩) من م و مد و ظ ، و في الأصل : خيه - كذا (١٠) من م و مد و ظ ، و وقع في الأصل : و هي - محرفا (١١) في م : العياذر - كذا (١٢-١٢) في م : قاله .

انظر إلى السماء و أحص النجوم إن كنت تقدر أن تحصيها[١]، ثم قال له: كذلك تكون ذريتك، فآمن إبرم بالله[٢]، و قال له الرب: [أنا الرب - ٣] إلهك الذى أخرجك[٤] من اور الكلدانيين - و فى نسخة: اتون الكزدانيين - لاعطينك[٥] هذه الأرض لترثها؛ فلما كان غروب الشمس وقع الصمت على إبرم و غشيه خوف و ظلمة عظيمة فقال الرب لإبرم: اعلم علما يقينا أن نسلك سيسكنون[٦] فى أرض ليست لهم، فيتعبدونهم و يكدونهم أربعمائة سنة، و الشعب الذين يتعبدونهم فانى أدينهم و يخرجون من هناك بعد ذلك بمال عظيم، و أنت تنتقل إلى آبائك بسلام و تدفن[٧] بشيخوخة[٨] خير و صلاح، و الحقب الرابع يرجعون إلى هٰهنا، لأن إثم[٩] الامورانيين لم يكمل بعد؛ فلما غربت الشمس صار دجى و حندسة، إذا بتنور يدخن و مصباح نار يلتهب و يتردد بين تلك الأنصبة، و فى ذلك اليوم عاهد الرب إبرم عهدا و قال: إنى معط ذريتك هذه الأرض من نهر مصر و إلى الفرات النهر الأعظم، و إن سُرّى امرأة إبرم لم تكن تلد و كانت لها أمة مصرية اسمها هاجر فقالت سُرّى / لإبرم و هما بأرض كنعان: ٦ب/ إن الرب قد حرمنى الولد فادخل[١٠] على أمتى و ابن بها لعلى أتعزى[١١] بولد منها، تسمّع[١٢] إبرم قول سرى و أطاعها، و ذلك بعد ما سكن أرض

(١) فى م: تحصها (٢) فى ظ: الله (٣) زيد من وظ و مد (٤) فى مد: اخرج. (٥) فى مد: لاعينك (٦) زيد فى م: ارض (٧) فى مد: لا تدفن (٨) فى م: بشيخواخه - كذا (٩) فى م: اسم، و فى مد: اثم - كذا (١٠) فى م: فاخل. (١١) فى م: تعز (١٢) فى م و مد و ظ: فسمع.

كنعان عشر سنين ، فحبلت فقالت سرى لإبرم : أنت صاحب ظلامتي ، أنا وضعت أمتي في حضنك[1] ، فلما حبلت هنت عليها بحكم الرب بيني و بينك ؛ فقال : هذه أمتك مسلمة إليك ، اصنعي بها ما أحببت ، فأهانتها سرى[2] سيدتها فهربت منها ، فلقيها ملاك الرب على عين ماء في البرية في طريق سور - و في رواية[3] : في طريق حذر[4] ، و في نسخة : على العين التي بطريق الجفار - فقال لها : يا هاجر أمة سرى ! ارجعي إلى سيدتك و استكدّي تحت يدها ، ثم قال لها ملاك الله : لأكثرن نسلك حتى لا يحصى ، ثم قال لها : ها أنت حامل - و في نسخة : إنك حبلى - و ستلدين ابنا و تدعين اسمه إسماعيل ، لأن الرب قد عرف لك خضوعك ، و يكون ابنك هذا رجلا يأوى البرية و يده في جميع الناس - و في نسخة : وحشي الناس - يده على كل و يد كل به ، و سيحل على جميع حدود إخوته ، فدعت اسم الرب الذي كلمها فقالت : أنت الله ذو الوحي و الرؤيا ، و ذلك لأنها قالت : إني رأيت رؤيا ، و لذلك دعت تلك الطوى بئر الحي و هي بئر رقيم و حذر[5] - و في نسخة : فيما بين قادس و بارد[6] - ثم ولدت هاجر لإبرم ابنا فدعا إبرم اسمه إسماعيل ، و كان إبرم ابن ست و ثمانين سنة إذ[7] ولدت هاجر له إسماعيل ، فلما أتى على إبرم تسع و تسعون سنة اعتلن له الرب و قال له : أنا الله إله المواعيد ، أرضني تكن غير ذي[8]

---

(١) في م : حصفك - كذا بالصاد و الفاء (٢) زيدت في م : و (٣) في ظ : نسخة .
(٤) في م و مد : حدر ، و في ظ : حدود (٥) في م و مد : حدر (٦) في مد : بادرا (٧) في ظ : او - كذا (٨) ليس في م .

عيب

عيب و أثبت عهدى بينى و بينك - و فى رواية : فأحسن أمامى و لا تكن ملوما فانى جاعل بينى و بينك ميثاقا ، و أكثرك جدا جدا ؛ فخر إبراهيم على وجهه فكلمه[١] الله و قال له : [أنا -[٢]] أثبت لك عهدى - و فى نسخة : فأوحى الله إليه قائلا له : إنى قد جعلت ميثاق معك - و تكون[٣] أبا لشعوب كثيرة ، و[٤] لا يدعى اسمك فيما بعد إبرم بل يكون اسمك إبراهيم ، لأنى جعلتك أبا لشعوب كثيرة[٤] ، و أنميك و أثريك حدا جدا ، و أجعلك للشعوب رئيسا ، و الملوك من صلبك يخرجون ، و أثبت العهد - و فى نسخة : و أفى بميثاق[٥] - بينى و بينك و بين نسلك من بعدك عهدا دائما ، و أكون لك إلها و لزرعك من بعدك ، و أعطيك و ذريتك من بعدك أرض سكناك و جميع أرض كنعان ميراثا إلى الأبد ، و أكون لهم إلها ؛ و قال الله لإبراهيم : احفظ عهدى أنت و زرعك من بعدك لأحقابهم ، هذا عهدى الذى آمركم به لتحفظوه ليكون بينى و بينك و بين نسلك من بعدك أن تختنوا[٦] كل ذكر و تختنوا[٦] لحم غرلكم و يكون علامة العهد بينى و بينكم ؛ و ليختتن كل ذكر منكم ابن ثمانية أيام لأحقابكم ولاد البيت و المبتاع بالمال ، و كل من كان من أبناء الغرباء[٧] الذين ليسوا من زرعك فليختتن اختتان المولود فى بيتك و المبتاع بمالك ، و يكون عهدى ميسما فى أجسادكم عهدا دائما إلى الأبد ؛ و كل

(١) فى م : كلم (٢) زيد من م و ظ و مد (٣) فى ظ : يكون (٤ - ٤) ليست فى م (٥) فى م : ميثاق (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يختنوا - كذا .
(٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الغرابا - كذا .

ذكرٌ ثقل غرلة[1] لا تختن غرلته[2] في اليوم الثامن فلتهلك تلك النفس من شعبها، لأنها أبطلت عهدي. و قال الله لإبراهيم: سرى صاحبتك، لا تدع اسمها سرى لأن اسمها سارة و أبارك فيها، و أعطيك منها ابنا و أباركه، و يكون رئيسا لشعوب كثيرة و ملوك الشعوب من نسله يخرجون؛ فخر إبراهيم على وجهه ضاحكا و قال في قلبه ـ و في رواية متعجبا يقول في نفسه - و هل يولد لابن مائة سنة ابن و سارة تلد و قد أتى عليها تسعون سنة! و قال إبراهيم[3] لله: يا ليت إسماعيل يحيي بين يديك! و قال الله لإبراهيم: حقا ـ و في نسخة: نعم - إن سارة صاحبتك ستلد ابنا و تسميه إسحاق، و أثبت العهد بيني و بينه إلى الأبد و لذريته من بعده؛ و قد استجبت لك في إسماعيل فباركته و كثرته و أنميته جدا جدا، و يولد له اثنا عشر عظيما، و أجعله رئيسا لشعب عظيم؛ و أثبت عهدي لإسحاق الذي تلد لك سارة في هذا الحين[4] من قابل. فلما فرغ من كلامه ارتفع استعلان الرب عن إبراهيم، فانطلق إبراهيم باسماعيل ابنه و جميع أولاد بيته و المبتاعين بما له كل ذكر من بيت إبراهيم فختن غرلهم في ذلك اليوم كما أمره الله، و كان قد أتى على إبراهيم تسع[5] و تسعون سنة إذ ختن غرلته و كان قد أتى لإسماعيل ابنه إذ اختتن ثلاث عشرة سنة، و ختن

(١) في م: غرله (٢) في م: عرلته ـ كذا (٣) ليس في ظ (٤) في م و مد: حين، وفي ظ: الحيز (٥) في م: تسعة (٦) قال المؤرخون: نقل إبراهيم ولده إسماعيل إلى مكة و هو رضيع و قيل ابن سنتين و قيل ابن أربع عشرة سنة، و ولد قبل إسحاق بأربع عشرة سنة، و مات و له مائة و ثلاثون سنة، و كان لإسماعيل لما مات أبوه إبراهيم تسع و ثمانون سنة، و عاش إسحاق مائة و ثمانين سنة، و مات =

أيضا معه أبناء الغرباء المشايعين ثم أكمل البشارة باسحاق ، كما سيأتي في سورة هود إن شاء الله تعالى - إلى أن قال: و ذكر الرب سارة كما قال: و صنع ١ الله تبارك و تعالى بسارة كما وعد ، فحبلت و ولدت لإبراهيم ابنا على كبره في الوقت الذي ٢ وعد الله ، فسمى إبراهيم ابنه من سارة إسحاق ، فختن إبراهيم إسحاق ابنه / في اليوم الثامن كما أمره الرب ، و كان / ٢٧ إبراهيم ابن مائة سنة ؛ فقالت سارة : لقد أنعم الله علي و فرحني فرحا عظيما ، فمن سمع فليفرح لي ، و قالت : من كان يقول لإبراهيم : إن سارة ترضع غلاما و تلد ابنا بعد الكبر ؛ فشب الغلام و فطم و صنع إبراهيم يوم فطم٣ مأدبة عظيمة - ثم أعاد ذكر أمر سارة باخراج هاجر و إبعادها و أن هذا شق على إبراهيم جدا و قال : فقال الله لإبراهيم : لا يشقن عليك حال الصبي و أمتك ، فغدا إبراهيم باكرا و أخذ[4] خبزا[5] و إداوة من ماء فأعطاها هاجر و حملها و الصبي و الطعام فانطلقت و تاهت في برية بئر سبع - و في نسخة : بئر الحلف ، لأن إبراهيم حالف صاحب تلك الأرض عندها - و نفد[6] الماء من الإداوة فألقت الصبي تحت

= بالأرض المقدسة و دفن عند أبيه إبراهيم ؛ و كان بين وفاة إبراهيم و مولد محمد صلى الله عليه وسلم نحو من ألفي سنة و ستمائة سنة و اليهود تنقص من ذلك نحوا من أربعمائة سنة - البحر المحيط ١ / ٤٠٠ .

(١) في م : وضع (٢) من م و مد و ظ ، و في الأصل و م : للذي (٣) في م : فطمه .

(٤) في م و مد و ظ : فاخذ (٥) من م و مد ، و في الأصل : حيزا ، و في ظ : خبرا - كذا (٦) في م و مد : نفذ .

شجرة من الشيح[١] و انطلقت و جلست قبالته و تباعدت عنه كرمية بسهم كيلا تعاين موته ، فلما صرخ الغلام و بكى سمع الرب صوته فدعا ملاك الرب هاجر من السماء و قال لها : ما لك يا هاجر ؟ لا تخافى ، لأن الرب قد سمع صوت الصبي حيث هو ، قومى فاحملى الصبي و شدى به يديك ، لأنى أجعـــله رئيسا لشعب عظيم ؛ فجلى الله عن بصرهـا فرأت بئر ماء ، فانطلقت فملأت الإداوة و سقت الغلام[٢] ؛ و كان الله مع الغلام فشب و سكن برية فاران و كان يتعلم الرمى فى تلك البرية و زوجته أمه امرأة ـ انتهى . و فيه : إن هذا الكلام فى إخراج هاجر و ولدها ظاهره مناقض لما تقدم فى ختان إسماعيل عليه السلام ، فان فيه أنه كان ابن ثلاث عشرة سنة ، و هذا ظاهره أنه كان رضيعا ؛ و فى الحديث الصحيح أنه وضعه عند البيت و هو يرضع . و يمكن حمل هذا عليـــه بهذا الكلام الأخير ، و أما الأول فلم يقل فيه إنه كان عند الختان ببيت المقـدس ، فيمكن أن إبراهيم عليـه السلام طوى له الله الأرض بالبراق أو غيره فذهب إلى مكة المشرفة فختنه ثم رجع . و فيه بشارة بنبينا محمد صلى الله عليه و سلم أصرح مما ذكروه و هى قوله : و يتبارك بك جيع قبائل الأرض . لأن ذلك لم يحصل بأحد من أولاد إبراهيم[٣] عليـه السلام إلا بالنبى صلى الله عليه و سلم ، فقد أثبت البركة به صلى الله عليه و سلم و الخير فى غالب قبائل

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل : السج ، و فى ظ : الشيخ ـ كذا و الشيح شجرة ـ قطر المحيط ٢/١٠٩٧ ؛ (٢) ليس فى ظ (٣) من م و مـد و ظ ، و فى الأصل : آدم ـ كذا .

الأرض ، و يكون الباقى بعد نزول عيسى عليه السلام . وكذا قوله : و يده فى جميع الناس ـ إلى آخره ، لأن إسماعيل عليه السلام لم ينقل أحد أن يده كانت على جميع الناس ، و لا حل على جميع حدود إخوته ، و لا اتصف من أولاده أحد بهذا الوصف إلا النبي صلى الله عليه و سلم ؛ ثم رأيت فى شرح المقاصد للشيخ سعد الدين التفتازانى و شرح الصحائف الامام السمرقندى التنبيه على هذا النص .

و لما قرر سبحانه لبنى إسرائيل أن أباهم يعقوب ممن أوصى بنيه بالإسلام قال مبكتا لهم : ﴿ ام ﴾[1] فعلم قطعا من ذكر حرف العطف أن المعطوف عليه محذوف كما قالوه فى أحد التقادير[2] فى هذه الآية و فى " امّن هو قانت اٰناء اليل[3] " فى سورة الزمر[4] فكان التقدير هنا[5] [6]لتوبيخهم و تقريعهم بأن أىّ شق اختاروه نزمهم به ما يكرهون[6] : [7]أ كنتم غائبين عن هذه الوصية من إبراهيم و يعقوب عليهما السلام أم حاضرين وكنتم غائبين[8] فى أمر يعقوب عليه السلام خاصة أم ﴿ كنتم شهداء ﴾ الآية ، أى أ كنتم غائبين عن علم ذلك أم لا حين حكمتم بتخصيص أنفسكم بالجنة ليمنعكم ذلك عن مثل هذا الحكم ؛ و على كل تقدير لا يضركم جهله ، لأن عندكم فى كتاب الله المنزل على نبيكم من الأمر بمثله عن الله ما يغنيكم عنه ، و هو مانع لكم أيضا من هذا الحكم على وجه قطعى ؛

(١) ليس فى م (٢) زيدت فى م « و » (٣) سورة ٣٩ آية ٩ (٤) زيد فى م و مد « كما يأتى فى سورة الجاثية » (٥) فى م : بها (٦ - ٦) ليست فى ظ (٧) فى م : ام .
(٨) من م و مد وظ ، فى الأصل : عاملين .

و فى ذلك إشارة إلى عدم وجوب التقيد[1] بالآباء، و إرشاد إلى توسيع[2] الفكر إلى المنعم الأول و هو رب الآباء للتقيد[3] بأوامره و الوقوف عند زواجره[4] سواء كان ذلك موافقا لشرع الآباء أو مخالفا؛ و لما كان هذا لازما لمضمون قوله تعالى: " تلك امة قدخلت - الآية " اتبعه بها، أى[5] فما لكم و للسؤال عنها فى ادعائكم أنهم كانوا هودا أو نصارى؟ كما سيأتى النص بالتوبيخ على ذلك و اتباعه مثل هذه الآية، لأنه إما أن يكون السؤال عن النسب أو عن العمل و لا ينفعكم شيء منهما، لأنه ليس للانسان إلا ما سعى، فليس السؤال عنهم حينئذ لمن عنده علم ما يأتى و ما يذر إلا فضولا؛ و فيه تنبيه على أنهم قطعوا أنفسهم عنهم، لأنهم لما لم يتبعوهم فى الإسلام فصلوا ما بينهم و بينهم من الوصلة بالنسب و حصلت براءتهم منهم، لأن نسب الدين أعظم من نسب الماء و الطين، أو يقال و هو أحسن: لما ادعى أهل الكتاب أن الجنة خاصة بهم و رد ذلك سبحانه عليهم بأنها لمن أسلم محسنا و ذكرهم بأحوال الخليل عليه السلام حتى ختم بأنه[6] من رؤس المتصفين بهذا الوصف و أنه أوصى بنيه به

١٢٨ / / فكان كأنه قيل إنكارا عليهم فى دعواهم الاختصاص بالجنة و تقريرا لهم: أ[7] كنتم شهداء لذلك منه حتى تكونوا ممن ائتمر بأمره فى وصيته فتكونوا أهلا للجنة أم كنتم شهداء يا بنى يعقوب ﴿ اذ حضر يعقوب ﴾ صاحب

---

(١) فى م: التقييد (٢) فى م: توسع (٣) فى م: للتقييد (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: زواخره (٥) ليس فى م (٦) فى ظ: يديه، و لا يتضح فى م. (٧) فى م: ام.

نسبكم الأشهر ﴿ الموت ﴾ وهو [على - ١] ما أوصى به إبراهيم بنيه ﴿ اذ قال ﴾ أي يعقوب ﴿ لبنيه ﴾ .

[٢] ولما كان مراده صلى الله عليه وسلم التعميم في كل شيء ليقع التخصيص موقعه فلا يحتاج إلى سؤال آخر[٣] عبر بما العامة للعاقل وغيره فقال : ﴿ ما تعبدون[٤] ﴾ [٥] ولو عبر بمن لم يفد جوابهم هذا التصريح بنفي عبادة شيء مما لا يعقل[٥] ؛ وقيده بقوله : [٦] ﴿ من بعدي ﴾ لأن الخليفة كثيرا ما يخلف[٧] الغائب بسوء وإن كان مصلحا[٨] في حضوره ، [٩] وأدخل الجار لأن أعمارهم لا تستغرق الزمان[٩] ﴿ قالوا نعبد الهك ﴾ الذي خلقك ﴿ واله آبائك ﴾ الذي خلقهم وبقي بعدهم ويبقى بعد كل

(١) زيد من م ومد وظ (٢) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست في ظ .
(٣) زيد في مد : كان صنف (٤) في البحر المحيط ١ / ٤٠٠ : نزلت في اليهود قالوا : ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية ؟ قال الكلبي : لما دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الأوثان والنيرين فجمع بنيه وخاف عليهم ذلك فقال لهم : ما تعبدون من بعدي ؟ فأنزل الله هذه الآية إعلاما لبنيه بما وصى به يعقوب وتكذيبا لليهود ، و « أم » هنا منقطعة تتضمن معنى بل وهمزة الاستفهام الدالة على الإنكار ، والتقدير : بل أ كنتم شهداء ، فمعنى الإضراب الانتقال من شيء إلى شيء لا أن ذلك إبطال لما قبله ، ومعنى الاستفهام هنا التقريع والتوبيخ وهو في معنى النفي ، أي ما كنتم شهداء فكيف تنسبون إليه ما لا تعلمون ولا شهدتموه أنتم ولا أسلافكم - انتهى (٥ - ٥) ليست في ظ (٦) زيد في م : ما تعبدون (٧) من م ومد وظ ، وفي الأصل : يختلف (٨) في الأصل : ماصحا ، والتصحيح من م ومد وظ (٩ - ٩) ليست في ظ .

شيء و لا بعد له، كما كان قبل كل شيء و لا قبل له، ثم بينوا الآباء بقولهم: ﴿ابرٰهم﴾ أى جدك ﴿و اسمٰعيل﴾ لأنه عم و العم صنو الأب فهو أب مجازا ﴿و اسحٰق﴾ .

و لما تقدم ذكر الإله فى إضافتين بينوا أن المراد به[1] فيهما واحد[2] تحقيقا للبراءة من الشرك و تسجيلا على أهل الكتاب بتحتم بطلان قولهم فقالوا: ﴿الٰها واحدا ۚ﴾ ثم أخبروا بعد توحيدهم الذى تقدم أنه معنى الإحسان فى قوله "و هو محسن" بإخلاصهم فى عبادتهم بقولهم ﴿و نحن له﴾ أى وحده لا للأب و لا غيره ﴿مسلمون ۝﴾ أى لا اختيار لنا معه بل نحن له كالجمل الآنف[3] حيثما قادنا انقدنا، أى أم كنتم شهداء له فى هذه الوصية لتشهد[4] لكم بما شهدنا لبنيه الموجودين [5]إذ ذاك[5] من الإسلام فتكونوا[6] من أهل الجنة .

و لما كان فى ذلك أعظم تسجيل عليهم بأنهم نابذوا وصية الأصفياء من أسلافهم و مرقوا من دينهم و تعبدوا بخلافهم و كان من المعلوم قطعا أن الجواب أنهم ما شهدوا[7] ذلك و لاهم مسلمون عبر عنه بقوله: ﴿تلك امة قد خلت ۚ﴾ أى قبلكم بدهور لم تشهدوها، و نبه على أنهم عملوا بغير أعمالهم بقوله: ﴿لها﴾ أى الأمة ﴿ما كسبت ۚ﴾ أى من دين

(١) ليس فى مد (٢) فى م: واحدا، و زيد بعده فى م و مد: فحكى سبحانه ذلك عنهم (٣) من م و ظ و مد، و فى الأصل: الآنف (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: ليشهد (٥-٥) فى م: او ذلك (٦) من م و ظ و مد، و فى الأصل: فيكونوا (٧) فى م: شاهدوه .

الإسلام خاص[1] بها لا شركة لكم فيه ﴿ و لكم ما كسبتم ﴾ أى مما أنتم عليه من الهوى خاص بكم لا يسألون هم عن أعمالكم ﴿ و لا تسئلون ﴾ أى أنتم ﴿ عما كانوا يعملون ﴾ [2] و لما أخبر تعالى أنهم تركوا السنة فى تهذيب أنفسهم بالاقتداء فى الاهتداء بالأصفياء من أسلافهم و بين بطلان ما هم عليه الآن من كل وجه و أوضح أنه محض الضلال بين أنه عاقبهم على ذلك بأن صيرهم دعاة إلى الكفر ، لأن سنته الماضية سبقت[3] و لن تجد لسنته تحويلا أن من أمات سنة أحيي على يديه[4] بدعة عقوبة له . قال الحرالى : لأنهما متناوبان فى الأديان تناوب المتقابلات فى الأجسام فقال تعالى معجبا منهم عاطفا على قوله " و قالوا لن يدخل[5] " : ﴿ و قالوا ﴾ أى الفريقان من أهل الكتاب لاتباع الهدى ﴿ كونوا هودا او نصٰرٰى تهتدوا ﴾ أى لم يكفهم ارتكابهم للباطل و سلوكهم طرق[6] الضلال حتى دعوا إلى ما هم عليه و وعدوا بالهداية الصائرة[7] إليه فأمره تعالى بأن

(١) فى ظ : خاصة (٢) جملة توكيدية لما قبلها لأنه قد أخبر بأن كل أحد يختص بكسبه من خير و شر، و إذا كان كذلك فلا يسأل أحد عن عمل أحد، فكما أنه لا ينفعكم حسناتهم فكذلك لا تسألون و لا تؤاخذون بسيئات من اكتسبها " و لا تزر وازرة وزر اخرى " كل شاة برجلها تناط . . . . و فى قوله ﴿ لها ما كسبت ﴾ إلى آخره دلالة على بطلان من يقول بجواز تعذيب أولاد المشركين بذنوب آبائهم ، و فى الآية قبلها دلالة على أن الأبناء يثابون على طاعة الآباء - البحر المحيط ١ / ٤٠٥ (٣) زيد فى م : و لن تجد لسنة الله تبديلا (٤) فى م : يده (٥) زيد فى م : الجنة (٦) فى م : طريق (٧) من ظ ، وفى بقية الأصول : الصائر - كذا .

يجيبهم أنه[1] مستن بسنة[2] أبيهم[3] لا يحول[4] عنها كما سالوا فقال موجها الخطاب إلى أشرف خلقه لعلو مقام ما يخبر به و صعوبة التقيد[5] به على النفس: ﴿قل بل﴾ مضربا عن مقالهم[6]، أى لا يكون شيئا مما ذكرتم بل نكون[7] أو نلابس[8] أنا و من لحق بى من كل أهل الإسلام ﴿ملة ابرٰهم﴾ ملابسة نصير[9] بها إياها كأنتا[10] تجسدنا[11] منها، و هو كناية عن عدم الانفكاك عنها، فهو أبلغ مما لو قيل: بل أهل ملة إبراهيم. قال الحرالى: ففيه كمال تسنن محمد صلى الله عليه و سلم فى ملته بملة إبراهيم عليه السلام الذى هو الأول لمناسبة ما بين الأول و الآخر، و قد ذكر أن الملة ما أظهره نور العقل من الهدى فى ظلم ما التزمه الناس من عوائد أمر الدنيا، فكان أتم ما أبداه نور العقل ملة إبراهيم ﴿حنيفا﴾ [12] أى

---

(1) فى م: بانه (2) فى مد: لسنة (3) فى م وظ و مد: ابراهيم (4) من ظ، و فى الأصل: تحول، و فى مد: يحول – كذا غير منقوط (5) و فى م: التقييد.

(6) وفى م: مقابلهم (7) من م و مد، و فى الأصل: يكون، و فى ظ: نكون.

(8) من م و ظ و مد، و فى الأصل: بلابس (9) من م و مد و ظ، و فى الأصل: نصير (10) من م و مد و ظ، و فى الاصل: كاينا – كذا.

(11) فى مد: تحسدنا – كذا (12) قال أبو حيان فى البحر المحيط ١/٤٠٦: و ذكر حنيفا و لم يؤنث لتأنيث ملة، لأنه حمل على المعنى، لأن الملة هى الدين فكأنه قيل: بل نتبع دين إبراهيم حنيفا، و على هذا خرجه هبة الله بن الشجرى فى المجلس الثالث من أماليه . . . و الحنيف هو المائل عن الأديان كلها – قاله ابن عباس، أو المائل عما عليه العامة – قاله الزجاج، أو المستقيم – قاله ابن قتيبة، أو الحاج – قاله ابن عباس أيضا و ابن الحنفية . . . . و إنما خص إبراهيم دون غيره =

لينا هشًا[1] سهلا قابلا للاستقامة مائلا مع داعي الحق منقادا له مسلما أمره إليه ، لا يتوجه إليه شيء من العشاوة[2] و الكثافة و الغلظة و الجمود التي يلزم منها العصيان و الشماخة و الطغيان ، و ذلك لأن مادة حنف بكل ترتيب تدور على الخفة و اللطافة ، و يشبه أن تكون الحقيقة الأولى منها النحافة ، و يلزم هذا المعنى الانتشار و الضمور و الميل ، فيلزمه سهولة الانقياد و الاستقامة ، و يكشفه آية آل عمران "و لكن كان حنيفا مسلما[3]" فبذلك حاد عن بنيات طرق الخلق في انحرافهم عن جادة طريق الإسلام . و قال الحرالي : الحنيف المائل عن متغير ما عليه الناس عادة إلى ما تقتضيه الفطرة / حنان[4] قلب إلى صدق حسه[5] الباطن . ١٢٩ /

و لما أثبت له الإسلام بالحنيفية نفى عنه غيره بقوله : ﴿ و ما كان

= من الأنبياء و إن كانوا كلهم مائلين إلى الحق مستقيمي الطريقة حنفاء ، لأن الله اختص إبراهيم بالإمامة لما سنه من مناسك الحج و الختان و غير ذلك من شرائع الإسلام مما يقتدى به إلى قيام الساعة ، و صارت الحنيفية علما مميزا بين المؤمن و الكافر ، و سمي بالحنيف من تبعه و استقام على هديه ، وسمي المنكث عن ملته بسائر أسماء الملل فقيل : يهودي و نصراني و مجوسي و غير ذلك من ضروب النحل - انتهى .

(١) في م : مشا هشًا ، و في مد : مشا (٢) في ظ : عاوة ، وفي مد : الغشاوة .

(٣) سورة ٣ آية ٦٧ (٤) من م و مد ، و في الأصل و ظ : جنان - كذا بالجيم .

(٥) في م : خشية .

من المشركين ﴾[1] قال الحرالي: فيه إنباء بتبرئه كيانه من أمر الشرك[2] فى ثبت[3] الأمور و الأفعال و الأحوال و فى إفهامه أنه من أمر محمد صلى الله عليه و سلم فى الكمال الخاتم كما أن محمدا صلى الله عليه و سلم منه فى الابتداء الفاتح، قال تعالى لمحمد صلى الله عليه و سلم: " قل ان صلاتى - إلى قوله: و انا اول المسلمين[4] " فهذه أولية رتبة الكمال التى هى خاصة به و من سواه فهو منه فيها، لأن نفى الشيء يفهم البراءة و اللحاق بالمتأصل فى مقابله[5]، فمن لم يكن مثلا من الكافرين فهو من المؤمنين، لأنه لو كان هو المؤمن لذكر بالصفة المقابلة لما نفى عنه، لما فى ذلك من معنى إثبات الوصف و نفى مقابله، و مثل هـذا كثير الدور[6] فى خطاب القرآن، و بين من له الوصف و من هو منه تفاوت ما بين السابق و اللاحق فى جميع ما يرد من نحوه يعنى و مثل هـذا التفاوت ظاهر للفهم خفى عن

(١) أخبر الله تعالى أنه لم يكن يعبد وثنا و لا شمسا و لا قمرا و لا كوكبا و لا شيئا غير الله و كان فى قوله ﴿ بل ملة ابرٰهم ﴾ دليل على أن ملته مخالفة لملة اليهود و النصارى، و لذلك أضرب ببل عنهما، فثبت أنه لم يكن يهوديا و لا نصرانيا، و كانت العرب ممن تدين بأشياء من دين إبراهيم ثم كانت تشرك، فنفى الله عن إبراهيم أن يكون من المشركين؛ و قيل فى الآية تعريض بأهل الكتاب و غيرهم، لأن كلا منهم يدعى اتباع إبراهيم و هو على الشرك - قاله الزمخشرى؛ البحر المحيط ١/ ٤٠٧ (٢) فى م: المشركين (٣) فى الأصل: ثبت - كذا (٤) سورة ٦ آية ١٦٢ و ١٦٣ (٥) فى م: مقابلة (٦) فى م و ظ: الورود.

مشاهد[1] العلم، لأن العلم من العقل بمنزلة النفس، و الفهم من العقل بمنزلة الروح، فالفهم مدرك لا يناله العلم، كما أن للروح[2] معتلى لا تصل إليه النفس، لتوجه النفس إلى ظاهر الشهود و وجهة الروح إلى علي الوجود - انتهى.

و لما قيل ذلك توجهت النفس إلى ما به يوصل إلى ملة إبراهيم، ٥ فصرف الخطاب الذي كان عند الحجاج للأكمل على وجه يشمل من قاربه إلى من دونه بما يشمله، لأن المراد العموم[3]، و ساقه تعالى في جواب من كأنهم قالوا: ما نقول[4] حتى نكون إياها[5] فقال: ﴿ قولوا ﴾ [6] أي يا أيها الذين آمنوا ﴿ آمنا بالله ﴾ [7] الذي له جميع صفات الكمال[7].

---

(١) في مد و ظ: شاهد (٢) في م: الروح (٣) زيد في م و مد: في سورة الكتاب الذي هم بالأمر بالإيمان به أحق (٤) في م: تقول (٥) من م و مد، و في الأصل: نكون، و في ظ: تكون (٦) أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية و يفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم و لكن " قولوا آمنا بالله و ما انزل الينا ـ الآية " فان كان حقا لم تكذبوه، و إن كان كذبا لم تصدقوه .... و ارتبطت هذه الآية بما قبلها لأنه لما ذكر في قوله ﴿بل ملة ابرٰهم﴾ جوابا إلزاميا و هو أنهم و ما أمروا باتباع اليهودية و النصرانية و إنما كان ذلك منهم على سبيل التقليد هذا و كل طائفة منهما تكفر الأخرى أجيبوا بأن الأولى في التقليد اتباع إبراهيم لأنهم أعني الطائفتين المختلفتين قد اتفقوا على صحة دين إبراهيم، والأخذ بالمتفق أولى من =

ولما كان المأمور المؤمنين وكانت تعدية الإنزال بالى تقتضى الانتهاء وكان ذلك يقتضى واسطة قبل الانتهاء وكان الانتهاء إلى الاتباع إنما هو بالقصد الثانى كان الأنسب فى هذه الآية لتوجيه الأمر إليهم التعبير بالى بخلاف آية آل عمران كما سيأتى إن شاء الله تعالى فقال: ﴿ وما انزل الينا ﴾ أى من الكتاب الذى تقدم[1] أنه الهدى على أى وجه كان من الأحكام والنسخ والنسىء وغير ذلك وقيل ﴿ وما انزل الى ابرٰهم ﴾ ليكون المهيع[2] واحدا ﴿ واسمٰعيل واسحٰق ﴾ ابنيه . قال الحرالى : فلقن العرب الأميين المحسودين على ما آتاهم الله من فضله نسق ما أجرى من لفظ بنى إسرائيل فى عهده لهم ، فكان فيه وصل[3] العرب الذين هم أبناء إسماعيل بابراهيم وبنيه وقطع بنى إسرائيل عنهم ، وفيه إظهار لمزية فضل الله على العرب حين يلقنهم ولا يستنطقهم فيقصروا فى مقالهم فأغناهم بما لقنهم فلوه عما كانوا يقولونه لو وكلوا[4] إلى أنفسهم فسكتهم[5]

= الأخذ بالمختلف فيه إن كان الدين بالتقليد ، فلما ذكر هنا جوابا إلزاميا ذكر بعده برهانا فى هذه الآية وهو ظهور المعجزة عليهم بانزال الآيات وقد ظهرت على يد محمد صلى الله عليه وسلم فوجب الإيمان بنبوته ، فان تخصيص بعض بالقبول وبعض بالرد يوجب التناقض فى الدليل وهو ممتنع عقلا - البحر المحيط ١/٤٠٧ .

(٧-٧) ليست فى ظ .

(١) زيد فى م : على ، وزيدت العبارة فى ظ : وقدم ﴿ ما انزل الينا ﴾ على غيره فى الإيمان به فى اللفظ لأنه أولى بالإضافة إليها نـ سبب للايمان بغيره (٢) فى م بياض (٣) فى م : وصلة (٤) من م ومد وظ ، وفى الأصل : واكوا (٥) من ظ ، وفى م ومد : فسكتهم ، وفى الأصل : وسكهم - كذا .

ربهم فأقرأهم[1] ما يصلح من القول لهم و قال: ﴿و يعقوب و الاسباط﴾ تكملة لما تقدم فى العهد السابق - انتهى . ﴿و ما اوتى موسى و عيسى﴾ أي من ربهم من المنزل من التوراة و الإنجيل و غير المنزل، و غيّر[2] الأسلوب تفضيلا لما لهما من الكتابين و المعجزات و غير ذلك من المكنة؛ ثم أسند الإيتاء إلى الجميع لكون أهل الكتب العظيمة فيهم على سبيل التغليب فقال[3] مؤكدا الكلام لأنه على[4] لسان الأتباع و هم بالتأكيد أحق: ﴿و ما اوتى النبيون﴾ أى قاطبة من تقدم و غيرهم من المنزل من كتاب و غيره[5] ﴿من ربهم﴾ المحسن إليهم بذلك ﴿لا نفرق بين احد منهم﴾ فى أمر الإيمان باصطفائهم مع توحيه الأوامر[6] إليهم[7] ﴿و نحن له﴾ أى لربهم المحسن إلينا باحسانه إليهم وحده ﴿مسلمون ۝﴾ أى منقادون فى الظاهر بعد انقياد الباطن، لا آمر[8] لنا معه أصلا . قال الحرالى: فأجرى على ألسنة الذين آمنوا من هذه الأمة تلقينا لهم ما أجراه على ألسنة الأسباط قولا منهم، فكانت العرب أحق بهم من أبناء[9] إسرائيل بما استووا فى الدين و إن افترقوا فى نسب الإسرائيلية - انتهى . و الأسباط جمع سبط، قال فى القاموس: و السبط - بالكسر - ولد الولد و القبيلة من اليهود و جمعه أسباط . و قال البيضاوى: و الأسباط جمع سبط و هو الحافد، يريد به حفدة يعقوب و أبناءه و ذراريهم فانهم[10] حفدة لإبراهيم و إسحاق .

(١) فى ظ: فاقرحم (٢) فى ظ: عرّ (٣) العبارة من هنا إلى «احق» ليست فى ظ (٤) فى م: بحل (٥) فى ظ: غيرهم (٦) من م و ظ و مد، وفى الأصل: الاولين (٧) زيد فى مد: بذلك (٨) من م، و فى بقية الأصول: امر (٩) زيد فى م: بنى (١٠) من م و مد و ظ، و فى الأصل: فانهى - كذا .

و قال الأصبهاني: قيل أصل السبط في اللغة شجرة ملتفة كثيرة الأغصان من شجرة واحدة ١ . و قال البغوي : و الأسباط يعني أولاد يعقوب ، واحدهم سبط ، و هم اثنا عشر سبطا ، و سبط الرجل حافده ، و منه قيل للحسن و الحسين : سبطا رسول الله صلى الله عليه و سلم . و الأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب من بني إسماعيل ، و الشعوب من العجم ؛ و كان في الأسباط أنبياء فلذلك قال : "و ما انزل اليهم" و قيل : هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء - انتهى . قلت : ، هذا هو الذي يظهر إذا تأملت هذه الآية مع التي بعدها و آية النساء ، فان الأسباط - أعني القبائل - كان منهم الضلال ، و قد أنكر الله على من قال : إنهم كانوا هودا أو نصارى ، و أخبر في آية النساء أنه أوحى إليهم ، و قد عد ٢ الأسباط - أعني أولاد يعقوب - جماعة ، فاختلفت عباراتهم عنهم . و الذي حررته أنا من التوراة من عدة ٣ نسخ أصح ، عدهم في آخر السفر الأول منها ثم قال في أول السفر ثاني : و هذه ٢ أسماء بني إسرائيل الذين ٤ دخلوا /١٣

(١ - ١) ليست في ظ (٢) في ظ : و شد (٣) ليس في م (٤) ليس في م ، و في ظ : الذي - مكان : الذين . و في البحر المحيط ١/٤٠٧ : قال الشريف أبو البركات الجواني النسابة : و ولد يعقوب النبي صلى الله عليه و سلم يوسف النبي صلى الله عليه و سلم صاحب مصر و عزيزها و هو السبط الاول من أسباط يعقوب عليه السلام الاثنى عشر ، و الأسباط سوى يوسف : كاد و بنيامين و يهوذا و يفتالى و زبولون و شمعون و روبين و يساخا و لاوى و ذان و ياشيرخا من يهوذا بن يعقوب و سليمان النبي صلى الله عليه وسلم . وجاء من سليمان عليه السلام النبي مريم ابنة عمران أم المسيح عليه السلام . و جاء من لاوى بن يعقوب =

مصر مع يعقوب أبيهم، دخل كل أمرئ منهم و أهل بيته: روبيل و شمعون و لاوي و يهودا و ايساخار[1] و زبلون[2] و بنيامين[3] و دان و نفتالي[4] و جاد و اشير[5]، و يوسف كان بمصر - انتهى. قلت: و بنيامين شقيق يوسف عليهما السلام و ربما قيل فيه: بنمن، و في روبيل: روبال، و في شمعون: شمعان، و في ايساخار: ايساخر، و في زبلون: زبولون و زبالون - و الله أعلم[6].

و لما قدم تعالى ما أمرهم به و كان عين الهدى تسبب عنه قوله معبرا[7] [8]بأداة الشك إشارة إلى أن إيمانهم لما لهم من الكثافة و الغلظة و الجلافة في غاية البعد[8]: ﴿فان امنوا﴾ أي أهل الكتاب الذين أرادوا أن يستتبعوكم ﴿بمثل﴾ أي نفس و حقيقة ﴿ما امنتم[9] به﴾ كما يأتي بيانه في "ليس كمثله شيء[10]" من الشورى، فكانوا تبعا لكم ﴿فقد اهتدوا﴾ عكس ما قالوا[11]: كونوا مثلنا تهتدوا، و عبر بفعل المطاوعة لكون الإيمان مع ظهوره بظهور دلائله موافقا للفطرة الأولى. و أما الكفر فانه لما كان لأجل

= موسى كليم الله و هارون أخوه عليهم السلام - انتهى كلامه .... و قيل: روبيل أكبر ولده. وقال الحسين بن أحمد بن عبد الرحيم البيساني: روبيل أصح و أثبت - يعني باللام، قال: و قبره في قرافة مصر في لحف الجبل في تربة اليسع عليهما السلام.

(1) كذا، و في تفسير روح المعاني ٤/١٢: يشجر (2) كذا، و في الروح: ريالون (3) وفي الروح: دينه، و قال بعده: و بعد بنيامين بدل دينة (4) كذا، و في الروح: يمتالي (5) كذا، وفي الروح: آشر (6) ليس في مد (7) في م: حبرا، و ليس في ظ (8-8) ليست في ظ (9) وقع في مد: اتم - مصحفا.
(10) سورة ٤٢ آية ١١ (11) في م: قالونه - كذا.

ظهور الإيمان و انطباعه فى الجنان بعيدا عن المزاج لا يكون إلا بنوع من العلاج بين الهوى و العقل و كان لا يكون إلا بعد الإعراض عن الإيمان و غيبته عن العيان عبر عن ارتكابه بما يشعر بذلك بصيغة التفعل فقال : ﴿ و ان تولوا ﴾ قال الحرالى : فيه إشعار بإيمان مؤمن منهم و تولى متول منهم ، لأن الله تعالى إذا صنف الخطاب كان نبأ عن تصنيف الكيان ، فهو تعالى لا يخرج نبأه على غير كائن فيكون نبأ لا كون له ، إنما ذلك من أدنى أوصاف بعض الخلق ﴿ فانما هم فى شقاق ﴾ [1] أى يريدون أن يكونوا فى شق غير شقكم ، لأنهم يعلمون أن الهدى ليس فى شىء[2] غيره كما اقتضته " انما ".

و لما كان اللازم لمشاقتهم[3] على هذا الحال المكايده و المحاربة و كان ذلك على وجه العناد لم يكل سبحانه كفاية أوليائه إلى غيره فسبب عن ذلك قوله : ﴿ فسيكفيكهم الله ﴾ [4] أى بوعد لا خلف فيه أصلا و إن تأخر شيئا ما تأخر[4] بما له من قدره و غيرها من صفات الكمال التى أفهمها الاسم الشريف ، و الكفاية إغناء المقاوم عن مقاومة عدوه بما لا يحوجه إلى

(١) قال أبو حيان الأندلسى : أكد الجملة الواقعة شرطا بان و تأكد معنى الخبر بحيث صار ظرفا لهم وهم مظروفون له ، فالشقاق مستول عليهم من جميع جوانبهم و محيط بهم إحاطة البيت بمن فيه ، وهذه مبالغة فى الشقاق الحاصل لهم بالتولى، وهذا كقوله " انا لنراك فى ضلال مبين " " انا لنراك فى سفاهة " وأبلغ من قولك : زيد مشاق لعمرو وزيد ضال وزيد سفيه ـ البحر المحيط ١ / ٤١٠ .
(٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : شق (-) فى الأصول : لمشاقتهم ـ كذا .
(٤ - ٤) ليست فى ظ .

دفع له - قاله الحرالي . و لما كان المناوي لشخص إما أن يكيده بقوله أو بفعله و كان الفعل مسبوقا بالارتسام[1] في الضمير و كان الكافي[2] لشخص إنما يتوقف[3] كفايته على العلم بما يصلحه[4] قال: ﴿و هو السميع﴾ أي لما يقول أعداؤكم ﴿العليم ه[5]﴾ بما يضمرون[6] فهو يسبب لكل قول و ضمير منهم ما يرد ضرره عليه ، فحظكم منهم مقصور على أذى في القول و سوء وُدّ في الضمير ، و حظهم منكم قهرهم و سبيهم و الاستيلاء على ديارهم و أموالهم . و جعل الحرالي ﴿صبغة الله﴾ [7]أي هيئة صبغ الملك الأعلى التي هي حليه المسلم و فطرته كما أن الصبغة حلية المصبوغ[7] حالا تقاضاها معنى الكلام ، و[8] عاب على[8] النحاة كونهم لا يعرفون الحال إلا من الكلم المفردة و لا يكادون يتفهمون[9] الأحوال من جملة الكلام ، و قال: الصبغة تطوير معاجل سرعة[10] وحيه ، و قال: فلما كان هذا التلقين تلقينا وحيا سريع التصيير من حال الضلال المبين الذي كانت فيه العرب في جاهليتها إلى حال الهدى المبين الذي كانت فيه الأنبياء في هدايتها من غير مدة جعله تعالى صبغة

---

(١) في م . ارتسال (٢) في م: المكافي (٣) في م و ظ و مد: تتوقف (٤) في ظ: تصلحه (٥) مناسبة هاتين الصفتين أن كلا من الإيمان وضده مشتمل على أقوال و أفعال و على عقائد ينشأ عنها تلك الأقوال و الأفعال فناسب أن يختم ذلك بهما أي و هو السميع لأقوالكم العليم بنياتكم و اعتقادكم ، و لما كانت الأقول هي الظاهرة لنا الدالة على ما في الباطن قدمت صفة السميع على العلم و لأن العليم فاصلة أيضا ـ البحر المحيط ١/٤٠١ (٦) في م: يضمرونه (٧-٧) ليست في ظ . (٨-٨) في م: غاب عن (٩) في ظ: يتمهون ـ كذا (١٠) في م: بشرعة .

كما يصبغ الثوب في الوقت ليستحيل من لون إلى لونه في مقابلة ما يصبغه[1] أهل الكتاب بأتباعهم المتبعين لهم في أهوائهم في نحو[2] الذي يسمونه «التغطاس»[3] ﴿ ومن احسن من الله ﴾[4] أي الذي له الكمال كله[4]

---

(١) في م و ظ: يصنعه (٢) ليس في م (٣) وقد تضمنت هذه الآية أصل الدين الحنيفي فكني بالصبغة عنه ومجازه ظهور الأثر أو ملازمته لمن ينتحله فهو كالصبغ في هذين الوصفين كما قال، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، والعرب تسمي ديانة الشخص لشيء واتصافه به صبغة؛ قال بعض شعراء ملوكهم:

و كل أناس لهم صبغة و صبغة همدان خير الصبغ

صبغنا على ذاك أبناءنا فأكرم بصبغتنا في الصبغ

وقد روى عن ابن عباس أن الأصل في تسمية الدين صبغة أن عيسى حين قصد يحيى ابن زكريا فقال: جئت لأصبغ منك، واغتسل في نهر الأردن، فلما خرج نزل عليه روح القدس، فصارت النصارى يفعلون ذلك بأولادهم في كنائسهم تشبيها بعيسى ويقولون: الآن صار نصرانيا حقا، وزعموا أن في الإنجيل ذكر عيسى بأنه الصابغ ويسمون الماء الذي يغمسون فيه أولادهم «المعمودية» بالدال، ويقال: المعمورية - بالراء؛ قال: ويسمون ذلك الفعل «التغميس» ومنهم من يسميه «الصبغ» فرد الله ذلك بقوله ﴿صبغة الله﴾. وقال الراغب: الصبغة إشارة الى ما أوجده في الناس من بدائة العقول التي ميزنا بها عن البهائم ورشحنا بها لمعرفته ومعرفة طلب الحق وهو المشار إليه بالفطرة، وسمي ذلك بالصبغة من حيث أن قوى الإنسان إذا اعتبرت جرت مجرى الصبغة في المصبوغ - البحر المحيط ١/٤١١ (٤-٤) ليست في ظ.

﴿صبغة﴾ لأنها صبغة قلب لا تزول لثباتها بما تولاها الحفيظ العليم ، و تلك صبغة[1] جسم لا تنفع ، و فيه إفهام بما يختص به الذين آمنوا من انقلاب جوهرهم نورا ، كما قال عليه الصلاة و السلام : اللهم اجعلني نورا ! فكان ما انقلب إليه جوهر الأئمة انصبغت به قلوب الأمة ﴿و نحن له﴾ [أي خاصة -[2]] ﴿عٰبدون ه﴾ تكملة لرد الخطاب على خطاب عهد إسرائيل حيث قال : " ما تعبدون من بعدي " إلا أن العبادة في عهد إسرائيل سابقة و الإسلام ختم ، و الإسلام في هذا التلقين بدء لتقع العبادة شكرا - يختص برحمته من يشاء ، و جاء به بالوصف الثابت الدائم ففيه إشعار بأن أحدا منهم لا يرتد عن دينه سخطة له بعد أن خالط الإيمان بشاشة قلبه ، و هو حظ عام من العصمة الثابت خاصها للنبي صلى الله عليه و سلم في على أمره - انتهى .

و لما أمر تعالى بقوله : " قل بل ملة ابرٰهم " و ما بعده باعلام الخصم بالمخالفة و أن لا موافقه إلا بترك الهوى و اتباع الهدى أمر بمجادلتهم بما يوهي أقوالهم و يزيح شبههم فقال معرضا بالخطاب عن الجمع موجها له إلى رسوله[3] صلى الله عليه و سلم رفعا لمقامه و تعريفا بعلى منصبه إعلاما بأنه لا ينهض بذلك غيره لما لهم من العلم مع ما عندهم من الجدل و اللدد : ﴿قل﴾ منكرا لمحاجتهم [4]و موبخا لهم عليها[4] / ﴿أ تحاجوننا[5]﴾ و لما كان الأنسب في المقارعة إعلام الخصم بالمخالفة /٣١

---

(١) ليس في ظ (٢) زيد من م و ظ و مد (٣) في ظ : رسول الله .
(٤ - ٤) ليست في ظ (٥) سبب النزول قيل إن اليهود و النصارى قالوا : =

لأنه أقطع لطمعه و أمكن لغيظه مع أنه هنا أقرب إلى رضى الخالق، قدم على المجادلة، و معنى قوله: ﴿ في الله ﴾ في اختصاصكم بالملك الذي لا ملك سواه، لأن له الكمال كله المشار إلى إبطاله فيما سبق بقوله: "قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة - الآية" أي أتحاجوننا في ذلك و لا وجه لاختصاصكم به ﴿ و هو ﴾ أي و الحال أنه ﴿ ربنا و ربكم ﴾ نحن و أنتم في العبودية له سواء ﴿ و لنا اعمالنا ﴾ نختص بها دونكم ﴿ و لكم اعمالكم ﴾ تختصون بها دوننا، لا نخاف[1] منه أن يخصكم[2] بأعمالنا و لا بشيء منها لتختصوا بها عنده و لا أن يخصنا بأعمالكم و لا بشيء منها لنبعد بها عنه ظلما و لا غلطا[3]، لأنه السميع العليم الغني الحميد ﴿ و نحن ﴾ أحسن أعمالا منكم لأنا دونكم ﴿ له ﴾ وحده ﴿ مخلصون ﴾ لا نشرك به شيئا و أنتم تشركون به عزيرا و المسيح و الأحبار و الرهبان. و أنتم تعلمون ذلك في باطن الأمر و إن أظهرتم خلافه، فلزم قطعا أنا أخص به منكم؛ [4] و الإخلاص عزل النفس جملة، فلا يبلغ عبد حقيقته حتى لا يحب[5] أن يحمد على عمل. و لما كان قد بقي من مباهتاتهم أنهم

= يا محمد! إن الأنبياء كانوا منا و على ديننا و لم تكن من العرب، و لو كنت نبيا لكنت منا و على ديننا؛ و قيل: حاجوا المسلمين فقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه وأصحاب الكتاب الأول و قبلتنا أقدم فنحن أولى بالله منكم، فأنزلت - البحر المحيط ١/٤١٢.

(١) في ظ فقط: يخاف (٢) في م و مد: يخصكم - كذا! (٣) في م فقط: غلطا.
(٤) العبارة من هنا إلى «على عمل» ليست في ظ (٥) من مد، و في الأصل: لا يجب، و في م: لا يجب.

يدعون أن أسلافهم كانوا على دينهم فيكون[1] دعواهم الاختصاص بالجنة صحيحة أبطلها سبحانه بقوله: ﴿ام﴾ أي أرجعوا عن قولهم: "كونوا هودا او نصارى تهتدوا" لما ثبت من مخالفة ذلك لملة إبراهيم وآله أم ﴿تقولون[2]﴾ ولا يخفى أن التقدير على قراءة ابن عامر[3] وحمزة[3] والكسائي وخلف وحفص ورويس بالخطاب: أرجعتم عن قولكم[4]: ﴿ان ابرٰهم﴾ خليل الله[5] ﴿واسمٰعيل واسحٰق﴾ ابنيه ﴿ويعقوب﴾ ابن إسحاق ﴿والاسباط﴾ أولاد يعقوب ﴿كانوا هودا او نصارى﴾ لتصح دعواهم في أن الجنة خالصة لأهل ملتهم، فكأنه قيل: فما يقال لهم إن قالوا ذلك؟ فقيل: ﴿قل ءانتم اعلم﴾ بذلك وبغيره ﴿ام الله﴾[6] [3]الذي له الإحاطة كلها[3] أعلم، فلا يمكنهم أي يقولوا: نحن، وإن قالوا: الله، فقد برّأ الله إبراهيم من ذلك فبطل ما ادعوا.

ولما كان العلم عندهم عن الله بأن الخليل ومن ذكر معه عليهم السلام على دين الإسلام وكانوا يكتمون ما عندهم من ذلك مع تقرير الله لهم به واستخبارهم عنه ونهيه لهم عن كتمانه وما يقاربه بقوله: "ولا تلبسوا الحق بالباطل - الآية" وكان التقدير: فمن أظلم ممن ادعى أنه أعلم من الله بدعواه ذلك صريحا أو لزومه له باخباره بخلاف ما ثبت في القرآن المعلوم صدقه باعجازه! قال تعالى عطفا على هذا المقدور: ﴿ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده﴾ أي موجودة ومودعة عنده

---

(١) في م ومد: فنكون (٢) في الأصول: يقولون (٣-٣) ليست في ظ. (٤) زيد في ظ: الى آخره (٥) زيد في م: وصفيه (٦) زيد في م ومد: اي.

﴿من الله﴾ أى كائنة من الملك الأعظم، أو هى عنده منه و هو يستخبره عنها مع علمه بأنه فاضحه لأنه العالم بالسرائر. و لما كان التقدير: فانه يعلم ما عمله[1] من كتمانه عطف عليه ما هو أعم منه فقال: ﴿و ما الله﴾ [2] المحيط بكل شيء قدرة و علما [2] ﴿بغافل عما تعملون ه﴾ إشعارا بصيغة
٥ المضارع بتماديهم بعد هذا كله على سوء أعمالهم، تحذيرا من مثل ذلك.
و لما لم يدع لهم متمسكا من جهة إبراهيم عليه السلام اتبع ذلك الإشارة على تقدير صحة دعواهم إلى أن الدين دائر مع أمره فى كل زمان لا مع ما قرره لأحد من خلقه فانه لا حجر عليه و لا اعتراض بل له أن يأمر اليوم بأمر و غدا مثلا بضده و أن يفعل ما يشاء من إحكام و نسخ و نسيء
١٠ و إنساء[3] فقال: [4] ﴿تلك امة﴾ أى إبراهيم و آله ﴿قد خلت﴾ أى فهب أنهم على ما زعمتم فقد مضوا و قدم زمانهم فلا ينفعكم إلا ما تستجدونه[5] فى وقتكم هذا بحكم ما تجدد من المنزل المعجز لكافة أهل الأرض أحمرهم

---

(١) من م وظ، ووقع فى الأصل ومد: ما علمه ـ مصحفا (٢-٢) ليست فى ظ.
(٣) من م ومد وظ، وفى الأصل: انشاء (٤) تضمنت الآية معنى التخويف و التهديد و ليس ذلك بتكرار لأن ذلك ورد إثر شيء مخالف لما وردت الجمل الأولى باثره، و إذا كان كذلك فقد اختلف السياق فلا تكرار، بيان ذلك أن الأولى وردت إثر ذكر الأنبياء فتلك إشارة إليهم هم، و هذه وردت عقب أسلاف اليهود و النصارى فالمشار إليهم قد اختلف المخبر عنه و السياق، و المعنى أنه إذا كان الأنبياء على فضلهم و تقدمهم يجازون بما كسبوا فأنتم أحق بذلك ـ البحر المحيط ١/٤١٦ (٥) فى ظ: يسجدونه.

و أسودهم

و أسودهم، [و ـ[1]] يجوز أن يقال: لما كان مضمون ما سبق من إثباته الأعلمية لله و كتمانهم الشهادة[2] بما عندهم ثبوت ما أخبر به سبحانه على لسان هذا النبي الكريم من كون أصفيائه على دينه[3] الإسلام فهم برآء[4] منهم كان المعنى: إن ادعيتم بهتا أن العلم جاءكم عن الله بما ادعيتموه قيل: إن من تدعون[5] عليه ذلك[6] من الأنبياء قد انقضت معجزته بموته، وكتابكم غير مأمون عليه التحريف و التبديل لكونه غير معجز، و هذا النبي الآتي بالقرآن قائم بين أظهركم و هو يخبركم عن الله بكذب دعواكم، و يؤيد قوله بالمعجزات التي منها هذا القرآن الذي عجزت العرب كلها عن الإتيان بسورة من مثله و أنتم كذلك مع مشاركتكم لهم في الفصاحة نظما و نثرا و اختصاصكم عنهم بالعلم فلزمكم قبوله، لأنكم لا تستندون في ترويج كذبكم بعد الجهد إلا إلى من ثبت صدقه بثبوت رسالته، و ثبتت رسالته بظهور معجزته، فوجب عليكم قبول أمره، و ذلك ينتج قطعا أنه يجب[7] عليكم قبول هذا الداعي بهذا القرآن لمثل[8] ذلك سواء، و إلا كان قبول بعض من ثبت له هذا الوصف دون البعض / تحكما و اتباعا للهوى المذموم / ٣٢
في كل شرعة المنعي عليكم بقوله تعالى: "[1] فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم ـ الآية" هذا مع أن رد قولكم هذا فيهم أظهر ظاهر من حيث أنه

---

(١) زيد من م و ظ و مد (٢) في م: للشهادة (٣) في م: دين (٤) في ظ: براوا ـ كذا (٥) من م و مد و ظ، وفي الأصل: يدعون (٦) قدمه في م و مد و ظ على «عليه» (٧) من م و ظ، وفي الأصل: تجب، و في مد يجب ـ كذا. (٨) من م و مد، و في ظ. بمثل، و في الأصل: بمثل ـ كذا.

لا ينقل أن يكون السابق على ١ نسبة اللاحق ١ ما حدثت به إلا بعده بمدد متطاولة ، و سيأتي النص الصريح بإبطال ذلك في آل عمران[٢] ٣إن شاء الله تعالى٣ و الإشارة إلى منابذته للعقل بقوله: " افلا تعقلون " ليتطابق على إبطاله صادق النقل و حاكم العقل ، و إلى هذا كله[٤] الإشارة بقوله: " تلك[٥]
٥ امة قد خلت " أي من[٦] قبلكم بدهور[٧] و لا يقبل الإخبار عنهم بعدها إلا بقاطع ، و لا سبيل لكم إليه و قد قام القاطع على مخالفتكم لهم بهذا القرآن[٨] المقطوع بصدقه بإعجازه بما تقدم و بما أشار إليه قوله تعالى: ﴿لها ما كسبت﴾ أي من أعمالها ﴿و لكم ما كسبتم﴾ أي من أعمالكم ، فلا يسألون هم عن أعمالكم ﴿و لا تسئلون﴾ أي أنتم ﴿عما كانوا يعملون ﴾ .
١٠ و لما كان ادعاؤهم أن أسلافهم على دينهم لئلا تنتقض[٩] دعواهم أن الجنة خاصة بهم مع كونه فضولا لا سند له يثبت به شيء محاولة لعدم

(١-١) في الأصل: تشبه اللاحق - كذا ، والتصحيح من بقية الأصول (٢) سورة ٣ آية ٦٥ (٣-٣) ليس في م وظ ومد (٤) زيد في م: اشارة (٥) ﴿تلك﴾ إشارة إلى ابراهيم و يعقوب وأبنائهما ، و معنى ﴿خلت﴾ ماتت وانقطعت وصارت إلى الخلاء ، وهو الأرض الذي لا أنيس به ، و المخاطب هم اليهود و النصارى الذين ادعوا لإبراهيم وبنيه اليهودية و النصرانية ، والجملة من قوله : ﴿قد خلت﴾ صفة لامة . . . افتخروا بأسلافهم ، فأخبروا أن أحدا لا ينفع أحدا متقدما كان أو متأخرا ، و روى : يا بني هاشم! لا يأتيني الناس بأعمالهم و تأتوني بأنسابكم ، يا فاطمة ! لا أغني عنك من الله شيئا - البحر المحيط ١/ ٤٠٤ و ٤٠٥ (٦) ليس في مد وظ (٧) ليس في ظ و م و مد (٨) في ظ : اقران - كذا (٩) في ظ : ينتقض .

جواز النسخ و كان إبطال الله تعالى لقولهم و عيبهم بما أحدثوا فى دينهم و تقريعهم بـه ملزوما لأن يكونوا أباحوا لأنفسهم منـه ما منعوا منه خالقهم و هو لا يسأل عما يفعل كانوا أسفه الناس فعقبه بالتصريح بعيبهم و التعجيب منهم فى إنكارهم لنسخ القبلة و خفتهم بالاعتراض على ربهم فقال واصلا له[١] بما قبله على وجه أعم : . ﴿سيقول﴾ إلى آخره ، لأنهم إذا لم يكونوا يعلمون حقيـقة ذلك فلم يتبعوهم فلا أقل من أن يكفوا عن عيبهم[٢] فكيف و هم عالمون[٣] بأنه الحق ! و قال : ﴿السفهاء﴾[٤] و لم يقل : سيقولون ، إظهارا للوصف الذى استخفهم إلى هذا القول الظاهر عواره[٥] لأهل كل دين ؛[٦] و السفيه الذى يعمل بغير دليل ، إما بأن لا يلتفت إلى دليل فـلا يتوقف إلى أن[٧] يلوح له بل يتبع هواه ، أو[٨] يرى غير الدليل

(١) ليس فى مـد (٢) فى م و ظ : غيبتهم (٣) فى متن م : يعلمون ، و بهـامشه : عالمون (٤) ﴿السفهاء من الناس﴾ هم اليهود ﴿ما ولّٰهم عن قبلتهم التى كانوا عليها﴾ فقـال الله ﴿قل لله المشرق و المغرب﴾ الآيـة (و مناسبة هذه الآية) لما قبلها أن اليهود و النصـارى قالوا : إن إبراهيم و من ذكر معه كانوا يهود أو نصارى ، ذكروا ذلك طعنا فى الإسلام ، لأن النسخ عند اليهود باطل فقالوا : الانتقال عن قبلتنـا باطل و سفه ، فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله : ﴿قل لله المشرق و المغرب﴾ الآية ، فبين ما كان هداية و ما كان سفها ـ البحر المحيط ٤١٩/١ (٥) فى م : عوارة (٦) العبارة من هنا إلى « دليلا » ليست فى ظ (٧) زيد فى الأصل فقط « لا » ، و لم تكن الزيادة فى بقية الأصول فحذفناها (٨) فى م : و .

جهلا ، و أكد الوصف بالطيش بقوله : ﴿ من الناس ﴾ المأخوذ من النوس و هو التحرك ، دون أن يقول : من أهل الكتاب ، أو بني إسرائيل - و ا نحو ذلك تصريحا بذمهم و تعميما لكل من مال إلى الأم على ذلك ﴿ ما ولّيهم ﴾ ولم يقولوا٢ : مَنْ ، زيادة في الأذى بالاحتقار ﴿ عن قبلتهم ﴾ . قال الحرالي : القبلة ما تجعل٣ قبالة الوجه ، و القبل ما أقبل من الجسد في مقابلة الدبر لما أدبر منه٤ ﴿ التي كانوا عليها ﴾٥ أي بيت المقدس ، و لعله ترك الإفصاح ليصلح ذلك لإرادة الكعبة أيضا ليصير المعنى : إن كانوا انتقلوا٦ عن الكعبة بأمر الله فهم مبطلون في رجوعهم و إلا فهم في كل حال أتباع الهوى ؛ و في ذلك إشارة إلى أنه لما انقطعت حججهم ألقوا هذه الشبهة إلى من اختدعوه من المنافقين و لم يقدروا أن يواجهوا بها أحدا من الثابتي الإيمان ، كما قالوا فيما تقدم : " كونوا هودا او نصارى " ، نحوه علما منهم بأن المحاج لهم عن المؤمنين من له الحجة البالغة ؛ و لذا جاء جوابهم٧ بقوله : ﴿ قل ﴾ خاليا عن حطاب لا كما مضى في قوله : " قل اتخذتم عند الله عهدا " " قل هاتوا برهانكم "

(١) في م : او (٢) في ظ : لم يقل (٣) في م و مد و ظ : يجعل - كذا (٤) في م : عنه . و في البحر المحيط ١/٤١٨ : القبلة الجهة التي يستقبلها الإنسان و هي من المقابلة ، و قال قطرب : يقولون في كلامهم : ليس له قبلة ، أي جهة يأوي إليها ، و قال غيره : إذا تقابل رجلان فكل واحد منهما قبلة لآخر (٥) العبارة من هنا إلى « اتباع الهوى » ليست في ظ (٦) في م : ينتقلوا (٧) زيد بعده في م و مد : استئنافا لجواب من يقول فما تقول : لهم إذا قالوا ذلك .

و نحوه

و نحوه؛ و ساق سبحانه الإخبار عنهم بذلك على طريق هو من أعلام النبوة و دلائل الرسالة؛ فانه إخبار عما سيكون من الأعداء، فكان منهم على وفق الخبر؛ و لم يقدروا مع شدة عداوتهم و اجتهادهم فى القدح بأدنى شبهة فى التكذيب على تكذيبه بالكف عن ذلك؛ هذا مع توطئة[١] لذلك فيما سلف فى خمسة مواضع: تحريفهم لكلام الله، و إيقاعه النسخ[٢] و استدلاله على حسن فعله، و إخباره بظلم مانع المسجد، و إخباره بأنه لا يختص به جهة دون أخرى، و ذكره بناء البيت و ما أمر به من تعظيمه و اتخاذه مصلى؛ [٣]مع ما فى ذلك من توطين نفوس أهل الإسلام و إكرامهم بتعليم الجواب قبل الحاجة، ليكون أقطع للخصم و أكسر لشوكته و أردّ[٤] لشغبه[٥]. [٦]و تسميتهم

---

(١) فى م: توطئته (٢) فى ظ: لنسخ (٣) العبارة من هنا إلى «لشغبه» ليست فى ظ (٤) فى مد: واردا (٥) من م، و فى الأصل: لشعبه، و فى مد: سعيه.

(٦) و ﴿سيقول﴾ ظاهر فى الاستقبال و أنه إخبار من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم أنه يصدر منهم هذا القول فى المستقبل و ذلك قبل أن يؤمروا باستقبال الكعبة، و تكون هذه الآية متقدمة فى النزول على الآية المتضمنة الأمر باستقبال الكعبة، فتكون من باب الإخبار بالشيء قبل وقوعه، ليكون ذلك معجزا إذ هو إخبار بالغيب و لتتوطن النفس على ما يرد من الأعداء و تستعد له فيكون أقل تأثيرا منه إذ فاجأ و لم يتقدم به علم، و ليكون الجواب مستعدا لمنكر ذلك و هو قوله: ﴿فلله المشرق و المغرب﴾ و إلى هذا القول ذهب الزمخشرى و غيره، و ذهب قوم إلى أنها متقدمة فى التلاوة متأخرة فى النزول و أنه نزل ﴿قد نرى تقلب وجهك﴾ الآية، ثم نزل ﴿سيقول السفهاء من الناس﴾ نص على ذلك ابن عباس و غيره - البحر المحيط ١ / ٤١٩.

سفهاء ناظر إلى قوله فيما مضى عن نافق منهم و من غيرهم "الا انهم هم السفهاء"، لأنهم و إن كانوا مصارحين بالكفر فاسم النفاق منطبق عليه من جهة أخرى و هو ا أنهم أظهروا الكفر و أبطنوا معرفـــة الإيمان، أظهروا التكذيب و أبطنوا ما هم عارفون به من صدقه، و أيضا فاذا كان المنافقون الذين أظهروا حسنا سفهاء لما أبطنوه من القبيح فالذين عمهم القبح ظاهرا و باطنا أسفه[2]؛ و إلى قوله قريبا "و من يرغب عن ملة ابرٰهم الا من سفه نفسه" لما تقرر من مخالفتهم له و إن ادعوا الموافقه. و قال: ﴿ لله ﴾ [3]أى الملك المحيط بكل شيء عظمة و علما[3] ﴿ المشرق و المغرب ﴾ مخصصا لهما لكونهما مجمعى الآفاق كما مضى فلا تختص بالوجهة إليه جهة دون أخرى فما أمر به فهو الحق.

و لما قرر أن الجهات / كلها بالنسبة إليه سواء لأنها ملكه، على[4] أن من توجه إلى شيء منها بأمره أصاب رضاه[5] و ذلك هو الوصول إليه فعبر عن ذلك مستأنفا بقوله[6] معظما لأهل[7] الإسلام و معرفا بعنايته بهم[8]: ١٣٢/

---

(١) فى ظ: هم (٢) من م و مد وظ، و فى الاصل: السفه. والسفه أصله الخفة يوصف به الجماد، قالوا: ثوب سفيه أى خفيف النسج و الهلهلة، و رمح سفيه أى خفيف سريع النفود، و يوصف به الحيوانات غير الناس. فلو اقتصر لاحتمل الناس وغيرهم، لأن القول ينسب إلى الناس حقيقة و إلى غيرهم مجازا، فارتفع المجاز بقوله: ﴿من الناس﴾ البحر المحيط ١ / ٤٢٠ (٣-٣) ليست فى ظ (٤) ليس فى م، وفى مد: علم (٥) فى ظ: برضاه (٦) العبارة من هنا إلى «بهم» ليست فى ظ. (٧) فى م: باهل (٨) قال المهائمى: ﴿لله المشرق والمغرب﴾ أى الجهات كلها، فله أن يولى عباده إلى أى جهة شاء لينضبط بها ظاهرهم فينضبط باطنهم لعلاقة بينهما مع=

﴿ يهدى من يشاء ﴾ أى من عباده ، [1] و عظم الكعبة بقوله [1] : ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ فى أى جهة كانت ، فمتى سلكه وصل [1] إلى المقصود [1] من غير ضلال . و نكّره لأن المراد به جزئيات من الشريعة؛ و أما الصراط المعرف فى الفاتحة فالمراد بـــه الشريعة كلها بما دلت عليه «ال» [2] من الكمال .

و لما بين استقامة القبلة التى وجههم إليها عرف أنها وسط لا جور

= اجتماع الخلائق إلى جهة واحدة ليتفق بواطنهم فى استفاضة الأنوار و له أثر عظيم ، لذلك شرعت الجماعــة فى الصلاة ليتفق أهل محلة و وجبت فى الجمعة ليتفق أهل بلد و وجب الحج ليتفق أهل الآفاق ، و لا يتأتى تعيين الجهة إلا بأمر سماوى فخص إبراهيم عليه السلام بأكمل الجهات و هى الكعبة لأنها المبدأ الترابى للانسان إذ بسطت الأرض من تحتها ، فاذا توجه إليه الظاهر توجه الباطن إلى مبدئيــة جناب الحق ، و قد كان فيها الدرة المحمدية أجابت الحق من الأرض و ما قابلها من السماء " إذ قال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين " ؛ ثم جعلت لليهود صخرة بيت المقدس لأن منهـا عروج بعض الأنبياء إلى السماء ، فالتوجه إليها مشعر بمعراج الصلاة ، ثم جعلتا لمحمد صــلى الله عليــه و سلم ليكون جامعا فجعلت له الكعبة أولا لكمال نشأته ، ثم جعلت له الصخرة بعد تحقق معراجه ليزداد عروجا حين تحول إلى المدينة فصلى إليها ستة عشر شهرا يتألف بها اليهود ، ثم عاد إلى الكعبة لأن النهاية فى الرجوع إلى البداية فكانت غاية الكمال لأن توجه الظاهر إليها لما استلزم توجه الباطن إلى الحق لم يكن ثمة مسافة و المعراج يشعر بالمسافة و هى إنما تعتبر فى حق البعداء فلذلك قال عز و جل ﴿ يــهدى من يشاء الى صراط مستقيم ﴾ .

(١-١) ليست فى ظ (٢) فى م : الى .

فيها فاتبع ذلك قوله : ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل ما جعلنا قبلتكم وسطا لأنها إلى البيت العتيق الذى هو وسط الأرض و هو بناء إبراهيم عليه السلام الذى هو أوسطُ الأنبياء و هو مع ذلك خيار البيوت فهو وسط بكل معنى ﴿ جعلنكم ﴾ بالهداية إليه فى الاستقبال و إلى غيره
٥ مما نأمركم به ﴿ امة ﴾. قال الحرالى : من الأم و هو تتبع الجملة و العدد بعضها لبعض إلى أن ينتهى [1] لإمام أول [2] . فالإمام و الأمة كالمتقابلين، الإمام قاصد أمما، و الأمة قاصدة إمامها الذى هو أمها، و الأمام ما بين اليدين بمشهد الحس و سبيل القصد ـ انتهى . [3] ﴿ وسطا ﴾ أى شريفة [4] خيارا [5] ، لأن الوسط العدل الذى نسبة الجوانب كلها إليه
١٠ سواء، فهو خيار الشىء . قال [6] أبو تمام [6] الطائى :

كانت هى الوسط [7] المحمى فاكتنفت [7]   [8] بها الحوادث [8] حتى أصبحت طرفا [9]

(١) فى م : تنتهى (٢) ليس فى م (٣) زيد فى م و مد : و الأمم القرب و السير و البين من الأمر و القصد الوسط (٤) من م و مد وظ ، و فى الأصل : سرمه ـ كذا (٥) فى م فقط : خيار . وفى البحر المحيط ١/٤١٨ : الوسط لما بين الطرفين وصف به فأطلق على الخيار من الشىء لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل و لكونه اسما كان للواحد و الجمع و المذكر و المؤنث بلفظ واحد . . . و وسط الوادى خير موضع فيه و أكثره كلاء و ماء، ويقال : فلان من أوسط قومه و إنه واسطة قومه و وسط قومه ، أى من خيارهم و أهل الحسب فيهم ؛ و قال زهير :

و هم وسط يرضى الأنام بحكمهم   اذا نزلت إحدى الليالى بمعظم

و قد وسط وسطة و وساطة (٦-٦) ليس فى ظ (٧-٧) كذا فى الأصول ، وفى ديوان أبى تمام ص ٤٠٢ : الممنوع فاستلبت (٨-٨) كذا ، و فى الديوان : ماحولها الخيل (٩) من م و مد وظ ، و فى الأصل : طرفان ـ كذا .

و سالك[1] الوسط من الطريق محفوظ من الغلط، و متى زاغ عن الوسط حصل الجور الموقع فى الضلال عن القصد ؛ ففى هذا أنهم لما ادعوا الخصوصية كذبوا و ردت حججهم[2] ثم أثبتت الخصوصية لهذه الأمة[3] ؛ و الوسط بالتحريك اسم لعين ما بين طرفى الشىء كمركز الدائرة ، و بالسكون اسم مبهم لداخل الدائرة مثلا ، و كذا[4] كان ظرفا ، فالأول يجعل مبتدأ و فاعلا و مفعولا به ، و لا يصح شىء من هذا فى الساكن - قاله الأصبهانى . و مادة وسط مهموزة و غير مهموزة واوية و يائية بتراكيبها الأحد عشر : وسط ، وطس ، سوط ، سطو ، طوس[5] ، طسو ، طيس[5] ، طسى ، [سيط -[6]] سطأ ، طسأ ، تدور على العدل السواء الذى نسبته إلى كل جانب على التساوى ، و يلزم أن يكون أعلى من غيره ، لأن أكثر[5] المخلوقات كُرىّ ؛ و كل ما كان فى وسط الكرة كان أعلى ، و لأن كل جزء بعد الوسط إذا نسبته إلى الطرف الذى يليه كان ما بينه و بينه أقل مما[7] بينه و بين الوسط ؛ و يلزم [العدل الجودة و يلزم -[8]] العلو الغلبة و السطوة و الكثرة و الشدة ، و قد يلزم العلو الاضطراب فيأتى الاختلاط و الانقطاع و الضعف ؛ فمن الأصل الوسط من كل شىء أعدله ، و وسط الشىء ما بين طرفيه ، فاذا سكنت السين كان ظرفا

---

(١) وقع فى ظ : مسالك ـ مصحفا (٢) فى م : حججهم (٣) العبارة من هنا إلى « الأصبهانى » ليست فى ظ (٤) فى م و مد : لذا (٥) ليس فى ظ (٦) زيد من م و مد ، وقد سقط من بقية الأصول (٧) فى مد : ما (٨) زيد من م و ظ و مد .

أو لا فيما هو مصمت فإذا كانت أجزاؤه متفاصلة متباينة فبالإسكان، ووسطه قطعه نصفين، و توسط بينهم عمل الوساطة[١] و أخذ الوسط بين الردىء و الجيد، ووسط القوم و[٢] توسطهم و هو وسط فيهم أوسطهم نسبا و أرفعهم محلا و هو المتوسط بين القوم، و واسطة الرحل ما بين قادمته و آخرته، و أوطاس[٣] واد بديار هوازن[٤] لما وصفه به دريد بن الصمة من أنه لا حزن ضرس و لا سهل دهس[٥]، أى يثقل المشى فيه بكونه شبه الرمل و ما هو برمل و لا تراب. و من الجودة و هى[٦] ملزومة للحسن الوسط الباب، و الصلاة الوسطى أفضل الصلوات، و الطاووس طائر حسن، و الجميل من الرجال و الفضة، و الأرض المخضرة فيها كل ضرب من النبت، و المطوس كمعظم التيىء الحسن، و الطوس بالفتح القمر و حسن الوجه و نضارته بعد علة، و تطوست المرأة تزينت، و طواس كسحاب ليلة من ليالى المحاق كأنه من باب الإزالة أو بالنظر إلى أن النجوم فى شدة الظلام أحسن. و من العلو: سطا الفرس أبعد الخطو[٧]، و الساطى الفرس البعيد الخطوة و الذى يرفع ذنبه فى حضره، و الطويل، و واسط الكور

(١) فى مد: الوسائط (٢) ليس فى ظ (٣) فى م: اوساط - كذا (٤) فى م: موازن - كذا (٥) من مد و ظ، و فى الاصل و م: دهش - كذا بالمعجمة. (٦) فى ظ: هو (٧) فى م و ظ: الخطوة.

مقدمه[١] . و من الشدة و الغلبة : صار الماء وسيطه[٢] غلب على الطين ، و سطا عليه و به صال أو قهر بالبطش[٣] ، و الراعى على الناقة أدخل يده فى رحمها ليخرج ما فيها من ماء الفحل[٤] ، و الفرس ركب رأسه ، و ساطاه شدد عليه ؛ و الساطى الفحل المغتلم يخرج من إبل إلى إبل ، و سطأها مهموزا كنع جامعها ؛ و الوطس كالوعد الضرب الشديد و الكسر ، و الوطيس التنور و حرّ الحرب ، و الوطيسة شدة الأمر ، و ككَتّاب[٥] الراعى ، و تواطسوا علىّ أى تواطحوا أى تداولوا الشر[٦] بينهم ، و الموج تلاطم ، و أوطاس واد بديار هوازن[٧] لأنه أشد مما هو رمل صرف ، و السوط[٨] الذى يضرب به و الشدة و الضرب ، | ٤' و المسواط فرس لا يعطى حضره[٩] إلا بالسوط ، و السياط قضبان الكراب الذى عليه دماليقه أى عراجينه و الكراب أصول السعف الغلاظ العراض ، و سوّط أخرج ذلك ؛ و الطوس بالفتح الوطء و بالضم دوام الشيء و دواء يشرب للحفظ ، و طواس كسحاب ليلة من ليالى المحاق ، و ما أدرى أين طوّس به أى ذهب به[١٠] ؛

---

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مقدمة (٢) وقع فى الأصل : وشيطه ، و التصحيح من بقية الأصول (٣) وقع فى الأصل : بالطش ، و التصحيح من بقية الأصول (٤) فى م : العجل (٥) أى الوطّاس ، و فى مد : لكتاب ـ كذا . (٦) فى مد : السر (٧) زيد فى ظ « و » (٨) فى ظ : الصوط (٩) فى م و ظ و مد : خضره (١٠) ليس فى ظ .

و طسى كرضى طسا غلب الدسم[1] على قلبه فاتخم كطسا أى واويا[2] ؛ و طسئ مهموزا أيضا كفرح و جمع طسأ و طساء فهو طسئ اتخم أو تغير من أكل الدسم[1] ، و أطسأه الشبع و نفسى[3] طاسئة و يدخل هذا فى الاضطراب و الاختلاط و الضعف . و من الكثرة الوسط و هى الناقة تملأ الاناء و يدخل فى الجيد ، و الطيس العدد الكثير ، و كل ما فى وجه الأرض من تراب و قمام أو خلق كثير النسل كالذباب و النمل و الهوام أو دقاق التراب كالطيسل[4] فى الكل[4] و كثرة كل شيء من الرمل و الماء و غيرهما ؛ و سطا[5] الماء كثر[6] ؛ و السويطاء مرقة كثيرة الماء . و من الاختلاط [سياط ككتاب مغن مشهور ؛ و -[7]] سطا الطعام ذاقه ؛ و الساطى[8] الفحل المغتلم يخرج من إبل إلى إبل ؛ و سطا الراعى على الناقة أدخل يده فى رحمها ليخرج ما فيها[9] من ماء الفحل ؛ و السوط[10] الذى يضرب به و الخلط و الضرب ، و السياط قضبان الكراب الذى عليه دماليقه ، و سوط باطل ضوء يخرج[11] من الكوّة ، و سطت الشيء بالسوط ضربته به ، و السوط أيضا ما يخلط به كالمسواط و ولد لإبليس ، و المسواط فرس لا يعطى حضره

---

(١) ليس فى ظ (٢) فى الأصل : راويا - كذا ، و التصحيح من بقية الأصول . (٣) فى م : نفى - كذا (٤-٤) ليس فى ظ (٥) فى ظ : وسط (٦) فى مد : اكثر (٧) زيد من م و مد (٨) فى الأصل : الشاطى ، و التصحيح من بقية الأصول (٩) فى م : فيه (١٠) فى الأصل : الشوط - كذا بالشين المعجمة ، و التصحيح من بقية الأصول (١١) فى م و مد : يدخل .

إلا

إلا بالسوط، و استوط أمره اضطرب[1] و اختلط، و أموالهم سويطة[2] بينهم مختلطة[3]، و الطوس بالضم دواء يشرب للحفظ، و الطاووس طائر و الأرض المخضرة فيها كل ضرب من النبت. و من الاقتطاع الطاس أى الإناء يشرب فيه، و السوط النصيب و الفضلة من الغدير. و من الضعف الوسط من بيوت الشعراء و هو أصغرها، و طسأ كمنع مهموزا استحيي[4].

و لما أثبت لهم الوسط الذى[5] من حله كان جديرا بأن لا يخفى عليه شيء[6] من الجوانب و استلزم ذلك كونه خيارا قال: ﴿لتكونوا﴾ أى أنتم لا غيركم ﴿شهداء﴾[7] [8] كما أفاده التعبير[8] بهذا[6] دون أن يقال: لتشهدوا، و قال: ﴿على الناس﴾ أى كافة. و لما كان الرسول صلى الله عليه و سلم أوسطهم قال: ﴿و يكون الرسول﴾ أى[6] لا غيره بما اقتضاه اختصاصه بكونه وسط الوسط ﴿عليكم﴾ خاصة[6] ﴿شهيدا﴾ بأنكم تابعتموه و صدقتموه فكنتم خير أمة أخرجت للناس،

---

(١) فى ظ: الظرب (٢) فى الأصل: شويطة، و التصحيح من بقية الأصول. (٣) من مد، و فى م و ظ: مختلطه، و فى الأصل: مخلطه (٤) فى الأصل: استجىء، و التصحيح من بقية الأصول، و زيدت بعده فى ظ و مد: و سيأتى إن شاء الله تعالى فى قول لقمان عليه السلام "يبنى اقم الصلوة" (٥) ليس فى ظ. (٦) ليس فى م (٧) زيد فى م و ظ و مد: أى بالفعل بما أهلكم له [و حققكم - زيد من م و مد] به بما أنالكم من التمكن (فى ظ فقط: الشكر) فى رتبة الوسط الجامعة للعلو [و الخير - زيد من ظ] المقتضيين [للقبول - زيد من مد فقط] بالعلم و الثقة (٨ - ٨) ليست فى م.

و بأنه قد بلغكم مدة حياته ، فلما مات خلف فيكم كتابا معجزا متواترا لا يغسله الماء و لا تحرقه النار ، لأنه محفوظ فى الصدور متلو بالألسن إلى أن يأتى أمر الله ، و لذلك عبر بأداة الاستعلاء[1] فافهم صوغ الكلام هكذا: إنهم[2] حازوا شرفين أنه لا يشهد عليهم[3] إلا الرسول،
٥ وأنه لا يحتاج فى الشهادة على سائر الأمم إلى غير شهادتهم دفعا لتوهم أن غيرهم يشهد عليهم كما شهدوا هم عليهم ، و لتوهم أن غيرهم لا يكتفى[4] فى الشهادة عليه إلا بشهادة الرسول كما لم يكتف فيهم إلا بذلك .

و لما أعلم بما "سيقول السفهاء" و علم جوابهم و بين سر التحويل بين علة التوجيه[5] إلى قبلتين بقوله : ﴿ و ما جعلنا ﴾ [6]أى بعظمتنا
١٠ التى لا يقاويها أحد[6] ﴿ القبلة ﴾ قال الحرالى : فى جملته إنباء بأن القبلة مجعولة أى مصيرة عن حقيقة وراءها[7] ابتلاء بتقليب[8] الأحكام

---

(١) و فى بحر المحيط ٤٢٢/١ : و لما كان الشهيد كالرقيب على المشهود له جيء بكلمة « على » و تأخر حرف الجر فى قوله : ﴿ على الناس ﴾ عما يتعلق به، جاء ذلك على الأصل إذ العامل أصله أن يتقدم على المعمول ، وأما فى قوله : ﴿ عليكم شهيدا ﴾ فتقدمه من باب الاتساع فى الكلام للفصاحة، و لأن «شهيدا» أشبه بالفواصل و المقاطع من قوله : « عليكم » فكان قوله « شهيدا » تمام الجملة و مقطعها دون عليكم (٢) فى م فقط : كأنهم (٣) فى مد : عليكم (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : يكفى (٥) فى الأصل : الترخية ، و التصحيح من بقية الأصول . (٦-٦) ليست فى ظ (٧) زيد فى الأصل و م : « و » ، و لم تكن الزيادة فى مد و ظ فحذفناها (٨) وقع فى الأصل: بتلقيب - كذا مصحفا ، و التصحيح من بقية الأصول .

ليكون تعلق القلب بالله الحكيم لا بالعمل المحكم، فالوجهة[1] الظاهرة ليكون ذلك علما على المتبع عن صدق فيثبت عند تقلب[2] الأحكام بما في[3] قلبه من صدق التعلق بالله و التوجه له أيـان ما وجهه، و على المجيب عن غرض ظـاهر ليس يسنده صدق باطن فيتحلق من الظاهر بما لا يثبت عند تغيره - انتهى[4]. و بين أنها الأولى بقوله: ﴿ التي كنت عليها ﴾ و بين أن العلة التمييز بين الناس بقوله: ﴿ الا لنعلم ﴾ أي بما لنا من العظمة بالجنود و الرسل و غيرهم حين وجود الأمر بالتحول عنها ﴿ من يتبع الرسول ﴾ في كل ما يأمر به اتباعا دالا على تمكن إيمانه ﴿ ممن ينقلب ﴾ أي يرتد[5] [فيـدبر - [6]] بعد إقباله متنكسا ﴿ على عقبيه ﴾ علما متعلقا بموجود تقوم به الحجة في مجاري عاداتكم، و العقب مؤخر القدم. و قال الحرالي: لنجعل علما ظاهرا على الصادق و غيره يشمل العلم به من علم الغيب قبل كونه و بعد كونه، و من لم يعلم الغيب إلا عن علم بما ينبئ عنه نون الاستتباع فهذا وجهـه[7] و وجه ما يرد من نحوه في القرآن و السنة - انتهى.

ثم بين[8] شدتها عـلى من أخلد إلى العادة[9] لغلبة القوة الحيوانية البهيمية و لم يتمرن في[8] الانقياد للأوامر الإلهية على خلع الإلف و ذل

---

(١) في م و ظ و مد: و الوجهة (٢) من م و مد و ظ، و في الأصل: يقلب - كذا (٣) ليس في ظ (٤) ليس في مد (٥) من م و مد و ظ، و في الأصل: يريد (٦) زيد من م و ظ (٧) من م و مد و ظ، و في الأصل: وجـه. (٨) ليس في م (٩) في مد: العبادة - كذا.

/١٣٥ التفلق[1] بفارقها. ﴿ و ان كانت ﴾ أى الجملة[1] / ﴿ لكبيرة ﴾ ، أى ثقيلة شاقة جدا[1] لأن مفارقة الإلف بعد طمأنينة النفس إليه أمر شاق جدا. ثم استثنى من أيده سبحانه بروح منه و سكينة فقال: ﴿ الا على الذين هدى الله ﴾ أى خلق[2] الذى له الأمر كله[2] الهداية فى قلوبهم فانقادوا لما هداهم إليه بنصب الأدلة.

و لما كان قبولهم لهذا الأمر و ثباتهم[3] عند تغير الأحكام إنما كان عن إيمان و علم محيط جعل الله عز و جل أعمالهم و توجههم للقبلة الأولى من الإيمان فقال: ﴿ و ما كان الله ﴾ [2] الذى له الكمال المطلق[2] ﴿ ليضيع[4] ﴾ قال الحرالى: مما منه الضياع و الضيعة و هو التفريط فيما له غناء و ثمرة إلى أن لا يكون له غناء و لا ثمرة ﴿ ايمانكم ﴾ أى المصرح بـه فى قولكم: "آمنا بالله" المشار إلى صدق الدعوى فيه بقولكم: "و نحن له مخلصون" فى شىء من الأشياء لا فى صلاتكم إلى القبلة الأولى، و لا فى تمييز الصادق منكم من المنافق بالامتحان بتغيير الأحكام من القبلة و غيرها و لا فى اختصاصكم به سبحانه دون أهل

(١-١) ليست فى ظ. و قال المهائمى: أى و ان تلك القبلة كانت ثقيلة على أرباب النظر لما فيها من الانتقال من الأعلى إلى الأسفل ﴿ الا على الذين هدى الله ﴾ الحكمة الإلهية فى تأليف اليهود فان هداهم يجبر نقصها (٢-٢) ليست فى ظ.
(٣) من م و ظ و مد، و فى الأصل: تباعدهم (٤) أضاع الرجل الشىء أهمله و لم يحفظه، و الهمزة فيه للنقل من ضاع يضيع ضياعا، و ضاع المسك يضوع: فاح - البحر المحيط ١/٤١٨.

الكتاب الجاحدين لآياته الناكبين عن مرضاته الناكثين لعهوده .

و لما نزه نفسه المقدسة عن جميع[1] هذه الإضاعة علل ذلك بما هو أعم فقال[2] ﴿ ان الله ﴾ [3]أى المحيط بجميع صفات الكمال[3] ﴿ بالناس ﴾ أى الذين هم أعم من المؤمنين و غيرهم ممن ينوسون بين خال الهدى و الفتنة ﴿ لرءوف ﴾ أى فيرحم من يشاء ممن توصل إليه بعمل صالح رأفة منه به ، فان الرأفة كما قال الحرالى فى التفسير عطف العاطف على من [لم - [4]] يجد عنده منه وصلة ، فهى رحمة ذى الصلة بالراحم ، قال: و الرحمة تعم من لا صلة له بالراحم ، و قال فى شرح الأسماء: إن المرؤف به تقيمه عناية الرأفة حتى تحفظ[5] بسراها[6] فى سره ظهور ما يُستدعى العفو لأجله على[1] علنه - انتهى . و ذلك مقتض لكونها أشد الرحمة و أبلغها و ألطفها كما قالوه[7] ﴿ رحيم ﴾ [8]لمن يشاء[8]

(١) ليس فى م و ظ و مد (٢) ختم هذه الآية بهذه الجملة ظاهر و هى جارية مجرى التعليل لما قبلها أى للطف رأفته و سعة رحمته نقلكم من شرع إلى شرع أصلح لكم و أنفع فى الدين ، أو لم يجعل لها مشقة على الذين هداهم ، أو لا يضيع إيمان من آمن ؛ و هذا الأخير أظهر - البحر المحيط ١/ ٤٢٧ (٣-٣) ليست فى ظ . (٤) زيد من م (٥) فى ظ : يحفظ (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لسراها . (٧) فى البحر المحيط ١/ ٤٢٧ : و قال القشيرى : من نظر الأمر بعين التفرقة كبر عليه أمر التحويل ، و من نظر بعين الحقيقة ظهر لبصيرته وجه الصواب ﴿ و ما كان الله ليضيع ايمانكم ﴾ أى من كان مع الله فى جميع الأحوال على قلب واحد فالمختلفات من الأحوال له واحدة فسواء عبّر أو قرر أو أثبت =

و لو لم يكن منه سعى فى الوصلة فتقتلعه من ذنوبه اقتلاعا أشد ما كان بها اعتلاقا فتقيمه فيما ترضاه[1] الإلهية و ذلك مع موافقته لما قاله العلماء ترق من العالى[2] إلى الأعلى ، فان رحمة من لا سبب منه تقتضى العطف عليه أبلغ فى نوعها من حيث كونها ابتداء و الأولى أبلغ فى نفسها لما اقتضاها من السبب ؛ فان كان المراد بالناس العرب فهو بشارة له صلى الله عليه و سلم بأنه يقر عينه بجعلهم[3] من حزبه بالتثبيت لمن كان إذ ذاك مقبلا و الإقبال لمن كان مدبرا ، و إن كان المراد أعم منهم فهو بشارة باتباع أكثر الخلائق له صلى الله عليه و سلم[4] فاذا نزل عيسى عليه السلام وقع العموم الحقيق فى الطريق المحمدى باتباع الكل له صلى الله عليه و سلم[4] [5]و الله أعلم[5] ؛ و يجوز أن يكون تعليلا للكلام من أوله فيكون المعنى أن صفتى رأفته[6] و رحمته مقتضيتان للتمييز بين المؤمنين و غيرهم للعدل بين الناس ، لأن تسوية المصلح بالمفسد يؤلم المصلح[4] و سيأتى إن شاء الله تعالى فى آخر براءة ما ينفع استحضاره هنا[4] .

و لما أشعر الكلام السابق أهل البلاغة باحداث أمر فى القبلة

= أو بدل أو حقق أو حوّل مهم به له فى جميع الأحوال ـ قال قائلهم :

حيثما دارت الزجاجة درنا   يحسب الجاهلون أنا جننا

(٨ ـ ٨) ليست فى م .

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ترضا (٢) فى م : لمعالى (٣) فى م و ظ و مد : يجعلهم (٤ـ٤) ليست فى م (٥ ـ ٥) ليست فى مد (٦) فى م : رحمته ـ كذا .

[illegible] ورحمته بالناس عموما بين ذلك برسوله خصوصا بأنه تحويله إلى الكعبة رأفة منه به ورحمة له مع ما تقدم من فوائده فقال تعالى: ﴿قد نرى تقلب[1] وجهك﴾ قال الحرالي: فيه نبأ إسماع لمن يرتقب أمرا أو خبرا يفيد مع المستقبل ندرة الوقوع، ففيه إعلام بأن النبي صلى الله عليه وسلم لما انطوى ضميره على إرادة التوجه للكعبة التي هي قيام للناس حين كان هو[2] رسولا لكافة الناس وكان[3] صلى الله عليه وسلم على ملة أبيه إبراهيم عليه السلام يكتفي بعلم الله به عن مسألته، لأن الدعاء للطالبين قضاء حاجة وللمكتفين بعلم الله عبادة أجاب الله تقلب وجهه على قلة وقوع ذلك منه على ما تشعر به «قد» بالتقليل للتقلب وللرؤية ﴿في السماء﴾ فيه إعلام بما جعله من اختصاص السماء[3] بوجه الداعي، كما اختص غيب القلوب بوجهة المصلي، فالمصلي يرجع إلى غيب قلبه ولا يرفع طرفه إلى السماء «لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء[4] في الصلاة أو لتخطفن أبصارهم» والداعي يتوجه إلى السماء ويمد يديه كما قال: «حتى رأينا عفرة إبطيه» - انتهى ملخصا. ﴿فلنولينك﴾ أي فتسبب عن تلك

(1) التقلب التردد وهو المطاوعة قلبته فتقلب ..... واختص التقلب بالسماء لأن السماء جهة تعود منها الرحمة كالمطر والأنوار والوحي، فهم يجعلون رغبتهم حيث توالت النعم، ولأن السماء قبلة الدعاء، ولأنه كان ينتظر جبريل وكان ينزل من السماء - البحر المحيط ١/ ٤٢٨ (٢) ليس في م (٣) زيد في ظ: النبي (٤) زيد في م: إلى السماء - مكررا.

[illegible] تعبير عنه {قبلة} قال الحرالي : لتنكيرها لما كان

من ورائها قبلة التوجه العام فى [1] تنقله ، فتلك [2] هى القبلة التى هى [3]

توجه لوجه الله لا توجه لمنظر [4] باد من خلق الله ، فكان متسع القبلة

/ ١٣٦ ما بين اختصاص / القبلة الشامية إلى قيام القبلة الحجازية إلى إحاطة

القبلة العامة الآفاقية [5] ؛ و فى قوله : {ترضٰها} إنباء بإقراره التوجه لهذه

القبلة ، لأن الرضى وصف المقر لما يريد ، فكل واقع بإرادة لا يكون

رضىً إلى أن يستدركه الإقرار ، فإن تعقبه الرفع و التغيير فهو مراد

غير مرضى - انتهى . و دل على أن مرضيه [6] الكعبة بفاء السبب فى

قوله : {فول وجهك} ، و أما قلبك فإنما توجهه [7] إلى الله ، الغيب

---

(١) زيد فى م و مد : اى تتبعك و توجهك (٢-٢) من ظ و مد ، و فى م : توجه فتلك ، و فى الأصل : منقله تبلك (٣) ليس فى م (٤) فى مد : لنظر .

(٥) و قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١/٤٢٨ : و جاء الوعد قبل الأمر لفرح النفس بالإجابة ثم بانجاز الوعد فيتوالى السرور مرتين ، و لأن بلوغ المطلوب بعد الوعد به آنس فى التوصل من مفاجأة وقوع المطلوب . و نكر القبلة لأنه لم يجر قبلها ما يقتضى أن تكون معهودة فتعرف بالألف و اللام ، و ليس فى اللفظ ما يدل على أنه كان يطلب باللفظ قبلة معينة ، و وصفها بأنها مرضية له لتقربها من التعيين لأن متعلق الرضا هو القلب و هو كان يؤثر أن تكون الكعبة و إن كان لا يصرح بذلك (٦) فى الاصل و ظ : مرضية ، و التصحيح من م و مد (٧) فى الأصل : توجه ، و التصحيح من بقية الأصول .

للغيب و الظاهر للظاهر، ﴿ شطر ﴾[1] أي عين ﴿ المسجد ﴾ كما استدل الشافعي [2]رحمه الله[2] [3]في الرسالة[3] على ذلك بجملة من أشعار العرب وقال[4]: و هذا كله من أشعارهم يبين[5] أن شطر الشيء قصد عين الشيء، إذا كان معاينا فبالصواب و إن كان مغيبا فبالاجتهاد[6] ﴿ الحرام ﴾ و تعبيره بهذا دون الكعبة فيه توسعة . قال الحرالي: سماه الله حراما لحرمته حيث لم يوطأ قط إلا باذنه و لم يدخل إلا دخول تعبد و ذلة فكان حراما على من يدخله دخول متكبر أو متحير[7] – انتهى . [و عن الإمام الماوردي أن كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به الحرم إلا هذا فالمراد به الكعبة – انتهى . و عبر عنه بذلك لأن السياق للصلاة التي أعظم مقصودها[8] السجود، و سيأتي عند

(١) الشطر النصف و الجزء من الشيء و الجهة ، قال الشاعر :

ألا من مبلغ عني رسولا و ما تغني الرسالة شطر عمرو

أي نحوه . و يقال شطر عنه بعد و شطر إليه أقبل، و الشاطر من الشباب البعيد من الجيران الغائب عن منزله، يقال شطر شطورا، و الشطير البعيد، منزل شطير أي بعيد . . . . . أي استقبل بوجهك في الصلاة نحو الكعبة، و بهذا الأمر نسخ التوجه إلى بيت المقدس ــ البحر المحيط ١ / ٤١٨، ٤٢٨ . (٢–٢) في ظ : رضي الله عنه (٣–٣) ليس في مد (٤) زيد في م و مد: إذا قلت: اقصد شطر كذا . معروف (في م: معلوم) أنك تقول: اقصد قصد عين كذا ، يعني قصد نفس كذا ، ثم قال (٥) في م: بين ، و ليس في مد (٦) زيد في م و مد: انتهى و كان حقيقته الموضع المتصف منه فهو الذي إذا قسم من عنده كان شطرين متساويين (٧) في م: متخبر (٨) العبارة من هنا الى «على هدى» ليست في الأصل و ظ .

﴿يسئلونك عن الشهر الحرام﴾[1] الآية زيادة على ما – [2]، و في الموطأ عن سعيد بن المسيب أنه قال: صلى[3] رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد أن قدم المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس، ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين، و لما بشره[4] سبحانه بالتحويل أولا و أوقع المبشر[5] به ثانيا أشار إلى بشارة ثالثة بتكثير أمته و نشرهم في أقطار الأرض بجمعهم إليه في قوله: ﴿و حيث ما كنتم﴾ أي من جهات الأرض التي أورثكم إياها[6] ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾ بتوجيه قلوبكم إليّ.

و لما حرر ذلك و قرره بيّن أن العائبين لدينه بذلك من أهل الكتاب عالمون بحقية هذا التحويل و أنه من أعلام نبوته فقال: ﴿و ان الذين اوتوا الكتٰب﴾ أي من اليهود و النصارى، و لم يصفهم هنا بالسفه لإثبات العلم في قوله: ﴿ليعلمون انه﴾ أي هذا التحويل ﴿الحق[7]﴾ أي[8] ليس بعده في أمر القبلة حق آخر يرفعه أصلا ﴿من

(١) سورة ٢ آية ٢١٧ (٢) زيدت من م و مد و ظ (٣) ليس في ظ (٤) في م: بشر (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: البشر (٦) زيد في م و مد: أي ميلوا و قربوا و اتبعوا موجهين. و في البحر المحيط ١ / ٤٣٠: و لما كان صلى الله عليه و سلم هو المتشوف لأمر التحويل بدأ بأمره أولا ثم أتبع أمر أمته ثانيا لأنهم تبع له في " ذلك و لئلا يتوهم أن ذلك مما اختص به صلى الله عليه و سلم، و في حرف عبد الله " فولوا وجوهكم قبله " و قرأ ابن أبي عبلة " فولوا وجوهكم تلقاءه " و هذا كله يدل على أن المراد بالشطر النحو (٧) كرره في م ثانيا. (٨) زيد في مد: الذي.

ربهم ﴾ [1] أى المحسن إليهم بارسال هـــذا الرسول الذى يرفع عنهم إصرهم و كانوا ينتظرون رسالته ، فعند ما أتاهم ردوا رحمته ، و جعل [2] ذلك سبحانه [2] فى سياق [3] مهدد له [3] مرج له و لأتباعه تسلية لهم و تثبيتا و تقوية لعزائمهم و تمكينا حيث ختم الآية بقوله: ﴿ و ما الله ﴾ [4] أى المحيط بكل شيء قدرة و علما [4] ﴿ بغافل عما يعملون [5] ﴾ قال الحرالى : بالياء أى التحتانية إعراضا عنهم ، و بالتاء إقبالا عليهم ، ففيه إنباء بتماديهم على [6] سوء أحوالهم فى رتبتين : فى تماد على سوء هدد فيه لما أقبل عليه ، و فى تماد على أسوأ منه أوجب فى تهديـــده الإعراض عنه

(١) أى ثابتا من ربهم ، و فى ذلك دليل على أن التحول من بيت المقدس إلى الكعبة لم يكن باجتهاد ، إنما هو بأمر من الله تعالى ، و فى إضافة الرب إليهم تنبيه على أنه يجب اتباع الحق الذى هو مستقر ممن معتن باصلاحك كما قال تعالى " الحق من ربك " ـ البحر المحيط ١ / ٤٣٠ (٢-٢) فى م و مد : سبحانه ذلك .
(٣-٣) من م ومد و ظ ، و فى الأصل : بهدد له (٤-٤) ليست فى ظ (٥) من م ومد ، وفى الأصل: تعملون ، و فى ظ : بعملون ـ كذا. وفى البحر المحيط ١/٤٣٠: قرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالتاء على الخطاب ، فيحتمل أن يراد به المؤمنون لقوله " فولوا وجوهكم شطره " ويحتمل أن يراد به أهل الكتاب فتكون من باب الالتفات ، ووجهه أن فى خطابهم بأن الله لا يغفل عن أعمالهم تحريكا لهم بأن يعملوا بما علموا من الحق ، لأن المواجهة بالشيء تقتضى شدة الإنكار وعظم الشيء الذى ينكر . ومن قرأ بالياء فالظاهر أنه عائد على أهل الكتاب لمجيء ذلك فى نسق واحد من الغيبة ، و على كلتا القراءتين فهو إعلام أن الله تعالى لا يهمل أعمال العباد و لا يغفل عنها وهو متضمن للوعيد (٦) العبارة من هنا إلى « وفى تماد على » ليست فى م .

...على غيره ممن لم يحل فى السوء و المكاثرة إلى ما وصل إليه الموحش عنه .

و لما أطمع أول الآية فى أهل الكتاب ١ و قطع عنهم آخرها صرح بما لوّح ٢ إليه هذا الأخير ٣ و أعلمه صلى الله عليه و سلم بعاقبة أمرهم و أنه لا اتفاق بينه و بينهم أصلا و لا اتفاق بين فريقيهم مع كون الكل من بنى إسرائيل ليريحه صلى الله عليه و سلم من التطلع إلى هدى بعضهم فقال تعالى : ﴿ و لئن اتيت الذين اوتوا ﴾ ٤ بناه للجهول تنبيها على هوانهم ٤ ﴿ الكتب ﴾ أى من اليهود و النصارى ﴿ بكل ا'ية ﴾ أى من الآيات المسموعه مرغبة و مرهبة و من الآيات المرئية مغرّبة و مقربة ﴿ ما تبعوا قبلتك ﴾ أى هذه التى حولت إليها و كنت الحقيق بها لكونها قياما للناس كما أنت رسول إلى جميع الناس ، ٤ لأن إعراضهم ليس عن شبهة إذا زالت زال بل عن عناد ٤ . ثم أومأ له إلى أنهم ينصبون له الحبائل ليعود و لو ساعة من نهار إلى قبلتهم ليقدحوا بذلك فيه فقال : ﴿ و ما انت بتابع قبلتهم ﴾ ثم أشار إلى عيبهم باختلافهم و تفرقهم مع نهيهم عنه فقال : ﴿ و ما بعضهم ﴾ ٤ أى أهل الكتاب ٤ ﴿ بتابع قبلة بعض ﴾ مع تقاربهم فى النسب ، و ذلك حثا للعرب على الثبات على مباعدتهم و الحذر من مخادعتهم .

و لما كان دينهم قد نسخ أعلم سبحانه بأن ثباتهم على قبلتهم مع

(١) ليس فى م (٢) فى م : يلوح (٣) فى م و ظ ومد : الاخر (٤-٤) ليست فى ظ .

ذلك

ذلك[1] مجرد هوى[2] [فقال - ٣] منفرا[4] للأمة عنهم و محذرا لهم منهم بخطاب الرأس ليكون ذلك أدعى لقبول الاتباع ﴿و لئن[5] اتبعت اهواءهم﴾ .
و لما كان هذا السياق لأمر القبلة فقط قال[6] :/﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ قال الحرالى : فأبهمه و لم يكن نحو الأول الذى قال فيه " بعد الذى " لظهور ما ذكر فى الأول و خفاء ما وقعت[7] إليه الإشارة فى هـــذا ، ٥
و جاءت فيه " منْ " التى هى لابتداء من أولية[8] لخفاء مبدإ أمر[1] ما جاء من العلم هنــا و ظهور ذلك الأول ، لأن ذلك كان فى أمر الملة التى

(١) ليس فى م (٢) العبارة من هنا إلى « الاتباع » ليست فى ظ (٣) زيد من م و مد (٤) من مد ، و فى الأصل : منفى ، و فى م : منفردا - كذا مصحفــا .
(٥) و تعليق وقوع الشيء على شرط لا يقتضى إمكان ذلك الشرط ، يقول الرجل لامرأته : إن صعدت إلى السماء فأنت طالق ، و معلوم امتناع صعودها إلى السماء و قال تعالى فى الملائكة الذين أخبر عنهم أنهم " لا يعصون الله ما امرهم و يفعلون ما يؤمرون " قال " و من يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظلمين " و إذا اتضح ذلك سهل ما ورد من هذا النوع و فهم من ذلك الاستحالة ، لأن المعلق عــلى المستحيل مستحيل ، و يصير معنى هذه الجملة التى ظاهرها الوقوع على تقدير امتناع الوقوع و يصير المعنى : لا يعد ظالما و لا تكونه لأنك لا تتبع أهواءهم ، و كذلك لا يحبط عملك لأن إشراكك ممتنع ، و كذلك لا يجزى أحد من الملائكة جهنم ، لأنه لا يدعى أنه إله ، و قالوا : ما خوطب به من هو معصوم ممــا لا يمكن وقوعه منه فهو محمول على ارادة أمته و من يمكن وقوع ذلك منه . و إنما جاء الخطاب له على سبيل التعظيم لذلك الأمر و التفخيم لشأنه حتى يحصل التباعد منه - البحر المحيط ١ / ٤٣٢ (٦) فى ظ : قاله (٧) فى م : وقف (٨) فى م : اوليه .

مأخذها العقل ، و هذه[1] فى أمر التوجيه الذى مأخذه الدين و الغيب ، قال الحرالى : قال تعالى ﴿ انك اذا لمن الظّلمين ﴾ على حد ما ذكر من أنه من لمح لمحا من وصف كان من الموصوف به بألطف لطف و وصفه كل رتبة بحسبها ، فما يرفع عنه النبي صلى الله عليه و سلم من باب إظهار رغبته و حرصه على هداية / الخلق الذى جبل على الرحمة فيه و طلب المسامحة فى التقاصر عنه نظرا منه إلى حق الله تعالى و مضمون وصية الله تعالى له حين[2] أوصاه بغير ترجمان و لا واسطة أن يصفح عمن ظلمه و يصل من قطعه ؛ فكان صلى الله عليه و سلم يطلب[3] وصل المنقطع عنه حتى يعلى[4] عليه بالإكراه فى ترك ذلك و ودعه فيجيبه حكما و إن كان معه علما ، و منه قوله : اللهم [اغفر -[5]] لقومى ! فانهم لا يعلمون ، ففى طىّ كل خطاب له يظهر الله عز و جل فيه إكراهه على أخذ حكم الحق و إمضاء العدل أعظم مدحة له و التزام لوصيته إياه ، فهو ممدوح بما هو مخاطب بخطاب الإكراه على إمضاء العدل و الاختصار فى أمر رحمته للعالمين ، ورفعه الله أن يكون ممن يضع رحمه فى موضع استحقاق وضع النقمة ، فذلك[6] الذى[3] يجمع معناه بين متقابل الظالمين فيمن يضع النقمة موضع الرحمة فيكون أدنى الظلم ، أو من يضع الرحمة فى موضع

(١) فى م : هذا (٢) من م و ظ و مد . و فى الأصل : حتى (٣) ليس فى م (٤) فى الأصل : يعلى ، و التصحيح من بقية الأصول (٥) زيد من م و ظ و مد . و فى رواية : اهد قومى (٦) فى ظ : بذلك .

ألتقمة فيكون منه بتغيير الوضع بوضع الفضل موضع العدل؛ و على[1] ذلك جميع ما ورد فى القرآن من نحو قوله: "فان كنت فى شك مما انزلنا إليك فسئل الذين يقرءون الكتب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك ـ أى فى إمضاء العدل ـ فلا تكونن من الممترين[2]" فى طلب الفضل لأهل العدل فان الله يمضى عدله كما يفيض فضله، و كذلك قوله: "عبس و تولى ان جاءه الاعمى[3]"[4]، فيه[5] إظهار لمدحته بحرصه[5] على تألف الأبعدين و وصل القاطعين حتى ينصرف عنهم بالحكم[6] و إشادة[7] الإكراه عليه[8] فى ذلك، فلا ينصرف عن حكم الوصية إلى حكم الكتاب بالحق إلا عن إشادة[7] باكراهه عليه، فهو محمود بما هو منهى عنه، لأن خطابه أبدا فى ذلك فى القرآن فيما بين الفضل و العدل، و خطاب سائر الخلق جار فيما بين العدل و الجور. فبين الخطابين ما بين درج العلو و درك السفل فى مقتضى الخطابين المتشابهين فى القول المتباينين

---

(١) ليس فى ظ. و فى البحر المحيط ١ / ٤٣٣: قال الزمخشرى: قوله ﴿و لئن اتبعت اهواءهم﴾ بعد الإفصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده فى قوله "وما انت بتابع قبلتهم" كلام وارد على سبيل الفرض و التقدير بمعنى: و لئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان و الإحاطة بحقيقة الأمر إنك إذا لمن المرتكبين الظلم الفاحش، و فى ذلك لطف للسامعين و زيادة تحذير و استفظاع بحال من يترك الدليل بعد إنارته و يتبع الهوى و إلهاب للثبات على الحق (٢) سورة ١٠ آية ٩٤ (٣) سورة ٨٠ آية ١ و ٢ (٤) زيد فى م وظ ومد: الآيات (٥ ـ ٥) فى م: اظهار المدحه بحرصه (٦) فى م: الحكم (٧) فى م: اشارة (٨) فى م: اليه.

فى العلم - انتهى . و سيأتى فى قوله تعالى: "عفا الله عنك لم اذنت لهم" فى سورة التوبة[١] ما يوضحه .

و لما ختم الخطاب بالإشارة بقوله: " اهواءهم[٢]" إلى علمهم بحقية هذا التحويل تلويحا كما فتحه بالإعلام به تصريحا كرّ على تأكيد الإعلام بما هم عليه فى أمرها من التحقق[٣] إشارة إلى ما تبطنوه[٤] من العناد الموجب للتمادى فى الفساد فقال مضمرا له على وجه يصلح أن يكون للنبى صلى الله عليه وسلم معظما لهذه المعرفة باسناد الإيتاء إليه سبحانه: ﴿ الذين اٰتينٰهم ﴾[٥] أى بما لنا من العظمة التى هم بها عارفون[٥] ﴿ الكتٰب يعرفونه ﴾[٦] أى التحويل المتضمن لزيادة تحققهم لصدق الرسول صلى الله عليه و سلم و كمال[٧] علمهم به ﴿ كما يعرفون ابناءهم ﴾ لا يشكون فى حقية ذلك بوجه لظهور دلائله عندهم ، لأنهم يعرفون الرسول صلى الله عليه و سلم بجميع نعوته [معرفة -[٨]] لا يشكون فيها لكونها عن الله الذى لا خلف فى قوله ، فبذلك صاروا يعرفون صحة هذا التحويل هذه المعرفة ، و ذلك كما أنهم لا يشكون فى شيء مما تقع به المعرفة لأبنائهم لشدة ملابستهم لهم ؛ و الحاصل أن معرفتهم بنبوته تزيدهم فى المعرفة بحقية التحويل [بصيرة لأنه من نعته ، و معرفتهم بأمر التحويل -[٩]] يثبتهم فى حقية نبوته لكونه مما ثبت منها ، و لذلك قال الحرالى: فى انبائه تحققهم بعيان ما ذكر لهم من أمره ، لأن

---

(١) سورة ٩ آية ٤٣ (٢) فى م : « باهواهم » (٣) فى مد : التحقيق (٤) فى ظ : يبطنوه (٥-٥) ليست فى ظ (٦) العبارة من هنا إلى « ابناءهم » ليست فى م . (٧) فى ظ : كان (٨) زيد من م و ظ (٩) زيد من م و ظ و مد .

العارف بالشيء هو الذى كان له به إدراك ظاهر بأدلة ثم أنكره لاشتباهه عليه ثم عرفه لتحقق ذكره لما تقدم من ظهوره فى إدراكه ، فلذلك معنى المعرفة لتعلقها بالحس و عيان القلب أتم من العلم المأخوذ عن علم بالفكر[١] ؛ و إنما لم تجز[٢] فى أوصاف الحق لما فى معناها من شرط النكرة ، و لذلك يقال المعرفة حد بين علمين : علم على تشهد[٣] الأشياء ببواديها ، و علم دون يستدل على الأشياء بأعلامها ؛ و فيه أى التشبيه بالأبناء إنباء باتصال معرفتهم بـه كيانا كيانا إلى ظهوره ، و لو لم يكن شاهده[٤] عليهم إلا ارتحالهم من بلادهم من الشام إلى محل الشدائد من أرض الحجاز لارتقابه و انتظاره "فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به" و أجرى المثل بذكر الأبناء لاشتداد عناية الوالد بابنه لاعتلاقه بفؤاده ، ففيه إنباء بشدة اعتلاقهم به قبل كونه ﴿ و ان فريقا منهم ﴾ أى أهل الكتاب ﴿ ليكتمون الحق ﴾ أى يخفونه و لا يعلنونه[٥] .

و لما كان لا يلزم من ذلك علمهم به و لا يلزم من علمهم به استحضاره عند الكتمان قال : ﴿ و هم يعلمون ۝ ﴾ أى أنه حق و أنهم آثمون بكتمانه . فجعلهم أصنافا : صنفا عرفوه فاتبعوه ، و صنفا عرفوه فأنكروه كما فى إفهامه ،

---

(١) وقع فى الأصل : الفلك - كذا مصحفا ، و التصحيح من بقية الأصول .
(٢) فى م و مد : لم تجر (٣) فى م و مد : يشهد (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : شاهدة (٥) و الحق المكتوم هنا هو نعت رسول الله صلى الله عليه و سلم - قاله قتادة و مجاهد ، أو التوجه إلى الكعبة ، أو أن الكعبة هى القبلة ، أو أعم من ذلك فيندرج فيه كل حق - البحر المحيط ١/٤٣٦ .

و فريقا علموه فكتموه ؛ و فى تخصيص هذا الفريق بالعلم إشعار بفرقان ما بين حال من يعرف و حال من يعلم ، فلذلك كانوا ثلاثة أصناف : ١٢ / عارف ثابت ، و عارف منكر ١ هو أردؤهم ٢ ، / و عالم كاتم لاحق به ؛ و فى مثال يكتمون و يعلمون إشعار بتماديهم فى العلم و تماديهم فى الكتمان .

و لأن هذا المجموع يفيد قهر الحق للخلق بما شاء منهم من هدى و فتنة لتظهر فيها رحمته و نقمته ٣ و هو الحق الذى هو ماضى الحكم الذى جبلّة محمد صلى الله عليه و سلم تتقاضى التوقف فيه لما هو عليه من طلب الرحمة و لزوم حكم الوصية خاطبه الحق بقوله : ﴿ الحق ﴾ أى هذا التفريق و التصنيف الموجب لعمارات درجات الجنة و عمارات دركات النار هو الحق ، أو يكون المعنى : الحق الذى أخبرت به فى هذه السورة أو الآيات ، أو جنس الحق ٤ كائن ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك بطرد من يضر اتباعه كما ٥ هو محسن إليك بالإقبال بمن ينفع اتباعه ﴿ فلا تكونن ٦ من الممترين ﴾ فيما فسر نحوه من اشتباه المرتبتين الواقعة منه فيما بين الفضل و العدل و الواقعة من غيره فيما بين الجور

---

(١) فى ظ : متكبر (٢) فى م و مد و ظ : ارداؤهم ، و فى الأصل : ارداؤهم - كذا (٣) من م وظ ومد ، وفى الأصل : نعمته - كذا (٤) أوللجنس على معنى أن الحق هو من عند الله لا من غيره ، أى ما ثبت أنه حق فهو من الله كالذى عليه الرسول ، و ما لم تثبت حقيقته فليس من الله كالباطل الذى عليه أهل الكتاب ، وقرأ على ابن أبي طالب " الحق " بالنصب و أعرب بأن يكون بدلا من الحق المكتوم فيكون التقدير : يكتمون الحق من ربك ؛ قاله الزمخشرى - البحر المحيط ١/٤٣٦ (٥) فى م : لما (٦) و المراد بهذا الخطاب فى المعنى هو [illegible] ، =

و العدل - انتهى . و فيه زيادة و تغيير، و فى تأكيد الأمر تارة بالعلم و تارة بالمعرفة و تارة بغيرهما تأكيد لوجوب اتباعه صلى الله عليه و سلم و إزاحة لما يلقيه السفهاء العالمون به من الشبه . قال الحرالى : و الممترى من الامتراء و هو تكلف المرية و هى مجادلة تستخرج السوء من خبيئة[1] المجادل ، من امتراء ما فى الضرع و هو استيصاله حلبا ، و لأنه حال الشاك ربما أطلق عليه .

و لما بين أن أحدا من هؤلاء الفرق لا يتبع قبلة الآخر و تضمن ذلك أن لكل منهم قبلة[2] و قرر أن ذلك من أهل الكتاب على وجه العناد أثبت ما تضمنه الكلام السابق على وجه أعم منه و سبب عنه النتيجة فقال تعالى : ﴿ و لكل ﴾ أى[3] لكل فريق من المذكورين و غيرهم ﴿ وجهة ﴾ أى مقصد يقصده و يوجه وجهه إليه و يقبل بقلبه عليه من القبلة للصلاة و غيرها من جميع المقاصد ﴿ هو موليها ﴾ إن كسر اللام كان المعنى هو متوليها أى فاعل التولية أى مائل إليها بوجهه[4] لأن المادة تدور بكل ترتيب على الميل كما يأتى إن شاء الله تعالى فى

= ودل " الممترين " على وجودهم ، ونهى أن يكون منهم والنهى عن كونه منهم أبلغ من النهى عن نفس الفعل . . . . و المعنى : فلا تكونن من الذين يشكون فى الحق . لأن ما جاء من الله تعالى لا يمكن أن يقع فيه شك ولا جدال ، إذ هو الحق المحض الذى لا يمكن أن يلحق فيه ريب و لا شك - البحر المحيط ١/٤٣٧ .

(١) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : خبيئة - كذا (٢) ليس فى مد (٣) زيدت فى م : و (٤) زيد فى م : و مستقبل و تابع لها .

آخر الانفال، فيكون ولىّ[١] بمعنى تولىّ كقدم بمعنى تقدم، و من المعلوم[٢] الفرق بين تولاه و تولى عنه، و إن فتح[٣] فالمعنى : هو ممال إليها . قال الحرالى : و فى قراءة مولّيها – بالكسر – إشعار باختلاف جبلات أهل الملل و إقامة كل طائفة منهم بما جبلت عليه[٤]، و فى قراءة "مولّاها" إظهار حقيقة ذلك و أنه ليس ذلك منهم بل بما أقامهم فيه المولى لهم حيث شاء، و أبهم فيه المولى لما كان فى طوائف منهم حظ هوى[٥]، و هو من التولية و هو ما[٦] يجعل مما يلى الجسد، أو القصد أى[٧] يكون ميالا[٧] بين يديه ملاصقا له – انتهى .

و لما كان فعلهم هذا إنما هو لأجل تزكية النفس و خلاصها و كان ذلك لا يحصل إلا بفعل الخير و اجتناب الشر سبب عنه قوله : ﴿ فاستبقوا[٨] الخيرٰت ﴾ أى فاجعلوا أنتم مقصدكم أنواع الخير من القبلة

---

(١) ليس فى ظ (٢) زيد فى الأصل فقط «ان» (٣) و قرأ ابن عامر : هو مولّاها – بفتح اللام – اسم مفعول و هو قراءة ابن عباس (٤) و قيل المعنى و لكل ملك و رسول صاحب شريعة جهة قبلة، فقبلة المقربين العرش و قبلة الروحانيين الكرسى، و قبلة الكروبيين البيت المعمور، و قبلة الأنبياء قبلك بيت المقدس، و قبلتك الكعبة ؛ و قد اندرج فى هذا الذى ذكرناه أن المراد بوجهة قبلة و هو قول ابن عباس و هى قراءة أبى قرأ : " و لكل قبلة " و قرأ عبد الله : " و لكل جعلنا قبلة " – البحر المحيط ١ / ٤٣٧ (٥) فى الأصل فقط : هدى (٦) فى م : مما (٧–٧) ليس فى م و ظ و مد (٨) الاستباق افتعال من السبق و هو الوصول إلى الشىء أولا، و يكون افتعل منه إما لموافقة المجرد =

و غيرها

و غيرها و تسابقوا فى قصدكم إليهـا، أى كونوا فى المبادرة إلى أفعال الخير كمن يسابق[١] خصما فهو يجتهد فى سبقه، [٢]فان الاستباق[٢] تـكلف السبق و السبق بروز أحد المتجاريين[٣]، ثم حثهم على ذلك و حذرهم من تركه بقوله على وجه التعليل: ﴿ اين ما تـكونوا ﴾ أى من الجهات التى استبقتم إليها الحسية و المعنوية ﴿ يات بكم الله ﴾ [٤]أى الملك الأعظم[٤] ﴿ جميعا ﴾ منها إليه فى[٥] يوم البعث[٦]، ثم علل هذه العلة بقوله: ﴿ ان الله ﴾ [٤]أى الذى له الأمر كله[٤] ﴿ على كل شيء قدير ﴾ و فى ذكر البعث هنا معادلة بين القبلتين: قبلة أهل الفضل الأمة الوسط التى جعلت محل الأمن، و القبلة الأولى. قال الحرالى: من حيث يرد الخلق فى[٧] البعث إلى موطن القبلة السابقة من أرض الشام، فيكون موطن الحق و العدل أولى القبلتين بذلك، لأن أعلى القبلتين موطن أمنة من حيث أن من دخله كان آمنا، فكان

= فيكون معناه و معنى سبق واحدا أو لموافقة تفاعـل فيكون استبق و تسابق بمعنى واحد - البحر المحيط ١/٤١٩.

(١) فى ظ: سابق (٢-٢) فى م و مد: فالاستباق، و فى الأصل: فان الاسباق - كذا (٣) من م و ظ، و فى الأصل و مد: المتحاربين - كذا (٤-٤) ليس فى ظ (٥) ليس فى مد (٦) قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١/٤٣٩: هذه جملة تتضمن وعظا و تحذيرا و إظهـارا لقدرته، و معنى ﴿ يات بكم الله جميعا ﴾ أى يبعثكم و يحشركم للثواب و العقاب فأنتم لا تعجزونـه وافقتم أم خالفتم، و لذلك قال ابن عبـاس: يعنى يوم القيامة، و قيـل: المعنى أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا، أى يجمعكم و يجعل صلاتكم كلها إلى جهة واحدة و كأنكم تصلون حاضرى المسجد الحرام - قاله الزمخشرى (٧) فى م: الى.

فكان المحشر إلى قبلتهم الأولى التى هى بداية الأمر ليطابق الآخر من القبلتين الأولى من حيث كان الآخر فى الدنيا للفضل و الأول فى الآخرة للعدل و من الدعوتين من حيث كانت الدعوة الأولى فى الأول حكما و علما و الإتيان الآخر فى العقبى قهرا و ملكا .

و لما عظم فى شأن القبلة انتشار أقوالهم فى تنويع شغبهم[١] و جدالهم و كانوا أهل علم و كتاب ، و قد مرت لهم دهور و هم موسومون بأنهم على صواب ، فاشرأب لذلك النفاق ، و دارت رحى الباطل و الشقاق ، و قامت سوق الفسوق فيما هنالك على ساق ، كان الحال مقتضيا لمزيد تأكيد لأمرها تعظيما لشأنها و توهية[٢] لشبه السفهاء فقال تعالى ثانيا معبرا بعبارة مشعرة[٣] بامامته صلى الله عليه و سلم و انتظار المصلين له : ﴿ و من حيث خرجت ﴾ أى للصلاة المفروضة باتباعك من هذه الجهة التى أنت بها الآن بالمدينة الشريفة التى هى شمال الكعبة المشرفة أو من غيرها / من الجهات من الشرق و الغرب و الجنوب ﴿ فول وجهك ١١ / شطر ﴾ أى عين[٤] ﴿ المسجد الحرام ﴾ و أما قلبك فهو إلى الله .

و لما كان التقدير[٥] فانك مأمور بذلك لئلا يظن[٦] أن ذلك إنما

(١) فى ظ : شعبهم - كذا بالعين المهملة (٢) فى م : بوهيه (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : شعرة - كذا (٤) وقع فى الأصل : غير - مصحفا ، و التصحيح من بقية الأصول (٥) و فى بحر المحيط ١/٤٤٠ بعد نقل أقوال متعددة فى التكرار : و قيل ربما خطر فى بال جاهل أنه تعالى فعل ذلك لرضا نبيه لقوله : ﴿ فلنولينك قبلة ترضها ﴾ فأزال هذا الوهم بقوله : ﴿ و انه للحق من ربك ﴾ أى ما حولناك لمجرد الرضا بل لأجل أن هذا التحويل هو الحق ، فليست كقبلة اليهود التى يتبعونها =

عمل لتطلعه صلى الله عليه و سلم إليه و هو فيه بالخيار فيظن أن الرجوع إلى القبلة الأولى مصلحة لما انتشر[1] فى ذلك من الكلام الذى نفذ فى القلوب نفوذ السهام عطف عليه قوله: ﴿و انـه للحق من ربك﴾ مؤكدا له بأنواع التأكيد مضيفا له إلى صفة الإحسان باحسان التربية و النظر فى أدبار الأمور و أحكامها.

و لما كان التقدير: و إن ربك عالم بما قالوه من الشبه التى دارت بين الناس و خيفت عاقبتها عطف عليه ما هو أعم منه فقال[2]: ﴿و ما الله﴾ [3]أى الذى له الإحاطة الكاملة[3] ﴿بغافل عما﴾ أى عن[4] شيء مما ﴿يعملون[5] ٭﴾ أى السفهاء من اليهود و غيرهم فى مستقبل الزمان فيوهيه و يبطل أذاه و يرميه[6] و يبعده و يقصيه، و على قراءة الخطاب أنتم فى هذا الوقف و بعده فيغلبه[7] و يثبته و يبقيه إن كان خالصا لوجهه و إلا جعله هباء منثورا. قال الحرالى: و من التفت بقلبه [فى صلاته إلى غير ربه لم تنفعه وجهة وجه بدنه إلى الكعبة، لأن ذلك حكم حق حقيقته توجه القلب و من التفت بقلبه -[8]] إلى شيء من الخلق

= بمجرد الهوى، ثم أعاد ثالثا و المراد: دوموا على هذه القبلة فى جميع الأزمنة.
(٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تظن - بصيغة الخطاب.

(١) زيدت فى م «و» (٢) وقع فى الأصل: فقالوا، و التصحيح من بقية الأصول (٣-٣) ليست فى ظ (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: من.
(٥) كذا فى الأصول و يؤيده تفسير المؤلف الذى يليه على وجه الإخبار عنهم، و أما ما فى المصاحف فهو تعملون - بالتاء على وجه المخاطبة كما صرح به المؤلف بعده بقوله: و على قراءة الخطاب أنتم - الخ (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: يوميه (٧) فى م و ظ: يعليه (٨) زيد من م و مد و ظ.

فى صلاته فهو مثل الذى استدبر بوجهه عن شطر قبلته ، فكما يتداعى الإجزاء[١] الفقهى باستدبار الكعبة حسا فكذلك يتداعى القبول باستدبار وجه القلب عن الرب غيبا ، فلذلك[٢] أقبل هذا الخطاب على الذين آمنوا و الذين أسلموا ، لأنه هو صلى الله عليه و سلم مبرأ عن مثله - انتهى . ﴿ و من حيث خرجت ﴾ أى من بقاع الأرض للصلاة بأمتك ﴿ فول وجهك ﴾ أى اجعله يلى ﴿شطر﴾ أى عين[٣] ﴿ المسجد الحرام ﴾ .

و لما تقرر بما تكرر أن هذا التحويل فرض فى حقه صلى الله عليه و سلم حتم لا فتور عنه و لا رخصة فيه إلا ما استثنى فى النفل أدخل معه أمته ليعمهم الحكم و ربأ[٤] بمنصبه المنيف و قدره الشريف عن أن يكون لأحد عليه ما يسمى حجة بحق أو باطل فقال : ﴿ و حيث ما كنتم ﴾ أى أيتها الأمة من جميع جهات الكعبة فى جميع أقطار الأرض الدانية و القاصية . قال الحرالى : و ذكر فى أمته بالكون لا بالخروج إشعارا بتقاصر الأمة عن علو أحوال الأئمة و أن حال الأمة فى خلوتهم لحالهم[٥] فى جلوتهم - انتهى . ﴿ فولوا وجوهكم ﴾ أى اجعلوها والية[٦] ﴿ شطره ﴾ للصلاة . قال الحرالى : و فيه إشعار بلحظ صحة صلواتكم[٧] فرادى و فى بيوتكم[٨] ، كما قال : إذا جئت فصل مع الناس و إن كنت

---

(١) فى الأصل : الاحرا - كذا ، و التصحيح من بقية الأصول (٢) فى م : فكذ ، (٣) من م و مد و ظ ، و وقع فى الأصل : غير - كذا مصحفا . (٤) هكذا فى الأصل و مد بمعنى إعلاء ، و فى ظ : ربأ ، و كتب فوقه : اعلانا ، و فى م : ربشا - كذا (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كحالهم . (٦) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : واليه (٧) كذا فى الأصل . و فى م و ظ و مد : صلواتهم (٨) كذا فى الأصل ، و فى م و ظ و مد : بيوتهم .

قد صليت فى أهلك ؛ بخلافه هو صلى الله عليه و سلم فان صلاته لا تقع إلا جمعا من حيث أنه يصلى لهم و[1] أنه إمام[2] لا تقع صلاته[2] فذا - انتهى .

و لما كان ربما ظن أن الرجوع إلى القبلة الأولى يزيل الكلام بين سبحانه و تعالى أن الأمر بخلاف ذلك فقال : ﴿ لئلا يكون للناس ﴾ أى لأحد[3] منهم ﴿ عليكم حجة ﴾ بأن يقولوا : النبي[4] المبشر به يستقبل[5] بيت إبراهيم عليه[6] الصلاة و[6] السلام ثم لا[7] يتحول عنه و هذا لم يفعل ، [8]أو يقولوا : ما جاء بشيء جديد و إنما هو تبع لنا فى قبلتنا[8] .

و لما كانت الحجة كلاما ينشأ عن مقدمات يقينية[9] مركبة تركيبا صحيحا وقع الاستثناء باعتبار تلبس المستثنى بجزء المعنى الذى نفى عن المستثنى منه بدلالة التضمن فهو قريب من الاستخدام فقال : ﴿ الا الذين ﴾ أى الناس الذين ﴿ ظلموا منهم ﴾ فانهم لعنادهم[10] و لددهم لا يرجعون

---

(١) زيد فى م : و ان (٢-٢) فى م : صلاته لا تقع (٣) ليس فى م (٤) فى م و مد : الشى - كذا (٥) زيد فى م : به (٦ - ٦) ليس فى م (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لم (٨ - ٨) ليست فى ظ . و فى البحر المحيط ١ / ٤٤١ : و الناس قيل هو عموم فى اليهود و العرب و غيرهم ، و قيل اليهود و حجتهم قولهم : يخالفنا محمد فى قبلتنا و قد كان يتبعها ، أو لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه أنه حق إلا برأيه و يزعم أنه أمر به . أو ما درى و أصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم ؛ و قيل مشركو العرب و حجتهم قولهم : قد رجع محمد إلى قبلتنا و سيرجع إلى ديننا حين صار يستقبل القبلة (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يقينه - كذا (١٠) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بعنادهم .

إلى الحق الذى يعرفونه بل يكون لهم عليكم مجرد كلام هو مادة الحجة لا حجة بما دل عليه وصفهم بالظلم الذى هو وضع الشيء فى غير محله كما هو شأن كل ماش[1] فى مأخذ الاشتقاق الذى هو الظلام ، و يكون الاستثناء [2] على هذا [2] مقطعا [3] بمعنى[4] : لئلا يحتج أحد عليكم لكن الذين ظلموا يقولون أو[5] يظهرون فجورا[6] و لددا فى ذلك كلاما يسمونه حجة . و لعل السر فى تصويره على تقدير الانقطاع[7] بصورة الاستثناء الحث على الثبات على أمر الله [8] سبحانه و تعالى[8] و الإعراض عمن خالفه نظرا إلى ما تأصل من إبطاله و استحضارا لما ظهر من فاسد أحواله و إن أبــدى من الشبه ما يخفى أمره و يصعب على بعض

/١٤ / المحققين[9] حله حتى يظن حجة ؛ و يجوز أن يراد بالحجة أعم من القطعى و الظنى فيكون الاستثناء متصلا ، قال السفاقسى[10] : و مثار[11] الخلاف هل الحجة الدليل الصحيح و الاستثناء منقطع أو الاحتجاج و الخصومة فهو متصل - انتهى [12] . و وصفها بالاستعلاء عليهم لما يحصل بها من

---

(١) من م و ظ ، و فى الأصل : ماس - كذا (٢ - ٢) ليس فى م و مد (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مطلقا (٤) ليس فى م و مد (٥) فى ظ : و (٦) فى م و مد : نخورا (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الانقطار - كذا .
(٨ - ٨) ليست فى م و ظ (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : المحقين - كذا .
(١٠) فى م : السفاقشى (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مثال (١٢) و فى البحر المحيط ١/٤٤١ : « نقل السجاوندى عن أبى بكر ابن مجاهد أنه قرأ « الى الذين » جعلها حرف جر تأويلا بمعنى مع ، و أما على قرأة الجمهور فالاستثناء متصل - قاله ابن عباس و غيره و اختاره الطبرى و بدأ به ابن عطية و لم يذكر =

الأذى بدلالتها على العداوة و الشقاق لا بتغييرها فى وجه شيء من الأدلة ، ١و " الذين ظلموا " إن أريد بهم اليهود فهم يقولون : ما رجع إلى الكعبة إلا٢ محبة لبلده ، و لو كان فى قبلتنا على أمر من الله سبحانه٣ ما تحول عنه ، و إن كان المشركين فهم يقولون : قد استقبل بلدكم و مسجدكم فيوشك أن يدين دينكم . و لما نفى٤ عن أهل هذه القبلة بالثبات عليها كل سبيل تسبب عنه قوله : ﴿ فلا تخشوهم ﴾ أى فى هذا الأمر و لا غيره ، فانى أرد عنكم كيدهم و أوهن أمرهم٥ . و لما تبين أحكام فعله و مضى ما يريد من ربطه و حله حثهم على لزوم هذه القبلة محذرا من مخالفته فى شيء من الأشياء فقال : ﴿ و اخشونى٦ ﴾ ثم عطف على علة٧ الاستقبال قوله : ﴿ و لاتم ﴾ أى بهذا الدين المفيد لعز الدارين

= الزمخشرى غيره و ذلك أنه متى أمكن الاستثناء المتصل إمكانا حسنا كان أولى من غيره . و فى المد من البحر ١ / ٤٤١ : و قرئ « الا » حرف استفتاح و « الذين ظلموا » مبتدأ خبره « فلا تخشوهم » .

(١) العبارة من هنا إلى « ان يدين دينكم » ليست فى ظ (٢) من م و مد ، و فى الأصل : الى (٣) ليس فى م (٤) فى م : لقى - كذا (٥) قال المهائمى ١ / ٦٤ : ﴿ فلا تخشوهم ﴾ أن يقولوا : خالفتم قبلة إبراهيم ، لأن هذا القول منهم يخالف ما تواتر من قبلة إبراهيم . و قال أبو حيان الأندلسى ١ / ٤٤٢ : هذا فيه تحقير لشأنهم و أمر باطراحهم و مراعاة لأمره تعالى . . . . . . و نهى عن خشيتهم فيما يزخرفونه من الكلام الباطل فانهم لا يقدرون على نفع و ضر و أمر بخشيته فى ترك ما أمرهم به من التوجه إلى المسجد الحرام (٦) فى الأصول : و اخشون . (٧) فى م : الجملة .

و نعيمها الذى من [1] جملته هذا [1] الاستقبال ﴿ نعمتى عليكم ﴾ بالتمكين من الحجج و غيره من أمور الدين حين [2] أنزل عليكم آية " اليوم اكملت لكم دينكم [3] " كما أتممتها على إبراهيم خليلى صاحب هذا البيت الذى وجهتكم إليه . قال الحرالى : و فى طيه بشرى بفتح مكة و استيلائه على جزيرة العرب كلها و تمكنه بذلك من سائر أهل الأرض لاستغراق الإسلام لكافة العرب الذين [4] فتح الله بهم له [5] مشارق الأرض و مغاربها التى انتهى إليها ملك أمته - انتهى . ﴿ و لعلكم تهتدون ﴾ أى و لتكونوا على رجاء عند أنفسكم و من يراكم ممن لا يعلم العواقب من أن تهتدوا [6] إلى الثبات [7] على هذه القبلة و غيرها من أمر هذا الدين بسبب خشيتى فانها جالبة لكل خير و دافعة لكل ضير . قال الحرالى : و فى كلمة « لعل » [8] على ما تقدم إيهام يشعر [5] بتصنيفهم صنفين : مهتد للثبات على السنة ، و متغير فيه بوجه من وجوه البدعة ، لما ذكر من أن ما هو للخلق تردد فهو من الحق تقسيم و إبهام فى تعيين ذلك التقسيم و التصنيف ، ففيه إعلام لقوم بالاهتداء الدائم بما تفهمه صيغة الدوام و إشعار بانقطاع

(١-١) من م وظ و مد ، و فى الأصل : جملة هذه (٢) فى م : حتى (٣) سورة ٥ آية ٣ (٤) فى ظ : الذى (٥) ليس فى ظ (٦) فى ظ و مد : يهتدوا (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الكتاب (٨) قال أبو حيان الأندلسى ١ / ٤٦٤ : و المعنى لتكونوا على رجاء إدامة هدايتى إياكم على استقبال الكعبة أو لكى تهتدوا إلى قبلة أبيكم إبراهيم ، و الظاهر رجاء الهداية مطلقا . و قال المهائمى : تهتدون للصراط المستقيم بالتوجه إليها لاستلزامه التوجه إلى الباطن فتهتدون بهذه القبلة هداية كاملة .

قوم

قوم عن ذلك التمادى بما يفهمه ما هو للخلق بموضع الترجي ، و فى طيه[1] إشعار باستبدادهم بالأمر بعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم و انقسامهم فيه بين ثابت عليه دائم الاهتداء فيه و متغير عنه كما ظهر فيما كان من ثبات من ثبت بعده و ردة من ارتد - انتهى ﴿ كما ﴾ أى وجهناكم إلى الكعبة لهذه العلل[2] ﴿ ارسلنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ فيكم ﴾ لأجل ذلك بعينه و لئلا تقولوا[3] ما كانوا يقولون من أنكم لا حرمة لكم لإشراككم و لا إثم على من آذاكم [4] فيتم[5] عليكم النعمة بارسال من يستنقذكم[6] اتباعه من الجهل و الذل فى الدنيا و من العذاب فى الأخرى ﴿ رسولا ﴾ متصفا بأنه ﴿ منكم ﴾ تعرفون من صفته[7] العلية[8] و همه الشم الحاملة على اتباعه و التيمن برأيه ما لا يعرفه غيركم[9] ﴿ يتلوا عليكم

---

(١) فى م : طيهم (٢) زيد فى م و ظ و مد : كما (٣) فى ظ و م و مد : يقولوا . (٤) العبارة من هنا إلى « فى الأخرى » ليست فى ظ (٥) فى م و مد : فتتم (٦) من م و مد ، و فى الأصل : يستقذكم - كذا (٧) فى م و مد و ظ : صفاته (٨) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : العلى (٩) فى البحر المحيط ١/٤٤٥ : فبهذا يظهر تعلق ﴿ كما ﴾ بما قبلها و يكون فى ذلك تشبيه إتمام هذه النعمة الحادثة من الهداية لاستقبال قبلة الصلاة التى هى عمود الإسلام و أفضل الأعمال و أدل الدلائل على الاستمساك بشريعة الإسلام باتمام النعمة السابقة بارسال الرسول المتصف بكونه منهم إلى سائر الأوصاف التى وصفه تعالى بها و جعل ذلك إتماما للنعمة فى الحالين لأن استقبال الكعبة ثانيا أمر لا يزاد عليه شيء بنسخه فهى آخر القبلات المتوجه إليها فى الصلاة كما أن إرسال محمد صلى الله عليه و سلم هو آخر إرسالات الأنبياء عليهم الصلاة و السلام إذ لا نبى بعده و هو خاتم النبيين ، فشبه إتمام =

آيٰتنا ﴾ الحافظة[1] لمن رعاها حق رعايتها على الصراط المستقيم عوضا من تناشدكم الأشعار . قال الحرالى : و فيه أخذهم بما هو فى طباعهم من إيثار أمر السمع على أمر العين الذى عليه جبلت العرب ، لأنها أمة تؤثر مسموع المدح و الثناء من الخلق على ما تناله من الراحة فتجهد[2]
٥ فى طلب الثناء من الخلق ما لم تجهد أمة غيرها ، فكيف بها إذا كان ما دعيت إليه ثناء الحق عليها و تخليد ذلك لها فى كلام[3] هو كلام ربها ، فتنال بذلك ما هو فوق[4] مقصودها مما جبلت عليه من إيثار السماع على العين بخلاف ما عليه سائر الأمم ؛ ثم قال : و فيه إغناء العرب عن إعمال أفكارها فى تكسب العلم و الحكمة لتستخرج منه أحكاما ، فكان[5]
١٠ فى تلاوة الآيات عليهم إغناؤهم عن الاستدلال بالدلائل و أخذ[6] الأمور بالشواهد و تولى الله و رسوله تعليمهم[7] ليكون شرف المتعلم[8] بحسب علاء من علمه ، ففضل علماء[9] العرب على سائر العلماء كفضل النبى صلى الله عليه و سلم / على معلمهم ممن سواه صلى الله عليه و سلم . انتهى[10] .

= تلك النعمة التى هى كمال نعمة استقبال القبل بهذا الإتمام الذى هو كمال إرسال الرسل ، و فى إتمام هاتين النعمتين عز للعرب و شرف و استمالة لقلوبهم إذ كان الرسول منهم و القبلة التى يستقبلونها فى الصلاة بينهم الذى يحجونه قديما و حديثا و يعظمونه .

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الحافظ (٢) فى ظ : فتجتهد (٣) زيد فى م : من (٤) فى م : فرق (٥) فى ظ : وكانه (٦) من م و مد و ظ . وفى الأصل : واحد (٧) فى الأصل تقليمهم ، و التصحيح من بقية الأصول (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : التعلم (٩) فى م : علم (١٠) قال أبو حيان الأندلسى : =

و لما كان السياق لفعل من الأفعال و هو التوجه[1] إلى البيت للصلاة و كانت الصلاة أعظم مطهر للقلوب من أوضار[2] الأدناس قدم قوله: ﴿ و يزكيكم ﴾ أي يطهركم في أقوالكم و أفعالكم و ينميكم[3] بانعاش[4] قلوبكم لتشرف[5] بالمعاني الصالحة و الأخلاق الطاهرة الموجبة للفوز الدائم و النجاة عما[6] دنس اليهود و أوجب لهم الضلال من مرض القلب بانكار النسخ و كتم الحق و إفشاء الباطل المثمر مع الضلال للاضلال . قال الحرالي: أنبأهم بأن هذا التنزيل لأنفسهم بمنزلة الغذاء للأبدان ، فكما تتنامى أجسادهم بماء المزن و ما منه فكذلك تتنامى أنفسهم بأحكام الكتاب و تلاوة الآيات ، و ذلك زكاؤها ، نماؤها ، لتتأكد فيه رغبتهم ، لأن للمغتذى[7]

= ﴿ رسولا منكم ﴾ فيه اعتناء بالعرب إذ كان الارسال فيهم و الرسول منهم و إن كانت رسالته عامة و كذلك جاء « هو الذي بعث في الاميين » و يشعر هذا الامتنان بأنه لم يسبق أن يرسل و لا يبعث في العرب رسول غير نبينا محمد صلى الله عليه و سلم و لذلك أفرده فقال « رسولا منهم » و وصفه بأوصاف كلها معجز لهم و هي كونه منهم و تاليا عليهم آيات الله و مزكيا لهم و معلما لهم الكتاب و الحكمة و ما لم يكونوا يعلمون ، و قدم كونه منهم أي يعرفونه شخصا و نسبا و مولدا و منشأ . لأن معرفة ذات الشخص متقدمة على معرفة ما يصدر من أفعاله .

(١) من م و ظ و مد ، و في الأصل: التوجيه (٢) من م و مد و ظ ، و في الأصل: اوصار - كذا (٣) من م و مد ، و في ظ: بمميكم ، و في الأصل: يمنكم - كذا (٤) من م و مد و ظ ، و في الأصل: بانفاس - كذا بالسين المهملة . (٥) في م و مد: لتشرق (٦) في م و ظ - مد: مما (٧) من م و مد ، و في ظ: المغتذى ، و في الأصل: للقتدى .

رغبة فى الغذاء إذا تحققه ، فمن علم أن التزام الأحكام غذاء لنفسه حرص عليها ، و متى نمت[1] النفس و زكت قويت على ما شأنها أن تناله قواها ، كما أن البدن إذا قوى بالغذاء تمكن مما شأنه عمله[2] - انتهى . ﴿ و يعلمكم الكتب ﴾ المقيم للدين[3] و الدنيا . [4] قال الحرالى [4] : أى الفقه[5] فيه

٥ ﴿ و الحكمة ﴾[6] دقائق الإشارات الشافية لأمراض القلوب المانعة من اتباع الهوى . قال الحرالى : فخص تعليم الحكمة من عموم تعليم الكتاب ، لأن التوسل بالأحكام جهد[7] عمل و التوسل بعلم الحكمة يسر[8] منال عقل ، لأن الحكمة منال الأمر الذى فيه [عسر بسبب فيه - [9]] يسر فينال الحكيم بحكمته لاطلاعه على إفضاء مجعول الأسباب بعضها لبعض مما بين أسباب

١٠ عاجل[10] الدنيا و مسببات آجل الآخرة ما لا يصل[11] إليه جهد العامل الكادح و فى تكملة الكتاب و الحكمة بكلمة[12] «ال[13]» إنهاء إلى الغاية الجامعة لكل كتاب و حكمة بما يعلمه الأولون[14] و الآخرون[15] . ثم قال :

---

(١) و فى ظ : تمت (٢) فى ظ : منه (٣) فى مد : الدين (٤-٤) ليس فى ظ (٥) من ظ و مد ، و فى م : التفقه ، و فى الأصل : العفة (٦) زيد فى م وظ و مد : اى . (٧) من م و ظ ، و فى الأصل ومد : جهة (٨) فى الأصل فقط : ليسر (٩) زيدت من م و ظ و مد (١٠) فى م : جاعل (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لا تصل (١٢) من م و مد ، و فى ظ : تكلمة ، و فى الأصل : تكلمه - كذا . (١٣) من ظ و مد ؛ وفى الأصل و م : إلى (١٤) فى ظ : الأول (١٥) قال أبو حيان الأندلسى (١/٤٤٥) : و أتى بهذه الصفات فعلا مضارعا ليدل بذلك على التجدد ، لأن التلاوة و التزكية و التعليم تتجدد دائما ، و أما الصفة الأولى و هى كونه منهم فليست بمتجددة بل هو وصف ثابت له ﴿و يعلمكم الكتب و الحكمة ﴾ =

و بذلك

و بذلك كان صلى الله عليه و سلم يتكلم فى علوم الأولين بكلمات يعجز عنها إدراك الخلق نحو قوله صلى الله عليه و سلم : « استاكوا بكل عود ما خلا الآس و الرمان فانهما يهيجان[1] عرق[2] الجذام » لأن الخلق لا يستطيعون حصر كليات المحسوسات ، غايــة إدراكهم حصر كليات المعقولات ، و من استجلى أحواله صلى الله عليه و سلم علم اطلاع حسه على إحاطة المحسوسات و إحاطة حكمها و ألسنتها[3] ناطقها و أعجمها حيها و جمادها جمعا[4] ، لما فى العادة حكمة و لما فى خرق العادة آية[5]؛ ثم قال : فعلى قدر ما وهب الله [6]سبحانه و تعالى[6] العبد من العقل يعلمه من الكتاب و الحكمة ، يؤثر عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يكلم أبا بكر رضى الله تعالى عنه فكأنما[7] يتكلمان بلسان أعجمى[8] [9]لا أفهم مما يقولان[9] شيئا ، و لما كان انتهاء ما فى الكتاب عند هذه الغاية أنبأ تعالى أن رسوله صلى الله عليه و سلم

= و هو ذكر عام بعد خاص لأنهم لم يكونوا يعلمون الكتاب و لا الحكمة ، و فسر بعضهم ذلك بأن الذى لم يكونوا يعلمون قصص من سلف و قصص ما يأتى من الغيوب .

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يهيجيان - كذا (٢) و فى م : اعرق (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : انستها (٤) فى ظ : جميعا (٥) كذا فى الأصل ، وفى م : اتيه ، و فى مد : ايته ، وفى ظ : آيته (٦ - ٦) ليس فى م و مد (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فانما (٨) فى م و مد و ظ : اعجم (٩ - ٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كانهم مما يقولون .

يعلمهم ما لم يكن فى كتابهم مثال[١] عليه ، [٢]ففيه إشعار بفتح و تجديد فطرة[٣] يترقون لها[٤] إلى ما لم يكن فى كتابهم[٥] عليه - انتهى . و ذلك لأن استعمال الحكمة موجب للترقى فقال تعالى : ﴿ و يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ أى من الاستنباط من الكتاب من المعارف[٦] بما يدريكم به من الأقوال و الأفعال و يسلككم فيه من طرق[٧] الخير الكاشفة لظلام الظلم الجالية لمرأى الأفكار المنورة لبصائر الاعتبار .

و لما كان من المعلوم أن هذا الخير الذى لا يفتر عنه ذو بصيرة و لا يقصر[٨] دونه من له أدنى همة إنما كان بذكر[٩] الله سبحانه و تعالى للعرب تفضلا منه عليهم بعد طول الشقا و تمادى الجهل و الجهد [١٠]و العناء رغّبهم[١٠] فيما يديم ذلك مسببا له عما تقدم فقال : ﴿ فاذكرونى ﴾ أى لأجل إنعامى عليكم بهذا و بغيره ﴿ اذكركم ﴾ فأفتح لكم من المعارف و أدفع عنكم من المخاوف ما لا يدخل تحت حد[١١] ﴿ و اشكروا لى ﴾ وحدى من غير شريك [تشركون معى أزدكم ، و أكد

(١) و فى ظ : منال (٢) العبارة من هنا إلى «كتابهم عليه» ليست فى ظ (٣) من مد ، و فى الأصل و م : قطرة (٤) فى م و مد : بها (٥) فى م و مد : كيانهم - كذا . (٦) من م و مد و ظ . و فى الأصل : العارف (٧) فى م : تطرق (٨) فى م : يقتصر (٩) من مد و م و ظ ، و فى الأصل : يذكر (١٠ - ١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : و العبار عنهم (١١) فى البحر المحيط ١ / ٧٥٠ : و قال القشيرى : ﴿فاذكرونى اذكركم﴾ الذكر استغراق الذاكر فى شهود المذكور ثم استهلاكه فى وجود المذكور حتى لا يبقى منه إلا أثر يذكر فيقال : قد كان فلان ، قال تعالى : "انهم كانوا قبل ذلك محسنين" و إنما الدنيا حديث حسن فكن حديثا حسنا لمن وعى .

هذه الإشارة بقوله - [١] ﴿ و لا تكفرون ﴾ أى أسليكم [٢] . قال الحرالى : و لما كان للعرب ولع بالذكر لآبائهم و [٣] لوقائعهم و لأيامهم [٣] جعل سبحانه و تعالى ذكره لهم عوض ما كانوا يذكرون ، كما جعل كتابه عوضا من أشعارهم و هز عزائمهم لذلك بما يسرهم به من ذكره لهم - انتهى .

و لما ختم الآيات [٤] الآمرة باستقبال البيت فى الصلاة بالأمر بالشكر و مجانبة الكفر و كان ذلك رأس العبادة و فاعله / شديد الافتقار إلى المعونة التفت إلى قوله تعالى فى أم الكتاب : "اياك نعبد و اياك نستعين" فأمرهم بما تضمن ذلك من الصبر و الصلاة "ان الصلوٰة تنهى عن الفحشاء و المنكر [٥]" عالما بأنهم سيمتثلون حيث عصى [٦] بنو إسرائيل حين أمرهم ١٠ بمثل ذلك فى أول قصصهم بقوله : "و اقيموا الصلوٰة و اٰتوا الزكوٰة و اركعوا مع الرٰكعين ـ إلى أن قال : و [٧] استعينوا بالصبر و الصلوٰة و انها لكبيرة الا على الخٰشعين [٨]" فكان فى ذلك إشارة إلى أنهم [هم - [٩]] الخاشعون و [٧] حسن موقع هذه الآية كونها بعد أذى أهل الكتاب بنسبتهم لهم إلى بطلان الدين بتغيير الأحكام و نحو ذلك من ١٥ / ٤٢

(١) زيدت من م و مد و ظ ، غير أن فى ظ : يشركون ـ مكان : تشركون .
(٢) من م و ظ ، و فى الأصل : اسليكم . و فى البحر المحيط : وقيل : معنى الشكر هنا الاعتراف بحق المنعم و الثناء عليه ، و لذلك قابله ﴿ولا تكفرون﴾ (٣ - ٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اوفا معهم و لابايهم (٤) فى ظ : للآيات .
(٥) سورة ٢٩ آية ٤٥ (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يمضى (٧) ليس فى ظ (٨) سورة ٢ آية ٤٣ - ٤٥ (٩) زيد من مد و ظ .

[مُرّ -[1]] الكلام كما فى الآية الآخرى "و لتسمعن من الذين اوتوا الكتب من قبلكم و من الذين اشركوا اذى كثيرا و ان تصبروا و تتقوا فان ذلك من عزم الامور[2]" و كونها عقب الأمر بالذكر و الشكر إيماء إلى أن ملاك[3] كل منهما الصبر و الصلاة فكأنه قيل: لا تلتفتوا إلى
٥ طعن الطاعنين فى أمر[4] القبلة فيشغلكم ذلك عن ذكرى و شكرى بل اصبروا و صلوا إلىّ متوجهين إلى القبلة التى أمرتكم بها عالمين أن الصبر و الصلاة نعم العون على كل ما ينوب من دين و دنيا؛ و أرشق من هذا أن يقال: و لما علم من[5] هذه الآيات إعضال ما بينهم و بين السفهاء و أمرهم بالدواء المنجح[6] من الإعراض عنهم و الإقبال على[7]
١٠ ذكره و شكره اتبع ذلك للاشارة[8] إلى أن الأمر يصل [إلى -[9]] أشد مما توهموه فقال: ﴿ يٰأيها الذين ءامنوا ﴾[10] مخاطبا لهم على وجه

(١) زيد من ظ و مد (٢) سورة ٣ آية ١٨٦ (٣) وقع فى م: هلاك - كذا مصحفا (٤) وقع فى الأصل: امن، و التصحيح من م ومد و ظ (٥) فى م: ف. (٦) من مد و ظ، و فى الأصل: المنجيح، و فى م: المنجى (٧) زيد فى الأصل «ما» و لم تكن الزيادة فى م وظ ومد فحذفناها (٨) فى مد: الاشارة (٩) زيد من م و مد و ظ (١٠) قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١ / ٤٤٨: و مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة لأنهم سمعوا من طعن الكفار على التوجه إلى الكعبة و الصلاة إليها أذى كثيرا فأمروا عند ذلك بالاستعانة بالصبر و الصلاة، وقد قيد بعضهم الصبر هنا بأنه الصبر على أذى الكفار بالطعن على التحول و الصلاة إلى الكعبة .... و روى عن على كرم الله وجهه أنه قال: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد و لا خير فى جسد لا رأس له.

يشمل

يشمل الكامل صلى الله عليه و سلم و لعله صرف الخطاب عنه لما فى السياق مما يحمى عنه صلى الله عليه و سلم مقامه العالى ﴿استعينوا بالصبر﴾ أى على ما تلقون منهم و على الإقبال إلىّ[1] لا كفيكم كل مهم[2] ﴿و الصلوٰة﴾ فانها أكبر معين لانها أجمع العبادات، فمن أقبل بها على مولاه حاطه و كفاه لإعراضه عن كل ما سواه، لأن ذلك شأن كل كبير[3] فيمن أقبل بكليته عليه.

و لما كانت الصلاة لا تقوم إلا بالصبر اقتصر على التعليل به فقال: ﴿ان الله﴾ [4] أى الذى له الكمال كله[4] ﴿مع الصٰبرين ه﴾[5] أى و معلوم أن من كان الله سبحانه و تعالى معه فاز. قال الحرالى: و أيسر الصبر صبر النفس عن كسلها بأخذها بالنشاط فيما كلفت[6] به و "لا يكلف الله نفسا الا ما اٰتٰها[7]" و "لا يكلف الله نفسا الا وسعها[8]" فمتى يسر الله سبحانه و تعالى عليها[9] [10] الجد و العزيمة[10] جعل لها فيما كانت تصبر عليه فى الابتداء الاستحلاء فيه و خفت عنها وظيفة الصبر، و متى لم تصبر عن كسلها و على جدها تدنست فنالها عقوبات يكون الصبر عليها أشد

---

(١) فى م و ظ و مد: علىّ (٢) هكذا فى الأصل و مد، و فى م و ظ: منهم. (٣) من م و ظ و مد، و فى الأصل: كبيرة (٤-٤) ليست فى ظ (٥) و فى البحر المحيط: و لما كانت الصلاة ناشئة عن الصبر و صار الصبر أصلا لجميع التكاليف الشاقة قال ﴿ان الله مع الصٰبرين﴾ فانـدرج المصلون تحت الصابرين اندراج الفرع تحت الأصل (٦) من م و ظ و مد، و فى الأصل: بلغت (٧) سورة ٦٥ آية ٧ (٨) سورة ٢ آية ٢٨٦ (٩) من مد و ظ، و فى الأصل: عليه. (١٠ - ١٠) فى الأصل: الجد و الغريمة.

من الصبر الأول، كما أن [من -[1]] صبر عن حلو الطعام لم يحتج أن يصبر على مر الدواء، فان تحملت الصبر على عقوبات ضياع الصبر الأول تداركها بجاة من اشتداد العقوبة عليها، و إن لم تصبر على تلك العقوبات وقعت فى مهالك شدائد العذاب فقيل لأهلها "فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم[2] "؛ ثم قال: فبداية الذين صبر و خاتمته يسر، فان من كان الله سبحانه و تعالى معه رفع عنه مرارة الصبر بوضع حلاوة الصحبة[3] التى تشعر بها كلمة[4] [مع - [5]] - انتهى.

و لما أشار لهم إلى ما يستقبلونه من حال الطاعنين فى دينهم و رقاهم فى ذلك درجة [بعد درجة - [5]] اتبعه ما دل[6] على أن الأمر يصل إلى القتل و ما داناه[7] ليأخذوا لذلك أهبته و يعتدوا له عدته.

و قال الحرالى: و لما كان الصبر لله إنما هو[8] حمل النفس على ما تعهد[9] فيه كرهها أنبأهم الحق تعالى أن الصبر له ليس على المعهود و أنه يوجد فيه عند تجشمه حلاوة لذة الحياة و إن كان[8] ذلك مما لا يناله شعور الذين آمنوا لخفائه عن[10] إدراك المعقول فأنبأهم بما يحملهم على تجشم الصبر فى الجهاد فى سبيل الله فقال: ﴿ و لا تقولوا ﴾[11] عطفا

---

(١) زيد من م و مد و ظ (٢) من م و مد وظ، و فى الأصل: عليهم؛ و وقع فى الأصول كلها: اصبروا - مكان: فاصبروا - راجع سورة ٥٢ آية ١٦ (٣) فى م فقط: الصحة (٤) وقع فى الأصل: كله - مصحفا (٥) زيد من م و مد و ظ. (٦) فى م: يدل (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: ادناه (٨) ليس فى ظ. (٩) فى مد: يعهد (١٠) فى ظ: من (١١) قيل سبب نزول هذه الآية أنه قيل لمن قتل فى سبيل الله: مات فلان و ذهب عنه نعيم الدنيا و لذتها، فأنزلت، نهوا =

على متجاوز أمور تقتضيها بركة الجهاد - انتهى . أى و جاهدوهم لتقتلوهم و يقتلوكم و تسلبوهم و يسلبوكم و لا تقولوا ؛ أو يقال: و لما كان الصبر واقعا على أمور أشقها الجهاد ثم الحج ثم الصوم و كان[1] بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم قد سألوا عمن مات منهم على قبلة بيت المقدس فبين لهم ما صاروا إليه بقوله تعالى: "و ما كان الله / ليضيع ايمانكم" تلو[2] آية ٤٣أ / الصبر بتبيين حال الشهداء المقتولين فى الجهاد من المؤمنين دفعا[3] لظن أنهم أموات و التفاتا إلى ما أشار به إلى صيرورة الأمر[4] إلى الحرب حيث عاب المانعين للمسجد و أخبر بأنه سيحصل لهم خزى فى الدنيا بالقتل و الأسر و عذاب عظيم فى الآخرة بالنار و السخط ، و إيماء إلى أنه سيأذن لهم فى مقارعة من أمرهم بالصبر على أذاهم[5] من أهل الكتاب حتى يمحقهم السيف و يسكنهم[6] الذل و الخوف[7] . فالمعنى: اصبروا على كل ما يقوله أهل الكتاب و غيرهم فى أمر[8] القبلة و غيره و على كل ما يغير به الشيطان فى وجه الإيمان و صلوا إلى البيت الذى وجهتكم إليه و جاهدوا كل من خالفكم حتى يكون الدين لله صابرين على كل ما ينوب فى ذلك من القتل و النهب و غيره و لا تقولوا إذا قاتلتم الكفار

= عن قولهم عن الشهداء: أموات ، و أخبر تعالى أنهم أحياء .

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: قال (٢) فى م و مد و ظ: تلى ، و لا يتضح فى الأصل (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: رضا (٤) من م و مد ، و فى الأصل: الامو ، و فى ظ: للامر (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: اذانهم . (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: يسلتهم (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: الخرف (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل: اهل .

المناصبين [لكم -[١]] من العرب و غيرهم [٢]من أهل الكتاب و غيرهم[٢] ﴿ لمن يقتل ﴾ منكم ﴿ فى سبيل الله ﴾ [٣]أى الذى له جميع صفات الكمال[٣] بأن يقاتلوا[٤] لتكون كلمة الله هى العليا لا لشىء غير ذلك من دنيا أو عصبية ، فانا سنكتب عليكم الجهاد و نستشهد منكم شهداء : إنهم ﴿ أموات ﴾ بل قولوا : إنهم شهداء ، فانهم ليسوا بأموات ﴿ بل ﴾ هم ﴿ أحياء ﴾ و سيأتى فى آل عمران أن ذلك معنى الشهيد . قال الحرالى : فكأنه تعالى ينفى عن المجاهد مثال المكروه[٥] من كل وجه حتى فى أن يقال عنه إنه ميت ، فحماه من القول الذى هو عندهم من أشد غرض أنفسهم لاعتلاق أنفسهم بجميل الذكر[٦] ، ثم قال و أبهم أمرهم فى هذه السورة و نفى عنهم القول ، لأن هذه سورة الكتاب المدعو به الخلق و صرح بتفضيله[٧] فى آل عمران لأنها سورة قيام الله الذى به تجلى الحق فأظهر غيب أمره فى سورة إظهار أمره و أخفاه فى سورة ظاهر[٨] دعوتهم - انتهى .

و لما كان الحس قاصرا عما أخبر به سبحانه و تعالى قال منبها على ذلك ﴿ و لكن لا تشعرون[٩] ﴾ أنهم أحياء كما ترون النيام همودا

---

(١) زيد من م و مد (٢-٢) ليست فى م (٣-٣) ليست فى ظ (٤) فى ظ : تقاتلوا . (٥) زيد فى م : و (٦) و فى البحر المحيط ١ / ٤٤٨ : و أكثر أهل العلم على أنهم أحياء فى الوقت ، و معنى هذه الحياة بقاء أرواحهم دون أجسادهم إذ أجسادهم نشاهد فسادها و فناءها ، و استدلوا على بقاء الأرواح بعذاب القبر و بقوله : ﴿ و لكن لا تشعرون ﴾ معناه لا تشعرون بكيفية حياتهم (٧) فى م و ظ : بتفصيله (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ظاهره (٩) فى ظ : لا يشعرون .

لا

لا يتحركون و لا شعور لكم بمن فيهــم ينظر[١] أحلاما من[٢] غيره ، فلا فخر أعظم من ذلك فى الدنيا و لا عيش أرغد منه فى الآخرة[٣] ، و أما المقتول من أعدائكم فليس له فى الدنيا إلا الخزى و الفضيحة بالقهر و الذل و الهوان و العذاب الذى لا آخر له فى الآخرة . قال الحرالى : قال ذلك نفيا بكلمة لا و مثال الدوام ففيه إعلام بأن الذين آمنوا ليس فى رتبتهم الشعور به أصلا إلا أن يرقيهم الله [٤]بنماء سن[٤] القلوب و صفاء الأنفس إلى ما فوق ذلك من سن المؤمنين إلى سن المحسنين الذين يشهدون من الغيب ما لا يشهده من فى رتبة الذين آمنوا - انتهى . و فى هذا إشارة إلى أن كون الله معهم لا يمنع أن يستشهد منهم شهداء ، بل ذلك من ثمرات كون الله معهم حيث يظفر من استشهد منهم بسعادة الأخرى و من بقى بسعادة الدارين ؛ و تلخيص ذلك أن يقال إنه[٥] لما كان حاصل ما تقدم

---

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يقطر (٢) من مد و م و ظ ، و فى الأصل : ممن (٣) قال أبو حيان الأندلسى : و قد ذهب بعض الناس إلى أن الشهيد حى الجسد و الروح و لا يقدح فى ذلك عدم الشعور به من الحى غيره فنحن نراهم على صفة الأموات وهم أحياء كما قال تعالى " و ترى الجبال تحسبها جامدة و هى تمر مر السحاب " وكما ترى النــائم على هيئة و هو يرى فى منامــه ما ينعم به أو يتألم به . و نقل السهيلى فى كتاب دلائل النبوة من تأليفه حكاية عن بعض الصحابة أنه حفر فى مكان فانفتحت طاقة فاذا شخص جالس على سرير و بين يديه مصحف يقرأ فــيه و أمامه روضة خضراء و ذلك بأحد ، و علم أنه من الشهداء لأنه رأى فى صفحة وجهــه جرحا (٤ - ٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بتماس - كذا (٥) ليس فى م .

فى هذه السورة أن أهل الأرض كلهم قريبهم و بعيدهم [1]وثنيهم و كتابيهم[1] مطبقون على عداوة أهل هذا الدين و كان كثيرا ما يأمرهم بالصبر على أذاهم اشتد تشوّف[2] النفوس إلى أنه هل بعد هذا الكف من فعل، فأشار إلى أنه سيأمر[3] بعد الصبر على أذى اللسان بالصبر على جلاد السيف و السنان أمرا عاما فقال عاطفا[4] هذا النهى على الأمر بالصبر، أى اصبروا [الآن على هذا الأذى ثم اصبروا –[5]] إذا أمرتكم بالجهاد على وقع السيوف و اقتحام الحتوف و فقد من يقتل منكم[6] و لا تصفوهم بالموت، و لعله فاجاءهم[7] بما تضمنته هذه الآية توطينا لهم على القتل فى سبيله و كان استشرافهم إلى الحرب قد كثر و بشرهم[8] بأن القتيل فيه حى[9] و إن رئى ميتا تسلية لهم عن هذا الحادث العظيم و الخطب[10] الجسيم[11] .

و لما كان من شأن الطين الذى منه البشر و ما تولد منه أنه لا يخلص عن الشوائب إلا بعد معاناة شديدة، ألا ترى أن الذهب أصفاه و هو لا يخلو عن الغش و لا يعرى عما خالطه من الدنس إلا بالامتحان بشديد

(١–١) من م و مد و ظ، و وقع فى الأصل: وتنبههم وكسابهم – كذا مصحفا (٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: تشوق (٣) من م و ظ و مد، و فى الأصل: ساير – كذا (٤) زيد فى م و ظ: على (٥) زيد من م و ظ (٦) فى م: منهم (٧) فى م: فاجابهم (٨) من م و ظ و مد، و فى الأصل: يسرهم. (٩) ليس فى م (١٠) من ظ، و فى الأصل: الحطب، و فى م و مد: خطب. (١١) و فى هذه الآية تسلية لأقرباء الشهداء و إخوانهم من المؤمنين بذكر أنهم أحياء فهم مغبوطون لا محزون عليهم – البحر المحيط ١/٤٤٩.

النيران ؛ قال تعالى معلما لهم بالتربية مما تحصل به التصفية بما تؤدى[١] إليه مناصبة الكفار و مقارعة / أهل دار البوار : ﴿ و لنبلونكم ﴾ عطفا ٤/ على ما أرشد إليه التقدير من نحو قوله : فلنأمرنكم بمقارعة كل[٢] من أمرناكم[٢] من قبل بمجاملته[٣] و ليتمالأن عليكم أهل الأرض و لنبلونكم[٤] أى يصيبكم[٥] بأشياء[٦] إصابة تشبه[٧] فعل المختبر لأحوالكم ليظهر الصابر من الجزع[٨] . قال الحرالى[٩] : فالصبر الأول أى فى " ان الله مع الصبرين " عن الكسل و على العمل ، و الصبر الثانى أى فى " و بشر الصبرين " على مصائب الدنيا ، فلذلك انتظم بهذه الآيات آية " و لنبلونكم " عطفا و تجاوزا لأمور يؤخذ بها من[١٠] لم يجاهد[١٠] فى سبيل الله ضعفا عن صبر النفس عن كره القتال " يايها الذين امنوا كتب عليكم القتال و هو كره لكم[١١] " فمن لم يحمل الصبر الأول على الجهاد أخذ بأمور هى بلايا

(١) فى ظ : يؤدى (٢-٢) فى ظ : من اتاكم (٣) فى م : بمحاملته (٤) العبارة من هنا إلى « الجزع » ليست فى ظ (٥) فى م و مد : نصيبكم (٦) من م و مد ، و فى الأصل : باسنا (٧) من م و مد ، و فى الأصل : فشبه (٨) زيد فى م و ظ و مد « و » (٩) قال أبو حيان الأندلسى (١/ ٤٥٠) : و هذه الآية لها تعلق بقوله « و استعينوا بالصبر و الصلوة - الآية » و قبلها « و اشكروا لى » و الشكر يوجب زيادة النعم و الابتلاء بما ذكر ينافيه ظاهرا ، و توجيهه أن إتمام الشرائع إتمام للنعمة و ذلك يوجب الشكر ، و القيام بتلك الشرائع لا يمكن إلا بتحمل المشاق فأمر فيها بالصبر ، و أنه أنعم أولا فشكر و ابتلى ثانيا فصبر ، لينال درجتى الشكر و الصبر فيكمل إيمانه ، كما روى عنه عليه السلام : الإيمان نصفان : نصف صبر و نصف شكر (١٠-١٠) فى ظ . لم يكن يجاهد (١١) سورة ٢ آية ٢١٦ .

فى باطنه تجاوزها الخطاب فانعطف عليها "ولنبلونكم" ﴿ بشىء من الخوف ﴾ وهو حذر النفس من أمور ظاهرة تضرها ﴿ والجوع ﴾ وهو غلبة الحاجة إلى الغذاء على[1] النفس حتى تترامى لأجله فيما لا تتأمل عاقبته، فاذا كان على غير غلبة مع حاجة فهو الغرث[2]، فلذلك فى الجوع بلاء مّا والغرث[3] عادة جارية. وقال أيضا: الجوع فراغ الجسم عما به قوامه كفراغ النفس عن الأمنة التى لها قوام مّا، فأفقدها القوامين فى ذات نفسها بالخوف وفى بدنها بالجوع لما لم تصبر على كره الجهاد، وقد كان ذلك لأهل الصبر عليه أهون من الصبر على الخوف والجوع، وإنما كان أول نائلهم من هذا الابتلاء[4] الخوف حيث خافوا الأعداء على أنفسهم فجاءهم إلى مواطنهم، من لم يمش إلى طبيبه ليستريح جاء الطبيب لهلاكه، وشتان بين خوف الغازى للعدو فى عقره وبين خوف المحصر[5] فى أهله، وكذلك[6] شتان بين أرزاق المجاهد وتزويده[7] وخير الزاد التقوى فى سبيله لجهاده وبين جوع المتخلف فى عيلته - انتهى[8]. [9]ونكر الشىء وما بعده حثا على الشكر بالإشارة إلى أن كل

(١) فى م: عن (٢) من مد وظ، وفى الأصل: الفرث، وفى م: العرث.
(٣) من م وظ ومد، وفى الأصل: الفرث (٤) فى ظ: للابتلا (٥) من م وظ ومد، وفى الأصل: الحصر (٦) زيد فى الأصل: عيلته، ولم تكن الزيادة فى م ومد وظ فحذفناها (٧) من م ومد وظ، وفى الأصل: تزيده.
(٨) وفى البحر المحيط ١/٤٥٠: وجاء هذا الترتيب فى العطف على سبيل الترقى فأخبر أولا بالابتلاء بشىء من الخوف وهو توقع ما يرد من المكروه، ثم انتقل منه إلى الابتلاء بشىء من الجوع وهو أشد من الخوف بأى تفسير فسر به من =

ما أصاب منها فى قدرة الله ما هو أعظم منه ، فعدم الإصابة به نعمة .

و لما كان الجوع قد يكون عن رياضة بين أنه عن حاجة بقوله: ﴿و نقص﴾ و هو التقاصر عن الكفاف ﴿من الاموال﴾ أى النعم التى كانت منها أغذيتهم . قال الحرالى: لأن ذلك عرف استعمالهم فى لفظ المال، و قال أيضا: [و المال -[١]] ما هو للتمول بمنزلة الجزء[٢] منه عنده لماله لذلك منه ، فضاعف تعالى مشال[٣] البلاء فى ذوات أنفسهم و أبدانهم ليقطع عنهم راحة تطلع الكفاية من الأموال فى مقابلة ما ينال المجاهد من الغنـاء و الرزق ، فالمجاهد آمن فى جيشه متزود فى رحله غانم من عدوه، و المتخلف خائف فى أهله جائع فى عيلته ناقص المال من ذات يده - انتهى .

و لما كان ذلك قد يكون عن إفراط فى الكثرة قال: ﴿و الانفس﴾[٤] قال الحرالى: فيه إشعار بأن من جاهد كثر عدده[٥] و نما ولده ، و أن من تكاسل قل عدده و درج خلفه ، و فى ضمنه إشعار بمنال[٦] المتكاسل[٧]

= القحط أو الفقر أو الحاجة إلى الأكل ...... فبدأ أولا بالأموال ثم ترق إلى الأنفس؛ و أما ﴿و الثمرٰت﴾ فجاء كالتخصيص بعد التعميم لأنها تندرج تحت الأموال فلا ترق فيها (٩) العبارة من هنا إلى « به نعمة » ليست فى ظ .

(١) زيد من م و ظ و مد (٢) فى ظ فقط : الجزاء (٣) فى م فقط : منال ـ كذا.

(٤) قال أبو حيان الأندلسى : ﴿ و الأنفس ﴾ بالقتل و الموت ، و قال الشافعى : بالأمراض ، و قيل بالشيب (٥) فى م : عدوه ـ كذا (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بمثال (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : التكاسل .

حواصد[1] من جوارف الآجال[2] من الوباء و الطاعون و غيره - انتهى . و قال: ﴿ و الثمرٰت ﴾[3] التى هى أنفس الأشجار التى بها قوام أنفس الأبدان تخصيصا لها بالذكر ، لأنها أعظم أموال الأنصار الذين هم من[4] أخص الناس بهذا الذكر لا سيما فى وقت نزول هذه الآيات و هو أول زمان الهجرة .

و لما كان السياق مرشدا إلى أن التقدير: فأنذر من لم يصبر ، و لكنه طوى إشارة إلى إجلال الذين آمنوا عن أن يكون فيهم من لم يصبر عطف عليه إرشادا إليه و حثا على الصبر ثم الذكر الموجبين للنصر قوله: ﴿ و بشر الصٰبرين ه ﴾ و قال الحرالى: و لما كان هذا البلاء عن تكاسل من الصبر الأول كما قال تعالى " ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم[5] " و كان مما[6] يتداركه صبر عليه تدارك تعالى هذه الرتبة ببشرى[7] الصابرين من هلكة ما ينال من لم يصبر على هذه المصيبة

(١) فى ظ : حواسد (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل: الرجال (٣) و فى البحر المحيط ١ / ٤٥٠ ﴿و الثمرٰت﴾ يعنى الجوائح فى الثمرات و قلة النبات و انقطاع البركات ، و قال القفال: قد يكون نقصها بالجدوب ، و قد يكون بترك عمارة الضياع للاشتغال بالجهاد ، و قد يكون بالإنفاق على من يرد من الوفود على رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و قيل بظهور العدو عليهم ، و قال الشافعى : ﴿و الثمرٰت﴾ موت الأولاد ، لأن ولد الرجل ثمرة قلبه (٤) ليس فى ظ . (٥) سورة ١٣ آية ١١ (٦) من م و ظ و مد . وفى الأصل : هما (٧) من م و مد و ظ . و فى الأصل : ببشرى - كذا .

وضجر منها وتسخط فيها[١]، فكان للصابر الأول الصحبة بقوله: "ان الله مع الصٰبرين".

ولما[٢] كان للصابر الثانى البشرى[٣] بالسلامة من عقوبة الآخرة و[٤] مناالهم لما نولهم[٤] وشتان بين من كان الله معه وبين من قيل لنبيه / بشره بصبره على بلاء التخلف[٥]، و[٦] لما كان للأنفس مدخل فى تحمل الصبر شرفا وحفيظة على الأحساب والرتب الدنيوية خلص تعالى الصابرين له من الصابرين تطبعا وتحاملا فقال: ﴿ الذين اذا اصابتهم ﴾ من الإصابة / ١٤٥

(١) من م وظ ومد، وفى الأصل: فيهما (٢) ليس فى م ومد (٣) من م ومد وظ، وفى الأصل: اليسرى - كذا (٤ - ٤) من م وظ ومد، وفى الأصل: يناالهم لما تولهم (٥) فى م: المتخلف (٦) قال أبو حيان الأندلسى: قالوا: والصبر من خواص الإنسان، لأنه يتعارض فيه العقل والشهوة وهو بدنى، وهو إما فعلى كتعاطى الأعمال الشاقة، وإما احتمالى كالصبر على الضرب الشديد، ونفسى وهو قمع النفس عن مشتهيات الطبع؛ فان كان من شهوة الفرج والبطن سمى عفة، وإن كان من احتمال مكروه اختلفت أساميه باختلاف المكروه، ففى المصيبة يقتصر عليه باسم الصبر ويضاده الجزع، وإن كان فى الغنى سمى ضبط النفس ويضاده البطر، وإن كان فى حرب سمى شجاعة ويضاده الجبن؛ وإن كان فى نائبة مضجرة سمى سعة صدر ويضاد الضجر، وإن كان فى إخفاء كلام سمى كتمانا ويضاده الإعلان، وإن كان فى فضول الدنيا سمى زهدا ويضاده الحرص، وإن كان على يسير من المال سمى قناعة ويضاده الشره؛ وقد جمع الله أقسام ذلك وسمى جميعها صبرا فقال: "والصٰبرين فى الباساء" أى المصيبة "والضراء" أى الفقر "وحين الباس" أى المحاربة - البحر المحيط ١/٤٥١.

و هو[1] وقوع المسدد على [2]حد ما سدد[2] له من موافق لغرض النفس أو مخالف لها ﴿ مصيبة ﴾ خصيصة[3] عرف الاستعمال بما لا يوافق تكرها لخصوص ذكره - انتهى . [4]و المراد [أيّ - [5]] مصيبة كانت و لو قلّت و ضعفت بما أفهمه تأنيثه[6] الفعل ﴿ قالوا انا لله ﴾ أى [7]الملك المحيط بكل شيء[7] إسلاما بأنفسهم لربهم [8]فهو يفعل بنا من هذه المصيبة و غيرها ما يريد فهو المسؤل [فى - [9]] أن يكون ذلك أصلح لنا .

و لما كان التقدير بيانا لكونهم لله تقريرا للاستسلام[10] به: نحن مبتدئون ، عطف عليه ﴿ و انا اليه ﴾ [7]أى لا إلى غيره[7] ﴿ رٰجعون ﴾ [11]

---

(١) فى م وظ ومد: و هى (٢-٢) من م وظ و مد، و فى الأصل: حدم و اسدد.
(٣) فى مد: خصيصه ، و فى م و ظ : خصصه (٤) العبارة من هنا إلى « الفعل » ليست فى ظ (٥) زيد من م و مد (٦) كذا فى الأصل و مد ، و فى م : تانيث.
(٧-٧) ليست فى ظ (٨) العبارة من هنا إلى « عطف عليه » ليست فى ظ .
(٩) زيد من م و مد (١٠) من م و مد ، و فى الأصل : للاستلام (١١) و فى البحر المحيط ١ / ٤٥١ : إقرار بالبعث و تنبيه على مصيبة الموت التى هى أعظم المصائب و تذكير أن ما أصاب الإنسان دونها فهو قريب ينبغى أن يصبر له. . .
و فى المنتخب ما ملخصه : إن إسناد الإصابة إلى المصيبة لا إلى الله تعالى ليعم ما كان من الله و ما كان من غيره ، فما كان من الله فهو داخل تحت قوله ﴿ انا لله ﴾ لأن فى الإقرار بالعبودية تفويضا للأمور إليه ، و ما كان من غيره فتكليفه أن يرجع إلى الله فى الإنصاف منه و لا يتعدى كأنه فى الأول : انا لله يدبر كيف يشاء ، و فى الثانى : إنا اليه ينتصف لنا كيف يشاء .

معنى

[1] معنى فى أن جميع أمورنا لا يكون شيء منها إلا به و حسابا لبعث و ظهور ذلك بعده ظهورا تاما . قال الحرالى[1] : لتكون[2] ذلك غاية فى إسلام ثمراتهم و أموالهم و ما نقصوا من أنفسهم ، فحين لم يجاهدوا فى سبيل الله فأصابتهم المصائب كان تلافيهم أن يسلموا أمرهم لله و يذكروا مرجعهم إليه و يشعروا أن ما أخذ من أنفسهم و ما معها ذخيرة[3] عنده ، فيكون ذلك شاهد إيمانهم و رجائهم للقائهم فتقع[4] مجاهدتهم لأنفسهم فى ذلك بموقع جهادهم فى سبيل الله الذى فاتهم و جعلها[5] جامعة مطلقة لكل من أصابته مصيبة فاسترجع بها ثبت أجره بما أصيب و تلافاه الله بالاهتـــدا إلى ما تقاصر عنه قبل ذلك قال: ﴿ اولئك ﴾ خطابا لنبيه و استحضارا لهم بمحل بعد عن قربه و غيبة عن إقباله عليهم . قال: ﴿ عليهم صلوٰت ﴾ صلاة الله على عبـاده هى إقباله عليهم بعطفـــه[6] إخراجا لهم من حال ظلمة إلى رفعة نور ، قال: " هو الذى يصلى عليكم و ملٰئكته ليخرجكم من الظلٰمت إلى النور[7] " فبصلاتهم[8] عليهم إخراجهم[9] من جهات ما أوقعهم فى وجوه تلك الابتلاءات ، فلذلك كان ذلك[10] صلوات بالجمع[11] و لم يكن صلاة ليعـــدد ما أصابهم منه عدد تلك الابتلاءات . و فى قوله تعالى ﴿ من ربهم ﴾ إشعار بتدريجهم فى ذلك

(١-١) ليست فى ظ (٢) فى م و ظ و مد: ليكون (٣) فى م : و خيره ، و فى ظ : و خيرة ـ كذا (٤) من م و مد ، و فى الأصل : فنقطع ، و فى ظ : فيقع (٥) زيد فى م و ظ و مد : تعالى (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بعطف . (٧) سورة ٣٣ آية ٤٣ (٨) فى م و ظ و مد : بصلواته (٩) فى م و ظ : اخرجهم . (١٠) ليس فى ظ (١١) فى ظ : الجمع .

بحكم تربية و تدارك الأحوال[1] ما أصابهم، قال تعالى: ﴿ و رحمة ﴾[2] إفرادا لمنالها لهم بعد متقدم الصلوات عليهم، فنالتهم الرحمة جمعا حين أخرجتهم الصلوات أفرادا[3]. قال تعالى: ﴿ و اولـٰئك ﴾ إشارة إلى الذين[4] نالتهم الصلوات و الرحمة فأبقاهم[5] مع ذلك فى محل بعد فى الحضرة وغيبة فى الخطاب ﴿ هم المهتدون ۝ ﴾ فجاء بلفظ "هم" إشعارا بصلاح بواطنهم عما جره[6] الابتلاء من أنفسهم - انتهى[7]. و الذى يلوح

---

(١) زيد فى مد: على (٢) و الرحمة قيل: هى الصلوات، كررت تأكيدا لما اختلف اللفظ كقوله: " رأفة و رحمة " و قيل: الرحمة كشف الكربة و قضاء الحاجة، و قال عمر: نعم العدلان و نعم العلاوة! و تلا " الذين اذا اصابتهم - الآية " يعنى بالعدلين الصلوات و الرحمة و بالعلاوة الاهتداء. و فى قوله: " اولـٰئك " اسم الإشارة الموضوع للبعد دلالة على بعد هذه الرتبة، كما جاء " اولئك على هدى من ربهم " و الكناية عن حصول الغفران و الثناء بقوله: " عليهم صلوٰت " بحرف «على» إشارة إلى أنهم منغمسون فى ذلك قد غشيتهم و تجللتهم، و هو أبلغ من قوله «لهم» (٣) من م و مد وظ، و فى الأصل: افراد (٤) فى الأصل: اللذين (٥) من م و مد وظ، و فى الاصل: فاتفاهم - كذا (٦) من مد و ظ، و فى م: جرت، و فى الأصل: خيره (٧) قال أبو حيان الأندلسى: ﴿ هم المهتدون ﴾ إخبار من الله عنهم بالهداية، و من أخبر الله عنه بالهداية فلن يضل أبدا، و هذه جملة ثابتة تدل على الاعتناء بأمر المخبر عنه إذ كل وصف له يبرز فى جملة مستقلة. و بدئ بالجملة الأولى لأنها أهم فى حصول الثواب المترتب على الوصف الذى قبله، و أخرت هذه لأنها تنزلت مما قبلها منزلة العلة، لأن ذلك القول المترتب عليه ذلك الجزاء الجزيل لا يصدر إلا عمن سبقت هدايته، و أكد بقوله "هم" و بالألف و اللام كأن الهداية =

لى[1] أن أداة البعد فى "اولئك" إشارة إلى علو مقامهم و عز مرامهم ، و لذا عبر عن هدايتهم بالجملة الاسمية على وجه يفهم الحصر ؛ و الصلاة الإنعام بما يقتضى التشريف ، و الرحمة الإنعام بما يقتضى العطف و التحنّن - و الله سبحانه و تعالى الموفق ؛ و فى ذلك إشارة إلى الأمر بالإعراض عن أهل الكتاب فيما يطعنون عليهم به بألسنتهم و الإملاء لهم إلى حين الإذن فى مطاعنتهم بالرماح و مصالتتهم[2] ببيض الصفاح ، كما فى الآية الأخرى "لتبلون فى اموالكم و انفسكم - إلى آخرها[3]" و يمكن[4] أن يراد [5]بالخوف الجهاد[5] ، و بالجوع الصوم ، و بنقص الأموال زكاة الصامت من المال ، و بالأنفس زكاة الحيوان ، و بالثمرات زكاتها ؛ لكن الأنسب لافتتاح الآية و اختتامها ، ما تقدمها و تلاها أن تكون مقصورة[6] على الجهاد .

و لما فرغ مما[7] أراد من أحوال الطاعنين فى القبلة التى هى قيام للناس و ما استتبع ذلك مما[7] يضطر إليه فى إقامة الدين من جدالهم و جلادهم و ختم ذلك بالهدى شرع فى ذكر ما كان البيت به قياما

= انحصرت فيهم ؛ و باسم الفاعل ليدل على الثبوت ، لأن الهداية ليست من الأفعال المتجددة وقتا بعد وقت فيخبر عنها بالفعل هل هى وصف ثابت .

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : إلى (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مصالتهم (٣) سورة ٣ آية ١٨٦ (٤) فى م : يحتمل (٥ - ٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بالخرف بالجهاد (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : مقصودة . (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ما .

للناس من المشاعر القائدة إلى كل خير الحامية عن[1] كل ضير[2] التى جعلت مواقفها أعلاما على الساعة[1] لا سيما و الحج أخو الجهاد فى المشقة و النزوح[3] عن الوطن و قد سماه النبى صلى الله عليه و سلم أحد الجهادين مع أنه من أعظم مقاصد البيت المذكورة[1] فى هذه الآيات مناقبه المتلوة مآثره[4] المنصوبة شعائره التى هى فى الحقيقة دعائمه من
الاعتكاف / و الصلاة و الطواف [المشار - [5]] إلى حجه[6] و اعتماره ١٤٦ /
بقوله: "مثابة للناس و امنا[7]" فأفصح به بعد تلك الإشارة بعض الإفصاح إذ[8] كان لم يبق من مفاخره[9] العظمى غيره و ضم إليه العمرة الحج الأصغر لمشاركتها له فى إظهار فخاره و إعلاء مناره فقال: ﴿ ان الصفا و المروة[10] ﴾ فهو كالتعليل لاستحقاق البيت لأن يكون

---

(١) زيد فى الأصل و مد و ظ «و» و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : خير (٣) من م ، و فى الأصل : النزوج ، و فى ظ : التروح ، و فى مد: الزوج - كذا (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مآثره . (٥) زيد من م و مد و ظ (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حجة . (٧) سورة ٢ آية ١٢٥ (٨) فى م : اذا (٩) من مد و ظ ، و فى الأصل : مفاخرة . (١٠) قال أبو حيان الأندلسى (و مناسبة هذه الآية لما قبلها) أن الله تعالى لما أثنى على الصابرين و كان الحج من الأعمال الشاقة المفنية للمال و البدن و كان أحد أركان الإسلام ناسب ذكره بعد ذلك . و قال : الصفا ألفه منقلبة عن واو لقولهم صفوان ، و لاشتقاقه من الصفو وهو الخالص ...... المروة واحدة المرو و هو اسم جنس و قالوا: مروان فى جمع مروة ..... و هى الحجارة الصغار التى فيها لين ، و الصفا و المروة فى الآية علمان لجبلين معروفين ...... و قد =

قبلة، و عرفهما لأنهما جبلان مخصوصان معهودان تجاه الكعبة[1]، اسم الصفا من الصفوة و هو ما يخلص من الكدر، و اسم المروة من المرو و هو ما تحدد من الحجارة - قاله الحرالى. و خصهما هنا بالذكر إشارة إلى أن بركة الإقبال عليهما على ما شرع الله سبحانه و تعالى مفيدة لحياة القلوب بما أنزل على هذا الرسول صلى الله عليه و سلم من الكتاب و الحكمة الباقيين إلى آخر الدهر شفاء للقلوب و زكاة للنفوس زيادة للنعمة بصفة الشكر و تعليما بصفة العلم كما كان الإقبال على السعى[2] بينهما تسليما لأمر الله مفيدا لحياة أبيه[3] إسماعيل عليه الصلاة و السلام و نفع من بعده بما أنبع له من ماء زمزم الباقى إلى قيام الساعة طعام طعم و شفاء سقم؛ و فى ذلك مع تقديم الصفا إشارة للبصراء[4] من أرباب القلوب إلى أن الصابر لله المبشر فيما قبلها ينبغى أن يكون قلبه[5] جامعا بين الصلابة و الصفا، فيكون بصلابته الحجرية مانعا من القواطع الشيطانية، و برقته الزجاجية[6] جامعا للوامع[7] الرحمانية، بعيدا عن القلب المائى بصلابته، و عن الحجرى[8] بصفائه و استنارته. و من أعظم المناسبات أيضا كون

= نقلوا أن قوما قالوا: ذكر الصفا لأن آدم وقف عليه، و أنثت المروة لأن حواء وقفت عليها - البحر المحيط ١/ ٤٥٤ و ٤٥٦.

(١) زيد فى ظ: المشرفة (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: السعر (٣) من م و ظ و مد، وفى الأصل: ابنه (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: للصبرا.

(٥) ليس فى مد (٦) فى الأصل: الدجاجية، و التصحيح من م و مد و ظ.

(٧) فى الأصل: للواضع، و التصحيح من م و ظ و مد (٨) فى الاصل: الحى، و التصحيح من م و مد و ظ.

سبيل الحج إذ ذاك كان ممنوعا بأهل الحرب، فكأنها علة لما قبلها و كأنه قيل: و لنبلونكم بما ذكر لأن الحج من أعظم شعائر هذا البيت الذى أمرتم باستقباله و هو مما[1] يفرض عليكم و سبيله ممنوع بمن تعلمون، فلنبلونكم بقتالهم لزوال[2] مانع الحج و قتال غيرهم من أهل الكتاب و غيرهم لإتمام النعمة بتمام الدين و ظهوره على كل دين. و من أحسنها أيضا أنه تعالى لما ذكر البلايا بنقص[3] الأموال بسبب الذنوب "و ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم[4]" اتبعها الدواء الجابر لذلك النقص دينا و دنيا، فان الحج و العمرة ينفيان الفقر و الذنوب كما ينفى الكير خبث الذهب و الفضة - رواه الإمام أحمد و الترمذى و النسائى و ابن خزيمة و ابن حبان فى[5] صحيحيهما[6] عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم و روى أيضا عن عدة من الصحابة رضى الله تعالى عنهم كما بينته فى كتابى الاطلاع على حجة الوداع. و قال الحرالى: لما تقدم ذكر جامعة من أمر الحج فى قوله سبحانه و تعالى "و لاتم نعمتى عليكم[7]" من حيث أن النعمة المضافة[8] إليه أحق بنعمة الدين و فى ضمنها نعمة الدنيا التى لم يتهيأ الحج إلا بها من الفتح و النصر و الاستيلاء على كافة العرب كما قال تعالى فيما أنزل يوم تمام الحج الذى

---

(١) فى ظ: ما (٢) فى الأصل: ان قال، و التصحيح من م و مد و ظ.
(٣) من م و ظ، و فى الأصل: ينقص، و مد: بمعض - كذا (٤) سورة ٤٢ آية ٣٠ (٥) ليس فى ظ (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: صحيحها.
(٧) سورة ٢ آية ١٥٠ (٨) من م و ظ و مد، و فى الأصل: المضاف.

هو يوم عرفة "اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتي[١]" و ذلك بما أتم الله سبحانه و تعالى عليهم من نعمة تمام معالم الدين و تأسيس الفتح بفتح أم القرى التي في فتحها فتح جميع الأرض لأنها قيام الناس نظم تعالى بما تلاه من الخطاب تفصيلا من تفاصيل أمر الحج انتظم بأمر الذين[٢] آمنوا من حيث ما في سبب إنزاله من التحرج للذين أعلموا برفع الجناح عنهم وهم طائفة من الأنصار كانوا يهلون[٣] لمناة و كانت مناة حذو قديد فتحرجوا[٤] من التطوف بين الصفا [٥]و المروة[٥]، و طائفة أيضا خافوا أن يلحقهم في الإسلام [٦]بعملهم نحو ما كانوا يعملونه[٧] في الجاهلية نقص في عمل الإسلام، فأعلمهم الله سبحانه و تعالى أن ذلك موضوع عنهم لمختلف نياتهم فان الأعمال بالنيات، فما نوى لله كان لله و لم يُبل فيه بموافقة ما كان من عاداتهم في الجاهلية؛ و في فقهه صحة السجود لله سبحانه و تعالى لمن أكره على [٨]السجود للصنم[٨]، و في طي ذلك صحة التعبد لله بكلمة الكفر لمن أكره عليها، أذن[٩] صلى الله عليه و سلم

(١) سورة ٥ آية ٣ (٢) في ظ: الدين (٣) من م و ظ، و في الأصل: يملون.
(٤) و في البحر المحيط ١/٤٥٦: سبب النزول أن الأنصار كانو ايحجون لمناة وكانت مناة خزفا وحديدا وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا و المروة فلما جاء الإسلام سألوا فأنزلت وخرج هذا السبب في الصحيحين وغيرهما، و قد ذكر في التحرج عن الطواف بينهما أقوال (٥-٥) ليس في م (٦) العبارة من هنا إلى «الاسلام» ليست في م (٧) من م ومد، وفي الأصل وظ: بعلمهم ... يعلمونه (٨-٨) من م و مد وظ، وفي الأصل: للسجود على الصنم (٩) زيد في م: رسول الله.

غير مرة في أن يقول فيه[1] قائل ما يوافق الكفار بحسن نية القائل في ذلك و لقضاء حاجة له من حوائج دنياه عند الكفار . فظهر بذلك كونه صلى الله عليه و سلم رحمة للعالمين ، يقبل الضمائر و لا يبالي / بالظواهر في ١٤٧ / أحوال الضرائر[2] ؛ فرفع الله سبحانه و تعالى عنهم الجناح بحسن نياتهم و إخلاصهم لله سبحانه و تعالى عملهم ، فبهذا النحو[3] من[4] التقاصر في هذه الرتبة انتظم افتتاح هذا الخطاب بما قبله من أحوال الذين آمنوا من المبتلين بما ذكر - انتهى . ﴿ من شعائر الله ﴾[5] أي أعلام دين الملك[6] الأعلى الذي دان كل شيء لجلاله[7] . و قال الحرالي : و هي[8] أي الشعائر[8] ما أحست[9] به القلوب من حقه ، و قال : و الشعيرة ما شعرت به القلوب من أمور باطنة " ذلك و من يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب *[10] " و إنما ذكرها تعالى بالشعائر و علمها معلم [من -[11]] معالم الإسلام

(١) ليس في ظ (٢) في مد : ظواهر (٣) في م : النجوم ـ كذا (٤) ليس في م .
(٥) العبارة من هنا إلى «الحرالي» ليست في ظ (٦) في مد : الله (٧) قال أبو حيان الأندلسي : الشعائر جمع شعيرة أو شعارة ، قال الهروي : سمعت الأزهري يقول : هي العلائم التي ندب الله إليها و أمر القيام بها ، و قال الزجاج : كل ما كان من موقف و مشهد و مسعى و مذبح و قد تقدمت لنا هذه المادة ـ أعني مادة شعر أي أدرك وعلم ـ و تقول العرب : بيننا شعار ، أي علامة ، و منه إشعار الهدى ـ البحر المحيط ١/٤٥٤ . و قال في ص ٤٥٦ : و ليس الجبلان لذاتهما من شعائر الله بل ذلك على حذف مضاف أي أن طواف الصفا و المروة ، و معنى من شعائر الله معالمه (٨-٨) ليس في ظ (٩) في مد : حست (١٠) سورة ٢٢ آية ٣٢ .
(١١) زيد من م و ظ و مد .

و حرمة من حرم الله لما[1] كان حكم فى أمر القلوب التى كان فى ضمائرها تحرجهم فمن حيث ذكرها بالشعيرة صححها الإخلاص و النية ﴿ فمن حج ﴾ من الحج و هو تَرْداد[2] القصد[3] إلى ما يراد خيره و بره . [4]و قال الأصفهانى[5] : أصله زيادة شيء تعظمه – انتهى . ﴿ البيت ﴾ [6]ذكر البيت[6] فى الحج و المسجد الحرام فى التوجه لانتهاء الطواف إلى البيت و اتساع المصلى من حد المقام إلى ما وراءه لكون الطائف منتهيا إلى البيت و كون المصلى قائما بمحل أدب يؤخره عن منتهى الطائف مداناة البيت ؛ و ذكره تعالى بكلمة "مَن" المطلقة[7] المستغرقة لأولى[8] العقل تنكبا بالخطاب عن خصوص المتحرجين[9] ، فى إطلاقه إشعار بأن الحج لا يمنعه شيء مما يعرض فى مواطنه من مكروه الدين لاشتغال الحاج بما هو فيه عما سواه ، فـفى خفى فقهه إعراض الحاج عن مناكر تلك المواطن التى تعرض فيها بحسب الأزمان و الأعصار ؛ و يؤكد ذلك أن الحج آية[10] الحشر و أهل الحشر "لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه *[11]" فكذلك

---

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : كما . و فى البحر المحيط ١/٤٥٦ : و لما كان الطواف بينهما ليس عبادة مستقلة ، إنما يكون عبادة إذا كان بعض حج أو عمرة بين تعالى ذلك بقوله (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ترداد – كذا (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : القصر (٤) العبارة من هنا إلى « انتهى » ليست فى ظ (٥) فى مد : الأصبهانى (٦–٦) ليس فى ظ (٧) زيد فى م و مد : اى (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : لاول – كذا (٩) من م و مد ، و فى الأصل : المتبخرحين ، و فى ظ بلا نقط (١٠) فى الأصل : انه ، و التصحيح من بقية الأصول (١١) سورة ٨٠ آية ٣٧ .

حكم ما هو آيته[1]؛ وحج البيت إتيانه في خاتمة السنة من الشهور الذي هو شهر ذي الحجة أنه ختم العمر، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم حيث ختم الله سبحانه وتعالى عمره بعمل الحج؛ قال سبحانه وتعالى ﴿ او اعتمر ﴾ فذكر العمرة مع الحج لما كان الطواف[2] بين الصفا والمروة من شعائر العملين ﴿ فلا جناح ﴾[3] وهو المؤاخذة على الجنوح، والجنوح الميل عن جادة القصد - انتهى[3] ﴿ عليه ان يطوف[4] ﴾ [5]أي يدور بهمة وتعمد ونشاط[5] ﴿ بهما ﴾ [5]باديا بما بدأ الله . قال الحرالي[5]: رفع[6] الجناح عن الفعل حكم يشترك فيه الجائز والواجب والفرض والمباح حتى يصح أن يقال: لا جناح عليك أن تصلي الظهر، كما يقال: لا جناح عليك أن تطعم إذا جعت؛ وإنما يشعر بالجواز والتخيير نفي[7] الجناح عن الترك لا عن الفعل، كما قال عليه الصلاة والسلام للذين سألوه عن العزل: لا جناح عليكم أن لا تفعلوا، أي أن لا تُنزلوا، لأن الفعل كناية عن الثبوت لا عن الترك الذي هو معنى العزل، وهو الذي قررته عائشة رضي الله تعالى عنها [8]لما قال[8] عروة:

(١) من م ومد، وفي الأصل: اتية، وفي ظ: آتيه (٢) في ظ ومد: التطوف.
(٣-٣) ليست في م، وفي البحر المحيط ١/٤٥٤: الجناح الميل إلى المأثم ثم أطلق على الإثم، يقال: جنح إلى كذا جنوحا: مال، ومنه: جنح الليل: ميله بظلمته، وجناح الطائر (٤) من م ومد وظ، وفي الأصل فقط: تطوف (٥-٥) ليست في ظ (٦) من ظ ومد وم، وفي الأصل: دفع (٧) هكذا في الأصل وظ ومد، وفي م: نفي (٨-٨) ليس في م، وزيد في ظ بعده: لها.

ما أرى على أحد شيئا أن لا يطوف بهما ، فقالت : لو كان كما[١] تقول كان : فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما - الحديث . قلت : و لعل التعبير بالنفى إنما اختير ليدل على نفى ما توهموه بالمطابقة[٢] ، و تقع الدلالة على الوجوب[٣] بافهام الجزاء لأن من حج[٤] أو اعتمر و لم يتطوف بهما كان عليه حرج ، و بالسنة التى بينته[٥] من قوله صلى الله عليه و سلم : اسعوا فان الله قد كتب عليكم السعى ، و من فعله صلى الله عليه و سلم مع قوله : خذوا عنى مناسككم ، و من عدهما من الشعائر و نحو ذلك . قال الحرالى : و ما روى من قراءة من قرأ "ان لا يطوف بهما" [٦]فليست "لا"[٦] نافية على حد ما نفت معناه عائشة رضى الله تعالى عنها و إنما هى مؤكدة للاثبات بمنزلة : "ما منعك الا تسجد[٧]" و "لئلا يعلم اهل الكتب[٨]" لأن من[٩] تمام المبهم استعماله فى المتقابلين من النفى و الإثبات كاستعماله فى وجوه من التقابل كما تستعمل « ما » فى النفى و الإثبات ، و كذلك جاءت « لا » فى لسان العرب بمنزلتها فى الاستعمال و إن كان دون ذلك فى الشهرة ، فوارد[١٠] القرآن معتبر بأعلى رتبة لغة العرب و أفصحها ، لا يصل إلى تصحيح عربيته من اقتصر من النحو و الأدب على ما دون

(١) من م و ظ و مد، و فى الأصل : لما (٢) فى الأصل : بالطائفة ، و التصحيح من م و ظ و مد (٣) العبارة من هنا إلى « حرج و » ليست فى ظ (٤) زيد فى م : البيت (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ينبيه (٦ ـ ٦) فى الأصل : فليت ما ، و التصحيح من م و ظ و مد (٧) فى الأصل : لا تنجد ـ كذا ، و التصحيح من م و مد و ظ ـ راجع القرآن الكريم سورة ٧ آية ١٢ . (٨) سورة ٥٧ آية ٢٩ (٩) ليس فى م (١٠) فى ظ فقط : موارد ـ كذا .

١٤٨ / الغاية / لعلوه فى رتبة العربية " انا جعلنه قرءٰنا عربيا لعلكم تعقلون ه ١ " انتهى . و الذين قرؤا٢ بزيادة « لا ٣ » علىّ و ابن عباس - بخلاف عنه - و أبي بن كعب و ابن مسعود و أنس بن مالك رضى الله تعالى عنهم و سعيد ابن جبير و محمد بن سيرين [و ميمون بن مهران ، كما نقل ذلك الإمام أبو الفتح عثمان بن جنى فى كتابه المحتسب فى توجيه القراآت - ٤] الشواذ ؛ و معنى قول عائشة رضى الله تعالى عنها لكان أن لا يطوف خاصة ، و لم ترد قراءة بالإثبات ؛ و أما مع قراءة الإثبات فان المعنى يرشد إلى أن قراءة النفى مثلها ٥ ، لأن كونهما من الشعائر يقتضى التطوف بهما لا إهمالهما ٦ - و الله سبحانه و تعالى أعلم . قال الحرالى : و ذكره

---

(١) سورة ٤٣ آية ٣ (٢) قال أبو حيان الأندلسى : وقرأ أنس وابن عباس و ابن سيرين و شهر " ان لا " و كذلك هى فى مصحف أبى وعبد الله و خرج ذلك على زيادة « لا » نحو " ما منعك الا تسجد " و قوله :

و ما ألوم البيض أن لا تسخرا إذا رأين الشمط القفندرا

فتتحد معنى القراءتين و لا يلزم ذلك لأن رفع الجناح فى فعل الشيء هو رفع فى تركه إذ هو تخيير بين الفعل و الترك نحو قوله تعالى " فلا جناح عليهما ان يتراجعا " فعلى هذا تكون « لا » على بابها للنفى و تكون قراءة الجمهور فيها رفع الجناح فى فعل الطواف نصا و فى هذه رفع الجناح فى الترك نصا و كلتا القراءتين تدل على التخيير بين الفعل و الترك فليس الطواف بهما واجبا و هو مروى عن ابن عباس و أنس و ابن الزبير و عطاء و مجاهد و أحمد بن حنبل فيما نقل عنه أبو طالب و أنه لا شيء على من تركه عمدا كان أو سهوا و لا ينبغى أن يتركه - البحر المحيط ١/٤٥٦ (٣) ليس فى ظ (٤) زيدت من م و ظ و مد (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مثلها (٦) فى مد : ابقالهما - كذا .

تعالى

تعالى بالتطوف الذى هو تفعّل أى تشبه بالطواف، و مع البيت بالطواف فى قوله تعالى: "ان طهرا بيتى للطائفين[١] " لما كان السعى ترددا فى طول، و المراد الإحاطة بهما، فكان فى المعنى كالطواف لا فى الصورة، فجعله لذلك تطوفا أى تشبها [٢] بالطواف - انتهى .

و لما كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم لم يقصدوا بترك الطواف بينهما إلا الطاعة فأعلموا أن الطواف بينهما طاعة، عبر بما يفيد مدحهم فقال تعالى: ﴿ و من تطوع[٣] ﴾ [٤]قال الحرالى[٤]: أى كلف نفسه معاهدة البر و الخير من غير استدعاء له ﴿خيرا﴾ فيه إعلام بفضيلة النفقة فى الحج و العمرة بالهدى و وجوه المرافق[٥] للرفقاء بما يفهمه لفظ الخير، لأن عرف استعماله فى خير الرزق و النفقة، كما قال تعالى "و انه لحب الخير لشديد[٦] " و" ان ترك خيرا[٧] "؛ و لما كان رفع الجناح تركا عادلها[٨] فى الخطاب باثبات عمل خير ليقع فى الخطاب إثبات [٩]يفيد عملا حين لم[٩] يفد الأول إلا تركا، فمن تحقق بالإيمان أجزل نفقاته فى الوفادة[١٠]

---

(١) سورة ٢ آية ١٢٥ (٢) العبارة من هنا إلى « مدحهم» ليست فى ظ (٣) قال أبو حيان الأندلسى: التطوع ما تترغب به من ذات نفسك مما لا يجب عليك، ألا ترى إلى قوله فى حديث ضمام: هل على غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع، أى تتبرع، هذا هو الظاهر؛ فيكون المراد التبرع بأى فعل طاعة كان وهو قول الحسن أو بالنفل على واجب الطواف - قاله مجاهد؛ البحر المحيط ١/٤٥٨ (٤-٤) ليس فى ظ، و زيد قبله فى مد « اى » (٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الموافق . (٦) سورة ١٠٠ آية ٨ (٧) سورة ٢ آية ١٨٠ (٨) فى ظ: عاد عادلها (٩-٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: ايفيد عمل خير و لم (١٠) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الزفادة - كذا .

على ربه و اختصر فى أغراض نفسه ، [١] و من حرم النصف من دنياه اقتصر فى نفقاته فى ، فادته [٢] على ربه و أجزل نفقاته فى أغراض نفسه و شهوات عياله ، فذلك من أعلام المؤمنين و أعلام الجاهلين ، من وفد على الملك أجزل ما يقدم [٣] بين يديه ، و إنما قدمه بالحقيقة لنفسه لا لربه ،
٥ فمن شكر نعمة الله باظهارها [٤] حين الوفادة [٤] ، عليه فى آية بعثه إليه و لقائه له شكرا لله له [٥] ذلك يوم يلقاه ، فكانت هدايا الله له يوم القيامة [٦] أعظم من هديه [٧] إليه يوم الوفادة عليه فى حجه [٨] و عمرته ﴿ فان الله ﴾ [٩] أى المحيط بجميع صفات الكمال [٩] ﴿ شاكر ﴾ [٩] أى مجاز بالأعمال مع المضاعفة لثوابها ؛ قال الحرالى [٩] : و قوله : ﴿ عليم ﴾ فيه تحذير من
١٠ مداخل الرياء و السمعة فى إجزال النفقات لما يغلب [١٠] على النفس من التباهى فى إظهار الخير - انتهى [١١] . و لما تقدم أن بعض أهل الكتاب يكتمون ما يعلمون من هذا الحق و ختم ما اتبعه له بصفتى الشكر و العلم ترغيبا و ترهيبا بانه يشكر من فعل ما شرعه له و يعلم من أخفاه و إن دق

(١) العبارة من هنا إلى « أغراض نفسه » ليست فى ظ (٢) من مد و م ، و فى الأصل : وقادته (٣) من م و ظ و مد ، وفى الأصل : تقدم (٤ - ٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : خيرانه بوفادة (٥) ليس فى م (٦) فى الأصل : القيابة - كذا ، و فى م : لقاه ، و فى ظ و مد : لقائه (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : هدية . (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حجة (٩ - ٩) ليست فى ظ (١٠) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : تغلب (١١) و فى البحر المحيط ١/٤٥٨ ، و شكر الله العبد بأحد معنيين إما بالثواب و إما بالثناء ، و علمه هنا هو علمه بقدر الجزاء الذى للعبد على فعل الطاعة أو نيته و إخلاصه فى العمل ، و قد وقعت الصفتان =

فعله و بالغ فى كتمانـــه انعطف الكلام إلى تبكيت[1] المنافقين منهم و المصارحين فى[2] لعنهم على كتمانهم ما يعلمون من الحق إذ كانت هذه كلها فى الحقيقة قصصهم و الخروج إلى غيرها إنما هو استطراد [على-٣] الأسلوب الحكيم المبين لأن هذا الكتاب هدى و كان السياق مرشدا إلى أن التقدير بعد "شاكر عليم": و من أحدث شرا فان الله عليم قدير، فوصل بـــه استئنافا قوله على وجه يعمهم و غيرهم: ﴿ ان الذين يكتمون ﴾ بيانا لجزائهم ﴿ ما انزلنا ﴾ أى[4] بعظمتنا . قال الحرالى: فانتظمت هذه الآية أى[5] فى ختمها لهذا الخطاب بما مضى فى أوله من قوله: "و لا تلبسوا الحق بالباطل و تكتموا الحق و انـــتم تعلمون" فكانت البداية خاصة و كان الختم عاما، ليكون ما فى كتاب الله أمرا على نحو ما كان أمر محمد صلى الله عليه و سلم و من تقدمه من الرسل خلقا لينطبق الأمر على الخلق بدأ و ختما انطباقا واحدا، فعم[6] كل كاتم من الأولين و الآخرين - انتهى . ﴿ من البينٰت[7] ﴾ أى التى لا يحتاج

= هنا الموقع الحسن، لأن التطوع بالخير يتضمن الفعل و القصد فناسب ذكر الشكر باعتبار الفعل و ذكر العلم باعتبار القصد، و أخرت صفة العلم و إن كانت متقدمة على الشكر كما أن النية مقدمة على الفعل لتوافق رؤس الآى .

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تنكيت (٢) فى ظ و مد: و (٣) زيد من م و ظ و مد (٤) ليس فى مد (٥) ليس فى م و مد (٦) من م و ظ و مد، و فى الأصل: فعلم (٧) و "البينٰت" هى الحجج الدالة على نبوته صلى الله عليه و سلم، و "الهدىٰ" الأمر باتباعه. أو البينات و الهدىٰ واحد و الجمع بينهما توكيد و هو ما أبان عن نبوته صلى الله عليه و سلم و هدى إلى اتباعه، أو البينات الرجم =

سامعها المجرد عن الهوى فى فهمها إلى شيء معها . قال الحرالى: ففى إنهامه إذن فى كتم ما يخفى من العلم عن عقول لم تصل إليه – انتهى . ﴿و الهدى﴾ أى الذى من شأنه أن يقود من أحبه[١] إلى صراط مستقيم .

[٢] و لما كان المراد الترهيب من الكتمان فى وقت ما و لو قل أثبت الجار فقال[٢]: ﴿من بعد ما بينه﴾ [٢] أى بما لنا / من العظمة[٢] ١٤٠/ ﴿للناس[٣]﴾ أى الذين هم فى أدنى طبقات المخاطبين، [٤]و فيه تبكيت عظيم لبنى إسرائيل فانهم من أعظم المقصودين بذلك لكتمانهم ما عندهم[٤] .قال الحرالى: لأن المسمين[٥] بالناس من أصاغر سن القلوب لما ذكر من نوسهم[٦]، و أكثر ما يخص به كما تقدم الملوك و رؤساء القبائل و أتباعهم الذين زين لهم حب الشهوات – انتهى[٧] . ﴿فى الكتب﴾ أى الجامع لكل خير .

= والحدود وسائر الأحكام، و الهدى أمر محمد صلى الله عليه وسلم نعته و اتباعه – البحر المحيط ١ / ٤٥٨ .

(١) من ظ، و فى الأصل و م و مد: احبه – كذا (٢ – ٢) ليست فى ظ .

(٣) من م و مد، و قد تقدمه فى الأصل على «اى بما لنا» (٤–٤) ليست فى ظ .

(٥) من م و ظ و مد، و فى الأصل: السمين – كذا (٦) فى الأصل: يوسهم، و التصحيح من بقية الأصول (٧) و الأظهر عموم الآية فى الكاتمين و فى الناس و فى الكتاب و إن نزلت على سبب خاص فهى تتناول كل من كتم علما من دين الله يحتاج إلى بثه و نشره و ذلك مفسر فى قوله صلى الله عليه وسلم: من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار، و ذلك إذا كان لا يخاف على نفسه فى بثه، و قد فهم الصحابة من هذه الآية العموم و هم العرب الفصح المرجوع إليهم كما روى عن عثمان و أبى هريرة و غيرهما: لو لا آية فى كتاب الله ما حدثتكم – البحر المحيط ١ /٤٥٨ .

قال الحرالى : فما بينه الله سبحانه و تعالى فى الكتاب لا يحل كتمه ، لما ذكر من أن الكتاب هو ما احتوى على الأحكام و الحدود بخلاف ما يختص بالفرقان أو يعلو إلى رتبة القرآن -[١] انتهى .

و لما كان المضارع دالا على التجديد[٢] المستمر و كان الإصرار المتصل[٣] بالموت دالا على[٤] سوء الجبلة[٤] أسقط فاء السبب إشارة إلى استحقاقهم للخزى فى نفس الأمر من غير نظر إلى سبب فقال : ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ يلعنهم الله ﴾ أى يطردهم [٥]الملك الأعظم طرد خزى و ذل[٥] ﴿ و يلعنهم اللعنون ﴾ أى كل من يصح منه لعن ، أى هم متهيؤن[٦] لذلك ثم يقع لهم ذلك بالفعل عند كشف الغطاء ، [٧]و اللعن إسقاط الشىء إلى أردى محاله حتى يكون فى الرتبة بمنزلة الفعل من العامة - قاله الحرالى[٧] : و أخص من ذلك و أسهل تناولا أن يقال : لما كان أشق الصبر ما[٨] على فقد المحبوب من الالف و الأمن و السعة و كان العلم واقعا بأن عداوة الكفار لهم ستؤول إلى ابتلائهم بذلك اتبع [آية -[٩]] الصبر بقوله : " و لا تقولوا - الآيتين " فكأنه قيل : و لا تقولوا كذا فليكتبن[١٠] عليكم الجهاد عموما " و لنبلوكم " فيه " بشىء من الخوف - الآية " لأن الصفا و المروة من شعائر الله

---

(١) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (٢) من مد ، و فى الأصل وم : التحديد (٣) من م و مد، و فى الأصل: بالفضل (٤-٤) من م و مد، وفى الأصل: سور الحبلة (٥-٥) ليست فى ظ (٦) فى م: المتسيبون ، وفى ظ : مهيون ، وفى مد: متهيبون (٧-٧) ليست فى م و مد (٨) ليس فى ظ (٩) زيد من م و مد و ظ . (١٠) فى ظ : فلنكتبن .

و وصولكم إليها[1] ممنوع بالكفار فلابد فى الفتح من قتالهم و قد جرت العادة فى القتال بمثل ذلك البلاء .

و لما تم أمر القبلة و ما استتبعه و ختم بشريعة الحج المكتوبة على الناس عامة الآمر لهم بها بانى البيت إبراهيم عليه الصلاة و السلام عن أمر الله سبحانه و تعالى بقوله إذ قام[2] المقام : يا أيها الناس! كتب عليكم الحج فحجوا ، فأجابه من علم الله سبحانه و تعالى أنه يحج ثم حجت[3] الأنبياء من بنى إسرائيل بن إبراهيم عليهما السلام ثم أخفاها أهل الكتاب فيما أخفوه من كتابهم حسدا للعرب و ختمت آية الحج بعليم[4] رجع إلى أمر الكاتمين الذين يكتمون الحق و هم يعلمون ، و أعظم ما كتموه أمر هذا الكتاب الذى هو الهدى المفتتح به السورة ، و لما بين جزاءهم استثنى منهم التائبين مبينا لشرائط التوبة الثلاثة فقال: ﴿ الا[5] الذين تابوا ﴾ بالندم على ارتكاب الذنب ﴿ و اصلحوا ﴾ بالعزم على عدم العود ﴿ و بينوا ﴾ ما كانوا كتموه فظهرت توبتهم بالإقلاع .

[6]و لما كان الإنسان يحب ما كان بسبب منه رغبهم[7] فى المتاب بعد توبتهم سببا لتوبته و رحمته و إن كان ذلك كله مَنّا منه فى نفس

(١) من م و ظ و مد . و فى الأصل : اليها (٢) زيد فى ظ و مد: على (٣) فى م و ظ : حجه ، و فى مد : حج (٤) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : يعلم . (٥) هذا استثناء متصل ، و معنى ﴿تابوا﴾ عن الكفر إلى الإسلام ، أو عن الكتمان إلى الإظهار - قاله أبو حيان فى البحر المحيط ١ / ٤٥٩ (٦) العبرة من هنا إلى « بالفاء » ليست فى ظ (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رعيهم .

الأمر فقال معبرا بالفاء: ﴿فاولئك﴾ العالو الرتبة[1] ﴿اتوب عليهم﴾ [2]أي أقبل توبتهم[2] فأحفظهم بما يشعر به مثال الفعل الدائم فيما وفقتهم لابتدائه، و في[3] الربط بالفاء إشارة إلى إسراع[4] استنقاذ توبة الله عليهم من نار الخوف و الندم رحمة منه لهم برفعهم إلى موطن الإنس، لأن نار الخوف في الدنيا للمقترف رحمة من عذاب النار تفدية من نار السطوة في الآخرة، من لم يحترق بنار المجاهدة أحرقته نار الخوف، فمن لم يحترق بنار الخوف أحرقته نار السطوة - أفاده الحرالي[5]. و لما كان من شأن الإنسان معاودة الذنوب لصفة النسيان ختم الآية بما دل على أن التقدير: فاني أحب التوابين فقال: ﴿و انا التواب﴾ أي مرة بعد مرة لمن كر على الذنب[6] ثم راجع التوبة كرة إثر كرة ﴿الرحيم﴾ لمن فعل ما يرضيني.

و لما لعن الكاتمين و استثنى منهم التائبين ذكر المصرّين معبرا عن كتمانهم بالكفر لتعم العبارة[7] كل[8] كفر فقال[9]: ﴿ان الذين كفروا﴾

---

(١) في الأصل: الزينة، و التصحيح من بقية الأصول (٢-٢) ليست في ظ. (٣) ليس في ظ (٤) من م و مد و ظ، و في الأصل: الاسراع (٥) قال أبو حيان الأندلسي: ﴿فاولئك﴾ إشارة إلى من جمع هذه الأوصاف من التوبة و الإصلاح و التبيين ﴿اتوب عليهم﴾ أي أعطف عليهم، و من تاب الله عليه لا تلحقه لعنة - البحر المحيط ١/٤٦٠ (٦) في مد: الذنوب (٧) من م و مد، و في الأصل و ظ: العبادة (٨) ليس في ظ (٩) لما ذكر حال من كتم العلم و حال من تاب ذكر حال من مات مصرا على الكفر، و بالغ في اللعنة بأن جعلها مستعلية عليه و قد تجللته و غشيته فهو تحتها. و هي عامة في كل من كان كذلك. و قال أبو مسلم: هي مختصة بالذين يكتمون ما أنزل الله في الآية قبل، و ذلك أنه ذكر حال الكاتمين ثم ذكر حال التائبين ثم ذكر حال من مات من غير توبة منهم، و لأنه لما ذكر أن الكاتمين ملعونون في الدنيا حال الحياة ذكر أنهم ملعونون أيضا بعد الممات - البحر المحيط ١/٤٦٠.

أى بهذا الكتمان و غيره ﴿ و ماتوا و هم كفار ﴾ قال الحرالى: ففى إشعاره يسر[١] توبة الكافرين و عسر توبة المنافقين من حيث صرح بذكر توبة الكاتم و تجاوز[٢] فى الذكر توبة الكافر، فكان الذين كفروا يتوبون[٣] إلا الأقل و الذين يكتمون يتمادون إلا الأقل، فلذلك /[وقع -[٤]] الاستثناء فى الكاتم و التخصيص من الكافر - انتهى . ١٥٠ /

[٥]و لما كان الموت على شىء دالا على أصل الجبلة[٦] فالميت كافرا مجبول جبلة شر بيّن سبحانه و تعالى أنه مستحق فى نفس الأمر لكل خزى[٧] لذلك [٨]لا لسبب[٨] جدده[٩]، فمن وجد خيرا فليحمد الله، و من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، لأنه سبحانه و تعالى لا يسأل عما يفعل، فأسقط فاء السبب و[١٠] عبر عنهم باداة البعد[١١] إشارة إلى طردهم فقال: ﴿ اولئك ﴾[١٢] [١٣]الذين هم فى غاية السفول[١٣] ﴿ عليهم لعنة الله ﴾ أى طرد[١٤] [١٣]الملك الذى لا ملك سواه[١٣] و إبعاده، ثم بين اللاعنين[١٥] فى التى قبلها فقال: ﴿ و الملئكة و الناس اجمعين ﴾ أى[١٦] هم أهل لذلك [١٣]و كل أحد يلعن الظالم و أظلم الظالمين الكافر[١٣] ﴿ خلدين فيها ﴾ أى اللعنة .

(١) من م و ظ، و فى الأصل و مد: بيسر (٢) من م و ظ، و فى الأصل و مد: يجاوز، و لا يتضح فى مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يقولون . (٤) زيد من م و ظ و مد (٥) العبارة من هنا إلى «فاء السبب» ليست فى ظ . (٦) من م و مد، و فى الأصل: الحيله (٧) فى م و مد: شر (٨-٨) فى مد: السبب (٩) فى مد: حدده (١٠) فى ظ: ثم (١١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: التعمد (١٢) زيد فى م و مد: اى (١٣-١٣) ليست فى ظ (١٤) فى ظ: طرده (١٥) فى م: اللاعنين (١٦) فلعنة الله هى التى تجر لعنة الملائكة و الناس، ألا ترى إلى قول بعض الصحابة: و ما لى لا ألعن من لعنه الله على لسان رسوله =

و لما كان اللعن دالا على العذاب صرح به فقال: ﴿لا يخفف عنهم العذاب﴾ لاستعلاء اللعن عليهم و إحاطته بهم. و قال الحرالى: ذكر وصف العذاب بذكر ما لزمهم من اللعنة ليجمع لهم بين العقابين: عقابا من الوصف و عقابا من الفعل، كما يكون لمن يقابله نعيم و رضى - انتهى. ﴿و لا هم ينظرون﴾ قال الحرالى: من النظرة و هو التأخير المرتقب نجازه[1] فالمعنى أنهم لا[2] يمهلون[3] من [مهل -[4]] ما أصلا كما يمهلون فى الدنيا -[5] بل يقع عليهم العذاب حال فراقهم للحياة ثم لا يخفف عنهم. قال الحرالى: ففيه[6] إشعار بطائفة[7] أى من عصاة المؤمنين[7] يؤخر عذابهم، و فى مقابلة علم الجزاء بأحوال [أهل -[8]] الدنيا تصنيفهم بأصناف فى اقتراف[9] السوء، فمن داومه داومه العذاب و من أخره وقتا ما فى دنياه أخر عنه العذاب، و من تزايد فيه تزايد عذابه، و ذلك لكون الدنيا مزرعة الآخرة. أن الجزاء بحسب الوصف "سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم"[10] انتهى.

و لما أفاض عليهم سبحانه و تعالى ما أفاض من بحار الحجاج المفرقة[11] بالأمواج، قرر ما أراد من شرائع الإسلام على وجه الإتقان

= .... ثم ثنى بالملائكة لما فى النفوس من عظم شأنهم وعلو منزلتهم و طهارتهم، ثم ثلث بالناس لأنهم من جنسهم فهو شاق عليهم لأن مفاجاة المماثل من يدعى المماثلة بالمكروه أشق بخلاف صدور ذلك من الأعلى - البحر المحيط ١/ ٤٦٢.

(١) فى ظ: نجاته. و زيد فيه بعده: انتهى (٢) فى م: ما (٣) العبارة من هنا إلى «اصلا» ليست فى ظ (٤) زيد من م ومد (٥) زيد فى الأصل «مهل» ولم تكن الزيادة فى بقية الأصول فحذفناها (٦) فى م وظ ومد: ففى افهامه (٧-٧) ليست فى ظ ومد (٨) زيد من م وظ ومد (٩) من م و مد وظ، و فى الأصل: اقتران. (١٠) سورة ٦ آية ١٣٩ (١١) هكذا فى الأصل ومد، و فى م و ظ: المغرقة.

و الإحكام و أرشد هذا السياق المذكور فيه ثواب المطيع و عقاب العاصي إلى أن التقدير: فالهكم إله واحد لا شريك له يدافعه عما يريد لا إله إلا هو المنتقم من أعدائه العظيم فى كبريائه ، عطف عليه مكررا الزاجر لكل منافق و كافر و مذكرا بالعاطف لكل موافق مؤالف قوله تعالى: ﴿ و الهكم - [1] ﴾ [2] و لما كان المراد أن الوحدة معتبرة فى نفس الأمر فى الإله الحق، فلا يصح أصلا أن يكون الإله الحق منقسما بالنوع و لا بالشخص و لا بالوصف و لا بالفعل و لا بغير ذلك بوجه من الوجوه أعاد لفظ الإله فقال[2]: ﴿ اله واحد ﴾ أي[3] لا ينقسم بوجه من الوجوه لا بمجانسة و لا بغيرها[4] و هو مع ذلك ﴿ لا اله الا هو - [5] ﴾ [2] فهذا تقرير للوحدانية بنفي غيره و إثباته[2] فلا[6] يصح

(١) ظاهر الخطاب أنه لجميع المخلوقات المتصور منهم العبادة، فهو إعلام لهم بوحدانية الله تعالى، و يحتمل أن يكون خطابا لمن قال: صف لنا ربك و انسبه، أو خطابا لمن يعبد مع الله غيره من صنم و وثن و نار ــ البحر المحيط ١ / ٤٦٢ .

(٢-٢) ليست فى ظ (٣) زيد فى ظ: الذى . و فى البحر المحيط: و الواحد المراد به نفى النظير أو القديم الذى لم يكن معه فى الأزل شيء، أو الذى لا أبعاض و لا أجزاء، أو المتوحد فى استحقاق العبادة ــ أقوال أربعة أظهرها الأول، تقول: فلان واحد فى عصره، أى لا نظير له و لا شبيه، و ليس المعنى هنا بواحد مبدأ العدد (٤) فى م و ظ و مد: لا غيرها (٥) و فى البحر المحيط ١/٤٦٢ و ٤٦٣: توكيد لمعنى الواحدانية و نفى الإلهية عن غيره ، و هى جملة جاءت لنفى كل فرد فرد من الآلهة، ثم حصر ذلك المعنى فيه تبارك و تعالى، فدلت الآية الأولى على نسبة الواحدية إليه تعالى، ودلت الثانية على حصر الإلهية فيه من اللفظ الناص على ذلك و إن كانت الآية الأولى تستلزم ذلك، لأن من ثبتت له الواحدية ثبتت له الإلهية (٦) فى ظ: لا .

بوجه و لا يمكن فى عقل أن يصلح للالهية غيره أصلا [1] ، [2] فلا يستحق العبادة إلا هو [2] لأنه ﴿ الرحمن ﴾ أى العام الرحمة بالنعم الزائلة لأوليائه و أعدائه ﴿ الرحيم ﴾ أى المخصص بالنعم الباقية لأوليائه ، فثبت بالتفرد [3] بالألوهية أنه حائز بجميع [4] العظمة و بيده مجامع الكبرياء و القهر ، و بوصفى [5] الرحمة أنه مفيض لجلائل [6] النعم و دقائقها . فكل ما سواه إما نعمة أو منعم عليه ، فهو المخشى سطوته المرجو رحمته ، يغفر لمن يشاء [7] و يلعن من كفر و يخلده فى العذاب من غير أن يقدر

(١) و قال فى المنتخب : لما قال تعالى ﴿و الهكم اله واحد﴾ أمكن أن يخطر ببال أحد أن يقول : هب أن إلهنا واحد فلعل إله غيرنا مغاير لإلهنا ، فلا جرم أزال ذلك الوهم ببيان التوحيد المطلق فقال ﴿لا اله الا هو﴾ ، فقوله : لا اله ، يقتضى النفى العام الشامل ، فاذا قال بعده : إلا الله ، أفاد التوحيد التام المطلق المحقق ؛ و لا يجوز أن يكون فى الكلام حذف كما يقوله النحويون ، و التقدير : لا إله لنا أو فى الوجود إلا الله . لأن هذا غير مطابق للتوحيد الحق ، لأنه إن كان المحذوف «لنا» كان توحيدا لإلهنا لا توحيدا للاله المطلق ، فحينئذ لا يبقى بين قوله ﴿و الهكم اله واحد﴾ و بين قوله ﴿لا اله الا هو﴾ فرق ، فيكون ذلك تكرارا محضا و انه غير جائز ، و أما إن كان المحذوف «فى الوجود» كان هذا نفيا لوجود الإله الثانى ، أما لو لم يضمر كان نفيا لماهية الإله الثانى و معلوم أن نفى الماهية أقوى فى التوحيد الصرف من نفى الوجود ، فكان إجراء الكلام على ظاهره و الإعراض عن هذا الإضمار أولى ؛ و إنما قدم النفى على الإثبات لغرض إثبات التوحيد و نفى الشركاء و الأنداد - البحر المحيط ١/ ٤٦٢ (٢-٢) ليست فى ظ (٣) فى ظ و مد: للتفرد (٤) فى مد: لجميع (٥) فى الأصول : لوصفى ، مع أنه معطوف على « بالتفرد » (٦) فى ظ : بجلائل (٧) فى م و ظ : تاب . و فى مد: يتاب .

غيره أن يعترض عليه فى شيء من ذلك ؛ و لا يبعد عندى[1] و إن بعد المدى أن تكون الواو فى قوله "و إلهكم" عاطفة[2] على قوله فى أوائل السورة "و هو بكل شيء عليم" قبل قوله "و اذ قال ربك للملئكة انى جاعل فى الارض خليفة" فان التوحيد هو المقصود بالذات و عنه تنشأ جميع العبادات ، فلما قال أولا "يايها الناس اعبدوا ربكم" اتبعه فى قوله "الذى خلقكم - إلى آخره" بوصف هو دليل استحقاقه للعبادة ، فلما قام الدليل قال "فلا تجعلوا لله اندادا" إعلاما بأنه لا شريك له فى العبادة كما أنه قد تبين أنه لا شريك له فى الخلق ، ثم اتبعه بما يليق لذلك المقام مما تقدم التنبيه[3] عليه ، ثم رجع إليه قائلا ثانيا "كيف تكفرون بالله و كنتم امواتا فاحياكم - إلى آخرها" فأعاد الدليل على وجه أبين من الأول و أبسط ، فلما تقرر على وجه لا مطعن فيه أمر

/١٥١/ الوحدانية و الإعادة كان الانسب ما أولاه من الآيات السابقة لما ذكر فيها من غير دلك من المهمات إلى أن صار إلى ذكر الكاتمين و التائبين و المصرين و ذكر ما أعد لكل من الجزاء فاتبع ذلك [هـذه - [4]] الآية عاطفا لها على ما ذكرته على وجه أصرح مما تقدم فى إثبات التوحيد بيانا لما هو الحق و إشارة إلى أنه تعالى ليس كملوك الدنيا [الذين - [5]] قد يحول بينهم و بين إثابة[6] بعض الطائعين و عقوبة بعض العاصين

---

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : عنه شيء (٢) فى م : عاطف (٣) فى مد : التشبيه (٤) زيد من م وظ و مد (٥) زيد من م ومد (٦) من م و مد وظ ، و فى الأصل : الاية .

بعض أتباعهم، فانه واحد لا [1] كفوء له [1] بل و لا مدانى فلا مانع لنفوذ أمره؛ و لا يستنكر تجويز هذا العطف لأنه جرت عادة البلغاء أن أحدهم إذا أراد إقامة الحجة على شيء لأمر يرتبه عليه أن يبدأ بدليل كاف ثم يتبعه تقريب الثمرات المجتناة منه ثم يعود إلى [2] تأكيده على وجه آخر لتأنس به النفوس [3] و تسرّ به [3] القلوب، و ربما كان الدليل طويل الذيول كثير الشعب، فيشرح كل ما يحتاج إليه من ذيوله و ما يستتبعه من شعبه، فاذا استوفى ذلك و رأى أن الخصم لم يصل إلى غاية الإذعان أعاد له الدليل على وجه آخر عاطفا له على الوجوه الأول تذكيرا بما [4] ليس بمستنكر ذلك فى مجارى عاداتهم و مبانى خطاباتهم [5]؛ و من تأمل مناظرات الباقلانى و أضرابه من أولى الحفظ الواسع و التبحر فى العلم علم ذلك. و [6] قال الحرالى: و لما كان مضمون الكتاب دعوة الخلق إلى الحق، و التعريف بحق الحق على الخلق، و إظهار مزايا من اصطفاه الله تعالى ممن شملهم أصل الإيمان من ملائكته و أنبيائه و رسله و من يلحق بهم من أهل ولايتهم، و إظهار شواهد ذلك منهم و إقامة الحجة بذلك على من دونهم فى إلزامهم أتباعهم، و كان الضار للخلق إنما هو الشتات كان النافع لهم إنما هو الوحدة، فلما أظهر لهم تعالى مرجعهم إلى وحدة أبوة آدم عليه الصلاة و السلام فى جمع [7] الذرية

(١ - ١) فى م: كقوله (٢) فى الأصل: اى، و التصحيح من بقية الأصول.
(٣-٣) وقع فى ظ: تشريه - كذا مصحفا (٤) من م، و فى الأصل و ظ: لما، و فى مد: بها (٥) من م و ظ و مد، و فى الأصل: حطاياهم (٦) ليس فى م و مد (٧) من م و ظ، و فى الأصل و مد: جميع.

و وحدة أبوة إبراهيم عليه الصلاة و السلام فى جمع[١] الإسلام و وحدة[٢] أحديـة محمد صلى الله عليه و سلم فى جمع[١] الدين فاتضح[٣] لهـم عيب[٤] الشتات و التفرق و تحقق لهم شاهـــد النفع فى الجمع إلى وحدات كان ذلك آية على أعظم الانتفاع بالرجوع إلى وحدة[٥] الإلهية فى أمر الحق و فى إفهام ذلك وحدات ما يظن فى ظاهر الوحدات الظاهرة[٦] من وحدة الروح و وحـدة النفس و العقل فقال تعالى عطفا على ما ظهر بناؤه من الوحدات الظاهرة[٦] و ما أفاده إفهامها من الوحدات الباطنة : "و الٰهكم الٰه واحد" فاذا قبح الشتات مع وحدة الأب الوالد فكيف به مع وحدة[٧] الأب المدّين ! فكيف به مع وحدة[٧] النبي المكمل ! فكيف به مع وحدة الإلٰه الذى هو الرحمٰن الذى شمل خلقه رحمانية ! الرحيم الذى اختص أولياءه و أصفياءه عناية بجمعهم بوحدته التى هى قائم كل وحدة دونه ! فجميع أسمائـه لها وحدة تنتهى وحدتها[٨] إلى وحدة الإلٰه الذى انتهى إليـــه الأله[٩] و هو تعبد الظاهر لإلجاء[١٠] المتعبـــد إليه فى كل حاجاته و إقاماته[١١] الظاهرة و الباطنة ، و لا أتم من وحدة ما لا[١٢] يتصوره

(١) فى مد : جميع (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : وحدية (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فانفتح (٤) فى م غيب (٥) فى الاصل : وحيدة ، و التصحيح من م و ظ و مد (٦-٦) ليست فى ظ (٧-٧) ليست فى م (٨) فى الأصل : و حلتها ، و التصحيح من بقية الأصول (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الامر اه (١٠) فى الأصل : لابحاء ، و التصحيح من م و ظ و مد . (١١) فى م : اقامة (١٢) ليس فى ظ .

العقل و لا يدركه الحس فى علو وحده الغيب الذى لا يبدو فيه ذات فيكون لها أو فيها كميات و لا كيفيات؛ ثم قال: و قد صح بالتجربة أن الراحة فى صحبة الواحد و أن التعب فى اتباع العدد، لاختصاص كل واحد بقصد فى التابع يتشاكس عليه لذلك[1] حال اتباعهم، فكان أعظم دعوة إلى جمع[2] الخلق دعوتهم إلى جمع توحيد الإلهية انتظاما بما دعوا إليه من الاجتماع فى اسم الربوبية فى قوله تعالى متقدما "يايها الناس اعبدوا ربكم" فاعلاء الخطاب من رتبة الربوبية إلى رتبة هذه الدعوة[3] بالإلهية لتعلو من هذا الحد إلى الدعوة إلى الله الأحد الذى أحديته مركوزة فى كافة فطر الخلق و جبلاتهم حين لم يقع الشرك فيه بوجه و إنما وقع فى رتبة الإلهيـــة، فكان هذا أوسط الدعوة بالاجتماع فى وحدة الإلهية و فى إضافة اسم الإله إليهم أتم تنزل بمقدار معقولهم من تعددهم الذى هو تألـههم[4]؛ و لما كان فى الإلهية دعوى[5] كثرة توهم[6] الضلال المبين اتسع ذلك بكلمة التوحيد بنـاء على اسمه المضمر فى باطن ظاهر الإلهية[7] فقال تعالى "لا اله الا هو" ردا على إضمار ما فى الأول و لم يذكر اسمه المظهر ليكون للدعوة إليه رتبة عالية تكون[8] هذه متوقلا إليها، و لما / كان هذا التوحيد الإلهى أمر غيب من الإله أظهره سبحانه ‏/ ٢د

(١) فى م فقط: كذلك (٢) فى م: جميع (٣) زيد فى م: بالاجتماع فى الالـهية.
(٤) فى الأصل: تالهم، و التصحيح من م و مد و ظ (٥) فى الأصل: دعوة، و التصحيح من م و ظ و مد (٦) من م، و فى الأصل و ظ: يوهم، و فى مد: بوهم (٧) فى ظ: الادلة (٨) فى م: لتكون.

و تعالى بمظهر الرحمانية المحيطة الشاملة و الرحيمية الاختصاصية لما عند الخلق من شاهد ذلك فيما يجدونه من أثر الرحمانية فى دنياهم و آثارهم[1] و ما يجدون من[2] آثار الرحيمية [فى اختصاصهم المزية فى تضاعف رحمته، فكان فى مجموع هذه الآية أعظمية من غيب الإلهية إلى تمام اختصاص الرحيمية - ٣]، فلذلك كانت هذه الآية مع آيـــة الإحاطة فى [أول - ٤] آل عمران الجامعة لمقابلة[5] ما فى هذه الآية من خصوص الرحيمية[6] مع خصوص مقابلها من وصف الانتقام الظاهر عن وصف العزة الذى أبداه[7] قوله سبحانه و تعالى "و الله عزيز ذو انتقام" فكانت هذه الآية لذلك مع "الٓمٓ ۞ الله لا إله الا هو الحى القيوم[8] ۞" اسم الله الأعظم المحيط بالغيب و الشهادة جمعا للرحمة و النقمة فى الظاهر و إحاطة عظمة فى الباطن، فكان هذا الحد من علو الخطاب ابتداء رفع[9] الخلق

(١) فى م و ظ و مد: ظاهرهم (٢) فى م: فى (٣) زيدت من ظ، و زيد فى الأصل: الرحيمية - فقط (٤) زيد من م و ظ و مد (٥) فى م و ظ و مد: لمقابل (٦) ﴿الرحمن الرحيم﴾ ذكر هاتين الصفتين منبها بهما على استحقاق العبادة له لأن من ابتدأك بالرحمة أنشأ بشرا سويا عاقلا و تربية فى دار الدنيا موعودا الوعد الصدق بحسن العاقبة فى الآخرة جدير بعبادتك له و الوقوف عند أمره و نهيه، و أطمعك بهاتين الصفتين فى سعة رحمته، و جاءت هذه الآية عقيب آية مختومة باللعنة و العذاب لمن مات غير موحد له تعالى إذ غالب القرآن إذا ذكرت آية عذاب ذكرت آية رحمة و إذا ذكرت آية رحمة ذكرت آية عذاب - قاله أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١ / ٤٦٤ (٧) فى مد: ابداه. (٨) سورة ٣ آية ١ و ٢ (٩) من م و ظ و مد، و فى الأصل: وقع.

إلى التعلق باسم الله الأعظم الذى رفعهم عن سفل تقيدهم[1] بأنفسهم المحقرة إظهارا لمبدإ العناية بهذه الأمة الخاتمة - انتهى .

و لما كان هذا المقام لا يصح إلا بتمام العلم و كمال القدرة نصب الأدلة على ذلك فى هذه الآية الثالثة بأبسط مما[2] فى الآية الثانية كما كانت الثانية أبسط من الأولى و أجلى تبصيرا[3] للجهال و تذكيرا للعلماء؛ فكانت هذه الآية تفصيلا لتينك الآيتين السابقتين و لم تدع حاجة إلى مثل هذا التفصيل[4] فى آية آل عمران ، لأن معظم المراد بها الدلالة على شمول[4] القدرة [و أما هذه فدليل على[5] التفرد ، فكان لابد من ذكر ما ربما أضيف إلى أسبابه القريبة[6]] تنبيها على أنه لا شريك له فى شىء من ذلك و أن الكل بخلقه و إن أقام لذلك أسبابا ظاهرية فقال تعالى: ﴿ ان فى خلق السمٰوٰت[7] و الارض ﴾ [8] أى و اختلافهما[9] فان

---

(١) فى الأصل: تعبدهم، و التصحيح من بقية الأصول (٢) فى م و مد: ما (٣) فى م: تبصرا (٤) ليس فى م (٥) ليس فى ظ (٦) زيدت من م و ظ و مد (٧) زيد فى م و مد: جمعها لاختلاف أجناسها و لأن تعددها يعرف بالكواكب فتسهل إقامة الدليل عليه ، و قدمها لأنها أشرف و أعجب خلقا و أكبر (٨) روى أنه لما نزل ﴿والهكم اله واحد﴾ قالت كفار قريش: كيف يسع الناس إله واحد؟ فنزل ﴿ ان فى خلق السمٰوٰت ﴾ و لما تقدم وصفه تعالى بالوحدانية و اختصاصه بالألوهية استدل بهذا الخلق الغريب و البناء العجيب استدلالا بالأثر على المؤثر و بالصنعة على الصانع و عرفهم طريق النظر و فيم ينظرون فبدأ أولا بذكر العالم العلوى فقال: ﴿إن فى خلق السمٰوٰت﴾ و خلقها إيجادها و اختراعها أو خلقها و تركيب =

خلق ما ذكر فى الآية من نعمته على عباده كما ذكر فى أول السورة ، ثم ذكر ما ينشأ عنها[1] فقال : ﴿ و اختلاف ﴾ و هو افتعال[2] من الخلف ، و هو ما يقع من افتراق بعد اجتماع فى [3]أمر من[3] الأمور ﴿ اليل ﴾[4] قدمه لأنه الأصل و الأقدم "و اٰية لهم الّيل[5]" ﴿ و النهار ﴾ [6]و خلقهما ، فالآية من الاحتباك[7]، ذكر الخلق أولا دليلا على حذفه ثانيا و الاختلاف ثانيا[8] على حذفه أولا[9] . و قال الحرالى : و لما كان من سنة الله أن من دعاه إليه و إلى رسله بشاهد خرق عادة[10] فى خلق أو أمر عاجله بالعقوبة فى الدنيا و جدد بعده أمة أخرى كما قال سبحانه و تعالى : "و ما منعنا ان نرسل بالاٰيٰت الا ان كذب بها الاولون[11]" و كانت هذه الأمة خاتمة ليس بعدها أمة غيرها أعفاها ربها من

= أجرامها وائتلاف أجزائها ، من قولهم: خلق فلان حسن ، أى خلقته و شكله - البحر المحيط ١/٤٦٤ (٩) فى ظ : اختلافها

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : عنها (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فعل (٣-٣) من م ومد وظ . و فى الأصل: امرين (٤) العبارة من هنا إلى «اليل» الآتى ليست فى ظ (٥) زيد فى م و مد الآية . سورة ٣٦ آية ٣٧ (٦) العبارة من هنا إلى «حذفه اولا» ليست فى م (٧) فى الأصل: الاحتيال . و التصحيح من مد و ظ . (٨) زيد فى ظ : دليلا (٩) قال أبو حيان الأندلسى: اختلافهما باقبال هذا و إدبار هذا ، أو اختلافهما بالأوصاف فى النور و الظلمة و الطول و القصر ، أو تساويهما - قاله ابن كيسان . و قدم الليل على النهار لسبقه فى الخلق ، قال تعالى: "و اٰية لهم اليل نسلخ منه النهار" البحر المحيط ١/ ٤٦٤ (١٠) فى مد : العادة (١١) سورة ١٧ آية ٥٩ .

احتياجها إلى خرق العوائد ، قال عليه الصلاة و السلام : ما من نبي إلا و قد أوتي من الآيات ما مثله أمن[١] عليه البشر ، و إنما كان الذى آتاني[٢] الله[٣] وحيا أوحاه الله سبحانه و تعالى إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا . فكان أمر الاعتبار أعم إجابة و أسمح مخالفة و كفاها بما قد أظهره [لها - [٤]] في خلقه بالإبداء و التسخير من الشواهد ، ليكونوا علماء منقادين لروح العلم لا[٥] لسلطان القهر ، فيكون ذلك من مزاياهم على غيرهم ، و لم يجبها إلى ما سألته من ذلك ، فلما[٦] وصل[٧] تعالى بدعوة الربوبية ذِكر الخلق و الرزق و ذكر الأرض بأنها فراش والسماء بأنها بناء على عادة العرب في رتبة حس[٨] ظاهر أعلاهم في هذا الخطاب بإيراد آياته و شواهده على علو رتبة معنى معقول فوق رتبة الأمر المحسوس [السابق فقال : "ان في خلق السمٰوٰت و الارض" خطابا مع من له نظر عقلي يزيد على نظر الحس - [٩]] باعتبار السماوات أفلاكها و عددها بشواهد نجومها حتى يتعرف أنها سماوات معدودة ، و ذلك مما يظهر موقعه عند من له اعتبار في[١٠] مخلوق السماوات ؛ و لما لم يكن للأرضين شواهد محسوسة بعددها كما في[١١] السماوات لم يجر ذكرها في القرآن إلا[١٢] مفردة[١٣] ، وجاء ذكر السماوات معددة لأهل النظر

---

(١) في مد فقط : آمن (٢) في م: اتاه (٣) زيد في م: لي (٤) زيد من م وظ و مد.
(٥) في م: الا (٦) في م و ظ ومد: فكما (٧) في ظ : و صلت (٨) في مد: حسي ، و في ظ : حسن (٩) زيد من م و ظ و مد (١٠) في م: من (١١) زيد في م: ظاهر .
(١٢) زيد في م: في (١٣) قالوا: و جمع السماوات لأنها أجناس ، كل سماء من=

العقلى و مفردة لأهل النظر الحسى، و أيسر معتبر ما بين السماوات و الأرض فى مقابلة حظيهما فى كون السماوات فى حد من العلو و الصفاء و النورانية و الحركة، و الأرض فى مقابل ذلك من السفل و الكثافة و الظلمانية و السكون، فيقع الاعتبار بحصول مشهود التعاون من مشهود التقابل، و ذلك مما[1] يعجز الخلق فيعلمون أنه من[2] أمر الحق، لأن الخلق إنما يقع لهم التعاون بالمتناسب لا بالمتقابل، فمن آلته الماء مثلا تفسد[3] عليه النار، و من آلته النار يفسد عليه الماء، و الحق سبحانه و تعالى أقام للخلق و الموجودات[4] و المولد آحادا مجتمعة قد قهر فيها متنافرات موجودات الأركان و موجود[5] خلق السماء و الأرض المشهود / تقابلهما[6]، فما وقع اجتماع النار بالماء على تقابل ما بين / ١٥٣
الحار و البارد، و اجتماع الهواء بالأرض على تقابل ما بين الكثيف و اللطيف، و اجتماع الكل فى شىء واحد من جسم واحد و عضو

=جنس غير جنس الأخرى، ووحد الأرض لأنها كلها من تراب؛ و بدأ بذكر السماء لشرفها وعظم ما احتوت عليه من الأفلاك والأملاك والعرش و الكرسى و غير ذلك، و آياتها ارتفاعها من غير عمد تحتها و لا علائق من فوقها ثم ما فيها من النيرين الشمس و القمر و النجوم السيارة و الكواكب الزاهرة شارقة و غاربة و ممحوة و عظم أجرامها و ارتفاعها ـ البحر المحيط ١/٤٦٤.

(١) من م وظ و مد، و فى الأصل: ما (٢) زيد فى م: له (٣) فى ظ: يفسد. (٤) سقط من م (٥) فى ظ: مشهود (٦) و ذكر أرباب الهيئة أن الأرض نقطة فى وسط الدائرة ليس لها جهة و أن البحار محيطة بها و الهواء محيط بالماء و النار محيطة بالهواء و الأفلاك وراء ذلك ـ البحر المحيط ١/٤٦٥.

واحد

واحد حتى فى جزء واحد من أدق أجزائه إلا بأمر يعجز عنه الخلق و لا يقدر عليه إلا الحق الذى يحار فيه الخلق ، فهو إذن إلههم الذى هو إله واحد ، آثاره[1] موجودة فى أنفسهم ، و شواهده[2] مبصرة بأعينهم و حقائق تلك الشواهد بادية لعقولهم ، فكأنه سبحانه و تعالى أقرأهم ذكره الحكيم المرئى لأعينهم[3] كشفا لغطاء أعينهم ليتميزوا عن الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكره . و لما ذكر[4] سبحانه و تعالى خلق متقابل[5] العلو و السفل فى ذكر السماوات و الأرض نظم بها اختلاف الأفقين اللذين فيهما ظهور مختلفى الليل و النهار ليتريع[6] اعتبارهم بين اعتبار الأعلى و الأسفل و المشرق و المغرب فيقع[7] شواهد الإحاطة بهم عليهم فى توحيد ربهم و إرجاع ذلك إليه دون أن يعزى ذلك إلى شيء من دونه مما هو داخل فى حصر موجود هذه الإحاطة من المحيط الأعلى و المحيط الأسفل و المحيط بالجوانب كلها من ملبس الآفاق من الليل و النهار خطابَ إجمال يناسب مورد السورة التى موضوعها إجمالات ما يتفسر فيها و فى سائر القرآن من حيث أنها فسطاطه و سنامه - انتهى .

و لما ذكر تعالى ما أنشأه عن سير الكواكب فى ساحة الفلك اتبعه سير الفلك فى باحة[8] البحر فقال : ﴿ و الفلك ﴾ و هو ما عظم من السفن

---

(١) من م و مد و ظ ، و زيد بعده : عندهم ، و فى الأصل : آثارهم (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : شواهد (٣) فى مد : لانفسهم (٤) فى ظ : ذكره تعالى . (٥) من م و مد و ظ : و فى الأصل : بتقابل (٦) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : ليتزيع - كذا بالزاى (٧) فى م و ظ و مد : فتقع (٨) فى م : بارحة .

[في مقابلة - ١] القارب و هو المستخف منها٢ . قال الحرالي : استوى واحده و جمعه ، حركات الواحد أول في الضمير و حركات الجمع ثوان في الضمير من حيث أن الواحد أول و الجمع ثان مكسر٣ - ٤ انتهى . و لما أراد هنا الجمع لأنه أدل على القدرة ٥وصف بأداة٥ التأنيث فقال : ﴿ التي تجري ﴾ بتقدير الله ، ٦و حقق٧ الأمر بقوله : ﴿ في البحر ﴾ ٨أسند الجري إليها و من المعلوم أنه لا جري لها حقيقة و لا فعل بوجه ترقية إلى اعتقاد مثل ذلك في النجوم إشارة إلى أنه لا فعل لها و لا تدبير كما يعتقد بعض الفلاسفة٨ . و قال الحرالي : و لما ذكر سبحانه و تعالى جملة الخلق و جملة الاختلاف في الوجهين وصل بذلك إحاطة البحر بالأرض و تخلل٩ التجار١٠ فيها لتوصل المنافع المحمولة في الفلك مما يوصل من منافع المشرق للغرب و منافع المغرب للشرق و منافع الشمال

(١) زيد من م و ظ و مد (٢) قال أبو حيان الأندلسي : أول من عمل الفلك نوح على نبينا و عليه أفضل الصلاة و السلام و قال له جبريل عليه السلام : ضعها على جؤجؤ الطائر ، فالسفينة طائر مقلوب و الماء في أسفلها نظير الهواء في أعلاها - قاله أبو بكر بن العربي ، و آيتها تسخير الله إياها حتى تجري على وجه الماء و وقوفها فوقها مع ثقلها و تبليغها المقاصد و لو رميت في البحر حصاة لغرقت ، و وصفها بهذه الصفة من الجريان لأنها آيتها العظمى - البحر المحيط ٤٦٥/١ (٣) من م و مد و ظ ، و في الأصل : منكسر (٤) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست في ظ (٥ - ٥) في م : وصفه بادلة ، و في مد : وصفه باداة . (٦) العبارة من هنا إلى « بقوله » ليست في ظ (٧) في مد : حق (٨-٨) ليست في ظ (٩) في ظ فقط : حلل (١٠) في م : البحار .

للجنوب و بالعكس ، فما حملت جارية شيئا ينتفع به [1] إلا و[2] قد تضمن ذكره مبهم[3] [4] كلمة «ما» في[4] قوله تعالى: ﴿بما[5] ينفع الناس﴾ و ذكرهم باسم الناس الذي هو أول سن يقع فيه الاجتماع و التعاون و التبصر بوجه ما أدنى[6] ذلك في منافع الدنيا الذي هو[7] شاهد هذا[7] القول - انتهى .

و لما ذكر نفع البحر بالسفن ذكر من نفعه ما هو أعم من ذلك فقال: ﴿و ما انزل الله﴾ [8] الذي له العظمة التامة[8] ﴿من السماء﴾ أي جهتها باجتذاب السحاب له . [9] و لما كان النازل منها على أنواع و كان السياق للاستعطاف إلى رفع الخلاف ذكر ما هو سبب الحياة فقال: [9] ﴿من ماء فاحيا به الارض﴾ بما ينبت منها . [9] و لما كان الإحياء يستغرق الزمن المتعقب للموت نفى الجار فقال: [9] ﴿بعد موتها﴾ بعدمه[10] .

---

(١) زيد في الأصل «و» و لم تكن الزيادة في بقية الأصول فحذفناها (٢) ليس في م و مد (٣) من م و مد و ظ ، و في الأصل: منهم (٤ - ٤) من مد و ظ ، و في الأصل: كلهم سا ق ، و قد سقطت من م (٥) يحتمل أن تكون «ما» موصولة أي تجرى مصحوبة بالأعيان التي تنفع الناس من أنواع المتاجر و البضائع المنقولة من بلد إلى بلد فتكون الباء للحال ، و يحتمل أن تكون «ما» مصدرية أي ينفع الناس في تجاراتهم و أسفارهم للغزو و الحج و غيرهما فتكون الباء للسبب ؛ و اقتصر على ذكر النفع و إن كانت تجرى بما يضر لأنه ذكرها في محل الامتنان - البحر المحيط ١/٤٦٥ (٦) من م و ظ و مد ، و في الأصل: ادى .
(٧ - ٧) في ظ: مشاهد (٨ - ٨) ليست في ظ . و في م كأنها - مكان: التامة .
(٩ - ٩) ليست في ظ (١٠) قال أبو حيان الأندلسي كنى بالإحياء عن ظهور ما أودع فيها من النبات ، و بالموت عن استقرار ذلك فيها و عدم ظهوره ، =

و لما ذكر حياة الأرض بالماء أشار إلى أن حياة كل ذى روح بـه فقال : ﴿ و بث ﴾ من البث و هو تفرقة أحاد مستكثرة فى جهات مختلفة ﴿ فيها ﴾ بالخصب [1] ﴿ من كل دابة ﴾ [2] من الدبيب و هو الحركة بالنفس [3] ، قال الحرالى : أبهم تعالى أمر الخلق و الاختلاف و الإجراء فلم يسنده إلى اسم من أسمائه يظهره ، و أسند إنزال الماء من السماء إلى اسمه العظيم الذى هو الله لموقع ظهور القهر عـلى الخلق فى استدرار أرزاق الماء و استجداده [4] وقتا بعد وقت بخلاف مستمر ما أبهم من خلق السماوات و الأرض الدائم على حالة و اختلاف الليل و النهار المستمر على وجهة [5] و احتيال إجراء الفلك الماضى على حكم عادته ، فأظهر اسمه فيما يشهد [6] به عليهم ضرورتهم إليه فى كل حول ليتوجهوا [7] فى العبادة إلى علو المحل الذى منه [8] ينزل الماء فينقلهم بذلك من عبادة ما فى الأرض إلى عبادة

= و هما كنايتان غريبتان ، لأن ما برز منها بالمطر جعل تعالى فيه القوة الغاذية و النامية و المحركة ، و ما لم يظهر فهو كامن فيها كأنه دفين فيها و هى له قبر .

(١) ليس فى ظ (٢) زيد فى م : اى (٣) ﴿ و بث فيها من كل دابة ﴾ فيكون ذلك أعظم فى الآيات ، لأن ما بث تعالى فى الأرض من كل دابـة فيه آيات عظيمة فى أشكالها و صفاتها و أحوالها و انتقالاتها و مضارها و منافعها و عجائبها و ما أودع فى كل شكل منها من الأسرار العجيبـة و لطـائف الصنعة الغريبة و ذلك من الفيل إلى الذرة و ما أوجد تعالى فى البحر من عجائب المخلوقات المباينـة لأشكال البر فمثل هذا ينبغى إفراده بالـذكر ـ البحر المحيط ٤٦٦/١ (٤) فى م : استحراده (٥) زيد فى ظ : واحدة (٦) فى م : تشهد (٧) من ظ ، و فى بقية الأصول : ليوجهوا (٨) سقط من م .

من فى السماء "ءامنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض[١]" و قال عليه الصلاة و السلام للأمة : أين الله ؟ قالت : فى السماء ، قال: أعتقها / فانها /٥٤ مؤمنة . فاذن أدنى الإيمان[٢] التوجه إلى عبادة من فى السماء ترقيا إلى علو المستوى على العرش[٣] إلى غيب الموجود فى أسرار القلوب ، فكان فى هذه التوطئة توجيه الخلق إلى الإله الذى ينزل الماء من السماء و هو الله[٤] الذى لم يشرك به أحد سواه ليكون ذلك توطئة لتوحيد الإله ، و لذلك ذكر[٥] تعالى آية الإلهية التى هى الإحياء ، و الحياة كل خروج عن الجمادية من حيث أن معنى الحياة فى الحقيقة إنما هو تكامل فى الناقص ، فالمهتز حى بالإضافة إلى الجماد ترقيا إلى ما فوق ذلك من رتب الحياة من نحو حياة الحيوان و دواب الارض ، فلذلك ذكر تعالى الإحياءين[٦] بالمعنى ، و أظهر الاسم مع الأرض لظهوره فى الحيوان ، فأظهر حيث خفى عن الخلق ، و لم يذكره حيث هو ظاهر للخلق ، فنبههم[٧] على الاعتبارين[٨] إنزال الماء الذى لهم منه[٩] شراب و منه شجر و به حياة الحيوان و منه مرعاهم .

و لما ذكر سبحانه و تعالى بث ما هو السبب[١٠] للنبات المسبب عن الماء ذكر بث ما هو سبب للسحاب[١١] السبب للمطر[١٢] السبب للحياة فقال

(١) سورة ٦٧ آية ١٦ (٢) ليس فى ظ (٣) فى م : الارض (٤) ليس فى مد . (٥) زيد فى م : الله (٦) فى م : الاحياء (٧) فى ظ : نبههم (٨) من مد و م و ظ ، و فى الأصل : الاعتبار من (٩) فى مد : منهم (١٠) زيد فى م : عن (١١) فى م : السحاب (١٢) من م و مد و ظ . و فى الأصل : للمطر .

تعالى: ﴿ و تصريف الرياح[1] ﴾ أى تارة صبا و أخرى دبورا و[2] مرة شمالا و كرة جنوبا، و التصريف إجراء المصرف بمقتضى الحكم عليه، و الريح متحرك الهوى فى الأقطار ﴿ و السحاب ﴾ و هو المتراكم فى جهة العلو من جوهر ما بين الماء و الهواء المنسحب[3] فى الجو ﴿ المسخر ﴾ أى بها، من التسخير[4] و هو إجراء الشيء على مقتضى غرض ما سخر له ﴿ بين السماء و الارض ﴾ لا يهوى إلى جهة السفل مع ثقله بحمله بخار الماء، كما تهوى بقية الأجرام العالية حيث لم يكن لها ممسك[5] محسوس[6] [7]و لا ينقشع مع أن الطبع يقتضى أحد الثلاثة: فالكثيف يقتضى النزول، و اللطيف يقتضى الصعود، و المتوسط يقتضى الانقشاع[7] ﴿ لآيات ﴾

(١) فى هبوبها قبولا و دبورا و جنوبا و شمالا، و فى أوصافها حارة و باردة و لينة و عاصفة و عقيما و لواقح و نكباء و هى تأتى بين مهبى ريحين، و قيل: تارة بالرحمة و تارة بالعذاب....... و الريح جسم لطيف شفاف غير مرئى، و من آياته ما جعل الله فيه من القوة التى تقلع الأشجار و تعفى الآثار و تهدم الديار و تهلك الكفار و تربية الزرع و تنميته و اشتداده بها و سوق السحاب إلى البلد الماحل ـ قاله أبو حيان الأندلسى (١/٤٦٧) (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: او (٣) ليس فى ظ (٤) تسخيره بعثه من مكان إلى مكان، و قيل: تسخيره ثبوته بين السماء و الأرض بلا علاقة تمسكه .... فقيل: السحاب يأخذ المطر من السماء، و قيل: يغترفه من بحار الأرض، و قيل: يخلقه الله فيه؛ و للفلاسفة فيه أقوال، و جعل مسخرا باعتبار إمساكه الماء إذ الماء ثقيل فبقاؤه فى جو الهواء هو على خلاف ما طبع عليه و تقديره بالمقدار المعلوم الذى فيه المصلحة يأتى به الله فى وقت الحاجة و يرده عند زوال الحاجة ـ البحر المحيط (٥) فى م: تمسك (٦) زيد فى مد: و لا يعلو (٧-٧) ليست فى ظ.

و قال الحرالی : لما ذکر تعالی الأعلی و الأسفل و مطلع اللیل و النهار من الجانبین و إنزال[1] الماء أهواءً ذکر ما یملأ ما بین ذلك من الریاح و السحب الذی هو ما بین حرکة هوائیة إلی استناره[2] مائیة إلی ما یلزم ذلك من بوادی نیراته من نحو صواعقه و جملة أحداثه ، فکان فی هذا الخطاب اکتفاء بأصول من مبادئ الاعتبار ، فذکر السماء و الأرض و الآفاق و ما بینهما من الریاح و السحب ، الماء المنزل الذی جملته قوام الخلق فی عاجل دنیاهم لیجعل لهم ذلك آیه علی علو أمر وراءه ، یکون[3] [4] کل وجه منه آیة علی أمر من [أمر - [5]] الله فیکون آیات ، لتکون السماء آیة علی علو أمر الله فیکون أعلی من الأعلی ، و تکون الأرض آیة علی باطن أمر الله فیکون أبطن من الأبطن و یکون اختلاف اللیل و النهار آیة علی نور بدوه و ظلمة حیبنه مما وراء أمر اللیل و النهار ، و یکون[6] ما أنزل من الماء لإحیاء الأرض و خلق الحیوان آیه ما ینزل من نور علمه علی القلوب[7] فتحیا[8] بها حیاة تکون حیاة الظاهر آیة[9] علیه ، و یکون تصریف الریاح السحاب المسخر بین السماء و الأرض آیات علی تصریف ما بین ارض العبد الذی هو ظاهره و سمائه الذی هو باطنه ، و تسخیر بعضه لبعض لیکون ذلك آیة علی علو الله عن سمائه العلی فی الحس و علی سماء القلوب العلیة فی الوجدان ؛ فلجملة ذلك جعل تعالی صنوف

(١) من م و ظ و مد و فی الأصل انزل (٢) فی م فقط : استنار ، فی ظ : استتاره (٣) ... فیکون (٤) العبارة من ... «علو امر الله فیکون» لیست فی ظ (٥) زید من م و مد (٦) زید فی ... و تکرر ... (٧) فی م : ... (٨) زید فی ... به (٩) من م و ظ و مد ، و فی الأصل ... .

هذه الاعتبارات ﴿لأيٰت١ لقوم٢﴾ و هم الذين يقومون فى الأمر حق القيام، ففيه إشعار بأن ذلك لا يناله من هو فى سن الناس حتى يتنامى طبعه و فضيلة عقله إلى أن يكون من قوم يقومون فى الاعتبار قيام المتنهضين فى أمور الدنيا، لأن العرب عرف استعمالها فى القوم إنما هو

٥ لأجل النجدة و القوة حتى يقولون: قوم أو نساء٣، تقابلا بين المعنيين؛ و ذكر تعالى العقل الذى٤ هو نور من نوره هدى لمن أقامه من حد تردد حال الناس إلى الاستضاءة بنوره فى قراءة حروف كتابه الحكيم التى كتبها بيده و أغنى الأميين بقراءة ما كتب لهم عن قراءة كتاب ما كتبه الخلق - انتهى؛ فقال٥: ﴿يعقلون ه﴾ أى فيعلمون أن مصرف

---

(١) فى م و مد و ظ: ايات - كذا (٢) و ﴿لقوم﴾ فى موضع الصفة أى كائنة لقوم، و الجملة صفة لقوم لأنه لا يتفكر فى هذه الآيات العظيمة إلا من كان عاقلا، فانه يشاهد من هذه الآيات ما يستدل به على وحدانية الله تعالى و انفراده بالإلٰهية و عظيم قدرته و باهر حكمته، وقد أثر فى الأثر: ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها! أى لم يتفكر فيها و لم يعتبر بها (و مناسبة هذه الآية لما قبلها) هو أنه لما ذكر تعالى أنه واحد و أنه منفرد بالإلٰهية لم يكتف بالإخبار حتى أورد دلائل الاعتبار، ثم مع كونها دلائل بل هى نعم من الله على عباده فكانت أوضح لمن يتأمل و أبهر لمن يعقل، إذ التنبيه على ما فيه النفع باعث على الفكر، لكن لا تنفع هذه الدلائل إلا عند من كان متمكنا من النظر و الاستدلال بالعقل الموهوب من عند الملك الوهاب - قاله أبو حيان الأندلسى فى تفسيره المسمى ببحر المحيط ٤٦٨/١ (٣) فى مد: نسيا - كذا (٤) سقط من م (٥) ليس فى ظ .

هذه

هذه الأمور على هذه الكيفيات المختلفة و الوجوه المحكمة فاعل مختار و هو قادر بما يشاهد من إحياء الأرض و غيرها / مما[١] هو أكبر منه على ١٥٥ / بعث الموتى و غيره[٢] مما يريده و أنه مع ذلك كله واحد لا شريك له يماتعه العقلاء من الناس، يعلمون ذلك بذلك[٣] فلا يتخذون أندادا من دونه و لا يميلون عن جنابه[٤] الأعلى إلى[٥] سواه[٦]، و قد اشتملت هذه الآية على جميع ما نقل البيهقى فى كتاب الأسماء و الصفات عن الحليمى أنه مما[٧] يجب اعتقاده فى الله سبحانه و تعالى و هو خمسة أشياء: الأول إثباته سبحانه و تعالى لتقع به مفارقة التعطيل، و الثانى وحدانيته لتقع به البراءة عن[٨] الشرك - و هذان من قوله "و الهكم اله واحد"، و الثالث إثبات أنه ليس بجوهر و لا عرض لتقع به البراءة من التشبيه و هذا من قوله "لا اله الا هو[٩]" لأن من لا يسد غيره مسده لا شبيه له، و الرابع إثبات

(١) من م و مد، و فى ظ: بما، و فى الأصل: ممن (٢) من م و ظ و مد، وفى الأصل: غيرها (٣) العبارة من هنا إلى «سواه» ليست فى ظ (٤) فى م: جانبه. (٥) زيد فى م: ما (٦) ثم ختم ذلك بما لا تتم النعمة للانسان إلا به و هو التصريف المشروح، و هذه الآيات ذكرها تعالى على قسمين: قسم مدرك بالبصائر، وقسم مدرك بالأبصار، فخلق السماوات و الأرض مدرك بالعقول وما بعد ذلك مشاهد للأبصار، و المشاهد بالأبصار انتسابه إلى واجب الوجود مستدل عليه بالعقول، فلذلك قال تعالى ﴿ لأيت لقوم يعقلون ﴾ و لم يقل: لآيات لقوم يبصرون، تغليبا لحكم العقل، إذ مآل ما يشاهد بالبصر راجع بالعقل نسبته إلى الله تعالى - البحر المحيط ٤٦٨/١ (٧) سقط من م (٨) فى م: من (٩) زيد فى ظ: الحى.

أن وجود كل ما سواه كان بابداعه له و اختراعه إياه لتقع به البراءة من قول من يقول بالعلة[1] و المعلول و هذا من قوله "الرحمن الرحيم" "ان فى خلق السموٰت و الارض" ، و الخامس أنه مدبر[2] ما أبدع و مصرفه على ما يشاء لتقع به البراءة من قول القائلين بالطبائع أو تدبير الكواكب أو تدبير الملائكة و هذا من قوله "و ما انزل الله من السماء من ماء - إلى آخرها" قال البيهقى : كان[3] أسماء الله سبحانه و تعالى جده التى ورد بها الكتاب و السنة و أجمع[4] العلماء على تسميته بها منقسمة[5] بين العقائد الخمس ، فليلحق[6] بكل واحدة منهن بعضها ، و قد يكون منها ما يلتحق بمعنيين و يدخل فى بابين[7] أو أكثر - انتهى . [8]و سبب تكثير الأدلة أن عقول الناس متفاوتة ، فجعل سبحانه و تعالى العالم و هو الممكنات الموجودة و هى جملة ما سواه الدالة على وجوده و فعله بالاختيار على قسمين : قسم من شأنه أن يدرك بالحواس الظاهرة و يسمى فى عرف أهل الشرع الشهادة و الخلق و الملك ، و قسم لا يدرك بالحواس الظاهرة و يسمى الغيب و الأمر و الملكوت ، و الأول يدركه عامة الناس و الثانى يدركه أولو الألباب الذين عقولهم خالصة عن الوهم و الوساوس ، فالله

---

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بالعملة - كذا (٢) زيد فى م : كل (٣) فى م : لان ، و فى ظ : ثم ان (٤) زيد فى الأصل فقط : اهل . و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٥) من م وظ و مد ، و فى الأصل : متضمنة (٦) فى م وظ : فليلتحق ، و فى مد فيلتحق (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : من بين (٨) العبارة من هنا إلى " و العياذ بالله سبحانه و تعالى هو الشقى " ليست فى ظ .

سبحانه و تعالى بكمال عنايته و رأفته و رحمته جعل العالم بقسميه[1] محتويا على جمل و تفاصيل [من - ٢] وجوه متعددة و طرق متكثرة تعجز القوى البشرية عن ضبطها يستدل بها على وحدانيته بعضها أوضح من بعض ليشترك الكل فى المعرفة. فيحصل لكل بقدر[3] ما هيئ[4] له، اللهم إلا أن يكون ممن طبع على قلبه، فذلك و العياذ بالله سبحانه و تعالى هو الشقى.

و لما نهضت الأدلة و سطعت البراهين و زاحت العلل و الشكوك عاب من عبد سواه و فزع إلى غيره كما نهى عن الأنداد عقب الآية الأولى الداعية إلى العبادة مشيرا بختم التى قبل بيعقلون. إلى أن هؤلاء ناس ضلت عقولهم و فالت[5] آراؤهم و بين أنهم يتبرأ بعضهم من[6] بعض يوم ينكشف حجاب الغفلة عن سرادق العظمة و يتجلى الجبار فى صفة النقمة فقال سبحانه و تعالى عاطفا على ما قدرته مما أرشد إليه المعنى: و من، أو يكون التقدير: فمن الناس من عقل تلك الآيات فآمن بربه و فنى فى حبه ﴿و من الناس من يتخذ﴾ و هم من لا يعقل[7] ﴿من

(١) من م و مد، و فى الأصل: بقسميته (٢) زيد من م ومد (٣) من م و مد، و فى الأصل: يقدر (٤) فى م فقط: يهيئ (٥) كتب فوقه فى ظ: أى ضعفت. (٦) فى ظ: على (٧) لما قرر تعالى التوحيد بالدلائل الباهرة أعقب ذلك بذكر من لم يوفق باتخاذه الأنداد من دون الله، ليظهر تفاوت ما بين المنهجين، و الضد يظهر حسنه الضد، و أنه مع وضوح هذه الآيات لم يشاهد هذا الضال شيئا منها، و لفظ «الناس» عام و الأحسن حمله على الطائفتين من أهل الكتاب =

دون الله ﴾ [1] الذى لا كفوء له [1] مع وضوح [2] الأدلة ﴿ اندادا ﴾ مما خلقه ، ادعوا أنهم شركاؤه ، [3] أعم من أن يكونوا أصناما أو رؤساء يقلدونهم فى الكفر بالله و التحريم و التحليل من [4] غير أمر الله ﴿ يحبونهم ﴾ من الحب و هو إحساس بوصلة لا يدرى كنهها ﴿ كحب الله ﴾ [5] الذى له الجلال و الإكرام بأن يفعلوا [6] معهم من الطاعة و التعظيم فعل المحب [7] كما يفعل من ذلك مع الله الذى لا عظيم غيره ، [1] هذا على أنه من المبنى للفعول و يجوز أن يكون للفاعل فيكون المعنى كحبهم لله لأنهم مشركون [1] ﴿ و الذين آمنوا اشد حبا لله ﴾ [8] الذى له الكمال كله من حب المشركين لأندادهم فأفاض عليهم [9] من كماله ، لأنهم لا يعدلون به شيئا [10] فى حالة من الحالات من ضراء أو سراء فى بر أو بحر [11] ، بخلاف المشركين فانهم

= وعبدة الأوثان . فالأنداد باعتبار أهل الكتاب هم رؤساؤهم و أحبارهم اتبعوا ما رتبوه لهم من أمر و نهى و إن خالف أمر الله و نهيه ، قال تعالى " اتخذوا احبارهم و رهبانهم اربابا من دون الله " و الأنداد باعتبار عبادة الأوثان هى الأصنام اتخذوها آلهة و عبدوها من دون الله ـ البحر المحيط ١ / ٤٦٩ .

(١ ـ ١) ليست فى ظ (٢) زيد فى م و ظ و مد : هذه (٣) العبارة من هنا إلى « أمر الله » ليست فى ظ (٤) فى م : عن (٥) العبارة من هنا إلى « بأن » ليست فى ظ . و لفظ « بأن » فقط ليس فى م (٦) زيد قبله فى الأصل فقط « اى » و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها . و فى ظ : يفعلون (٧) فى م : الحب (٨) العبارة من هنا إلى « من كماله » ليست فى ظ (٩) فى مد : اليهم (١٠) فى م : اشياء (١١) العبارة من هنا إلى « عقلى » ليست فى ظ .

يعدلون فى الشدائد إليه سبحانه و تعالى ، و إذا رأوا فى الرخاء حجرا أحسن تركوا الأول و عبدوه ، و حبهم هوائى و حب المؤمنين عقلى .
و قال الحرالى : و لما استحق القوم[١] القائمون فى أمر الله سبحانه و تعالى هذا الاعتبار بما آتاهم الله من العقل لم يكن من / اتخذ من دون الله أندادا / ١٥٦
مما يقال فيهم : قوم ، بل يقصرون إلى اسم النوس الذى هو تردد وتلدّد[٢] فكأنه سبحانه و تعالى عجب من[٣] لم يلحق بهؤلاء[٤] القوم فى هذا الاعتبار الظاهرة شواهده البيّنة آثاره ، فأنبأ أن طائفة من الناس على المقابلة من ذلك الاعتبار الظاهر لنور العقل فى أخذهم لمقابل العقل من الحزق الذى يقدم[٥] فى موضع الإحجام و يحجم فى موضع الإقدام ، ثم غلب ذلك عليهم حتى وصل إلى بواطنهم [فصار حبا كأنه وصلة بين بواطنهم -[٦]] و قلوبهم و ما اتخذوه من دون الله أندادا ، ففيه إشعار بنحو مما أفصح به لبنى إسرائيل فى كون قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة ، ففى كرم[٧] هذا الخطاب فى حق العرب ستر عليهم رعاية لنبيهم فى أن يصرح عليهم بما صرح على بنى إسرائيل ، ففى لحنه إشعار[٨] بأن من اتخذ [ندا[٦] -] من دون الله فتلك لوصلة[٩] بين حال قلبه و حال[١٠] ما اتخذ من دون الله ، فمن

---

(١) ليس فى ظ (٢) من مد و ظ ، و وقع فى الأصل : تلـدد ، و فى م : تلذذ - كذا مصحفا (٣) فى ظ : من (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : هؤلاء . (٥) من م و ظ و مد ، وفى الأصل : تقـدم (٦) ما بين الحاجزين زيد من م و ظ و مد (٧) بهامش م بعلامة النسخة : كون (٨) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : اشعارا (٩) فى مد : الموصلة (١٠) زيد فى م و مد : من .

عبد حجرا فقلبه[1] فى القلوب حجر و من عبد نباتا فقلبه[1] فى القلوب نبات ، و كذا من عبد[2] دابة "و اشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم[3]" كذلك إلى ما يقع معبودا من دون الله مما بين أعلى النيرين[4] الذى هو الشمس إلى أدنى الأوثان إلى ما يقع فى الخلق من عبادة بعضهم بعضا من نحو عبادة الفراعنة و النماردة إلى ما يلحق بذلك من نحو[2] رتبة العبادة باتباع الهوى [5] الشائع موقعه[5] فى الأمم و فى هذه الأمة ، لأن من غلب عليه هوى شيء فقد عبده ، فكأن عابد الشمس قلبه سعير و عابد النار قلبه نار و عابد القمر قلبه زمهرير ، و من عبد مثله من الخلق فقد عبد هواه "ارايت من اتخذ الٰهه هوٰه[6]" فمن عبد الله فهو الذى علا عن سواه من المخلوقات فعادل سبحانه و تعالى خطاب الأولين المعتبرين العقلاء بهذا الصنف الذى انتهى أمرهم فى الكفر إلى الحب من حيث اعتلقت بواطنهم بهم[7] فيما شأنه أن يختص بالله من الخوف و الرجاء و النصرة على الأعداء و الإعانة للأولياء ، فلما توهموا فيهم مرجى الإلٰهية و مخافتها أحبوهم لذلك كحب الله[8] لأن المتعبد مؤتمر و مبادر فالمبادر قبل الأمر محب ، و المجيب

(١) وقع فى الأصل : تغلبه ، و التصحيح من م وظ و مد (٢) ليس فى م . (٣) ليس فى مد (٤) فى م : النيران (٥-٥) فى م : السائغ موقفه . (٦) سورة ٢٥ آية ٤٣ (٧) فى م : به (٨) قال الراغب : الحب أصله من المحبة ، حببته أصبت حبة قلبه و أحببته بحبة القلب ، و هى فى اللفظ فعل و فى الحقيقة انفعال ، و إذا استعمل فى الله فالمعنى أصاب حبة قلب عبده بجعلها مصونة عن الهوى و الشيطان و سائر أعداء الله - انتهى . و قال عبد الجبار : =

للأمر مطيع ، فالمحب أعلى في الطرفين - انتهى . و لما عجب من حالهم حذر من سوء منقلبهم و مآلهم فقال: ﴿ و لو يرى الذين ظلموا ﴾ أي و لو يرون أي المتخذون للأنداد و لكنه أظهر لأجل التعميم الوصف الذي استحقوا به ما يذكر ، و هو وضعهم الشيء في غير محله كفعل من يمشي في مأخذ الاشتقاق و هو الظلمة ، و ذلك هنا تسويتهم من[1] لا يملك شيئا أصلا بمن يملك كل شيء ﴿ اذ يرون العذاب ﴾ أي يتخذون أندادا و الحال أنهم لو يعلمون حين إهانتهم و لين ما غلظ من أكبادهم [2] و رؤية ما لا يستحق غيره بالنسبة إليه أن يسمى عذابا [2] ﴿ ان القوة لله ﴾ [الذي - [3]] له مجامع الكمال ﴿ جميعا ﴾ حين يشاهدون العذاب قد[4] أحاط بهم[5] ﴿ و ان الله ﴾ الذي لا ملك سواه ﴿ شديد العذاب ﴾ لم يتخذوا أندادا و لم يعدلوا بالله أحدا ، أو يكون التقدير: و لو ترى بالتاء و الياء . أي لو أبصرت أو أبصر الذين ظلموا أنفسهم[4] باتخاذهم الأنداد[6] - إلى آخره . و قال الحرالي: قال تعالى "و لو ترى" عطفا على متجاوز أمور من أمور جزائهم مما نالهم من عقوبات أثر كفرهم في الدنيا ، قال عليه الصلاة

= حب العبد لله تعظيمه والتمسك بطاعته ، و حب الله العبد إرادة الثناء عليه و إثابته ، و أصل الحب في اللغة اللزوم ، لأن المحب يلزم حبيبه ما أمكن ؛ قاله أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط ١ / ٤٧٠ .

(١) في م و ظ : من (٢-٢) ليست في ظ (٣) زيد من م و ظ و مد (٤) ليس في ظ (٥) زيد في م و مد : فيتحققون أنه لا شيء يحجزه من ثواب و لا عقاب ولا غيره (٦) من م و مد وظ ، و وقع في الأصل : لانه او - مصحفا .

و السلام : إذا أذنب العبد نكتت فى قلبه نكتة سوداء ، إلى متمادى غاية رؤيتهم العذاب ، و فى قوله " ترى - بالتاء " إقبالا على النبى صلى الله عليه و سلم تعجيب له بما ينالهم مما أصابوه ، و فيه إشعار بأن ذلك من أمر يعلو أمره إلى محل رؤيته التى هى أتم الرؤية ، و فى قوله " يرى - بالياء " تحسر[١] عليهم يشعر بأن منالهم من رؤية العذاب[٢] مما كان يزجرهم[٣] عما هم عليه لو رأوه - انتهى . " اذ يرون " أى الوقت الذى يبصرون فيه العذاب ، أى الأكبر الذى لا عذاب مثله ؛ كما أفهمه تعريفه بال ، ثم بينه بقوله " ان القوة " و هى مُنّة[٤] الباطن التى[٥] يجدها المقتدر منشأ لما يبديه ظاهره [و ما يبديه ظاهره -[٦]] قدرة القوة جمعها[٧] و أصلها و القدرة ظاهرها و تفصيل إنشائها لله جميعا ، فانه لا شىء أشق على الإنسان من أن يرى خصمه[٨] نافذ[٩] الأمر منفردا بالعز[١٠] فى كل معنى لا سيما [إذا كان جبارا متكبرا شديد البطش بمن عصاه ، كما يشير إليه قوله " و ان الله شديد العذاب " و لاسيما -[١١]] إذا كان العاصى له قد أساء إليه بالإساءة[١٢] إلى أوليائه و بالغ حتى لم يدع للصلح موضعا . و قال الحرالى : موضع[١٣]

(١) زيد فى م « و » (٢) العبارة من هنا إلى « فيه العذاب » ليست فى م (٣) من مد و ظ ، و فى الأصل : يرجوهم - كذ (٤) من مد ، و فى الأصل و م : منه ، و فى ظ : منه (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الذى (٦) زيد من م و ظ و مد ، غير أن فى م « ظاهرة » مكان « ظاهره » (٧) فى مد : جميعها (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : خضد (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : نافر (١٠) فى م : بالعزم (١١) زيدت من م و ظ و مد (١٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بالاشارة - كذا (١٣) فى م ظ و مد : موقع .

الرؤية فى الحقيقة هو ان القوة لله جميعا سلبا عن جميع أندادهم الذين[1] أحبوهم و عن / أنفسهم ، كما قال قائلهم "نحن اولوا قوة و اولوا باس شديد[2]" لكن لما كان رؤيتهم لذلك عن رؤية مشهود العذاب الذى هو أتم العذاب ذكر العذاب الذى هو ظاهر مرأى ان القوة لله جميعا ، و فى "ان القوة" إعلام باطلاعهم يوم هذه الرؤية على بواطن أندادهم و سلبها ما[3] شأن البواطن أن تتحلى[4] به من القوة من حيث وصفهم لهم بالحب الباطن اطلعهم على سلب قواهم الباطنة بالرؤية التى هى باطن البصر الذى هو باطن النظر . و لما ذكر أمر القوة عطف عليه ما هو أمر القدرة فقال "و ان الله شديد العذاب" إكمالا للخطاب بظاهره ، و استأنف معه الاسم العظم لإظهار ما بين غايتى الباطن و الظاهر فى أمر القدرة و القوة ، ليكون مع المنظر[5] الظاهر بالقدرة[6] اسم أظهره و استأنفه و قدم ذكره كما كان مع المرأى الباطن بالقوة اسما أضاف إليه و أنهى له ليقع ماولى أول[7] الخطاب مقابل ما ختم به الخطاب ، فينعطف أوله على آخره و آخره على أوله باطنا لظاهر و ظاهرا[8] لباطن فى المتعاطفين جميعا فى قوله "ان القوة لله جميعا و ان الله شديد العذاب" انتهى . أو يقال : إذ يرون العذاب الذى[9] يتوعدون به[10] الآن لأن القوة لله جميعا

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الذى (٢) سورة ٢٧ آية ٣٣ (٣) زيد فى مد : هو (٤) من م و مد ، و فى الأصل : تنتخلى ، و فى ظ : سحلى - كذا بلا نقط . (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل فقط : النظر (٦) فى م فقط : بالقوة (٧) فى م : اولى (٨) فى م : ظاهر (٩) من م و مد و ظ . و فى الأصل . الذين (١٠) من م و مد و ظ . و فى الأصل : لله .

فلا مانع له من إتيانهم به ، كما تبين فى الآيتين قبلهما أنه لا كفوء له و أنه كامل القدرة شامل العلم ، و الجواب محذوف لتهويله لذهاب وهم المتوعد إلى كل ضرب من أنواع التوعد . و لو ذكر ضرب منه لأمكن أن يوطن نفسه عليه ، فالتقدير : لو رأيت أو رأوا ذلك الوقت الذى يشاهدون فيه تلك العظمة لرأيت أو لرأوا أمرا[1] فظيعا هائلا شاغلا لهم عن اتخاذ الأنداد و محبتها و غير ذلك من الظلم . [2] و حذف الجواب للعلم به كما حذف من أمثاله [2] ؛ ثم[3] أبدل من " اذ يرون " قوله : ﴿اذ تبرا﴾ و هو من التبرؤ[4] الذى هو طلب البراءة و إيقاعها بجد و اجتهاد ، و هى[5] إظهار التخلص من وصلة أو اشتباك[6] ﴿الذين اتبعوا﴾ [7] أى مع[8] اتباع غيرهم لهم ، و هم الرؤسا ﴿من الذين اتبعوا﴾ مع نفعهم[9] لهم فى الدنيا بالاتباع لهم و الذب عنهم . و قال الحرالى : قال ذلك إظهارا لإفصاح[10] ما أفهمه مضمون الخطاب الأول لتتسق الآيات بعضها ببعض ، فتظهر الآية ما فى ضمن سابقتها ، و تجمع الآية ما فى تفصيل لاحقتها[11] و إعلاء[12] للخطاب بما هو[13] المعقول عليه المتقدم[14] إلى ما فى الإيمان نبأه[15] ليتم نور

(١) فى الأصل : أمر ، و التصحيح من م و مد و ظ (٢ - ٢) ليست فى ظ .
(٣) ليس فى م (٤) فى ظ : التبراء - كذا (٥) فى م : من (٦) من م و مد و ظ ؛ و فى الأصل : استياك (٧) العبارة من هنا إلى « لهم » ليست فى ظ (٨) فى م و مد : وقع (٩) من م و مد ، و فى الأصل : يقعهم - كذا (١٠) فى مد : لاافضاح .
(١١) فى ظ : لاحقه (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اعلام (١٣) فى م و ظ و مد : فى (١٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : المقدم (١٥) زيد فى م و مد « و » .

العقل الذى[1] وقع به الاعتبار بنور الإيمان الذى يقع به القبول لما فى الآخرة عيانه، فمن عقل عبرة الكون الظاهر استحق إسماع نبأ الغيب الآتى[2]؛ ثم قال: بذا يتبرأ المتبوع فى الذكر لأنه الآخر فى الكون، فكأنه فى المعنى: إنما تعلق التابع بالمتبوع ليعيذه[3] فى الآخرة كما كان عهد منه [أن يعيذه[4] فى الدنيا فيتبرأ[5] منه - [6]] لما ذكر تعالى من "أن القوة لله جميعا" ولذلك اتصل ذكر التبرؤ بذكر قبض القوة والقدرة عنهم - انتهى.

قال تعالى ﴿وراوا﴾ أى الكل ﴿العذاب﴾ أى الذى لا محيص لهم عنه. وقال الحرالى: قاله ردا للاضمار على الجميع، وفيه إشعار بأن ذلك قبل غلبة العذاب عليهم وفى حال الرؤية، ففيه إنباء بأن بين رؤيتهم العذاب وبين أخذهم به مهل يقع فيه خصومتهم وتبرؤهم وإدراكهم للحق الذى كان متغيبا عنهم فى الدنيا بما فتن بعضهم بعضا - انتهى.[7]
﴿وتقطعت﴾ أى تكلفت وتعمدت القطع وهو بين المتصل، أشار إليه الحرالى، ومعناه أنه قطع بقوة عظيمة[8]، ويجوز أن تكون صيغة التفعل إشارة إلى تكرر القطع فى مهلة[9] بأن يظهر لهم انقطاع الأسباب

---

(١) زيد فى م: هو (٢) ليس فى م (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: ليعيده.
(٤) فى ظ فقط: يعيده (٥) فى م: فيتبرأوا - كذا (٦) زيدت من م وظ ومد.
(٧) زيد فى م: ولما بيّن حال هذه التبرئة بيّن أن الأمر المهم من ذلك، لأن كلا منهم يتبرأ من أقرب الناس إليه ولا يهمه غير نفسه ولا يجد من يغنيه نوع غناء فقال (٨) من م ومد وظ، وفى الأصل: عظيم (٩) من م ومد وظ، وفى الأصل: جهلة.

شيئا فشيئا زيادة فى إيهانهم[1] وإيلامهم وهو أنهم ﴿ بهم ﴾ أى كلهم جميع[2] ﴿ الاسباب[7] ه ﴾ أى كلها، وهى الوصل التى كانت بينهم فى الدنيا، والسبب [ما-[3]] يتوصل به إلى حصول، [4]فى الأصل الحبل، ثم قيل لكل[4] مقصد. قال الحرالى: وفيه إشعار بخلو[5] بواطنهم من التقوى ومن استنادهم إلى الله سبحانه وتعالى فى دنياهم، وأنهم لم يكونوا عقلوا إلا تسبب بعضهم ببعض فتقطعت بهم الأسباب[6] ولم يكن[7] لهم، لأن ذلك واقع بهم فى أنفسهم لا واقع لهم فى غيرهم، فكأنهم كانوا نظام أسباب تقطعت بهم فانتثروا[8] منها، وأسبابهم وصل ما بينهم فى الدنيا التى لم تثبت[9] فى الآخرة، لأنها من الوصل الفانية لا من الوصل الباقية لأن متقاضى ما فى الدنيا ما كان منه بحق فهو من الباقيات الصالحات وما كان منه عن هوى فهو من الفانى الفاسد - انتهى.

/١٥٨ ﴿ وقال / الذين اتبعوا ﴾ وهم الأذناب متمنين للحال ندما على اتباع من لا ينفع[10] حيث لا ينفع الندم ﴿ لو ان لنا كرة ﴾ أى رجعة

(١) فى م: ابهامهم (٢) ليس فى م وظ (٣) زيد من م وظ (٤-٤) ليست فى م ومد وظ (٥) فى الأصل: تحملوا، والتصحيح من م ومد وظ (٦) وفى البحر المحيط ١/٤٧٣: ﴿ وتقطعت بهم الاسباب ﴾ كناية عن لا منجى لهم من العذاب ولا مخلص ولا تعلق بشىء يخاص من عذاب الله، وهو عام فى كل ما يمكن أن يتعلق به (٧) كذا فى الأصل، والظاهر: لم تكن (٨) فى ظ: فاشتروا - كذا (٩) فى م: لم تنبت (١٠) فى الأصل: لايقع، والتصحيح من م وظ ومد.

إلى الدنيا . و قال الحرالى : [1]هى رجع[1] و عودة[2] عند غاية قرّة[3] - انتهى . [4]و لما كانت «لو» بمعنى التمنى نصب جوابها[5] فقال ﴿ فنتبرا منهم ﴾ أى الرؤساء هناك و نذلهم ﴿ كما تبروءا منا ﴾ و أذلّونا هنا . و قال الحرالى : فيه إنباء عن تأسفهم على اتباع من دون ربهم ممن اتبعوا و إجراء لتأسفهم على وجه متوهم غير محقق على حد ما كان تمسكهم[6] بهم متوهم انتفاع غير محقق ، ففيه إثبات لحالهم فى الآخرة على ما كان ينالهم[7] فى الدنيا من الأخذ بالموهوم[8] و الغيبة عن المعلوم - انتهى .

و لما كانت هذه الأشياء بعضها ثمرة أعمالهم و بعضها حكاية أقوالهم[9] قال تعالى على طريق الاستئناف [10]جوابا لمن يقول : لقد رأوا جزاء عقائدهم فهل يرون جزاء أعمال الجوارح[10] ﴿ كذلك ﴾ أى الأمر الفظيع المهول ﴿ يريهم الله ﴾ [10]الذى له القدرة التامة و العظمة الكاملة[10] ﴿ اعمالهم ﴾ الخبيثة و غيرها ﴿ حسرٰت عليهم ﴾ أى تلهفا على ما فات ، إطلاقا للسبب على السبب [10]و أشار بأداة الاستعلاء إلى غلبتهم و شدة هوانهم فقال[10] : "عليهم". و قال الحرالى : لما [11] كانت عقائدهم فيهم[12] حسرات أراهم أعمالهم التى عملوها[13] لابتغاء الخير فى الدنيا حسرات" و قدمنا إلى

(١-١) فى م فقط : أى رجعة (٢) من م ومد و ظ ، وفى الأصل فقط : دعوة . (٣) من م و مد ، و فى الأصل : قرة ، و فى ظ : قوة (٤) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست فى ظ (٥) فى م : جوابا (٦) فى م : تاسفهم (٧) فى ظ : حالهم . (٨) فى م : الموهم (٩) فى ظ : اعمالهم (١٠-١٠) ليست فى ظ (١١) فى ظ ومد : كما (١٢) فى ظ ومد «فى» (١٣) و ﴿ أعمالهم ﴾ قيل هى الأعمال التى =

ما عملوا من عمل فجعلنه هباء منثورا ¤[١] " كما كان عمل من قلبه[٢] محب و متأله[٣] لما دون الله ، و فيه إشعار بأن عمل كل عامل مردود إلى ما اطمأن به قلبه و سكنت إليه نفسه و تعلق به خوفه و رجاؤه ، فمن غلب على سره شيء فهو ربه الذي يصرف عمله إليه ، فلا يجد عنده جزاء لتبرؤه منه فيصير حسرة عليه ، فأنبأ سبحانه و تعالى بأنهم لا ينصرونهم في الآخرة و لا يجزونهم[٤] على أعمالهم ، فلم ينفعهم تألههم[٥] إياهم ، و المتبوع منهم[٦] متأله لنفسه فلم يجد عندها جزاء عمله ، فتحسر كل منهم على ما عمل من عمل الخير لإحباطه " و لقد اوحي إليك و الى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك[٧] " و الحسرة أشد الأسف على الفائت الذي[٨] يحسر المتلهف أي يقطعه عما تحسر عليه - انتهى . و يدخلون بأعمالهم النار ﴿ و ما هم ﴾ [٩] أي[١٠] بفائت[١١] خروجهم بل هم و إن خرجوا من

= صنعوها ، و أضيفت إليهم من حيث عملوها وأنهم مأخوذون بها ، وهذا على قول من يقول إن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة ، و هذا معنى قول الربيع و ابن زيد إنها الأعمال السيئة التي ارتكبوها فوجب لهم بها النار ، وقال ابن مسعود و السدى : المعنى أعمالهم الصالحة التي تركوها ففاتتهم الجنة ، و أضيفت إليهم من حيث كانوا مأمورين بها - البحر المحيط ١/٤٧٥ .

(١) سورة ٢٥ آية ٢٣ (٢) من ظ و مد ، و في الأصل و م : قبله (٣) من م ومد ، وفي الأصل : متاله ، وفي ظ : مقاله (٤) من م وظ ، وفي مد : لا تجزونهم ، و في الأصل : لا يجزوهم (٥) من م و مد وظ ، و في الأصل : بالههم (٦) ليس في م (٧) سورة ٣٩ آية ٦٥ (٨) في م : التي (٩) العبارة من هنا إلى « يعودون إليه » ليست في ظ (١٠) زيد في م ومد : خاصة وأكد النفي بالجار فقال بخارجين أي . (١١) في مد : بثابت .

السعير إلى الزمهرير يعودون إليه ﴿ بمخرجين[1] من النار ﴾ يوما من الأيام و لا ساعة من الساعات بل هم خالدون فيها على طول[2] الآباد و مر الأحقاب،[3] بخلاف عصاة المؤمنين فانهم إذا خرجوا منها لم يعودوا إليها[3]. قال الحرالي: و[4] فيه إشعار بقصدهم الفرار منها و الخروج كما قال سبحانه و تعالى " كلما [ارادوا -[5]] ان يخرجوا [منها اعيدوا فيها -[6]] " فأنبأ تعالى أن وجهتهم للخروج لا تنفعهم، فلم تبق[7] لهم منه تنهضهم منها حتى ينتظم[8] قطع رجائهم[9] من منة أنفسهم بقطع رجائهم ممن اعتلقوا به من شركائهم و لم يكن "و ماهم منها بمخرجين[10]" كما[1] قال فى أهل الجنة للاشعار بأن اليأس و الانقطاع واقع منهم على أنفسهم، فكما كان بوادى أعمالهم فى الدنيا من أنفسهم عندهم جرى نبأ[11] جزائها على حد ذلك فى[12] المعنى[13] كما[14] قال: أعمال أهل الجنة عندهم من توفيق ربهم جرى ذكر[15] جزائهم على حد ذلك من المعنى بحسب ما يقتضيه اختلاف الصيغتين - انتهى. و لعل الآية ناظرة[16] إلى قوله أول

(١) ليس فى م و مد (٢) من م وظ ومد، و فى الأصل: طور (٣-٣) ليست فى ظ (٤) ليس فى مد (٥) زيد من م ومد وظ، و قد سقط من الأصل (٦) زيد من م - راجع سورة ٣٢ آية ٢٠ (٧) فى ظ: فلم يبق (٨) فى م: ينقطع (٩) فى ظ: درجاتهم (١٠) سورة ١٠ آية ٤٨ (١١) من م و مد وظ، و فى الأصل: بنا - كذا (١٢) ليس فى م (١٣) زيد فى مد: و (١٤) العبارة من هنا إلى «من المعنى» ليست فى م (١٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ذلك (١٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: نظرة.

السورة "و من الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخرة و ما هم بمؤمنين" يعنى كما أن فى أهل الكتاب منافقين و مصارحين فكذلك فى العرب ، فصار قوله[1] " ان الذين كفروا سواء عليهم" شاملا[2] للأقسام الأربعة ، ثم اتبع ذلك المنافقين من العرب ثم المنافقين [3] و المشاققين[3] من أهل الكتاب ثم المجاهرين[4] من العرب فصار قسما العرب مكتنفين[5] لقسمى أهل الكتاب إشارة إلى أنهم المقصودون بالذات و أنه سيؤمن أكثرهم و يغلبون أهل الكتاب و يقتلونهم قتل[6] الكلاب ؛ و لما عجب سبحانه و تعالى من الضالين ، بين من مآلهم[7] ما يزجر مثله من له أدنى عقل[8] ، فكانوا بذلك فى عداد المقبل بعد الإدبار و المذعن[9] بعد الاستكبار أقبل على الكل كما فعل فى آية التوحيد الأولى فقال "يأيها الناس اعبدوا ربكم" إقبال متلطف بعموم الإذن فى تناول[10] ما أبدعه لهم و رحمهم به فى هذا الملكوت المذكور فى ضمن ما نصب من الأدلة تذكيرا لهم / بالنعمة و توددا[11] إليهم بجميع ما يوجب المحبة و إشارة /١٥٩
إلى أنه هو الذى خلق لهم ما تقربوا به إلى غيره مما ادعوه[12] ندا من

(١) ليس فى ظ (٢) فى م : شامل (٣-٣) ليس فى م (٤) فى م : المجاهدين (٥) فى ظ : مكتفين (٦) من ظ و مد . و فى الأصل : قتلا (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : مسايلهم (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : عقله (٩) من مد ، و فى م : المدعى ، و فى ظ و الأصل : المدعى - كذا بالدال المهملة (١٠) من ظ ، و فى بقية الأصول : تناوله (١١) من م ، و فى الأصل و ظ : تودرا ، و فى مد : توددوا (١٢) زيد فى م : به .

البحيرة و السائبة و الوصيلة[1] و ما شاكلها فقال "يا يها الناس" و إن اختصرت فقل: لما أقام سبحانه و تعالى الدليل على الوحدانية بما خلق من المنافع و صنف الناس صنفين ضال[2] معطوف دال بعطفه[3] على غير مذكور على مهتد معطوف عليه و ختم بتأبيد[4] عذاب الضال[5] أقبل على الصنفين إقبال متلطف مترفق[6] مستعطف مناديا لهم إلى تأبيد[7] نفعهم قائلا: ﴿ يأيها الناس[8] ﴾ [9]أي كافة[9]. و قال الحرالي: [10]لما استوفى سبحانه و تعالى ذكر أمر الدين إلى أنهاه من رتبة دين الإسلام الذي رضيه و كان الدين هو غذاء[11] القلوب و زكاة الأنفس نظم به ذكر غذاء[12] الأبدان

(١) من م و مد و ظ، و في الأصل: الوسيلة ـ كذا بالسين؛ راجع سورة ٥ آية ١٠٣ (٢) في م: دال. و ليس في ظ (٣) من م و مد و ظ، و في الأصل: بعطف (٤) من م و مد و ظ. و في الأصل: بتابيد ـ كذا (٥) من م و مد و ظ، و في الأصل: القتال (٦) في ظ: مترقق (٧) من م و مد و ظ. و في الأصل: تاييد (٨) هذا ثاني نداء وقع في سورة البقرة بقوله "يأيها الناس" و لفظه عام. قال الحسن: نزلت في كل من حرم على نفسه شيئا لم يحرمه الله عليه . . . . . قيل: و بني مدلج حرموا على أنفسهم من الحرث و الأنعام و حرموا البحيرة و السوائب و الوصيلة و الحام، فان صح هذا كان السبب خاصا و اللفظ عام و العبرة لعموم اللفظ لا بخصوص السبب، (و مناسبة هذا لما قبله) أنه لما بين التوحيد و دلائله و ما للتائبين و العاصين اتبع ذلك بذكر إنعامه على الكافر و المؤمن ليدل أن الكفر لا يؤثر في قطع الأنعام. و قال المروزي: لما حذر المؤمنين من حال من يصير عمله عليه حسرة أمرهم بأكل الحلال لأن مدار الطاعة عليه ـ البحر المحيط ١ / ٤٢٨ (٩-٩) ليس في ظ (١٠) زيد في م «و» (١١) في م: عذاب. (١٢) في م: غداء، و في ظ: عذا ـ كذا.

من الأقوات ليتم بذكر[1] النماءين نماء الذوات ظاهرها البدنى و باطنها الدينى، لما بين تغذى الأبدان و قوام الأديان من التعاون على جمع أمرى صلاح العمل ظاهرا و قبوله باطنا، قال عليه الصلاة و السلام: لا يقبل الله عملا إلا بالورع الشافى؛ و كما قيل: ملاك الدين الورع، و هلاكه الترف، و نقصه السرف؛ فكما انتظم الكتاب قصر الخلق على أفضل متصرفاتهم فى التدين اتصل به قصرهم على أفضل مأكلهم فى التقوت، و لما ذكر الدين فى رتبتى صنفين من الناس و الذين آمنوا انتظم به ذكر المأكل فى صنفيها فقال "يايها الناس" فانتظم بخطاب قوله تعالى "يايها الناس اعبدوا ربكم" لما بين العبادة و المأكل من الالتزام - انتهى.

و لما كانت رتبة الناس من أدنى المراتب فى خطابهم أطلق لهم الإذن تلطفا بهم و لم يفجأهم بالتقييد فقال [2]مبيحا لهم ما أنعم به عليهم[2]: ﴿كلوا[3]﴾ [2]و لما كان فى الأرض ما لا يؤكل قال[2]: ﴿مما فى الارض﴾ أى مما بينا لكم أنه من أدلة الوحدانية. و لما كان فى هذا الإذن تنبيه على أن الكل له و الانتفاع به يتوقف على إذن منه دلهم على أن فيه ما أباحه و فيه ما حظره فقال: ﴿حلالا[4]﴾ قال الحرالى: و هو ما انتفى

(١) فى مد: بذلك و (٢-٢) ليست فى ظ (٣) و فى البحر المحيط ١/٤٧٨: كلوا أمر إباحة و تسويغ لأنه تعالى هو الموجد للأشياء فهو المتصرف فيها على ما يريد.

(٤) قال أبو حيان الأندلسى فى تفسيره ١/٤٧٧: الحلال مقابل الحرام و مقابل المحرم، يقال شيء حلال أى سائغ الانتفاع به و شيء حرام ممنوع منه، و رجل =

عنه حكم التحريم فينتظم بذلك ما يكره وما لا يكره ، و التحريم المنع مما يلحق الآكل منه ضرر فى جسمه كالميتة ، أو فى نفسه كلحم الخنزير ، أو رين على قلبه كما أهل لغير الله به ؛ ثم أشار إلى أن ما حرم خبيث بقوله : ﴿ طيبا ﴾ أى غير[1] خبيث مستقذر[2] ، [3] والأصل فيه ما يستلذ ؛ و يوصف[4] به على جهة التشبيه الطاهرُ لأن النجس تكرهه النفس ٥

= حلال أى ليس بمحرم ، قيل وسمى حلالا لانحلال عقد المنع منه ، و الفعل منه حل يحل بكسر الحاء فى المضارع على قياس الفعل المضاعف اللازم ، و يقال هذا حل أى حلال ، ويقال حل بل على سبيل التوكيد ، وحل بالمكان نزل به و مضارعه جاء بضم الحاء وكسرها ، و حل عليه الدين حان وقت أدائه .

(١) من م وظ ومد، ووقع فى الأصل : غير - خطأ (٢) و فى البحر المحيط ١/٤٧٨ : ﴿ طيبا ﴾ انتصب صفة لقوله ﴿ حلالا ﴾ إما مؤكدة لأن معناه و معنى حلالا واحد وهو قول مالك و غيره ، وإما مخصصة لأن معناه مغاير لمعنى الحلال و هو المستلذ و هو قول الشافعى و غيره . و لذلك يمنع أكل الحيوان القذر وكل ما هو خبيث ... . و قال الزمخشرى فى قوله ﴿ طيبا ﴾ : طاهرا من كل شبهة ، و قال السجاوندى : ﴿ حلالا ﴾ مطلق الشرع ﴿ طيبا ﴾ مستلذ الطبع . و قال فى المنتخب ما ملخصه : الحلال الذى انحلت عنه عقدة الحظر إما لكونه حراما لجنسه كالميتة ، و إما لا لجنسه كملك الغير إذ لم يأذن فى أكله . و الطيب لغة الطاهر ، و الحلال يوصف بأنه طيب كما أن الحرام يوصف بأنه خبيث ، و الأصل فى الطيب ما يستلذ و وصف به الطاهر و الحلال على جهة التشبيه لأن النجس تكرهه النفس ، و الحرام لا يستلذ لأن الشرع منع منه - انتهى (٣) العبارة من هنا إلى « لزجر الشرع عنه » ليست فى ظ (٤) فى م : الوصف .

لقذره[1] ، و الحلال[2] لأن الحرام يقذره العقل لزجر الشرع عنه . و قال الحرالى: الحـــلال مطلوب ليكتسب لا ليؤكل حتى يطيب، و الطيب ما لا منازع فيه - انتهى .

و لما كان هذا الصنف أدنى المتدينين[3] قرن سبحانه و تعالى باطعامهم مما فى الأرض لكونهم أرضيين نهاهم عن اتباع العدو المبنى أمره على المنافرة فقال: ﴿ و لا تتبعوا ﴾ و أشار بصيغة الافتعال إلى انهماك هـذا الصنف على اللحاق به و أنهم غير واصلين ما داموا فى هذا الحيز إلى تمام منابذته و إنما عليهم الجهد لأن مخالفته لا تكون إلا بمجاهدة كثيرة[4] لا يقدرون عليها ما داموا فى هذه الرتبة ﴿ خطوٰت ﴾ جمع خطوة و هى ما بين القدمين فى المشى ﴿ الشيطٰن ﴾ أى طرقه[5] فى وساوســه فى اتخاذ الأنداد و تحريم الحلال كالسوائب[6] و تحليل الحرام كالميتات[7]، فان ذلك كله من أمره كما يأتى فى قوله: "و لأمرنهم فليبتكن 'اذان الانعام - الآية[8]" و هو من شطن إذا بعد ، و شاط إذا احترق ، فهو يبعدهم - كما قال الحرالى - عن وطن ما هم عليه من الائتمار فى مآكلهم[9] إلى التناول بشهواتهم ليستدرجهم لذلك من خطوة الأكل بالشهوة إلى الأكل بالهوى فيتداعى[10] منها إلى المحرمات -

(١) من م و مد، و فى الأصل: لقذرة (٢) بعده بياض فى م (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: المتدنيين (٤) فى م وظ و مد: كبيرة (٥) فى ظ : طريقه .
(٦) فى م : كالشهوات ، و ليس فى ظ (٧) ليس فى ظ (٨) سورة ٤ آية ١١٩ .
(٩) العبارة من هنا إلى « انتهى » ليست فى ظ (١٠) فى م : فتتداعى .

انتهى

انتهى[1] . ثم علل[2] ذلك بقوله : ﴿ انه لكم عـــدو ﴾ [3] بتكبره على أبيكم و مكره به و سؤاله الإنظار لإضلالكم[3] ﴿ مبين ٭ ﴾ أى [3] ظاهر العداوة[3] فلا تتبعوا العدو فى منابذة الولى . ثم علل إبانة عداوته [3] و النهى عن اتباعه[3] بقوله : ﴿ انما ﴾ لحصر لينتفى[4] عنه الأمر بشىء فيه رشد؛ و فى قوله : ﴿ يأمركم ﴾ كما قال الحرالى إنباء بما مكنه الله سبحانه و تعالى حتى صار أمرا ﴿ بالسوء ﴾ و هو خبائث الأنفس الباطنة التى يورث فعلها مساءة ﴿ و الفحشاء ﴾ قال الحرالى : و هو[5] ما يكرهه الطبع من رذائل الأعمال الظاهرة كما / ينكره العقل و يستخبثه الشرع ، فيتفق / ٦٠
فى حكمه آيات الله الثلاث من الشرع و العقل و الطبع ، بذلك يفحش

---

(١) و فى البحر المحيط ١ / ٤٧٩ قال معناه الزمخشرى : و النهى عن اتباع خطوات الشياطين كناية عن ترك الاقتداء بـه وعن اتباع ما سن من المعاصى، يقال اتبع زيد خطوات عمرو و وطىء على عقبيه إذا سلك مسلكه فى أحواله . ..... و قيل ما ينقلهم إليه من معصية إلى معصية حتى يستوعبوا جميع المعاصى مأخوذ من خطو القدم من مكان إلى مكان (٢) تعليل لسبب هذا التحذير من اتباع الشيطان لأن من ظهرت عداوتـه و استبانت فهو جدير بأن لا يتبع فى شىء و أن يفر منه فانه ليس له فكر إلا فى إرداء عدوه - البحر المحيط .
(٣-٣) ليست فى ظ (٤) فى م : لينتهى (٥) فى م و مد : هى . و قال أبو حيان الأندلسى : و قال ابن‌عباس : السوء ما لا حد له . و الفحشاء قال السدى : هى الزنا ، و قال ابن عباس : كل ما بلغ حدا من الحدود لأنه يتفاحش حينئذ ، و قيل ما تفاحش ذكره ، و قيل ما قبح قولا أو فعلا ، و قال طاوس : ما لا يعرف فى شريعة و لا سنة ، و قال عطاء : هى البخل .

الفصل ﴿ و ان تقولوا على الله ﴾ الحائز أقصى مراتب العظمة ﴿ ما لا تعلمون ه ﴾ مما تستفتحون[١] قوله فى أقل الموجودات[٢] من إشراك أو ادعاء ولد أو تحليل و[٣] تحريم أو غير ذلك[٤]، و لقد أبلغ سبحانه و تعالى فى هذه الآية فى[٥] حسن الدعاء لعباده[٦] إليه لطفا منه بهم و رحمة لهم بتذكيرهم فى سياق الاستدلال على وحدانيته بما أنعم عليهم بخلقه لهم أولا و بجعله لهم ملائما ثانيا و إباحته لهم ثالثا و تحذيره لهم من العدو رابعا - إلى غير ذلك من دقائق الألطاف و جلائل المنن فى سياق مشير[٧] إلى جميع أصناف الحلال و سبب تحليله . قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى كتاب العروة[٨] فى حرف الحلال : وجه إنزال هذا الحرف توسيع[٩] الاستمتاع[١٠] بما خلق الله فى الأرض من [١١] نعمة و خيره[١١]

---

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: يستفتحون - كذا بصيغة الغيبة (٢) العبارة من هنا إلى « غير ذلك » ليست فى ظ (٣) فى م : او (٤) و قال الزمخشرى : هو قولهم : هذا حلال و هذا حرام - بغير علم ، و يدخل فيه كل ما يضاف إلى الله مما لا يجوز عليه - انتهى . قيل و ظاهر هذا تحريم القول فى دين الله بما لا يعلمه القائل من دين الله فيدخل فى ذلك الرأى و الأقيسه و الشبهة و الاستحسان ، قالوا: وفى هذه الآية إشارة إلى ذم من قلد الجاهل و اتبع حكمه - البحر المحيط ١/ ٤٨٠ .
(٥) ليس فى مد (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لعبادة (٧) من م و مد وظ، وفى الأصل: مشيرا (٨) من م و ظ ومد ، و فى الأصل : العدوة - كذا .
(٩) من ظ و مد و م، و فى الأصل: توسع (١٠) من م و ظ ومد. وفى الأصل: لاستمتاع (١١-١١) من م وظ و مد، و فى الأصل : نعمة و خير .

الموافقة لطباعهم[1] و أمزجتهم و قبول نفوسهم فى جميع جهات الاستمتاع من طعام و شراب و لباس و مركب و مأوى و سائر ما ينتفع به مما أخرج الله سبحانه و تعالى و مما به[2] فى الأرض و ما عملت أيديهم فى ذلك من صنعة و تركيب و مزج ليشهدوا دوام لبس[3] الخلق الجديد فى كل خلق على حسب ما منه فطر خلقه؛ و لما كان الإنسان مخلوقا من صفاوة كل شيء توسع له بجهات الانتفاع بكل شيء إلا ما استثنى منه بحرف الحرام و وجهه كما استثنى لآدم أكل الشجرة من متسع رغد الجنة فكان له[4] المتاع بجميعه إلا ما أضر ببدنه أو خبث نفسه أو ران على علم قلبه و ذلك بأن يسوغ له طبعا و تحسن مغبّته[5] فى أخلاق نفسه و يسنده قلبه لمنعمه الذى ينشيء منه بداياته و تكملاته[6] تجربة[7] ثم كمل القرآن ذلك باخلاصه للنعم من غير[8] أثر لما سواه فيه و جامع منزله[9] بحسب ترتيب [القرآن قوله " تعالى: هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا " . و من أوائله بحسب ترتيب - [10]] البيان و الله [11] سبحانه و تعالى[11] أعلم "هو الذى انزل لكم[12] من السماء ماء لكم منه شراب

(١) فى الأصل: اطباعهم، و التصحيح من م وظ و مد (٢) من م و ظ، و فى الأصل و مد: فيه - كذا (٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: لبس (٤) ليس فى مد (٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: منبته (٦) فى ظ: مكملاته (٧) من م و مد، و فى الأصل: تجربة، و فى ظ: تجربه - كذا (٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: غيره (٩) من م و ظ، و فى الأصل و مد: منزلة (١٠) زيدت من م و ظ و مد، و قد اخرت فى الأصل عن «منه مداد القرآن». و زيد فيه «سبحانه و» قبل «تعالى» (١١-١١) ليس فى م و مد و ظ (١٢) ليس فى م و ظ.

و منه شجر فيه تسيمون - الآية [1] " و سائر الآيات الواردة فى سورة النحل وفى سورة يٰسٓ إذ هى القلب الذى منه مداد القرآن كله فى قوله تعالى " و اٰية لهم الارض الميتة احيينٰهـا و اخرجنا منها حبا فمنه ياكلون [2] - الآيات [3] " إلى سائر ما فى القرآن من نحوه ، و من متسع خلال [4] هذا
٥ الحرف وقعت الفتنة على الخلق بما زين [5] لهم منه " زين للناس حب الشهوٰت من النساء و البنين - الآية [6] " و وجه فتنته أن على قدر التبسط فيه يحرم من طيب الآخرة " اذهبتم طيبٰتكم فى حيوٰتكم الدنيا و استمتعتم بها [7] " ، إنما يلبس هذه [8] من لا [9] خلاق له فى الآخرة ، " فاستمتعوا بخلاقهم [10] " ومن رؤية [11] سوء هذا [11] المخبر نشأ [12] زهد الزاهدين ، و من
١٠ رؤية حسن المتجر و ربحه و تضاعفه إلى ما لا يدرك مداه و نعيمه فى بيع خلاق [13] الدنيا بخلاق [13] الآخرة نشأ ورع المتورعين ؛ فاستراحت قلوبهم بالزهد ، و انكفؤا بالورع عن الكد ، و تفرغت قلوبهم و أعمالهم لبذل الجد فى سبيل الحمد ، و تميز الشقى من السعيد بالرغبة [14] فيه أو عنه ، فمن رغب فى الحلال شقى و من رغب عنه سعد ؛ و هو [15] الحرف الذى

(١) سورة ١٦ آية ١٠ (٢) فى ظ : تاكلون (٣) سورة ٣٦ آية ٣٣ - ٤٣ (٤) من مد و ظ ، وفى الأصل و م : حلال (٥) من م ومد وظ ، وفى الأصل : لزين . (٦) سورة ٣ آية ١٤ (٧) سورة ٤٦ آية ٢٠ (٨) فى الأصول : هذا - راجع للحديث صحيح البخارى لباس ٢٥ ، ٣٠ و صحيح مسلم لباس ٦ - ١٠ (٩) ليس فى ظ (١٠) سورة ٩ آية ٦٩ (١١ - ١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : شواهد (١٢) فى م : انشا (١٣-١٣) ليس فى مد (١٤) فى مد : بالرغب (١٥) فى مد : هذا .

قبض بسطه حرف النهى حتى لم يبق لابن آدم حظ فيما زاد على جلف[1] الطعام و هى كسرة و ثوب يستره و بيت[2] يكنسه ، و ما زاد عليه متجر إن أنفقه ربحه[3] و قدم عليه و إن ادخره خسره و ندم عليه؛ و لذلك لم يأذن الله سبحانه و تعالى لأحد فى أكله حتى يتصف بالطيب للناس الذين هم أدنى المخاطبين بانسلاخ أكثرهم من العقل[4] و الشكر و الإيمان " يايها[5] الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا[6] " و محا اسمه عن[7] الذين آمنوا و هم الذين لا يثبتون و لا يدومون على خير[8] أحوالهم بل يخلطون[9] و ذلك فى قوله تعالى " يايها الذين امنوا كلوا من طيبٰت ما رزقنٰكم[10] " و هو ما طيبه حرف النهى علما ، و برئ[11] من حوادّ[12] القلوب طمأنينة ، و تمم و أنهى صفوة[13] للرسلين فقال " يايها الرسل[14] كلوا من الطيبٰت " و ورد جوابا لسؤالهم فى قوله تعالى " يسئلونك ما ذا[15] احل لهم قل احل لكم الطيبٰت "؛ فمن آثر حرف النهى على / ١١
حرف الحلال فقد تزكى و اتبع الأحسن و صح[16] هداه و صفا لبّه ،

(١) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : حلف - ؛ راجع جامع الترمذى زهد ،٣٠ .
(٢) من م و مد و ظ ، و فى الاصل : بيته (٣) من م و مد وظ . و فى الأصل : ربحة (٤) من م و ظ و مد ، و فى الاصل : الفضل (٥) فى م : يايها الناس .
(٦) سورة ٢ آية ١٦٨ (٧) من م و ظ و مد . و فى الأصل : من (٨) فى م فقط : خير (٩) فى م : غيطون (١٠) سورة ٢ آية ١٧٢ (١١) من م و مد وظ ، و فى الأصل : يرى (١٢) من ظ ، و فى الأصل : جواز ، و فى م : حواز ، و فى مد : حوار (١٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : صفوه (١٤) فى الأصل : الناس ، و التصحيح من م و ظ و مد - راجع سورة ٢٣ آية ٥١ (١٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اذا - راجع سورة ٥ آية ٤ (١٦) فى م : و اتبع .

و من آثر حرف الحلال على حرف النهى فقد تدسّى[١] و حرم هدى الكتب و علم الحكمة و مزيد التأييد[٢] بما فاته من التزكية و تورط فيه من التدسية - و الله يقول الحق و هو يهدى السبيل . ثم قال فيما به تحصل قراءته : اعلم أن الإنسان لما كان جامعا كان بكل شيء منتفعا أما فى حال السعة فمع استثناء أشياء يسيرة مما يضره من جهة نفسه أو غيره أو ربه على ما ذكر فى الفصل الأول أى حرف الحرام "هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا[٣]" "قل لا اجد فيما اوحى الى محرما - الآية[٤]" و أما فى حال الضرورة فبغير[٥] استثناء البتة "[٦]فمن اضطر غير باغ و لا عاد فلا اثم عليه[٦]" "فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم[٧]" ؛ و الذى [٨]تحصل به[٨] قراءة هذا الحرف أما من جهة القلب فمعرفة حكمة الله فى المتناول من مخلوقاته و معرفة أخص منافعها مما خلقه[٩] ليكون غذاء فى سعة أو ضرورة و [١٠]إداما أو فاكهة او دواء كذلك ؛ و معرفة موازنة[١١] ما بين الانتفاع بالشيء و مضرته و استعماله على حكم الأغلب من منفعته . أو اجتنابه على حكم الأغلب[١٢] من مضرته "قل فيهما اثم كبير و منافع

(١) من م و مد و ظ : و فى الأصل تدبر (٢) من مد ، و فى بقية الأصول : التأييد - كذا (٣) سورة ٢ آية ٢٩ (٤) سورة ٦ آية ١٤٥ (٥) فى الأصل : فتعبر ؛ و التصحيح من م و ظ و مد (٦-٦) ليست فى م . راجع سورة ٢ آية ١٧٣ . (٧) سورة ٥ آية ٣ (٨-٨) فى م و ظ و مد : به تحصل (٩) هكذا فى الأصل و مد . و فى م و ظ : خلق (١٠) فى مد : أو (١١) فى ظ : موازنة (١٢) زيدت فى الأصل : من منفعته أو اجتنابه على حكم الأغلب ، و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها .

الناس و اثمهما اكبر من نفعهما [1] " و ذلك مدرك عن الله سبحانه و تعالى باعتبار العقل و إدراك الحس فى مخلوقاته كما [2] أدركه الحنيفيون ، كان الصديق رضى الله تعالى عنه قد حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية . و كان إذا أخذ عليه فى ذلك يقول : و الله لو أصبت شيئا أشتريه [3] بمالى كله يزيد فى عقلى لفعلت فكيف أشترى بمالى شيئا ينقص من عقلى ! و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم كثيرا ما ينبه على حكمة الله سبحانه و تعالى فى الأشياء التى [بها - [4]] تتناول أو تجتنب عملا بقوله تعالى " يزكيهم و يعلمهم الكتب و الحكمة [5] " فقال لطلحة رضى الله تعالى عنه و قد ناوله سفرجلة تذهب بطخاء [6] الفؤاد . و قال لأبى هريرة رضى الله تعالى عنه و هو رمد فى خبز الشعير و السلق [7] : كل من هذا فانه أوفق لك . و قال فى التمر [8] و القثاء : حر هذا [9] يكسر برد [9] هذا . و قال لرمد : أ تأكل التمر و أنت رمد ؟ و قال لعائشة رضى الله تعالى عنها فى الماء المشمس : لا تفعلى يا حميراء ! فانه يولد البرص . و قال : استاكوا بكل عود ما خلا الآس و الرمان فانهما يهيجان عرق الجذام . و قال لامرأة استطلقت بالشبرم [10] : " [11] حار جار [11] ، ألا استطلقت بالسنا ؟ فانه لو كان

(١) سورة ٢ آية ٢١٩ (٢) فى م : مما (٣) من ظ و مد . و فى الأصل و م : اشتريته (٤) زيد من ظ و مد (٥) سورة ٣ آية ١٦٤ (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بطحاء - راجع مجمع بحار الأنوار (٧) فى الأصل : السلف ، و التصحيح من م و ظ و مد (٨) فى مد : الثمر (٩-٩) فى الأصل : يكثر برد ، و التصحيح من بقية الأصول (١٠) فى الأصل : بالنيرم ، و التصحيح من م و ظ و مد (١١-١١) من م ، و فى الأصل : خار جار ، و فى ظ : جار حار ، و فى مد : حار خار - راجع المجمع .

شيء يذهب الداء لأذهبه[١] السنا - إلى غير ذلك مما إذا أباحه أو حظره نبه[٢] على حكمته . و كانت عائشة رضي الله تعالى عنها تقول للمريض : اصنعوا له خزيرة[٣] فانها مَجَمّة[٤] لفؤاد المريض و تذهب بعض الحزن . و مثل ذلك كثير من كلام العلماء رضي الله تعالى عنهم و بجربات الحكماء و معارف الحكماء[٥] الحنفاء[٦]، قال الشافعي رحمه الله تعالى في قوله سبحانه و تعالى "يحل لهم الطيبٰت و يحرم عليهم الخبٰئث[٧]" الطيبات ما استطابته نفوس العرب ، و الخبائث ما استخبثته نفوس العرب ؛ هذا من جهة [القلب - [٨]] و أما من جهة النفس فسخاؤها بما يقع فيه الاشتراك [من - [٨]] المنتفعات[٩] المحللات ، لأن الشحّ بالحلال عن مستحقه محظر له على المختص به الضيافة على أهل الوبر "و إذا حضر القسمة اولوا القربى و اليتامى و المسٰكين فارزقوهم منه[١٠]" "و اٰت ذا القربى حقه و المسكين و ابن السبيل[١١]" "فكلوا منها و اطعموا القانع

---

(١) في م : لاذهبته (٢) في الأصل : فيه ، و التصحيح من م و ظ و مد .
(٣) هكذا في الأصل و مد ، و في م : حريرة ، و في ظ : حزيرة ، و في المجمع : هو لحم يقطع صغارا و يصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذرّ عليه الدقيق ، فان لم يكن فيها لحم فهي عصيدة و قيل هي حساء من دقيق و دسم و قيل إذا كان من دقيق فهو حريرة و إذا كان من نخالة فهو خزيرة . ن: و قيل هو بحاء مهملة و راء مكررة ما يكون من اللبن (٤) أي مظنة الاستراحة ، و في م : مجمة - كذا - راجع المجمع (٥) ليس في ظ و مد (٦) في ظ : لحنقا ، و في م : و معارف الحنفا .
(٧) سورة ٧ آية ١٥٧ (٨) زيد من م و ظ و مد (٩) في م : المنفعات .
(١٠) سورة ٤ آية ٨ (١١) سورة ٣٠ آية ٣٨ .

و المعتر[1] " و كذلك صبرها[2] عما تشتهيه من المضرات من الوجوه المذكورة[3] "انما الخمر و الميسر - إلى قوله: لعلكم تفلحون[4] " "ولا تاكلوا اموالهم إلى اموالكم[5] " "و من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون[6] " و كذلك التراضی و طيب النفس فيما يقع فيه الاشتراك "الا ان تكون تجارة عن تراض منكم فان طبن لكم عن شیء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا[7] " هذه الشروط الثلاثة من السخاء و الصبر و التراضی فی النفس ، و أما فی العمل و تناول اليد فأول ذلك ذكر الله و التسمية عند كل / ١٦٢
متناول ، لأن كل شیء لله فما تنوول[8] / باسمه أخذ باذنه و ما تنوول[9] بغير اسمه أخذ تلصصا على غير وجهه و شارك الشيطان فی تناوله فتبعه المتناول معه فی خطواته و شاركهم فی الأموال و الأولاد ؛ جاء أعرابی وصبی ليأكلا طعاما[10] [11] بين أيدی[11] النبی صلی الله عليه و سلم بغير تسمية فأخذ بأيديهما[12] وقال: إن الشيطان جاء ليستحل[13] بهما هذا الطعام ، و الذی نفسی بيده ! إن يده [14] فی يدی[14] مع أيديهما . فسمى النبی صلی الله

(۱) سورة ۲۲ آية ۳٦ (۲) فی الأصل: صبرها - كذا ، و التصحيح من بقية الأصول (۳) زيد فی م . و (٤) سورة ٥ آية ٩٠ (٥) سورة ٤ آية ۲ (٦) سورة ٥٩ ، ٦٤ آية ٩ ، ١٦ (٧) سورة ٤ آية ٤ (٨) من ظ و مد . و فی الأصل و م: تتوول (٩) من ظ و مد ، و فی الأصل: سول - كذا ، و فی م: تتوول . (١٠) فی ظ : طعام ، و زيد بعده فی الأصل «ما» ، و لم تكن الزيادة فی م و مد و ظ فحذفناها (١٠-١١) ليس فی ظ ، و فی م و مد: يدی - مكان: أيدی . (١٢) فی ظ : فی يديهما - كذا (١٣) من م و مد ، أی يتمكن من أكله ؛ و فی الأصل : ليستحيل ، و فی ظ : يستحيل - راجع المجمع (حال) (١٤-١٤) ليس فی م .

عليه و سلم و أكل ثم أطلقها و قال: كلا باسم الله - و قال لغلام آكل: يا غلام! سمّ الله . و الثاني التناول باليمين، لأن الشيطان يأكل بشماله و يشرب بشماله، و اليمين خادم ما علا من الجسد و الشمال خادم ما سفل منه . و الثالث[1] أن يتناول تناول تقنّع[2] و ترفع عن تناول النهمة[3]، كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يأكل بثلاثة أصابع و يشرب مصًّا في ثلاث، و قال: هو أبرأ و أمرأ[4] و أهنأ[4] . و قال: الكُباد[5] من العبّ[6] . و الرابع الاكتفاء[7] بما دون الشبع لما في ذلك من حسن اغتذاء البدن و حفظ الحواس الظاهرة و الباطنة؛ و من علامات الساعة ظهور السمن عن الأكل في الرجال؛ و ما ملأ ابن آدم وعاء شرا[8] من بطن[9] و ما دخلت الحكمة معدة ملئت طعاما؛ و المؤمن يأكل في معًى واحد و الكافر[10] يأكل في سبعة أمعاء، لتوكل المؤمن في قوامه و لاتكال الكافر على الغذاء في قوته، و حسب المؤمن[11] لقيمات يقمن صلبه، فان كان و لا بد فاعلا فثلث للطعام و ثلث للشراب و ثلث

(١) من م و ظ و مد، و في الأصل: الثالثة (٢) في الأصل: تقنع - كذا بالغين، و التصحيح من بقية الأصول (٣) في ظ: النهمة (٤-٤) في م: هنا - كذا . (٥) في الأصول: الكاد، راجع المجمع (٦) في الأصل: التعب، و التصحيح من م و ظ و مد؛ و في المجمع (كبد): الكباد بالضم وجع الكبد - اه و عبّ الماء: شربه أو كرعه بلا تنفس (٧) زيد في الأصل «من» و لم تكن الزيادة في بقية الأصول فحذفناها (٨) في م: شر (٩) في م: بطنه (١٠) في م: المؤمن - خطأ (١١) في م: ابن آدم .

للنفس - انتهى . قلت : و لعل المراد أن الكافر يأكل شبعا فيأكل ملأ بطنه ، لأن الأمعاء كما قالوا سبعة ، و المؤمن يأكل تقوتا فيأكل فى معى واحد و هو سبع[1] بطنه ، فان لم يكن ففى معاءين و شيء و هو الثلث - و الله سبحانه و تعالى أعلم . قال الحرالى : و الخامس حمد الله تعالى فى الختام ، لأن من لم يحمد الله فى الختام كفر بنعمته ، و من حمد غير الله آمن بطاغوته ؛ فبهذه الأمور معرفة فى القلب و حالا[2] فى النفس و آدابا فى العمل تصح قراءة حرف الحلال و يحصل خير الدنيا و يتمهد الأساس [3]لبناء خير[3] الآخرة ، و الله سبحانه و تعالى ولى التوفيق - انتهى .

و لما نهاهم سبحانه و تعالى عن متابعة العدو[4] ذمهم بمتابعته مع أنه عدو من غير حجة بل بمجرد التقليد للجهلة[5] فقال عاطفا على " و من الناس" معجبا منهم : ﴿ و إذا قيل ﴾ [6]أى من أى قائل [7]كان . و لما كان[7] الخطاب للناس عامة و كان أكثرهم مقلدا و لا سيما للآباء أعاد الضمير عليهم و المراد أكثرهم فقال : ﴿ لهم[8] اتبعوا ﴾ أى اجتهدوا

---

(١) فى ظ فقط : شبع - كذا (٢) فى م : حال (٣-٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لتاخير (٤) زيد فى م « و » (٥) فى الأصل : للجملة ، و التصحيح من م و ظ و مد (٦) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (٧-٧) فى م : لان . (٨) الضمير فى ﴿ لهم ﴾ عائد على كفار العرب لأن هذا كان وصفهم و هو الاقتداء بآبائهم و لذلك قالوا لأبي طالب حين احتضر : أ ترغب عن ملة عبد المطلب ؟ ذكروه بدين أبيه و مذهبه . و قال ابن عباس : نزلت فى اليهود ، فعلى هذا يكون الضمير على غير مذكور و هم أشد الناس اتباعا لأسلافهم . . . . =

فى تكليف أنفسكم الرد عن الهوى الذى نفخه فيها الشيطان ، و فى قوله
﴿ ما انزل الله[1] ﴾ [2] أى الذى له العلم الشامل و القدرة التامة [2] انعطاف
على ذلك الكتاب لا ريب فيه و ما شاكله ﴿ قالوا بل ﴾ أى لا نتبع
ما أنزل [3] الله بل ﴿ نتبع ﴾ أى نجتهد فى تبع ﴿ ما الفينا ﴾ أى وجدنا ،
٥ قال الحرالى : من الإلفاء و هو وجدان الأمر على ما ألفه المتبصر فيه
أو الناظر إليه ﴿ عليه 'اباءنا[4] ﴾ [2] أى على ما هم عليه من الجهل و العجز ،
قال [2] : ففيه إشعار بأن عوائد الآباء منهية[4] حتى يشهد لها شاهد أبوة
الدين[5] ففيه التحذير فى رتب ما بين حال الكفر إلى أدنى الفتنة التى
شأن الناس أن يتبعوا فيها عوائد آبائهم - انتهى .

= و قال الطبرى : هو عائد على الناس من قوله " يايها الناس كلوا " و هذا هو الظاهر ، و يكون ذلك من باب الالتفات ، و حكمته أنهم أبرزوا فى صورة الغائب الذى يتعجب من فعله حيث دعى إلى اتباع شريعة الله التى هى الهدى و النور ، فأجاب باتباع شريعة أبيه و كأنه يقال : هل رأيتم أسخف رأيا و أعمى بصيرة ممن دعى إلى اتباع القرآن المنزل من عند الله فرد ذلك و أضرب عنه و أثبت أنه يتبع ما وجد عليه أباه ؛ و فى هذه الآية دلالة على ذم التقليد و هو قبول الشيء بلا دليل و حجة - البحر المحيط ١/١٨٠ .

(١) و فى قوله ﴿ ما انزل الله ﴾ إعلام بتعظيم أمرهم باتباعه إذ نسب إنزاله إلى الله الذى هو المشرع للشرائع فكان ينبغى أن يتلقى بالقبول و لا يعارض باتباع آبائهم رؤس الضلالة - البحر المحيط ١/٤٨٠ (٢-٢) ليست فى ظ .
(٣) ليس فى م (٤) فى ظ : متهمه (٥) فى الأصل : الذين ، و التصحيح من بقية النسخ .

و لما أبوا ؛ إلا إلف[1] وهاد التقليد فدنوا عن[2] السمو إلى عداد[3] أولى العلم بالنظر السديد[4] أنكر عليهم سبحانه و تعالى ذلك فقال مبكتا لهم: ﴿ اولو ﴾ أى أيتبعون أباءهم و الحال أنه ﴿ كان[5] اباؤهم لا يعقلون[6] ﴾ ببصائر قلوبهم ﴿ شيئا ﴾ من الأشياء المعقولة ﴿ و لا يهتدون ﴾ بأبصار عيونهم إلى شيء من الأشياء المحسوسة .

و لما كان التقدير: فمثلهم حينئذ كمن تبع[7] أعمى فى طريق وعر خفى [فى فلوات -[8]] شاسعة[9] كثيرة الخطر عطف عليه ما يرشد إلى تقديره من قوله منبها على أنهم صاروا بهذا كالبهائم بل[10] أضل لأنها و إن كانت لا تعقل فهى تسمع و تبصر فتهتدى إلى منافعها ﴿ و مثل ﴾ و بين الوصف الذى حملهم على هذا الجهل بقوله: ﴿ الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما يعلمون من عظمة الله سبحانه و تعالى و قدرته و علمه و حكمته بما عندهم من الهوى[11] فى أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة و دوى الصوت من غير إلقاء أذهان و لا استبصار ﴿ كمثل ﴾

(١-١) فى الأصل: الالف ، و فى ظ : لالف ، و التصحيح من م و مد .
(٢) فى م : من (٣) فى م : اعداد (٤) من ظ ، و فى الأصل و م و مد: الشديد .
(٥) زيد فى م: لو (٦) و قدم نفى العقل لأنه الذى تصدر عنه جميع التصرفات ، و أخر نفى الهداية لأن ذلك مترتب على نفى العقل ، لأن الهداية للصواب هى ناشئة عن العقل و عدم العقل عدم لها - البحر المحيط ٤٨١/١ .
(٧) فى م: اتبع ، و فى ظ : يتبع (٨) زيد من م و مد و ظ (٩) فى ظ : شايعة (١٠) زيد فى م «هم» (١١) العبارة من هنا إلى «و الاستبصار» ليست فى ظ .

١٦٣/ / قال الحرالي: المثل ما يتحصل فى باطن الإدراك من حقائق الأشياء المحسوسة فيكون ألطف[١] من الشيء المحسوس فيقع لذلك جاليا[٢] لمعنى مثل المعنى المعقول و يكون الأظهر منهما مثلا للأخفى، فلذلك يأتى استجلاء[٣] المثل بالمثل، ليكون فيه تلطيف للظاهر المحسوس و تنزيل للغائب المعلوم؛ ففى هذه الآية يقع الاستجلاء بين المثلين لا بين الممثولين لتقارب المثلين يعنى و هو وجه الشبه و تباعد الممثولين، و فى ذكر هذين المثلين تقابل يفهم مثلين آخرين، فاقتضى ذلك تمثيلين فى مثل واحد كأن وفاء[٤] اللفظ الذى أبهمه [هذا الإيجاز مثل الذين كفروا و مثل راعيهم كمثل الراعى و مثل ما يرعى من البهائم و هو من أعلى خطاب فصحاء العرب، و من لا يصل فهمه -[٥]] إلى جمع[٦] المثلين يقتصر على تأويله بمثل واحد فيقدر فى الكلام: و مثل داعى الذين كفروا ﴿ كمثل الذى ينعق[٧] ﴾ أى يصيح، و ذلك لأن التأويل يحمل على الإضمار و التقدير، و الفهم يمنع منه و يوجب فهم إيراد القرآن على [٨]حده و وجهه[٨]؛ و قال: ﴿ بما ﴾ اى[٩] بسبب شيء من البهائم الى[٩] ﴿ لا ﴾ [١٠]عقل لها فهو[١٠] ﴿ يسمع الا دعاء ﴾ أى [١١]من الناطق[١١] فيما

(١) فى م: العطف (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: حاليا (٣) ليس فى م.
(٤) فى مد: وفا (٥) زيدت من م و ظ و مد (٦) فى ظ: جميع (٧) النعيق دعاء الراعى و تصويته بالغنم، قال الشاعر:

فانعق بضأنك يا جرير فانما منتك نفسك فى الخلاء ضلالا

و يقال: نعق للمؤذن، و يقال: نعق ينعق نعيقا و نعاقا و نعقا، و أما نغق الغراب=

يدعى إليه من قوام غذائه[1] و نسله ﴿ و نداء[2] ﴾ فيما ساق إليه بمحل دعائه من حيث أن النداء يشعر [بالبعد و الدعاء يشعر -[3]] بالشروع في القصد - انتهى . فالكافرون[4] في كونهم لا يرجعون عن غيهم[5] لما يسمعون من الأدلة و هم أولو عقل و سمع و بصر كالبهم التي تسمع

= فبالغين المعجمة ، و قيل أيضا يقال بالمهملة في الغراب - البحر المحيط ٤٧٧/١ .
(٨-٨) في مد : على حدة و وجهة (٩-٩) في ظ : بسبب ما (١٠-١٠) ليست في ظ : و زيد بعدها في م : لا (١١-١١) ليس في ظ . و في م و مد : الناعق - مكان : الناطق .

(١) في م : عذابه - كذا (٢) النداء مصدر نادى كالقتال مصدر قاتل و هو بكسر النون و قد تضم ، قيل : و هو مرادف للدعاء ، و قيل : مختص بالجهر ، و قيل : بالبعد ، و قيل : لغير المعين - البحر المحيط ٤٧٧/١ (٣) زيد من م و مد و ظ ، غير أن لفظ « يشعر » ليس في ظ (٤) في البحر المحيط ٤٨١/١ : لما ذكر تعالى أن هؤلاء الكفار إذا أمروا باتباع ما أنزل الله أعرضوا عن ذلك و رجعوا إلى ما ألفوه من اتباع الباطل الذي نشؤا عليه و وجدوا عليه آباءهم و لم يتدبروا ما يقال لهم و صموا عن سماع الحق و خرسوا عن النطق به و عموا عن إبصار النور الساطع النبوي ذكر هذا التشبيه العجيب في هذه الآية منبها على حالة الكافر في تقليده أباه و محقرا نفسه إذ صار هو في مرتبة البهيمة أو في رتبة داعيها على الخلاف الذي سيأتي في هذا التشبيه ، و هذه الآية لا بد في فهم معناه من تقدير محذوف (٥) من م و مد و ظ ، و في الأصل : غيبهم .

و تبصر و لكنها لكونها لا تعقل [لا ترجع - [١]] بالكلام [٢] لأنها لا تسمع إلا ظاهر الصوت و لا تفهم ما تحته [٢] بل بالحجر و العصا ، فان الراعي إذا أراد رجوعها عن ناحية [٣] صاح بها و رمى بحجر إلى ما أمامها فترجع ، فهي محل مثلهم الذي هو عدم الإدراك ، و البهم في كونها لا ترجع بالنداء بل بقارع [٤] كالأصم الأبكم الأعمى الذي لا يرجع إلا بقارع يصكه في وجهه فينكص على عقبه فهو محل مثلها ، و داعيهم في كونه يتكلم فلا يؤثر كلامه مع المبالغة فيه كراعي البهم فهو موضع مثله ، و راعي البهم من حيث أن بهمه لا ترجع [٥] إلا بضربة [٦] بالحجر أو غيره كالسوط الذي يقمع [٧] به الأصم أو كضارب الأصم المذكور فهو محل [٨] مثله ؛ فلذلك كانت نتيجة التمثيل قوله : ﴿صم﴾ - [٩] أي لا يسمعون [٩] ﴿بكم﴾ [٩] أي لا ينطقون [٩] ﴿عمى﴾ [٩] أي لا يبصرون [٩] ، و قد علم بهذا أن الآية [من - [١٠]] الاحتباك [١١] حذف من الأول مثل الداعي لدلالة الناعق عليه و من الثاني المنعوق به لدلالة المدعوين عليه . و لما كان موجود [١٢] إدراك العقل هو حقائق المحسوسات و قد نفى عنهم الحس المدرك للمحسوسات ترتب عليه قوله :

(١) زيد من مد و ظ (٢-٢) ليست في ظ (٣) في م و ظ و مد : جهة (٤) من مد و ظ ، و في الأصل : تقارع (٥) في م : لا يرجع (٦) في ظ : بضربه و في م و مد : بضربه (٧) في ظ يقع (٨) ليس في ظ (٩-٩) ليس في ظ (١٠) زيد من م و مد و ظ (١١) من م و مد و ظ . و في الأصل : لاحتباك (١٢) من م و مد و ظ ، و في الأصل : موجودا .

فهم

﴿فهم﴾ بالفاء ربطا و تعقيبا و تسبيبا ﴿لا يعقلون﴾ لأنهم لا ينتفعون بعقولهم كما أن هذا الأصم كذلك، و نفاه بلا النافية للمتسع و صيغة المضارع [1] المنبئة عن [1] الدوام - قاله الحرالى [2].

و لما أخبر سبحانه و تعالى أن الدعاء لا يزيدهم إلا نفورا رقى [3] الخطاب [من الناس - [4]] إلى أعلى منهم رتبة فقال [5] آمرا لهم أمر إباحة أيضا و هو إيجاب فى تناول ما يقيم البنية و يحفظها [6]: ﴿يٰأيها الذين ءامنوا كلوا﴾. و قال الحرالى [7]: لما كان تقدم الخطاب فى أمر الدين فى رتبتين أولاهما "يٰأيها الناس اعبدوا ربكم" و ثانيتهما "يٰأيها الذين ءامنوا لا تقولوا راعنا [8]" فأمر الناس فيه بالعبادة و أمر الذين آمنوا بحسن الرعاية مع النبى صلى الله عليه و سلم، كذلك [9] هنا أمر الناس

(١-١) فى م: المبنية على (٢) و قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١/٤٨٤: لما تقرر فقدهم لمعانى هذه الحواس قضى بأنهم لا يعقلون كما قال أبو المعالى وغيره: العقل علوم ضرورية يعطيها هذه الحواس إذ لا بد فى كسبها من الحواس انتهى. قيل و المراد العقل الاكتسابى لأن العقل المطبوع كان حاصلا لهم، و العقل عقلان: مطبوع و مكسوب؛ و لما كان الطريق لاكتساب العقل المكتسب هو الاستعانة بهذه القوى الثلاث كان إعراضهم عنها فقد العقل المكتسب و لهذا قيل: من فقد حسا فقد فقد عقلا - انتهى (٣) من م و مد، و ليس فى ظ، و فى الأصل: و فى - كذا (٤) زيد من م و ظ و مد (٥) ليس فى مد (٦) العبارة من «آمرا لهم» إلى هنا ليست فى ظ (٧) و قال أبو حيان الأندلسى: لما أباح تعالى لعباده أكل ما فى الأرض من الحلال الطيب و كانت وجوه الحلال كثيرة بين لهم ما حرم عليهم لكونه أقل، فلما بين ما حرم بقى =

بالأكل مما فى الأرض و نهى عن اتباع خطوات الشيطان ، و أشعر الخطاب بأنهم ممن يتوجه الشيطان نحوهم للأمر بالسوء و الفحشاء و القول بالهوى ، و أمر الذين آمنوا بالأكل ﴿ من طيبٰت ﴾ فأعرض فى خطابهم عن ذكر الأرض لتناولهم الرزق من السماء ، فان أدنى الإيمان عبادة من فى السماء و استرزاق من فى السماء كما قال للسوداء: أين الله ؟ قالت : فى السماء ، قال : أعتقها فانها مؤمنة ، قال سبحانه و تعالى : " و فى السماء رزقكم " ، فأطعم الأرضيين و هم الناس مما فى الأرض و أطعم السماويين و هم الذين آمنوا من رزق السماء كذلك ، و خص هذا الخطاب بلفظ[1] الحلال لما كان آخذا رزقه من السماء متناولا طيبة لبراءته من حال مما[2] فى الأرض مما شأنه ضر فى ظاهر أو أذى[3] فى باطن ، و لذلك « لو كانت الدنيا دما[4] عبيطا[5] لكان قوت المؤمن منها حلالا " ، فالمسترزق من السماء يصير المحرم له حلالا لأخذه منه عند / الضرورة تقوتا لا تشهيا[6] ، و يصير الحلال له طيبا لاقتناعه منه ١٦٤/أ

= ما سوى ذلك على التحليل حتى يرد منع آخر ، و هذا مثل قوله صلى الله عليه و سلم لما سئل عما يلبس المحرم فقال: لا يلبس القميص و لا السراويل ، فعدل عن ذكر المباح إلى ذكر المحظور لكثرة المباح و قلة المحظور ؛ و هذا من الإيجاز البليغ (٨) زيد فى م : " و قولوا انظرنا " (٩) فى مد : لذلك .

(١) فى م و مد و ظ : لفظ (٢) فى مد و ظ : ما (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : اذنى (٤) فى الأصل : دنا ، و التصحيح من م و مد و ظ (٥) فى مد : غبيطا ـ كذا (٦) فى الأصل : تستهيا ، و التصحيح من م و مد و ظ .

بالكفاف دون التشهى[١] يسئلونك ما ذا احل لهم قل احل لكم الطيبت[٢]" ، و فى مورد هذين الخطابين بيان أن كلمة[٣] " الناس " واقعة على سن من أسنان القلوب و كلمة " الذين امنوا " واقعة على سن فوقه و ليس يقع على عموم يشمل جميع الأسنان القلبية ، فتوهم ذلك من أقفال[٤] القلوب التى تمنع تدبر القرآن ، لأن خطاب القرآن يتوجه لكل أولى سن [على حسب سن -[٥]] قلوبهم ، لا يصلح خطاب كل سن إلا له ، يتقاصر عنه من دونه و لا يحتاج إليه من فوقه ، و هى[٦] أسنان متعددة : سن الإنسان[٧] ، ثم سن الناس ، ثم سن الذين آمنوا ، ثم سن الذين يؤمنون ، ثم سن المؤمنين ، [ثم سن المؤمنين -[٨]] حقا ، ثم سن المحسنين ؛ هذه أسنان سبعة خطاباتها[٩] مترتبة[١٠] بعضها فوق بعض ، و من وراء ذلك أسنان فوقها من سن الموقنين و ما وراء ذلك إلى أحوال أثناء هذه الأسنان من حال الذين أسلموا و المسلمين و من يوصف بالعقل و الذكر و الفكر و السماع و غير ذلك من الأوصاف التى تلازم تلك الأسنان فى رتب متراقية[١١] لا يشمل أدناها أعلاها و لا ينهض أدناها لرتبة خطاب أعلاها

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : التستهى (٢) سورة ٥ آية ٤ .
(٣) و قيل : هذا الخطاب مؤكد لقوله : " يٰايها الناس كلوا مما فى الارض " ، و لما كان لفظ الناس يعم المؤمن و الكافر ميز الله المؤمنين بهذا النداء تشريفا لهم و تنبيها على خصوصيتهم (٤) فى م : افعال (٥) ما بين المربعين زيد من م و ظ و مد (٦) فى ظ : هن (٧) فى مد : الاسنان (٨) زيد من مد ، و لا بد منه ليكون مجموع الأسنان سبعة كما سيبين (٩) فى م : خطاياتها - كذا (١٠) فى ظ : مرتبة (١١) من م و مد ، و فى الأصل : متراقبة ، و فى ظ : مراقبة .

إلى ما وراء ذلك من خصوص خطاب النبي صلى الله عليه و سلم فيه بما لا يليق إلا به و بمن هو منه من إلّه ، و فى انتظام تفصيل هـذه الرتب جامعة لما يقع من معناه فى سائر القرآن - انتهى . و لما كانت هذه الرتبة كما تقدم أرفع من رتبة الناس خص فى خطابهم بعد بيان أن ما لم يحل خبيث فقال: "من طيبٰت" و لم يأت بذلك العموم الذى تألف[1] به "الناس".

و لما كانوا فى أول طبقات الإيمان نبههم[2] على الشكر بقوله فى مظهر العظمة: ﴿ما رزقنٰكم[3]﴾ [4]و أخلصناه لكم من الشبه، و لا تعرضوا لما فيه دنس كما أحله المشركون من المحرمات، و لا تحرموا ما أحلوا منها من السائبة و ما معها ثم صرح به[5] فى قوله [آمرا أمر إيجاب -[6]]: ﴿و اشكروا لله[7]﴾ أى[8] و خصوا شكركم بالمنعم[8] الذى لا نعمة إلا منه[9]،

---

(١) فى ظ : بالف (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ينبههم - كذا (٣) ﴿ما رزقنٰكم﴾ فيه إسناد الرزق إلى ضمير المتكلم بنون العظمة لما فى الرزق من الامتنان والإحسان ، و إذا فسرت الطيبٰت بالحلال كان فى ذلك دلالة على أن ما رزقه الله ينقسم إلى حلال و إلى حرام - البحر المحيط ١/٤٨٥ (٤) العبارة من هنا إلى « و ما معها » ليست فى ظ (٥) ليس فى ظ (٦) زيد من مد ، و فى م : امر امر ايجاب - كذا (٧) هذا من الالتفات إذ خرج من ضمير المتكلم إلى اسم الغائب ، و حكمة ذلك ظاهرة لأن هـذا الاسم الظاهر متضمن لجميع الأوصاف التى منها وصف الإنعام و الرزق ، و الشكر ليس على هذا الإذن الخاص - البحر المحيط (٨-٨) ليست فى م ، و فى ظ : بالله - مكان : بالمنعم (٩) العبارة من « الذى » إلى هنا ليست فى ظ .

و هذا بخلاف ما يأتى فى سورة المؤمنين خطابا لأعلى طبقات الخلّص و هم الرسل .

و لما كان الشكر لا يصح إلا بالتوحيد علقه باختصاصهم إياه بالعبادة فقال: ﴿ان كنتم اياه﴾ أى وحده ﴿تعبدون ۝﴾ فان اختصاصه بذلك سبب للشكر، فاذا انتفى الاختصاص الذى هو السبب انتفى الشكر، و أيضا إذا انتفى المسبب الذى هو الشكر انتفى الاختصاص لأن السبب واحد، فهما متساويان يرتفع كل واحد منهما بارتفاع الآخر[١] . و قال الحرالى: و لما كان هذا[٢] الخطاب منتظما لتناول الطيب و الشكر و حقيقته[٣] البذل من الطيب فشكر كل نعمة إظهارها على حدها من[٤] مال أو جاه[٤] أو علم أو طعام أو شراب أو غيره و إنفاق فضلها و الاقتناع منها بالأدنى و التجارة [بفضلها -[٥]] لمبتغى الأجر و[٦] إبلاغها إلى أهلها لمؤدى[٧]

(١) و فى البحر المحيط: و لا يراد بالشرط هنا إلا التثبت و الهز للنفوس، و كان المعنى العبادة له واجبة فالشكر له واجب، و ذلك كما تقول لمن هو مستحق العبودية: إن كنت عبدى فأطعنى، لا تريد بذلك التعليق المحض بل تبرزه فى صورة التعليق ليكون أدعى للطاعة و أهز لها . . . . و قال الزمخشرى: إن صح أنكم تختصونه بالعبادة و تقرون أنه مولى النعم، و عن النبي صلى الله عليه و سلم يقول الله تعالى: إنى و الجن و الإنس فى نبأ عظيم أخلق و يعبد غيرى و أرزق و يشكر غيرى - انتهى كلامه (٢) ليس فى مد (٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل حقيقة (٤-٤) و فى م و ظ و مد: جاه او مال . (٥) زيد من م و ظ و مد (٦) فى م: أو (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: كودى .

الأمانة لأن أيدى العباد خزائن الملك الجواد «دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض». فلما[1] كان ذلك لا يتم إلا بمعرفة الله[2] سبحانه و تعالى المخلف[3] على من أنفق كما قال "و ما انفقتم من شيء فهو يخلفه[4]" نبّهوا[5] على عهدهم الذى لقنوه فى سورة الفاتحة فى قوله "اياك نعبد
٥ و اياك نستعين" فقيل لهم· كلوا و اشكروا إن كنتم إياه تعبدون؛ فمن عرف الله بالكرم هان عليه أن يتكرم و من عرف الله بالإنعام و الإحسان هان عليه أن يحسن و هو شكره لله، من أيقن بالخلف[6] جاد بالعطية - انتهى.

و لما قيد الإذن لهم بالطيب [7]من الرزق[7] افتقر[8] الأمر إلى بيان
١٠ الخبيث منه[9] ليجتنب فبين صريحا[10] ما حرم عليهم مما كان المشركون يستحلونه و يحرمون غيره [7]و أفهم حل ما عداه و أنه كثير جدا ليزداد المخاطب شكرا[7] فقال: ﴿ إنما حرم عليكم ﴾. و قال الحرالى: و لما كان إدراك المؤمنين لمقتضى الخطاب فوق إدراك الناس خاطبهم تعالى بذكر ما حرم عليهم فناظر ذلك ما نهى عنه الناس من اتباع خطوات

---

(١) فى الأصل: كلما، و التصحيح من م و ظ و مد (٢) فى م و مد: بالله. (٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: المخلق (٤) سورة ٣٤ آية ٤٠. (٥) فى الأصل: فنهوا، و التصحيح من م و مد و ظ (٦) فى الأصل: بالخلق، و التصحيح من م و ظ و مد (٧-٧) ليست فى ظ (٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: فبعد (٩) ليس فى ظ (١٠) فى م: سبحانه، و ليس فى ظ.

الشيطان فقال: "انما حرم" وأجرى[1] إضماره / على الاسم العظيم /٦٥ الأول إعلاما بأن الذى أذن لهم إنما حرم عليهم ما لا يصلح لهم[2] بكل وجه لشدة مضرته عليهم فى إحاطة ذواتهم ظاهرها وباطنها، لما[3] ذكر أن المحرم إما لحرمته علوا كالبلد الحرام وتحريم الأمر، أو لحرمته دناءة كتحريم هذه المحرمات[4]، ففى كلمة "إنما" نفى لمتوهمات[5] ما يلحقه التحريم بما دون المذكور هنا كأن قائلا يقول: حرم كذا وحرم كذا من نحو ما حرمته الكتب الماضية أو حرمته الأهواء المختلفة أو حرمه نظر على كالذى حرمه[6] إسرائيل على نفسه، فكان الإفهام لرد تلك المحرمات كلها - انتهى. فالمعنى والله سبحانه وتعالى أعلم أنكم حرمتم الوصيلة والسائبة وغيرهما مما أحله الله وأحللتم الميتة والدم وغيرهما [7]حرمه الله سبحانه وتعالى ولم[7] يحرم الله عليكم من السائبة وما معها مما حرمتموه ولا غيره مما استحللتموه[8] إلا ما ذكرته[9] هذه الآية؛ وإذا راجعت ما فى[10] قوله سبحانه وتعالى فى الأنعام "فكلوا مما ذكر اسم الله عليه[11]" وقوله "ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه[12]" وقوله "قل لا اجد فيما اوحى الى [محرما - ١٣]"

(١) من م ومد وظ، وفى الأصل: اجزى (٢) ليس فى م (٣) فى مد: كما. (٤) من م وظ ومد، وفى الأصل: الحرمات (٥) فى ظ: لتوهمات (٦) من ظ، وفى بقية الأصول: حرم (٧-٧) فى م: احله الله واحللتم الميتة والدم وغيرهما مما حرمه الله ولا (٨) فى ظ: استخلفتموه (٩) زيد فى م: لكم (١٠) من م وظ ومد، وفى الأصل: من (١١) سورة ٦ آية ١١٨ (١٢) سورة ٦ آية ١٢١ (١٣) زيد من م. سورة ٦ آية ١٤٥.

من كتابى هذا عرفت المراد من هذه الآية. وقال ﴿الميتة﴾ [1] أى التى سماها بذلك أهل العرف، وهى[2] ما فارقه[3] الروح من غير ذكاة شرعية وهو[4] مما يذكى[5]. قال الحرالى: وهى ما أدركه الموت من الحيوان عن ذبول القوة وفناء الحياة، وهى[6] أشد مفسد[6] للجسم لفساد تركيبها[7] بالموت وذهاب تلذذ[8] أجزائها وعتقها[9] وذهاب روح الحياة والطهارة منها. ﴿والدم﴾ [10] أى الجارى[10] لأنه جوهر مرتكس عن حال الطعام ولم يبلغ بعد[11] إلى حال الأعضاء، فهو ميتة من خاص حياته مرتكس فى جوهره إلا من طيب الله كليته كما فى محمد صلى الله عليه وسلم وفيمن نزع[12] عنه خبث[13] الظاهر والباطن طبعا ونفسا. ﴿ولحم الخنزير﴾ لأذاه[14] للنفس[15] كما حرم ما قبله لمضرتهما فى الجسم، لأن من حكمة الله فى خلقه أن من اغتذى[16]

(١) العبارة من هنا إلى «يذكى» ليست فى ظ (٢) فى مد: هو (٣) من م ومد، وفى الأصل: فارقة - كذا (٤) فى م: هى (٥) قال أبو حيان الأندلسى: قيل حكى أبو معاذ عن النحويين الأولين أن الميت بالتخفيف الذى فارقته الروح، والميت بالتشديد الذى لم يمت بل عاين أسباب الموت - البحر المحيط ١/٤٨٦.
(٦-٦) فى ظ: اى اسد الميتة عليه (٧) من م ومد وظ، وفى الأصل: تركيتها.
(٨) فى م ومد: تلزز (٩) من م، وفى الأصل: عقتها، وفى مد وظ: عقبها (١٠-١٠) ليست فى ظ (١١) فى الأصل: بعدا، والتصحيح من بقية الأصول (١٢) من م ومد وظ، وفى الأصل: فزع (١٣) من م ومد وظ، وفى الأصل: حيث (١٤) فى الأصل: لاداة، والتصحيح من بقية الأصول.
(١٥) من م وظ، وفى الأصل: النفس، وفى مد: فى النفس (١٦) من م ومد، وفى الأصل وظ: اعتدى.

جسمه بجسمانية شيء اغتذت[1] نفسه[2] بنفسانية ذلك الشيء « الكبر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم » فلما[3] جعل في الخنزير من الأوصاف الذميمة حرم على من حوفظ على نفسه من ذميم الأخلاق[4]؛ واللحم ما لحم بين أخفى ما في الحيوان من وسط عظمه وما انتهى إليه ظاهره من سطح جلد، وعرف غلبة استعماله على رطبة الأحمر، وهو هنا على أصله في اللغة يجمع اللحم الأحمر والشحم والأعصاب والعروق إلى حد الجلد وما اشتمل عليه ما بين الطرفين[5] من أجزاء الرطوبات، [6]وإذا حرم لحمه الذي هو المقصود بالأكل وهو أطيب

---

(١) من م ومد وظ، وفي الأصل: اعتدت (٢) من م وظ ومد، وفي الأصل: نفسانيته (٣) في م: فكلما، وفي ظ: كلما (٤) في البحر المحيط ١/ ٤٨٧ و ٤٨٨: ولم يذكر الله تعالى حكمة في تحريم أكل الميتة والدم ولا جاء نص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، ولو تعبدنا تعالى بجواز أكل الميتة والدم لكان ذلك شرعا يجب اتباعه، وقد ذكروا أن الحكمة في تحريم الميتة جمود الدم فيها بالموت وأنه يحدث أذى للآكل، وفي تحريم الدم أنه بعد خروجه يجمد فهو في الأذى كالجامد في الميتة، وهدا ايس بشيء لأن الحس يكذب دلك، وجدنا من يأكل الميتة ويشرب الدم من الأمم صورهم وسحنهم من أحسن ما يرى وأجمله ولا يحدث لهم أذى بدلك ..... وعلة تحريم الخنزير قالوا: تفرد النصارى بأكله فنهى المسلمون من أكله ليكون ذلك ذريعة إلى أن تقاطعوهم إذ كان الخنزير من أنفس طعامهم، وقيل: لكونه ممسوخا فغلظ تحريم أكله لخبث أصله، وقيل: لأنه يقطع الغيرة ويذهب بالأنفة (٥) في م: الظرفين (٦) العبارة من هنا إلى « بالتحريم » ليست في ظ.

ما فيه كان غيره من أجزائه أولى بالتحريم .

و لما حرم ما يضر الجسم و يؤذى النفس حرم ما يرين على القلب فقال : ﴿ و ما اهل ﴾ و الإهلال رفع الصوت لرؤية أمر مستعظم ﴿ به ﴾[1] أى رفع[2] رافع الصوت بسببه ذابحا ﴿ لغير الله ج ﴾[3] أى
٥ الذى لا كفوء له بوجه . قال الحرالى[4] : لأن ما[5] لم يذكر[6] عليه اسم الله أخذ من يد من ذكر عليه اسمه و ليس ذلك خالقه و[7] مالكه ، إنما خالقه و مالكه الله الذى جعل ذكر اسمه عليه إذنا فى الانتفاع به و ذكر على إزهاق الروح من هى من نفخته لا من لا يجد[8] للدعوى فيها

(١) العبارة من هنا إلى « ذابحا » ليست فى ظ (٢) ليس فى م (٣) العبارة من هنا إلى « الحرالى » ليست فى ظ (٤) قال الأندلسى : ما ذبح للأصنام و الطواغيت - قاله ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاك ، أو ما ذكر عليه اسم غير الله - قاله الربيع بن أنس أو غيره . . . . . . أو ما قصد به غير وجه الله تعالى للتفاخر و التباهى - قاله على و الحسن . . . . . و منع الحسن من أكل جزور ذبحتها امرأة للعبها و قال : إنها نحرت لصنم ؛ و سئلت عائشة عن أكل ما يذبحه الأعاجم لأعيادهم و يهدون للسلمين فقالت : لا تأكلوه و كلوا من أشجارهم ؛ و الذى يظهر من الآية تحريم ما ذبح لغير الله فيندرج فى لفظ « غير الله » الصنم و المسيح و الفخر و اللعب ، و سمى ذلك إهلالا لأنهم يرفعون أصواتهم باسم المذبوح له عند الذبيحة ، ثم توسع فيه و كثر حتى صار اسما لكل ذبيحة جهر عليها أو لم يجهر - البحر المحيط ١/٤٨٩ (٥) من م ومد و ظ ، و فى الأصل : من (٦) من م و مد ، و فى الأصل : لم تذكر ، و فى ظ : لم ىدكر - كذا (٧) زيد « لا » فى م و ظ و مد (٨) فى م : يجد ، و فى ظ : نجد .

سبيلا من الخلق . و ذكر الإهلال إعلام بأن ما أعلن عليه بغير اسم الله هو أشد المحرم ، ففى إفهامه تخفيف الخطاب عما[1] لا يعلم من خفى الذكر «قالوا: يا رسول الله! إن ناسا يأتوننا بلحام[2] لا ندرى أ سموا الله عليها أم لا . فقال رسول[3] الله صلى الله عليه و سلم: سموا الله أنتم و كلوا» فكان المحرم ليس ما لم يعلم[4] أن اسم الله ذكر عليه بل الذى علم أن غير اسم الله قد أعلن به عليه ، و فى تقدم إضمار المحرم فى قوله "به" تأكيد لمعناه لأنهم يقدمون[5] ما هم بــه أهم و هم ببيانه[6] أعنى ، قال[7] صلى الله عليه و سلم: «أبدأوا بما بدأ الله به» ، فلما كانت هذه الآية جامعة آى[8] التحريم أظهر فيها تقديم العناية بالمحرم و هى فى الإبلاغ أنهى[9] معنى[10] من الذى [11]أخر فيها[11] هذا الضمير .

و لما كان هذا الدين يسرا[12] لا عسر فيه و لا حرج و لا جناح [رفع حكم[13] هذا التحريم عن[14] المضطر ، و لما كان شأن الاضطرار أن يشمل جمعا من الخلق أنبأهم تعالى بأن هذا الذى رفع عنهم من التحريم لا يبرأ[15]

---

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : عمن (٢) فى م و ظ و مد : لحمان . (٣) ليس فى م و مد و ظ (٤) ليس فى م (٥) فى الأصل : تقدمون ، و التصحيح من ظ و م و مد (٦) فى ظ : ببنائه (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : قوله (٨) فى م : لآى (٩) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : انتهى . (١٠) فى الأصل : يعنى ، و التصحيح من بقية الأصول (١١-١١) من مد و ظ ، و فى الأصل : اخوفها ، و فى م : اخرفيها (١٢) فى م : يسيرا (١٣) ليس فى م و ظ (١٤) فى م : من (١٥) فى ظ : لا يبدا .

من كلية الأحكام بل يبقى مع هذه الرخصة موقع[1] الأحكام[2] في البغي و العدوان -[3]] فقال: ﴿فمن اضطر﴾ أي [أحوجه محوج و ألجأه ملجئ بأي ضرورة كانت -[4]] إلى أكل[5] شيء مما حرم / بأن أشرف على التلف فأكل /١٦٦ من شيء منه حال كونه ﴿غير باغ﴾ أي[6] قاصد فسادا[6] بمكيدة يكيد بها لضعفه آخذا من تلك[7] الميتة هو أقوى منه كأن يحيله[8] على غيرها خداعا منه ليستأثر عليه بالأحسن منها ﴿و لا عاد﴾ على غيره بأن يكون أقوى منه فيدفعه[9] عنها، و لا مجاوز[10] لسد الرمق و إزالة الضرورة[11] ؛ [12]و يدخل في الآية أن من بغى[13] على إمام أو[14] قصد بضربه في الأرض فسادا أو عدا على أحد ظلما فحصل له [15]بسبب ذلك مخمصة[16] لا يحل[17] له ما كان حراما لأن في ذلك إعانة له على معصيته[18]، فإن تاب استباح[19] ﴿فلا إثم عليه[20]ط﴾ لا من التحريم الأول و لا

---

(١) في م: موضع (٢) في م و ظ: للأحكام (٣) العبارة زيدت من م و مد و ظ (٤) زيدت من م و مد (٥) من م و مد و ظ، و في الأصل: كل. (٦-٦) من م و مد و زيد بعده في م: به، و ليس في ظ، و في الأصل: قاصد فاسدا (٧) في ظ: ذلك (٨) في ظ: يهله، و لا يتضح في م (٩) من م و مد و ظ، و في الأصل: فيدعيه (١٠) من م و مد و ظ، و في الأصل: تجاوز (١١) في م: الضرر (١٢) العبارة من هنا إلى «بسبب ذلك» ليست في ظ. (١٣) من م، و في الأصل و مد: بقى (١٤) في م: و (١٥) ليس في م (١٦) في م: مخمصه، و في مد: مخمصته (١٧) في م: تحل، و في مد: يحل - كذا. (١٨) في م: معصية (١٩) و في البحر المحيط ٤٨٩/١: و قال عكرمة و قتادة والربيع وابن زيد وغيرهم: غير قاصد فساد وتعد بأن يجد عن هذه المحرمات =

من

من الحكم الآخر ، و لو كان رفع الإثم دون هذين الاشتراطين لوقع بين المضطرين من البغى و التسلط ما مثله لا يحل لغير المضطرين ، فانتفى الإثم على صحة من الأمرين و ارتفاع الحكمين[١] ، ففى السعة يجتنب ما يضر و فى الضرورة[٢] يؤثر[٣] ضرورة الجسم لقوامه على حكم الكتاب فى إقامته ، و فى إفهامه أن من اضطر لشيء مما حرم عليه فأكله لم تنله[٤] مضرة ، لأن الله سبحانه و تعالى إذا أباح شيئا أذهب ضره « إن الله لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها » ، ففيه[٥] تنبيه لتغيير هذه الأعيان للمضطر عما كانت عليه حتى تكون رخصة فى الظاهر و تطييبا[٦] فى الباطن[٦] ، فكما[٧] رفع عنه حكمها الكتابى يتم فضله فيرفع عنه ضرها الطبيعى .

ثم علل هذا الحكم مرهبا مرغبا بقوله : ﴿ ان الله ﴾ فأتى بهذا الاسم المحيط إشارة إلى عموم هذا الحكم للمضطر و الموسع ، و فى قوله : ﴿ غفور[٨] ﴾ إشعار بأنه لا يصل إلى حال الاضطرار إلى ما حرم

= مدوحة . و قال ابن عباس و الحسن : غير باغ فى الميتة فى الأكل و لا عاد بأكلها و هو يجد غيرها ، و هو يرجع لمعنى القول قبله و به قال أبو حنيفة و مالك ، و أباح هؤلاء للبغاة الخارجين على المسلمين الأكل من هذه المحرمات عند الاضطرار كما أباحوا لأهل العدل (٢٠) ليس فى مد .

(١) فى ظ : الحكم (٢) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : الضرورى (٣) من م ومد و ظ ، و فى الأصل : يوقر (٤) فى ظ : لم ينله (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : قصة (٦-٦) فى مد : للباطن (٧) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : فلما .

(٨) لما ذكر أشياء محرمة اقتضى المنع منها ثم ذكر إباحتها للمضطر فى تلك الحال =

عليه أحد إلا عن[١] ذنب أصابه ، فلولا المغفرة لتممت[٢] عليه عقوبته ، لأن المؤمن أو الموقن[٣] لا تلحقه ضرورة ، لأن الله سبحانه و تعالى لا يعجزه شيء و عبد الله "[٤]لا يعجزه ما لا يعجز ربه[٤] " و ان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين[٥] " فاليأس الذى يحوج إلى ضرورة إنما يقع لمن هو دون رتبة اليقين و دون رتبة الإيمان « جهز رسول الله صلى الله عليه و سلم [جيشا - [٦]] ففنيت أزوادهم فأقاموا أياما يتقوتون[٧] بيسير حتى تقوتوا بتمرة تمرة فأخرج الله لهم العنبر دابة من البحر[٨] » فلم يحوجهم فى ضرورتهم إلى ما حرم عليهم بل جاءهم فى ضرورتهم بما هو أطيب مأكلهم فى حال السعة من صيد البحر الذى هو الطهور ماؤه الحل ميتته[٩] . و فى قوله : ﴿رحيم ،﴾

= المقيدة له اتبع ذلك بالإخبار عن نفسه بأنه تعالى ﴿غفور رحيم﴾ لأن المخاطب بصدد أن يخالف فيقع فى شيء من أكل هذه المحرمات ، فأخبر أنه غفور للعصاة إذا تابوا رحيم بهم ، أو لأن المخاطب إذا اضطر فأكل ما يزيد على قدر الحاجة فهو تعالى غفور له ذلك ، رحيم بأن أباح له قدر الحاجة ، أو لأن مقتضى الحرمة قائم فى هذه المحرمات ثم رخص فى تناولها مع قيام المانع عبر عن هذا الترخيص و الإباحة بالمغفرة ؛ ثم ذكر بعد الغفران صفة الرحمة أى لأجل رحمتى بكم أبحت لكم ذلك ـ البحر المحيط ٤٩١/١ .

(١) فى م : من (٢) فى مد : لتمت (٣) فى ظ : المومن (٤-٤) ليست فى مد . (٥) سورة ٣٠ آية ٤٩ (٦) زيد من م و مد و ظ (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يتقون (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الأرض (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ميتة .

إنباء بأن من اضطر فأصاب[١] مما اضطر إليه شيئا لم يبغ[٢] فيه و لم يعد تناله[٣] من الله رحمة توسعه من[٤] أن يضطر بعدها إلى مثله فيغفر له الذنب السابق الذى أوجب الضرورة و يناله بالرحمة الموسعة التى ينال بها من لم يقع منه ما وقع ممن اضطر إلى مثله – انتهى؛ و تصرفت فيه .

و لما كان فى بيان هـــذه المحرمات الإشارة إلى عيب من استحلها من العرب [٥]و ترك ما أمر به من الطيبات[٥] جهلا و تقليدا تلاها[٦] بتكرير عيب الكاتمين لما عندهم من الحق مما أنزل فى كتابهم من [٥]صفة النبى صلى الله عليه و سلم و أمر الحج و[٥] أمر القبلة و غيرها مما يصدق هذا الكتاب الذى لا ريب فيه [٧]خوفا على انقطـاع ما كان يهدى إليهم لرئاستهم من دينهم على وجه عائب[٨] لهم لاستحلالهم أكل السحت على علم مبين أنهم استحقوا الذم من وجهين : أحدهما نفس الأكل [٩]على هذا الوجه المؤدى إلى الإعراض عن الطيبـات و الموافقـة[١٠] للعرب ، الثانى كونه على كتمان ما يعلمون من الحق فقال[١١] : ﴿ ان الذين

(١) من مد و ظ ، وفى م : فاصابه ، وفى الأصل : فاجاب (٢) فى الأصل : لم يقع ، و التصحيح من م و مد و ظ (٣) فى ظ : يناله ، و فى مد : تناوله (٤) فى م و ظ و مد : عن (٥ – ٥) ليست فى ظ (٦) ليس فى م (٧) من هنا إلى « من دينهم » ليست فى ظ (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : غائب (٩) العبارة من هنــا إلى « للعرب » ليست فى ظ (١٠) فى م : المواقعة (١١) روى عن ابن عباس أنه قال إن الملوك سألوا علماءهم قبل المبعث : ما الذى تجدون فى التوراة ؟ فقالوا : نجد أن الله يبعث نبيا من بعد المسيح يقال له محمد بتحريم الربا و الخمر و الملاهى و سفك الدماء ، فلما بعث قالت الملوك لليهود : هذا الذى تجدونه فى كتابكم =

يكتمون ﴾ مؤكدا لذمهم بأنواع التأكيد ، و لقد بدع إيلاؤه لصفتى المغفرة و الرحمة كما ختم آية الكتمان الأولى بوصفى التوبة و الرحمة ، فكان [مع ما فيه من الترغيب - ١] من قبيل الاحتراس [أى إنه - ٢] إعانة لا يغفر لمثل هؤلاء إلا أن اتصفوا ٣بما أشارت٣ إليه الآية الأولى من التوبة . قوله : ﴿ ما انزل الله ﴾ باسناد الإنزال[٤] إلى اسمه الأعظم لإحاطة الكتاب بمختلفات الأحكام ﴿ من الكتٰب ﴾ أى من حدوده و أحكامه و غير ذلك مما أشارت إليه الآية الأولى بالبينات و الهدى من الحكم و الأحكام .

و لما كان من الكتم ما يكون لقصد خير ، فكم من كلمة حق أريد بها باطل ! قيده بقوله : ﴿ و يشترون[٥] به ثمنا ﴾ قال الحرالى : و الثمن ما لا ينتفع / بعينه حتى يصرف إلى غيره من الأعواض[٦] ، /١٦٧
فالإيعاد[٧] على ما يتضمن جهل الكاتم و حرصه باستكسابه بالعلم و إجرائه

= فقالوا طمعا فى أموال الملوك : ليس هذا بذلك النبي ، فأعطاهم الملوك الأموال ، فأنزلت إكذابا لهم - البحر المحيط ١/٤٩١ .

(١) زيدت من م و مد و ظ (٢) زيد من م و مد و ظ غير أن «اى» ليس فى ظ (٣-٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كاشارات (٤) ليس فى م . (٥) فى البحر المحيط : لما تعوضوا عن الكتم شيئا من سحت الدنيا أشبه ذلك البيع و الشراء لانطوائهما على عوض و معوض عنه فأطلق عليه اشتراء (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فالأعراض (٧) فى م : فلايعاض ، و فى ظ : و الايعاد .

فى

فى غير ما أجراه الله[١] تعالى على ألسنة أنبيائه "و ما اسئلكم عليه من اجر[٢]" و لما كان[٣] كل ما لم يثبت من[٣] خير الدنيا فى الآخرة و إن جل حقيرا[٤] قال: ﴿قليلا[٥]﴾ هذا المراد لا تقييده[٥] بالقليل.

و لما كانوا قد بعدوا عن[٦] مواطن الرحمة ببخلهم بما لا ينقصه[٧] الإنفاق أشار إليهم بأداة البعد فقال: ﴿اولئك﴾ و[٨] فى خطاب النبى صلى الله عليه و سلم به[٩] إشعار بوقوع ذلك من طائفة من أمته حرصا على الدنيا ﴿ما ياكلون﴾ أى فى هذه الحال على ما دلت عليه 'ما'.
[١٠]و لما كان الأكل يطلق على مجرد الإفساد حقق معناه بقوله[١٠]: ﴿فى بطونهم﴾ جمع بطن و هو فضاء[١١] جوف الشىء الأجوف لغيبته عن ظاهره الذى هو ظهر ذلك البطن ﴿الا النار﴾ كما أحاط علمه[١٢] سبحانه و تعالى بالغيب ان ذلك على الحقيقة و بصره لعيون أهل الكشف الذين يرون العواقب فى الأوائل و الغيب فى الشهادة، و فى ذكره بصيغة الحصر نفى لتأويل[١٣] المتأول بكونه سببا و صرف[١٤] له إلى وجه التحقيق الذى يناله

(١) ليس فى م و مد (٢) سورة ٢٦ آية ١٠٩ (٣-٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: من لم ينبت من من - كذا (٤) من م و مد و ظ. و فى الأصل: حقير. (٥) من م و مد و ظ. و فى الأصل: لا نقيده (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: من (٧) من م و مد، و فى الأصل: لا ينقضه، و فى ظ: لا ينصصه (٨) ليس فى مد (٩) ليس فى م (١٠-١٠) ليست فى ظ (١١) فى الأصل: قضا، و التصحيح من بقية الأصول (١٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: علم (١٣) فى م و مد: التأويل (١٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: حرف - كذا.

الكشف ويقصر عنه الحس، فكانوا فى ذلك كالحذر الذى يجعل يده فى الماء الحار ولا يحس به فيشعر ذلك بموت حواس هؤلاء عن حال ما تناولوه[١] .

ولما قدم الوعيد فى الثمن لكونه الحامل على الكتم اتبعه وعيد نفس الكتم فقال : ﴿ ولا يكلمهم الله ﴾ أى [٢]الملك الأعظم الذى من كله أقبل كل شيء عليه كلاما يدل على مرضى[٢] لكونهم لم يكلموا الناس بما كتب عليهم وقال : ﴿ يوم القيمة ﴾ تأكيدا لما أشارت إليه ما[٣] من[٤] أن المراد بالذى قبله الحال ﴿ ولا يزكيهم صلے ج ﴾ أى [٥]يطهرهم من دنس الذنوب أو يثنى عليهم أو ينمى أعمالهم[٥] بما يحصل لهم من الميثاق فى يوم التلاق كما يزكى بذلك من يشاء من عباده لأنهم كتموا عن العباد[٦] ما يزكيهم و[٣] فى هذا تعظيم لذنب كتموا العلم ﴿ ولهم ﴾ مع هذا العذاب ﴿ عذاب اليم ٥ ﴾ لما أوقعوا فيه الناس من التعب بكتمهم[٧] عنهم ما يقيمهم على المحجة[٨] السهلة[٩] .

---

(١) فى ظ : تناوله (٢-٢) ليست فى ظ . وفى مد « قبل » مكان « اقبل » .
(٣) ليس فى م (٤) فى ظ : امن (٥-٥) ليست فى ظ (٦) من م وظ ومد ، وفى الأصل : العبادة (٧) من م ومد وظ ، وفى الاصل : يكتمهم (٨) من م ومد وظ ، وفى الأصل : الحجة (٩) (وناسب) ذكر هذه الآية ما قبلها لأنه تعالى ذكر فى الآية قبلها إباحة الطيبات ثم فصل أشياء من المحرمات فناسب أن يذكر جزاء من كتم شيئا من دين الله ومما أنزله على أنبيائه فكان ذلك تحذيرا أن يقع المؤمنون فيما وقع أهل الكتاب من كتم ما أنزل الله عليهم واشترائهم به ثمنا قليلا - البحر المحيط ١/٤٩٣ .

و لما ذكر جزاءهم اتبعه ترجمة[1] حالهم مؤكدا لبعدهم فقال: ﴿ اولئك الذين اشتروا[2] ﴾ أى لجاجا و تماديا فى الغى ﴿ الضلٰلة ﴾ عن طريق[3] الخير ﴿ بالهدىٰ ﴾ و لما ذكر حالهم فى الدنيا اتبعه أمر الآخرة فقال: ﴿ و العذاب ﴾ بارتكابهم هذه الموبقة ﴿ بالمغفرة ج ﴾ التى كانت تنجيهم[4] إذا محت صغائرهم لو سلموا من هذه العضلة[5] التى كانت سببا لضلال خلق كثير فكان عليهم وزرهم . و لما جعل سبحانه و تعالى أول مأكلهم[6] نارا و آخر أمرهم عذابا و ترجمة حالهم عدم المغفرة فكان بذلك أيضا أوسط حالهم نارا سبب عنه التعجيب[7] من أمرهم بحبسهم[8] أنفسهم فى ذلك الذى هو معنى الصبر[9] لالتباسهم بالنار حقيقة أو بموجباتها من غير مبالاة[9] فقال: ﴿ فما اصبرهم ﴾ أى ما أشد حبسهم أنفسهم [10] أو ما أجرأهم ﴿ على النار ه ﴾ التى أكلوها فى الدنيا فأحسوا بها فى [11] الأخرى – ذكر [12] كثيرا من[13] ذلك الحرالى[14] غير أنى تصرفت فيه؛

---

(١) من م ومد و ظ ، و فى الأصل: ترحة (٢) قال أبو حيان الأندلسى: وفى لفظ " اشتروا " إشعار بإيثارهم الضلالة و العذاب ، لأن الإنسان لا يشترى إلا ما كان له فيه رغبة و مودة و اختيار و ذلك يدل على نهاية الخسارة و عدم النظر فى العواقب (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : طرق (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ينجيهم (٥) فى م : المعضلة ، و فى مد : المعضلة (٦) فى م : كلمهم ـ كذا (٧) فى م : التعجب (٨) فى م : يحسبهم (٩-٩) ليست فى ظ ، و فى م « بنموحياتها » مكان « بموجباتها » (١٠) العبارة من هنا إلى « تصرفت فيه » ليست فى ظ (١١) فى م : الاخرة (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : ذكرا ، و فى م : ذلك ـ كذا (١٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل فقط : فى (١٤) قال =

و إذا جعلته مجازا كان مثل قولك لمن عاند السلطان: ما أصبرك على السجن الطويل و القيد الثقيل! تهديدا له .

و لما ذكر جزاءهم[1] و شرح حالهم و التعجيب من أمرهم ذكر السبب الموجب لهذا الإبعاد العظيم و التهديد الكبير فقال: ﴿ ذلك ﴾ مشيرا بأداة البعد ﴿ بان الله ﴾ فذكر الاسم الأعظم أيضا [2]الذى معناه أن له جميع صفات الكمال[2] تعظيما للمقام ﴿ نزّل الكتب ﴾ أى الجامع لأنواع الهدى ﴿ بالحق ط ﴾ منجما تقريبا للأفهام و تدريبا للخاص و العام ، [2]و هو صالح لإرادة القرآن و التوراة[2] [3]أى الثابت الكامل فى الثبات[3] ، فمن كتمه فقد حاول نفى ما أثبته الله تعالى فقد ضاد الله فى ملكه ، و من خالف فيه و هو الذى لا شبهة تلحقه فقد عد الواضح ملبسا فقد أبعد المرمى .

و لما كان التقدير: فاختلفوا ، اتبعه قوله: ﴿ و ان الذين اختلفوا ﴾ أى خالف بعضهم بعضا ﴿ فى الكتب ﴾ نفسه أى[4] لا فى فهمه ، و هذه العبارة تدل على [ان - [5]] الاختلاف قول بعض فى الكتاب كله

= الأندلسى: و قال الزمخشرى ﴿ فما اصبرهم على النار ﴾ تعجب من حالهم فى التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم ، انتهى كلامه و انتهى القول فى أن الكلام تعجب . و ذهب معمر بن المثنى و المبرد إلى أن ما استفهامية لا تعجبية و هو استفهام على التوبيخ لهم أى أى شىء صبرهم على النار حتى تركوا الحق و اتبعوا الباطل ، و هو قول ابن عباس و السدى ١/٤٩٥ .

(١) من م و ظ ، و فى الأصل و مد: حراهم - كذا (٢-٢) ليست فى ظ .
(٣-٣) ليست فى م (٤) ليس فى مد (٥) زيد من م .

أو

أو فى شيء منه هو باطل و الإقرار ببعض أحكامه و الإنكار لبعضها و تحريف الكلم عن مواضعه و نحو هذا ﴿ لفى شقاق[١] ﴾ لكون[٢] كل واحد[٣] منهم فى شق / ﴿ بعيد ه ﴾ جدا عن شق أهل الحق ، /١٦٨ و لذلك[٤] خاف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من[٥] اختلاف أهل هذا الدين فى القرآن كما اختلف اليهود و النصارى فجمعوهم على مصحف واحد ، فليس الاختلاف فى وجوه الروايات و أنحاء[٦] الفهم من ذلك ؛ و قد وقع كما ترى تنبيه المشركين من العرب بدون ما تضمنه تنبيه بنى إسرائيل من التقريع و التوبيخ لفرقان ما بينهم ، لأن كفر المشركين عن جهل و كفر أولئك عن تعنت بعد تكرر مشاهدة الآيات[٧] ، و من تدبر القرآن و طالع التوراة علم طول مكث موسى عليه الصلاة و السلام فيهم يتلو عليهم التوراة على حسب تنزيلها شيئا فشيئا و أنهم كانوا مع ذلك كلما شاهدوا آية أحدثوا كفرا و خلعوا شكرا و سألوا غيرها

---

(١) و كنى بالشقاق عن العداوة و وصف الشقاق بالبعد إما لكونه بعيدا عن الحق أو لكونه بعيدا عن الألفة أو كنى به عن الطول أى فى معاداة طويلة لا تنقطع ، و هذا الاختلاف هو سبب اعتقاد كل طائفة أن كتابها هو الحق و أن غيره افتراء و قد كذبوا فى ذلك ، كتب الله يشبه بعضها بعضا و يصدق بعضها بعضا ـ البحر المحيط ١/٤٩٦ (٢) فى م : بكون ، و فى ظ و مد : يكون .
(٣) ليس فى م (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : كذلك (٥) ليس فى ظ .
(٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : انجـ ـ كذا (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لايات ـ كذا .

عنادا و مكرا "و جعلنا قلوبهم قسية[1]" و قد مر من[2] أول السورة عن التوراة كثير من ذلك و سيأتى إن شاء الله تعالى بقيته[3] فى المواضع اللائقة به من آيات القرآن . و قال الإمام أبو جعفر بن الزبير : و متى بين شىء فى الكتاب العزيز من أحوال النصارى فليس على ما ورد من مثله فى اليهود لما ذكر أى من أن كفرهم تعنت ، و خطاب مشركى العرب فيما أشير إليه دون خطاب الفريقين إذ قد تقدم لهم ما لم يتقدم للعرب و بشروا فى كتبهم و ليس لمشركى العرب مثل ذلك ؛ و الزيغ عن الهدى شامل للكل و ليسوا فى شىء من الصراط المستقيم [4]مع أن[4] أسوأ الأحوال حال من أضله الله على[5] علم ؛ و هنا انتهى ذكر ما حذر منه و نهى عنه من أراد سلوك[6] الصراط المستقيم و بيان حال من حاد[7] عنه و تنكبه و ظن أنه على شىء و ضم[8] مفترق أصناف الزائغين فى أصناف ثلاثة و هم اليهود و النصارى و أهل الشرك ، و بهم يلحق سائر من تنكب فيلحق باليهود منافقو أمتنا ممن ارتاب[9] بعد إظهار إيمانه و فعل أفاعيلهم من المكر و الخديعة و الاستهزاء ، و[10] يلحق بالنصارى من اتصف بأحوالهم ، و بالمشركين من جعل لله سبحانه و تعالى ندا و اعتقد فعلا لغيره على غير طريقة الكسب ؛

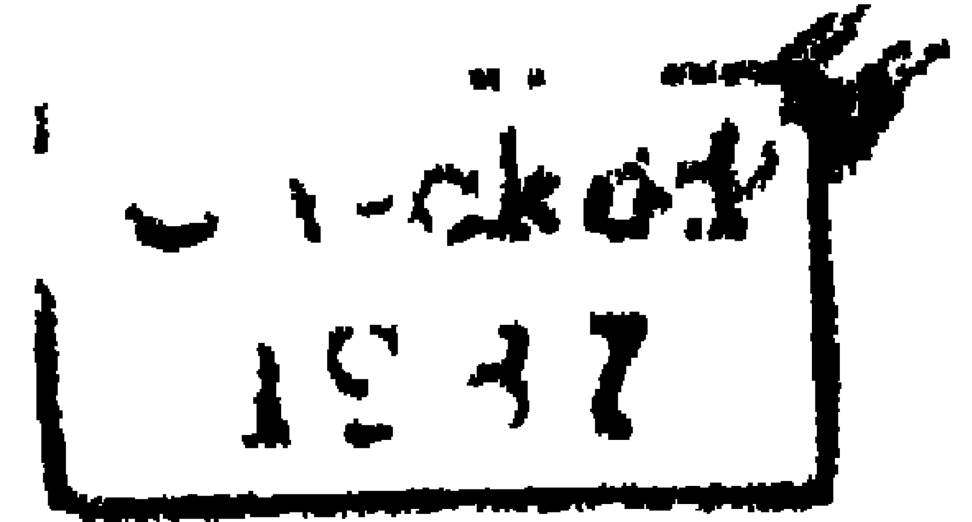
---

(١) سورة ٥ آية ١٣ (٢) فى م و ظ و مد : فى (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بقيـة (٤-٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لان (٥) ليس فى م . (٦) فى م : شكوك (٧) فى م : حال (٨) من م و ظ ، و فى الأصل : ضمه ، و فى مد : علم (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ارياب (١٠) ليس فى ظ .

و المجوس لاحقون بأهل الشرك . و الشرك أكثر هذه الطرق الستة تشعبا و لهذا قال عليه الصلاة و السلام : الشرك أخفى من دبيب النمل ، و من فعل أفعال من ذكر و لم ينته به الأمر إلى مفارقة دينه و الخروج فى شيء من اعتقاده[1] خيف عليه أن يكون ذلك وسيلة إلى اللحوق بمن تشبه به ، و إلى هذا أشار عليه الصلاة و السلام بقوله : أربع من كن فيه كان منافقا خالصا : إذا حدث كذب ، و إذا عاهد غدر ، و إذا وعد أخلف ، و إذا خاصم فجر - إلى أشباه هذا من الأحاديث ؛ انتهى .



(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : اعتقاد



خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء الثانى من تفسير « نظم الدرر فى مناسبات الآيات و السور » للشيخ العلامة أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله يوم الخميس الثالث عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٩٠ هـ = ١٨ يونيو سنة ١٩٧٠ م .

و قد اعتنى بتصحيحه و التعليق عليه الأستاذ الأديب فضيلة الشيخ السيد محمد عبد الحميد شيخ الجامعة النظامية بحيدر آباد الدكن عم فيضه! و عنى بتنقيحه راقم هذه الخاتمة ، تحت إدارة الأريب اللبيب صاحب الفضيلة السيد حامد على العباسى مدير الدائرة و عميدها - أبقاه الله لخدمة العلم و الدين .

و يليه الجزء الثالث إن شاء الله تعالى أوله « و لما بين سبحانه و تعالى كفر أهل الكتاب الطاعنين فى نسخ القبلة - الخ » .

و فى الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ، و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

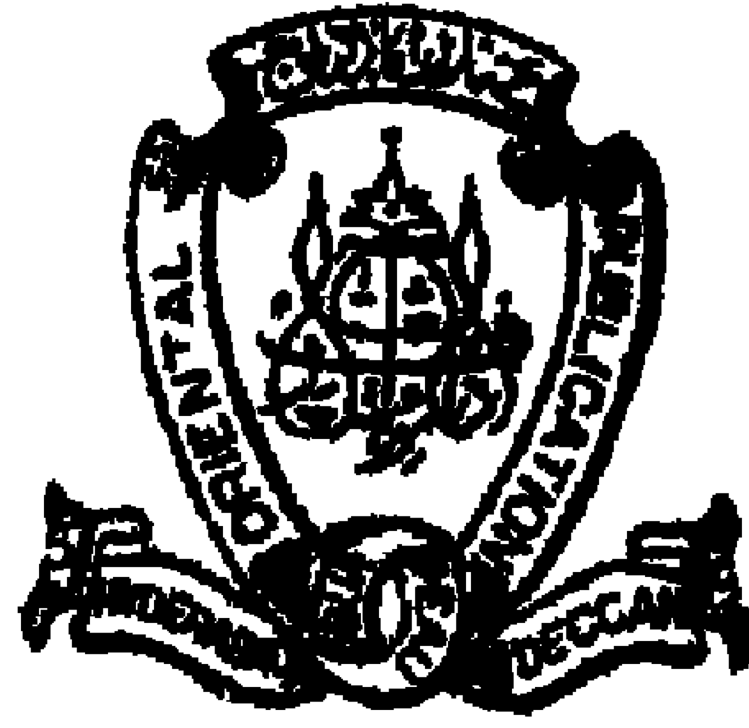
الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد

السيد محمد حبيب الله الرشيد القادرى

(كامل الجامعة النظامية)

صدر المصححين بدائرة المعارف العثمانية

DA'IRATU'L-MA'ARIF'IL-OSMANIA PUBLICATIONS
NEW SERIES, No. I/iv/ii



NAZMUD-DURAR FĪTANĀSUB-IL-ĀYĀTIWAS-SUWAR

BY

BURHĀNUDDĪN ABUL HASAN IBRĀHĪM
B. 'OMAR AL-BIQĀ'Ī
(d. 885 A.D./1480 A.H.)

Vol. II

Printed
Under the auspices of the Ministry of Education
Government of India
&
Under the Supervision of
Mahamed Ali Abbasi
Director, Da'iratu'l-Ma'arif'il-Osmania

(First Edition)
Published by
THE DA'IRATU'L-MA'ARIF-IL-OSMANIA
(OSMANIA ORIENTAL PUBLICATIONS BUREAU)
OSMANIA UNIVERSITY, HYDERABAD-7
INDIA
1390 A H /1970 A.D.